

الجـــزء التـاسع



خَالِكِيْنِكِيْنِ السَّيْطِةِ

كَنْ الْمُ الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعْلِيلِمُ الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعِلِمُ الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعْلِقُلْمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعِلْمُ الْمُعْلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعِلْمُ الْمُعِلْمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعِلْمُ الْمُعِلْمُ الْمُعِلْمُ الْ

الجـــزء التـاسع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبيع بالمطبعة الأمسيرية بالقاهرة س<u>۱۳۲۶ هي</u>نة ۱۹۱۲ م

	•			1112
		1		
9	4. (*)			
•				
				in the second
	•			
			in the second second	
	er and the second	•		
		•		
			And the second	
	(*)			
· ·				
	· .			
	* * * * * * * * * * * * * * * * * * *			
	S			
			9	•
		191		
Topics 4 or sale				
			Two cases and the same	

ب م الله الرحن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا عد وآله وصب

القســـم الثانى من مقاصــد المكاتبات، الإخوانيّـاتُ

(مما يَكْتُب به الرئيسُ إلى المرءوس والمرءوسُ إلى الرئيسَ والنظيرُ إلى النظير) قال فى و موادّ البيان ": ولها مَوْ قِع خَطِير من حيثُ تشترِك الكاقَّةُ فى الحاجة إليها . قال : والكاتبُ إذا كان ماهرا، أغربَ معانيها، ولطّف مبانيها، وتسمّلَ له فيها مالايكادُ أن يتسَمَّل فى الكُتُب التى لها أمشلَةٌ ورسومٌ لا نتغيّر ولا نُتجاوزُ، وهى على سبعة عشر نوعا :

النــــوع الأوّل (التّهَــانِي)

قال فى و مواد البيان " : كُتُب التَّها بِي من الكُتُب التي تظهَّرُ فيها مقادير أفهام الكُتَّاب، ومنازِلُم من الصِّناعة ، ومواقِعُهم من البَلاغة ، وهي من ضُروب الكتابة الجليلة النفيسة ، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقَدْر النعمة ، والإبانة عن مَوْقِع المَوْهِبة ، وتَضاعُفِ السُّرور بالعطية ، وأغراضُها ومعانيها متشغّبة لاتقف عند حد ، وإنما نذكر منها الأصول التي تفرَّعتْ منها فروعٌ رجعتْ إليها، و مُعِلتْ عليها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعِيَ فيها مرتبَّةَ المكتوبِ إليه والمكتوبِ عنه في الرسالة اللائقةِ بهما مما لا يُتَسَائحُ بمثله .

ثم التهانى علىٰ أَحَدَ عَشَرَ ضربا :

الضــــرب الأوّل (التهنئةُ بالوِلَايات ، وهي علىٰ تسعةِ أصناف)

الصنف الأوّل ــ التهنئةُ بوِلَاية الوِزَارة :

قد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب المملكة أنَّ الوزارة كانت فى الزمن المتقدّم هى أرفَعُ وظائفِ المملكة وأعلاها رُّثبةً ، وأنَّها الرتبةُ الثانية بعد الجلافة . وكانتْ فى زمن الخُلفاء تكادُ أنْ تكونَ كالسلطنة الآنَ ، فهى من الأتباع ومَنْ فى معناهم على نحو ما كانتْ فى الزَّمَن المتقدّم بينَ الرُّؤَساء والأكابر، ومن الرؤساء والأكابر، ومن الرؤساء والأكابر، بحسب ماتقتضيه رتبةُ المهنَّا .

وهذه نُسَخُ تهانٍ من ذلك على ماكان عليه الحال في الزَّمَن القديم .

تهنئةٌ بوزَارة : من إنشاء أبى الحسين بن سَعْد، كَتَب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عُبَيد رحمه الله، وهي :

مَنْ كَانَتِ النعمةُ _ أيد اللهُ الوزيرَ _ نافرةً عنه و بفِنائِهِ غَرِيبة ، فهى تَأْوِى من الوزير إلى مَثْوَى معهود ، وكَنَفِ مجود ، وتُجاوِرُ منه من يُوفِيّها حقّها ، ويُقابِلها بحُسْن الصَّحْبة لها ، ويَجْرِى فى الشكر لما يُولّه ، والرِّعاية لما يُسْتَرْعاه ، على شاكلة مضى عليها السَّلفُ من أهله ، ونشأ فى مثلِها الخَلف ؛ مقتديًا بالأقل الآخِر، وبالماضى

⁽١) أى التهنئة من الأتباع الخ.

الغابِر؛ تَشَابُها في كَرَم الأفعال، ورِعايةً لحُقُوق الآمال؛ واَعتماداً للرأفة والرَّحْمه، وعُمُوما بالإنْصاف والمَعْدِله؛ إلى ما خَصَّ الله به أهلَ البيت رضى الله عن الماضين منهم وأقام عِنَّ الباقين وحِراسَتَهم: من العلم بالسياسة والدُّرَابة بتدبير المَمْلَكة ورِعايةِ الأُمَّة؛ والهداية فيهم لطُرُق الحَيْطة ونَهْج المصلحة.

والحمدُ لله على ماخَصَّ به الوزيرَ من فضله الذي رفع قَدْرَه فيه عرب مُساماةِ وَالحَمدُ لله على ماخَوْرِيمَ وَجعله فيا حباه به نَسِيجَ وَحْدِه ، وقَرِيعَ دَهْرِه ، وجعله فيا حباه به نَسِيجَ وَحْدِه ، وقَرِيعَ دَهْرِه ، وجعله له من مَواهِب الخيرِ، وخَصائصِ الفَضْل ما أبان به مَوْقِعَه في الدِّين ، وأعطاه معه الوِلايَةَ من جميع المسلمين .

والحمدُ لله حمدًا مجدَّدا على ما جَدّده له من رَأْي أمير المؤمنين وآجْتِبائه ، ومحَـــلَّه من آخْتِيارِه وآصطِفائه .

والحمدُ لله على مامَنَحه من كرامته، وجدّد له من نعمته، فيما أعاد إلى تدبيره من وزَارَتِه، وأشركَه فيه من أمانَتِه ؛ احتياطًا منه للمُلكَة ، ونظرًا للخاصَّة والعامَّة ؛ فإنَّ عائدة وأيه سَوَّتْ بينَ الضَّعيف والقوى ، ووصلَتْ إلى الدَّانِي والقَصِى ؛ وأعادت إلى المُلك بَهاءَه ، وإلى الإسلام نُورَه وضياءَه ؛ فاكتست الدني من الحِدَّة بعد الإشهاج ، مالم يكُنْ يوجَدُ مثلُه إلَّا بالوزير في شَرَف مَنْصِبه ، وكرَم مُركَّبه ؛ فهنَّا اللهُ الوزير ما آناه وتابَع له قسمه ، ووصل له ماجدد له بالسَّعاده ؛ وأمدّه فيه بالزِّياده ؛ وأعطاه من كلِّ مأمُول أعظمَ حظ وأوفرَ نصيبٍ وقِسْم ؛ تراخيًا

⁽١) في الأصل والوراثة لتدبير وهو تصحيف سخيف .

⁽٢) فى القاموس "قادرته قايسته وفعلت مثل فعله" .

⁽٣) الإنهاج البلي ٤ أنظر القاموس في مادة (ن هج) .

فى مُدّة العُمُر، وتناهِيًا فى دَرَجةِ العِزّ؛ وَآحتياطًا بالمَوْهِبَةِ فى العاجِله، وفَوْزا بالكرامة فى الآجله؛ إنه فَعَّال لما يشاء .

تهنئة أُخْرَىٰ في مثل ذلك : أوردها في تَرَسُّله ، وهي :

التهنئة بالوزير للزَّمان وأهله بمَّ جَمَّهُم به ، وجدد لهم من مِيسَم العزّ ، وسَربَهُم إِيَّاه من حُلَّة الأمْنِ بولايت ، والنعمة على أوليائه ورَعَاياه على حَسب مواقعهم من مشاركت وخُطُوطِهم من مَعْدَلت ظاهرَّة ، ولله على ذلك الحمد الفاضل ، والشكر الكامل ، وللوزير من هذه النعمة الحليلة ، والدولة السعيدة ، أهناها مَوْقعا ، وأسراها مَلْبَسا ، وأدُومُها مُدّه ، وأجملها نَعْب ، وأثراها مُبَوّا ، وأسلَمُها عُقْبي ، فتولاه الله ملبَّسا ، وأدومُها مُدّه ، وأجملها نَعْب ، وأثراها مُبَوّا ، وأسلَمُها عُقْبي ، فتولاه الله بالمحونة والحراسه ، وأيّده الله بالنصر والكفايه ، وأنهضه بما قلّده وآسترُعاه ، وبلّغه عابّه ومُنَاه ، وأرجو أنْ يكونَ مَوْقِعي من ثقة الوزير يُلْحِقُني عنده بمن مَكّنتُه الأيام من قضاء الحق في التلقي والإبعاد ، ويُعوّضَني بتفضيله مما حُرِمتُه منها مَكَلَّ ذوى الإخلاص والاعتداد .

تهنئة أُخْرَىٰ في مثل ذلك : أوردها في ترَسُّله أيضا ، وهي :

وهذا أوَّلُ يَتْلُوه مابعده بلا تَناه ولا نَقْص بإذنِ الله ومَشِيئته ، بل يكون موصُولا لاُتْبَلغُ منه غاية إلا شفعتها درجة تُرُق ، تَكُنفُ ذلك كفاية من الله شاملة كاملة ، وغبطة في البَد والعاقبة بلا آنقطاع ، ولا آرتجاع ؛ حتى يكون المُنقلَبُ منه يعد بُلُوغ العُمُر منتهاه ، إلى فَوْزِ برحمة الله ورضاه ، فهنيئا للوزير بما لاَيقْدر أحد أَنْ يَدّعى فيه مُساعفة المقدار، ولا يناله بغير استحقاق ؛ إذ لامثل ولا نظير الوزير : فضلا ظاهر ا ، وعلما على العلوم مُوفِيا ، وسابقة في تقليب الخلافة ظهراً لِبَطْن ، وحُلب الدهم شطرا بعد شطر ؛ وجَمَّعاً من مال السلطان كان متفرقا ، وحفظاً

لماكانَ ضائِعا؛ وحمايةً لَبَيْضةِ المُلك، وضَبْطا للتَّغُور، وتلَقيًّا للْخُطُوب بما يَفُلُّ حَدْهَا، ويُطْفئ نارَها ولهَبَها ويُقيم أودَها؛ وما وهَبَ الله في رَأَيْه من فَتْح البلاد المُرْتَجَة، وقَمْع الأعداء المتغلّبة، وسُكُون الدَّهْماء، وشُمُول الأَمْن، وعُمُوم العَدْل؛ والله يَصِل ذلك باحسَنه.

روه. تهنئة أخرى في مثل ذلك : من إنشاء على بن خلف في دومواد البيان وهي :

أطال الله بقاء حضرة الوزارة السامية ، فارعة من المَعَالي أَسْمَقَهَا نُجُودا ، كارعة من المَننِ أَعَذَبُهَا وُرُودًا ، ساحِبةً من المَيَامِن أَرَقَهَا بُرُودًا ؛ ممتَّعةً بالنَّعمِ التي يُرامِي الشُّكر عن حَوْزتها، ويُحامِى البِشْرُعن حَوْمَتِها ؛ مَلَّغةً في أُولِيائِها وأعدائها، قاضيةً ماترتمي إليه رحابُها؛ فلا تَرى لها وليًّا إلَّا لاحبَ المَذْهَب، ثاقبَ الكَوْكُب؛ سامِيَ الطَّرْف، حامِي الأَنْف؛ ولا عَدُوًّا إلا ضَيِّق المَطْرَح، وَعَرَ المَسْرَح؛ صالدَ الزَّنْد، مَفَلَّل الحَدّ؛ راغمَ العِرْنِينِ، مَثْلُولًا لَجَبِينِ . ولازالتْ أَزْمَّةُ الدنيا بَيدها حتَّى تَبْلُغ بآمالها مُنتَّهَاها، وتَجْرِىَ بأيَّامِها إلىٰ أقْصَىٰ مَدَاها؛ [فهي] من أعظَم النِّعم خَطَرا، وأحسَنِها علىٰ الكَافَّة أَثَرًا؛ وأوْلَاها بأن يُفَاضَ في شكرها، وتتعَطَّرَ الآفاقُ بِذكُرها. ولسيدنا الوزيرِ الأجلِّ يَراعُ يستَيْقِظُ في صلاحهم وهم هاجِعُون، ويَنْصَبُ في الذَّبِّ عنهم وهم وادعُون؛ وَكُلَّ تدبيرُهُم فيه ، إلى مدَّبِّر يخافُ الله َو يتَّقِيه ، و يعمَلُ فيمَنِ ٱستَرْعاه بما يرتَضِيه ؛ ولا يَمُدّ يَدَ الاِقتدار عليهم متسَلِّطا، ولا يتَّبِع دَواعيَ الهَوىٰ فيهم مُتَسَقِّطا ؛ واضعًا الأشياء في حقائِقِها ، سالكًا بها أمثَلَ طرائِقِها ؛ مُلَايِّنًا من غير ضَعْف ، مُخاشِنًا من غير عُنْف ؛ قريبًا من غيرِ صِغَر، يَعِيدًا من غير كَبْر؛ مُرَغِّبا بلا إسْراف، مُرْهبًا بإنصاف؛ ناظرًا إلى محقَّرات الأمور وأطرافها ، كما ينظُر في مَعاظمها وأشرافها ؛ آخِذًا بوَثَائق الحَرْم، متمسَّكًا بَعَلَائِقُ العَزْمِ ؛ راميًا بفِنْكُرته من وراءِ العَوَاقب ،خاطِمًا بآرائِه أَنُوفَ المَصَاعب ؛

نَاظُمًا بِإِيَالَتِه عُقُود الْمَصَالِح، مُوَظِّمًا بِرِيَاضَتِه ظُهور الْجَوَامِي، إن تَقَّفَ ذَا النَّبُوة الفَريده، والهَفُوة الوحيده ؛ آقتصر على مايُوا فقُه الوالدُ الحَدَب، من مُقَوِّم الأدَب [و إِنْ قَبَضٌ] علىٰ المرتكس في غَوَايته، المُفْلس في عنَّايته ؛ ضَيَّق عليه مَجَالَ العَفْو، وأحاق به أليم العذاب والسُّطو؛ فقد سكنَت الرعيَّةُ فيعَدْله، وأوَتْ حَرَما مَنيعا من ظلُّهُ ؛ وَوَثِقتْ أنَّ الحِق بنظره شامِخُ شاهق ، والباطلَ سائح زاهق؛ والإنصافَ مبْسُوط منشُور، والإجحافَ عُطُوط مبتُور، والشَّمْل منظُوم، والشَّرَّ مضمُوم، فنطقَتْ ألسنَّهُا بإعماده، وٱشتمَلَتْ أفيْدتُها على ودَاده ؛ وآتفقَتْ أهواؤُها علىٰ رِيَاستِه ، وتطابقَتْ آراؤُها المسابقةُ علىٰ دَوام سيادَته؛ وعرفَ أميرُ المؤمنين عَدْقَ النظر في دَوْلته؛ وسلَّم أمورَ مملكته إلى النَّصيح المأمُون، والنَّجيح المَيْمُون؛ الذي وفَّقَه اللهُ تعالىٰ لاِّ خثياره، وَيَسَّرِه لاِّ صَطَفَائِه و إيثارِه ؛ وأنَّه قد نَاط أُمورَه بمن لم يستخفُّ ثَقِيلَ حُملها، وينُوءُ بباهظ ثِقْلها؛ فتمتُّع بَلَدِيدُ الكَرَىٰ، وتَوَدَّع بعـدَ السَّيْرُ والسُّرىٰ ؛ وأَلَمَ من إلمــام مُلمِّ مُعْضِل ، وحُدوث حَدَثِ مُشْكِل . وهـذه نعمةٌ تُعُمُّ الخاصَّة والعامَّة عُمُومَ الغيث إذا هَمَع وتدفَّق ، وتشْـمَلُهم شُمولَ النهـار إذا لَمَع وتألُّق؛ وهم أوْلَىٰ بالتهنئة فيهــا وشكُّر الله تعالىٰ عليها .

وسيدُنا الوزيرُ حقيقٌ بأن يُهْدى إليه الدعاءُ المرفُوع ، والتضرُّع المسمُوع ؛ بأن يُنْهِضَه الله تعالى بما حَمَّله ، ويُعِينَه على ما كَفَّله ؛ ويتولَّاه بتوفيق يثقبُ أنواره ، وتأييه يُنْهِضَه الله تعالى بما حَمَّله ، وتسديد يحسِّن آثاره ؛ وإجراء ما يتولَّاه على أوْضح سبيلٍ وأقصده ، وأرجح دليلٍ وأرشده ؛ إذ لا يجوز أن يَهنَّا بماله عياقُه وكلَّه ، ولمذعنيه صلاحُه كله ، والعبد يسألُ الله ضارعًا لديه ، باسطا يده إليه ؛ فى أن يَقْبَل صالح أدعيته لحضرة الوزارة السامِية ؛ وأن يجعل ماأحلًه فى محلّة من رياستها ، وأوقعه

⁽١) الزيادة يقتضيها المقام كما لايخفى •

فى مَوْقِعه من سياستها؛ دائبًا لائينْتَزَع، وخالدا لايرَتَجَع؛ وأن يؤيِّدها فيه بما يقضى له بالإِحْراز والتَّخويل، ويحْيِيه من الابتراز والتحويل؛ إنَّه سميعُ الدعاء، فعَّالُ لما يشاء؛ إنْ شاء الله تعالىٰ .

الصنف الثاني _ التهنئة بكَفَالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كُتِب بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين آبن نُبَاتة، وهي بعد الألقاب :

لازالَ دائرًا بهنائِه الفَلَك، مُنِيرا بِضيَاء عَدْله و بِشْرِهِ الحَلَك ؛ قريرًا بحُسْن كَفَالته المُلْكُ شاهدًا بفضل أسمائه وسمَاتهالمَلَك ،مقْسُوما بأمرالله نَدَاه و بأَشُه لِيَحْيَا مَنْ حَيَّ وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَك ؛ تقبيلًا يُشافَهُ به التَّراب ، ويُشاهَدُ شَرَفُ مَطْلَعه على السَّحاب . ويُنهِى قيامَهُ على قَدَم وَلاءِ ودعاء : هـذا يَثْرِلُ القلبَ وهـذا يَصْعَد إلى الأَفْق، ومُقامَه علىٰ بُشرىٰ وحمدِ منهما الأمنُ يحلَّى بوصْفه النُّطْقُ كما تُحَلَّى الأعطافُ بالنُّطُق؛ وأنه ورَدَ مثالٌ شريفٌ علىٰ يَد فلانِ يتضمَّن البِشارةَ العامَّه، والمَسَرَّة التامِّه، والنعمةَ. التي يُعوَّذُ سَــنَا جَبِينها مِن كُلُّ عَينِ لاَّمَّه؛ وخبرَ الخير الذي حَيَّت أزهارُه المتضوِّعةُ نَدُّ مِصْرَ فَأُولُ مَا بَلُّغُه مَنا فِسَ الشَّام شَامُّه، بأنَّ المُواقفَ الشريفة ﴿ أَعَنَّ اللَّه تعالىٰ سلطانَها _ قد فوضَتْ إلى مولانا كفالة الإسلام وبَنيه ، وكفاية المُلك بصالح مُؤْمِنيه؛ ونيابةَ الســلطنة الشريفة وما نَسقَتْ، وتدبيرَ المــالك وما وسَقَتْ؛ فيالها. بُشرىٰ ٱبتسمَتْ لها ثغورُ البَشَر، ومسَرَّةً ٱستجلىٰ سَناَها مَنْ آمَنَ وَبُهِتَ الذي كَفَر، وخبرًا تلقَّت الأسماعُ بَرِيدَه منشدة : قُلْ وأعدْ بأطْيَب الْحَبَر؛ هُنالك أخذ المُمْلُوكُ حَظُّه من خيرِ بُشْرى، ونصيبَه من مَسَرَّةٍ تُحِد بصَـباح طرْسها المَسْرى، وحمدَ اللهَ تعالىٰ علىٰ أن أقام لسلطانِ البسيطة من يَبْسُط العدْلَ والإحسانَ لَمَنَابِه، ويقَلِّد رعَّيته

عقودَالنّهم إذا تقلّد ماوراء سَريره وبابه، ومَنْ إذا كَفَل سيفُه مَمَالكَ الإسلام وثِقَتْ بِللّهُ وَالسّلامه، وإذا كتب قلمُه قالتُ ولا سِمَّا أخبارُ جند المسلمين: هكذا تكونُ العَلَامه، وجمَّز المملوكُ هذه الحدمة نائبةً عنه في تقبيل الأرض، وعَرْض الهناء بين يَدَى من يُسَرَّ المملوكُ بوَلائه اليومَ ويرجُو أن يُسَرَّ به يوْمَ العَرْضَ، ولو وصفَ الهناء بين يَدَى من السَّرور والشَّوْق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الهوتُ ماعنده من السَّرور والشَّوْق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الوقتُ عن أداء الفَرْض؛ والله تعالىٰ يجدِّدُ لمولانا ثمراتِ الفضلِ الواضح، والرأى الراجع؛ والقَدر الذي هو على ميزان الكواكب راجع، و يمتِّعنا كافَة الماليك بدُولة سلطانه الذي علم البيتُ الشريفُ أنَّه علىٰ الحقيقةِ الخلفُ الصَّالِ .

وهذه نسخة تهنئة لأمير جاندار بولاية إمْرة جاندار، من إنشاء الشيخ جمال الدين آبن نُباتةً، وهي بعد الألقاب :

أعلىٰ الله منارها ومنالها، وخلّد قبولها وإقبالها، وأجل من الغصّ الذي تناولته مَمَرها وأسبَعَ به ظلالها؛ ولا زال في سيفها وعصاها مآربُ الله ، وفي بأسما ونداها مواقع للنّجاة والهُلك ، ولا بَرحت القصُب من سُيوف وغصون : هذه حاكمة بسعّدها حُكم الملك ، وهذه مُسخّرة في تجريدها تسخير الفُلك ، تقبيل مخلص في وَلائه ودُعائه ، مُهنّا القلب مسرور بما يتجدّد من مَسرّات مولانا وهنائه ، ويُنهِي أنه بلغه ماأفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المَبرّات، وما جدّدت له من المسرّات وأنها ضاعفت مزيد الإحسار إليه ، ودعته أمير جاندار وَدّت العصي النّجومية وأنها ضاعفت مزيد الإحسار إليه ، ودعته أمير جاندار وَدّت العصي النّجومية لو قدّمت نفسها بين يَديه ، وأنّ المواقف الشريفة قرّث به عينا وأقرّت ، وأنّ الدولة القاهرة ألقت عصاها إليه واستقرّت ، وكما سلّمت إليه العصا في السّم سلّمت إليه السيف في الحرّب ، وكما قرّبته في مواقف الطّعن والعَرْب ، فأخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفرر الطّعن والعَرْب ، فأخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفرر المسرة المناس المنتور به فاخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفرر على المناس المنسرة المناس المناس المناس المنسرة والعَرْب ، فاخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفرر على الفرية والعب على نفسه الفرر على المنسرة المناس المنتور به فاخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفرر على الفراس المنسرة المناس المناس المنسون والعَرْب ، فاخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفرر على الفراس المنسرة المناس المنسون والعَرْب ، فاخذ المملوك حظّه من البُشري ، وأوجب على نفسه الفراس المنسرة المنسون والمنسون والمنس المنسرة المنسون والمنسون والمن

وَسَجِدَ لِلهِ شُكُوا ؛ وودً لو حَضَر يُشافِه بهـ ذا الهَناء الشامِل ، ومَثَلَ قائمًا لديه بحقّ التهنئة القيامَ الحقيقَ الكامل ؛ وحيثُ بعُدَتْ دارُه ، ونأتْ عن العِيان أخبارُه ؛ فقد علم الله تعالى مُواصلَته بالأدعية الصالحة ليلا ونَهارا ، والموالاة والمحبّة التي يشْهَد بها الخاطرُ الكريمُ سِرًّا وجهارا ؛ واللهُ تعالى المستُول أنْ يزيدَ مولانا من فضله ، ويَسُرَّه بمتجدِّداتِ الخير الذي هو من أهلِه ؛ ويمتّعنا كافّة الماليك بدوام سلطانِ هذه الدولة الذي شَمِل بظله ، وغني بنصره عن نصله ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الشاك _ التهنئة بالإمارة .

من كلام الأقدمين:

تهنئـــة من ذلك ، أوردها أبو الحسين بن سَعْد في ترسُّله، وهي :

وهَنَا اللهُ الأميرَ مواهِبَه الهنيَّه ، وعطاياه السَّويَّه ؛ وأدام تمكينه وقُدْرتَه ، وبَبَّت وطَّاته ، وحَرس ماخَوَله ؛ وجعل ماهيًا له من مُؤتنف الكرامة أيمَن الأمُور فاتحة وأسعدها عاقبه ؛ ووصل أيَّامه بأجمل الولايه ، وأجل الكفايه ؛ حتى ينتهى [من] استيفاء سعادات الحُظُوط وحَوْز القِسم والآمال ، [إلى] الدرجة التي تليق بما أفرده الله به من الكال ، وخصّه به من الفضل في جميع الحصال ، ومن أفضل ماأعتد به من نعم الله على بالأمير و بجيل رأيه ، وعَلَي من طاعتِه وخدمته ؛ أتى لا أخلُو في كل من نعم الله على بالأمير و بجيل رأيه ، وعملي من طاعتِه وخدمته ؛ أتى لا أخلُو في كل وقت وحالٍ من بَهْجة نتجد لكى ، ومسرَّة تصلُ إلى ، ونتوقر على ، بما يُسمِّله الأمير على يده من مستصّعب الأمير القدرة عليها ، ويتوحّد بالكفاية فيها ؛ فينمُو بجيل ويعمل الله بطوله وحوله للأمير القدرة عليها ، ويتوحّد بالكفاية فيها ؛ فينمُو بجيل تدبيره ولطيف نظره ، ويطرد بصاعد تجهه ويمن نقيبته وعن دولته ، وذلك من تدبيره ولطيف نظره ، ويطرد بصاعد تجهه ويمن نقيبته وعن دولته ، وذلك من قضل الله ونعمته ، يُؤتِي فَضْلة مَنْ يَشاء وهو ذُو الفَضْل العظيم .

الصنف الرابع _ التهنئـــة بولاية الحجَابة .

وقد كانَ لها في الزَّمنِ القديم المحلُّ الوافرُ في الدولة وعُلُو الرتبة فيها •

من كلام الأقدمين :

تهنئت أنه من إنشاء أبى الحُسَين بنِ سعد، كُتِب بها إلى أبى بكر بن ياقوت حين وَلِيَ الْجِهَابة بعد نَكْبة أصابته، وهي بعد الصدر:

وقد كانتْ أَنْفُسُنا مَعْشَرَعبيد سيدنا وحَمَلة إنعامه، ومؤَمِّلي أيامه، في هذه الأحوال التي نقد سيدنا منها فيما آبتلاه صَبْرَه، وأبانَ فيه قَدْرَه؛ وزاد العارفَ بفضله نفوذا في البَصِيره، وأعاد ذَوِي الآرتياب فيه إلى الثِّقَة؛ فآستوي المنازع والمُسَلِّم، وآستوي العالمُ والمُعَانِد_ نعمةٌ منه تعالىٰ ذكره خَصَّه بها وصانَهُ عن مُشاكَلَة النظير، ومُزاحمة الأَكْفاء ـ على سبيل من القَلَق والآرْتِماض، والشُّقُوط والآِ يْخِفاض؛ جَزَعا من تِلْكَ الحِيال الغَلِيظه ، و إشفاقًا علىٰ تلكَ النَّفْس النَّفيســـه ؛ وخوفًا علىٰ مَعَالِم البرِّ والتَّقىٰ ، وَبَقِيَّةِ العلمِ والْحِجَا، وتاريخ الكَرَم والنَّدىٰ؛ أن يَدْرُسَ مَنَارُهَا، وتُطْمَسَ آثارُها؛ ولولا مامنَّ اللهُ به من الخَلَاص منها وما مَنَح بكرمــه في عاقِبَتِها ، لأوْشَكَتْ أَن تَأْتِيَ عليها وَتُعْجِلَهَا عَن مَواقِيتِ آجالها؛ لكنه عَظُمت آلاؤُه؛ وتقدّسَتْ أسماؤُه؛ أَنَّىٰ بالأَمْن والفَرَج ، بعد ٱستيلاء الكَرْب والوَجَل ، وٱنْبِتات أسباب الرِّجاء والأملْ ؛ فعَرَف سيدُنَا مَوْ قِعَ الْخَيْرَةِ فَيَا قَضَاهُ، ومُيِّزَّله الْخَبِيثُ مِن الطَّيِّبِ مُمَّنَّ عاداه وتَولَّاه؛ وجعل النعمةَ التي جدّدَها له فيما ردّه أميرُ المؤمنين إلى تدبيرِه من أمْر دارِه ومملكته ، وحِرَاسة بيضـة رعيَّته، مشتركَةَ النفْع والفائده، مقْسومةَ الخَيْر والعائده؛ بينَ كأفَّة الأمَّة فيما عَمَّ من المَعْدِله ، وشمل من المَصْلحه . ولاحَ من تَبَاشِير الخير، وأماراتِ البركة؛ في آستقامة أمور البِلاد، وصلاح أحوالِ العباد؛ وأفرد اللهُ سيدَنا بَحَظٌّ من المَوْهِبَةَ وَفَانِي فِيه على حُظُوط الأولياء، وزادنِي على سِهَام الشَّرِكاء. وأنا أرغَبُ إلى الله في إسعاد سيدنا بما جدَّدَهُ له، وتعريفه بركة مُفْتَتَحه ويُمْنَ خاتَمَته. والحمد لله في مُبتداه، والسلامة في عُقْباه ، وتبليغه من حَظِّ مأمول ، وخير مَطْلوب ، وحالي عليه م وُرَبَّة سَنِيَّة ، أفضَل ما بَلِغ أحدا آختصه بفضله ، وآصطفاه من خَلْقه، إنه جَوَاد ماجِد ، فإنْ رأى سيدُنا أن يتطول بإجراء عبده على كريم عادته في تشريفه بمكاتبته ، وتصريفه في أمره ونهيه ، محققا بذلك أملة ، وزائدًا في نِعَمه عنده ، فعل إن شاء الله تعالى .

تهنئة أخرى من ذلك، من إنشاء على بن خَلَف أو ردها في وموادّ البيان وهي: إنما يُهَنَّأُ بالوَلَاية _ أطال الله بقاءَ الحاجب الجليل سيِّدي ومولاي _ مَن ٱنْبَسطتْ إليها يُدُه بعد ٱنقِبَاض ، وٱرتَفَع لها قَدْرُه مِنَ ٱنْخِفاض ؛ وأوجدَتُه الطريقَ الىٰ احراز جزيل الأُجر والحَزَاء، وآكتناز جميــل البركة والثّنــاء ؛ وأفضَتْ به إلىٰ ٱتَّساع السَّلْطان، وآنتِفَاع الأَعْوان؛ فأمَّا من جعل الله يَدَه الطُّولي، وقَدْرَه الأعْليٰ، ورِيَاستَهُ حاصلةً في نفسه وجوهره، وسِيادتَهُ مُجتناةً من سِنْخه وعُنْصُره؛ فالأَوْلى ــ إذا ٱسْتُكْفِيَ رَغْبِةً في إنصافه وعَدْله ، وحاجةً إلىٰ سَــدَاده وفَضْله ؛ وٱفْتقارًا إلىٰ فَضْل سِيرته، وآضْطِرارا إلى فاضل سِياسَيه _ أن تُهَنَّأُ الرعيَّةُ بولايته، وتُسَرَّ الخاصَّة والعامَّة بما عُدَقَ من أمورها بكفَايته ؛ وغير بدْجٍ رُبْطُ أمير المؤمنين بالحاجب الجليل أمْرَ حجابته، ونَصْبُه لِلزَّحَمْ عن حَضْرته، وجعْلُه الوَسِيطَ والسفِيرَ بينَه وبيْنَ خَواصً دَوْلته ، وقد َوثِقَ بُيمْنَ نَقِيبته ، وٱطَّلع علىٰ خُلُوص بِيَّته ، وسكَنَ إلىٰ صدْق طاعتِـه؛ وعَرفَ طهارةَ جَيْبه، وسلامةَ غَيْبه؛ وصدْقَ لَمْجته، وحَضافَةَ أمانَته؛

⁽١) فى الأصول ارباط ولم نقف على فعله فيا بأيدينا من كتب اللغة .

⁽٢) أي الدفع والذب يقال زحمته عنه أي دفعته انظر المصباح .

واعتماده للحقّ فيا يُورِد ويُصْدِر، ويُنْهِى ويُجِيب؛ وآبتلاه فعرَف طيبَ طُعْمته، وخِفَّة وَطْآته، ورأْقَته بالضَّعِيف المَهْضُوم، وغاظته على العَسُوف الظَّلُوم؛ [فرأى] أن يُجِلَّة محلّ مَنْ لا يَغِيب عمَّا شَهِده، ولا يرتابُ بما سمعه، على أنَّى المهنَّا بكل نعمة يجدّدها الله لدَيه، وسعادة يُسْبِعُها عليه؛ [ولو أنصفت] لسلَّكتُ من الصَّواب سَناً، واعتقَدْتُ جيلًا حَسنا: لاستشعارى بالأنْفَس من لَبُوس سيادته، وتَعَلَّى بالأَنْصَع من عُقُود رياسته، وإذا كانت رعيَّته أجذر أن تُهناً بولايته، وتعْرِف قَدْر مالها من الحظّ في نظره، فإنا أغدلُ من هنائه إلى الدَّعاء له بأن يبارِكَ اللهُ تعمالى له فيا قلَّده، ويُوقّقه فيا وَلاه ويُستَدّده، ويُلهِمه الدِّخار الثواب والأجر، واكتناز الحمد والشكر؛ والهداية إلى سَنَن الاستقامه، وما عاد بحبّة الخاصّة والعامه؛ وإنهاضه في خدْمة أمير المؤمنين، والعَمل من طاعته بما يُزْلِفُ في الدنيا والدين؛ والله يستجيبُ في ألحاجب الجليل هذا الدعاء ويَسْمَعُه، ويتقبَّلُه ويرفَعُه؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الخامس _ التهنئـة بولاية القَضَاء .

التهنئة بذلك من كلام الأقدمين:

تهنئة من ذلك : من إنشاء على بن خلف ، أو ردها في ومواد البيان وهى : أَوْلِى المِنَح أَن يُتفاوض شكُرها والتحدّث بها ، ويُتقارض حمدُها والقيامُ بواجبها ، نعمةٌ شَمِلَ عِطَافُها ، وعَمَّت ألطافُها ، وآشترك الناسُ فيها آشتراك العُموم ، وحلّت منهم في النفع محلَّ الغيث السَّجُوم ، وهذه صورة النعمة في ولاية قاضي القُضاة لله بقاءه له لل نتضمنه من إثبات العَدْل والإنصاف ، وآخيسار الجور والإبخاف ، وآخيلاء الحقّ وظُهُوره ، وآختلاء الباطل وثُبُوره ، وعِن المظلوم وإداليه ، وذُلِّ الظَّلُوم و إذَالَتِه ، وتمكين المضْعُوف وآقتداره ، وآنيزال العَسُوف واقيساره .

و إِنْ هَنَّاتُهُ حرس الله عُلَاه بموْهَبَة أَتَىٰ بارقُها بجبيل الثَّناء ، وجزيل الجَزَاء ؛ قــد ناء من تحمَّلُهَا بباهظ الشيء ومتعبه ، وقام من سئلها بكل الأدب ومنصبه، عدلت عن الأمثل وضَالَتُ عن الطريقة الْمُثْلَىٰ ؛ لكنِّي أهنِّئه خُصوصًا بالمَواهب المختصَّــة به آختصاصَ أطواق الحمـــائم بأعناقها ــ والمناقب المُطيفـــة به إطافَةَ كواكب السَّماء ــ بِنِطَاقها، في أنْ ألَّف اللهُ القلوبَ المتباينةَ علىٰ الإقرار بِفَضْله، وجمعَ الأفئدةَ المتنافيةَ علىٰ الاعتراف بقُصُور كلِّ محلٌّ عن محلِّه ، وجعل كلُّ نعمةٍ تُسْبَع عليه ، ومنَّة تُسْدىٰ إليه؛ موافقةَ الآمال والأماني، مُفْضيَةً للبشائر والتَّهاني: لأنَّ مَنْ أحبُّ الحقُّ وآثره، وليِسَ الصِّدْق وٱستشْعره؛ يَنْطِقُ بلسان الإرادة والآختِيَار، ومَنْ تركهُما وقَلَاهما، وخلَّعَهُما وأَلْقاهمًا، ينطقُ بلسان الآي فتقار والآخُ صْطرار ـ والحصائص التي هو فيها نَسِيجُ وَحْدِه، وعِطْرُ يومِه وغدهـ والمحاسنِ التي هي أَنَاسيُّ عيونِ الزَّمان، ومَصابِيحُ أعيان الحُسن والإحسان. ثم أُعُودُ فأُهنَّئُه عمومًا بالنَّعم المشتَركةِ الشُّمُول، الفَضْفاضةِ الذُّيُول؛ التي أقرَّت القَضاءَ في نِصَابه، وأعادتِ الحَكُمَّ إلىٰ وطَنِه بعد نُجْعَتِه وآغْتِرابه؛ وأعَلَتْهما فى أَرّْتُبة الفاضله ، وقَدَعتْ بهما أنْفَ الدِّروة العالِيَه ، وأرفَعُ يدى إلى الله تعالى داعيًا في إمداد قاضِي الْقُضاة بتوفيقي يُسَدَّدُ مَرامِيَه ، ويُرشد مَساعيَه ؛ ويهَذِّب آراءه ويصَحُّحُها، وُيْبِلج أحكامَه ويُوضِّعها؛ ويخَلِّد عليه النعمةَ خُلودَها علىٰ الشاكرين، ويُبَصِّره بَحُسْن العقْبيٰ في الدنيا والدِّيرِ ، وهو سبحانه يتقَبَّل ذلك ويرفَعُه ، إن شاء الله تعالى .

التهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردها الشيخُ شِهابُ الدين محمودًا لحلبيّ فى كتابه وزَهْر الربيع فى التربيع فى الربيع فى الربيع فى التربيّ المائية فى التربيّ وهى :

⁽١) فى الأصل و يفخمها وهى تصحيف لا يناسب المقام ٠

أنفَذ اللهُ تعالى أحكامَه، وشكر إحسانَهُ و إنعامَه؛ وخلَّده ناصرًا للشريعة المطَهَّرة وأَدَامه، وجدِّد سَعْدَه وأسعد أيَّامَه ؛ وجعله المسترشِدَ والمقتفِى بأمر الله والرَّاشدَ والمستنجِد والمستنجِد والمستنجِد والمستنجِد والمستنجِد والمستنجِد الله الله الواحِد .

المُلوكُ يقبِّل اليدَ العالية تبرُّكا بتَقْيِيلها، وأداءً لواجب تعظيمها وتَجْييلها؛ ويهيًّ المَوْلى بَمَا خصَّهُ الله تعالى من مُضاعفة نَفَاذ كلمته ورَفْع منزلته، وإمضاء أحكامه الشريفة وأقضيته؛ وتقليده أمور الإسلام، وتنفيذ أوامره فى الخاصِّ والعام، ويهيًّ بالمَوْلى مَنْ رُدَّت أمورُه إليه، وعُول فى ملاحظة مصالحه عليه؛ فإنَّ مَوْلانا مازال بالعلم والعَمَل مشهورا، وسعْيه فى الدنيا والآخرة سعيا مشكورا، ويقظة مولانا جديرة بزيادة الإهتام، والاحتياط التام، بملاحظة طلبة العلم والمشتغلين، والفُقهاء والمدرِّسين ، وسَعْر أحوال النُواب، وأنْ لا يكفيهُ الاعتاد على حسن البرَّة وطهارة الاثواب، بل يُعينُ فى الاطلاع على ما يعتمدونه النَّظر، ويلاحظ كلا منهم إن غاب الاثواب، بل يُعينُ مَن رآه يَهْدى إلى الحق و إلى الطريق المستقيم، ولا يَقْرب عن عُلِسه أو حضَر، فَنْ رآه يَهْدى إلى الحق و إلى الطريق المستقيم، ولا يَقْرب الابالتي هى أحسَنُ مالَ اليَتِم ، فيحقق له من العناية أملا، ولا يُضيع أجرَمَنْ أحسَنَ عملا ، حرس الله المولى ومتَّع بحياته ، وأعاد على الكافّة بركة صيامه المقبُول وصَلاته ، ونفع الإسلام بمستجاب دَعواتِه، إن شاء الله تعالى .

الصنف السادس ـــ التهنئة بوِّلاية الدعوة علىٰ مذهب الشِّيعة .

وقد تقــدّم فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدَّولة الفاطميَّة، بالديار المِصْرية، فَ وَقَدَ مَقْ وَعُلُو رُثبتها عندهم؛ وإنمــا ذكرناها حِفْظا للأصل ولاَحتمال وُقُوعها.

⁽١) بياض بالأصل بقدركلمة ولعله حتى يكون من القضاة الخ ٠

تهنئةٌ من ذلك : من إنشاء على بن خَلَف، أوردها في ومواد البيان وهي:

أطال اللهُ بقاءَ داعى الدُّعاة لصَبَاح من الرحمة يُباْلِجه ، وطريقٍ من الحكمة يُظْهِر بيانَه، وليل من السُّنَّة يَنْزع طَيْلسَانَه، وحَرسه على الإيمان يُجَدَّدُ ماأخلَقَ من بُرُوده، ويُنَظِّم ماوَهيٰ من عُقُوده؛ وعلىٰ المؤمنين يفتَحُ لهم أبواب الرَّشاد، ويُهْمِي إليهم سَماءَ الإفادة والإمْداد . ولا زالت الحقائقُ مقصودةً منه بالميزَة التي رشَّعتْه لحِفْظ مَبانِيها، وأهَّلته للعبارة عن مَعَانِيها ؛ حتَّى يرقُمَها في الأَّخْلاد، ويَمْحُوَ بهارُسومَ العناد، ويَنْشُر بُشَرَها في الآفاق والبِـــلاد . أنا أعْدِلُ عن هَنــاءِ داعى الَّدعاة ــ أطال الله بقاءه ــ بمَاعُدَق به من أمر الَّدْعُوة الهاديَّة العَلَويَّه ، ونُصب له من فَرِّ مَضَاحِك الْمُشْكلات عن أسرار الحقائق الإلهيِّــه، والترجمةِ عن غوامضِ الحِكمُ الشَّرْعيَّه؛ والتوقيفِ علىٰ مَوَارِد الْهُــدى ومَشَارِعه ، والإرشادِ إلى مَشَارِق الحق ومَطالِعه ؛ إلى هَنَــاءِ الدُّعُوة وأهلِها بمـا قيَّضه الله تعالىٰ لهم من مَعلَّه الرفيع الذي ألحقه العقُل نحوَ هذا الكمال ، ووطًّا له مَدَارَجَ الترقِّي والا تِّصال؛ فشَفَّتْ نفسُه وتَشُرُفَتْ، وتطلُّعتْ على عالمَالمَلَكُوت وأشرَفَتْ؛ وَجَنيٰ بِيَدِ التَّبِصَرَة بْمــارَ الحِكْمه، وآستنْزلَ بَمَنْزِل المُوادّ غُيوتَ النِّعمه؛ وَجَّرْدِ الضَّمَاء مِن الظلام ، تجريدَ الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ، وٱستمدّ بلطيفته موائدَ علوم عالمَ اللَّطافه؛ وأمدّ بمَرَّكب ألفاظها تحاكم الكافَه، وحَلَّ فىالغَبْراء محلَّ الغَرَّاء في الخَضْراء، إنْ أوضَحَتْ سيِيلَ سائرِ بجنب طريقِ جائرِ تُوَصِّل بنزوعها غاشية إظلام، حُسِر عن الحق قِناعُ إبهام، أوفعلَتْ في الجواهـر زيادة وثمرة (؟) أَخذت تعاديا(؟)فَأَدْلَتْه للهمم العاملة شَرَفًا وسُمُوا : لما أعلىٰ بذلك من قَدْرها وقَدْرِهم، وطيُّب من ذِكْرِها وذِكْرِهم ؛ وأعْطِف إلىٰ الدعاء لداعِى الدُّعاة بأن يجعل اللهُ تعالىٰ

⁽١) كذا في الأصلين ولم نهند الى تثقيفه تأمل ٠

ماخُوله من هذه الرِّياسة راهنَّا لا يُرتَجَع، وما نُوله من هذه السيادة مستقرًا لا يُنْتَرَع، وأن يؤيِّده بالتوفيق، ويُعبِّد له مَناهِج التحقيق، ويُطلِق لسانَه بالبيان، ويُمِدّه بُروح منه في نُصْرة الإيمان، وقد حَتَم الله تعالى باجابة داعيه، ولا سميا داعى الدُّعاة [فإنه] جدير بأن يُجاب الدعاءُ فيه، إن شاء الله تعالى .

قال فى و موادّ البيان ": و إنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ، لأن ألفاظ هذا الدّاعى يجب أن تكون مشتقّة من ألفاظ الدعوة، مناسبةً لمَذْهبها ؛ ولولا ذلك لأُغنىٰ عنه مثالُ تهنئة قاضى القضاة؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفُرْقان .

الصنف السابع _ التهنئــة بالتقدمة علىٰ الرجال .

رُقعةٌ من ذلك :

[من حلّ] محلّ سيدى _ أطال الله بقاءه _ من السُّوْدَد الناطق الشَّواهـد، المنتظم المَعَاقِد؛ المُتضارِع الطارِف والتالِد، المنتقل. في الوَلَد عن الوالد والمجد الذي قَصُر عن مُطاوَلَتِه الطِّرازُ الأوّل، وتَطأطأً له الإنعامُ المُحَوّل؛ وحاز ماحازه من شَرَف الرِّياسه، وفَضْل السِّياسه، والاستقلال بحقُوق ماتولاه، وتَسْديد مانوله واستكفاه؛ فتشوّفَتْ إليه المنازل السنية من كَشب خطبته العلا سائقة عنه مَهْرها، وتطامنت له مُوطّئة ظَهْرها؛ فلم يكثرُ له أن يتقدم على [أهل] عضره فَضْلا عن قبيلته، ويتأمّن على جميع نَوْعه فضلا عن طائفته: لأنه المقدمُ عليهم بالرُّبة والطّبع، لا بالاصطلاح والوضع؛ فشكر المملوك الله تعالى على بُرُوغ هلاله وإبْراقِه، وطُلوعه لميقات العز وتنفاقه؛ وسأله أنْ يجعلَ ماأقرَّ العيونَ من سيادته، ويُحقِّق الظنونَ في سعادته؛ خالدًا راهنا، ومُقيًّا قاطنا؛ وأن يَزيده من السعاده، ويُرقيّه كلَّ يوم في دَرَج السياده: لتكونَ هـذه الرتبةُ على المتناع مَرْقَبها، وارتفاع ويُرقيّة كلَّ يوم في دَرَج السياده: للكونَ هـذه الرتبةُ على المتناع مَرْقَبها، وارتفاع

مَرْكَبُها ؛ أَوْلَ دَرَجَة تَخَطَّاها ، وَمَنْزَلَةٌ فَرَعَهَا وَعَلَاها ؛ ثَمْ لَا يِزَالُ رَاقَيَا فَيَا يَتَلُوها حَثَى يَحَدِّى بَكُواكَب الجَوْزاء ، و يَطْحُودُ ارةً على الْحُلَفَاء ، مُهَنَّا غير منغَّص ، وأَسْ يَعَلِ عَدْه الأَدْعَيَة الواقعة مواقِعَها ، والمستَحقَّات الموضوعة مواضعها .

الصنف الثامن ــ التهنئــةُ بولاية الديوان.

رُقعةٌ من ذلك :

وُيْنْهِي أَنَّ مِن حَلَّ محلَّ مولانا _ أطال الله بقاءه رافلًا في لَبُوس السَّعاده ، متحَفِّلا بسُلُوس السِّياده ؛ متنَقِّلا في رُتَب الحَبْد ، متَوَفِّلا إلى غَدُّنْ الحَد ؛ مستَوْليا على شعَابِ العُلَا، متمِّكنا من رقاب الأعداء_ في الآستقلالِ والآضطلاع، والمعرفة بحُقُوق الآِّ صْطفاء والآصْطِناع؛ ورفْعة مذهَبِه علىٰ الكِفَاية والغَنَاء، والنهوضِ بثقيل الأعباء؛خطبَتْه التصرُّفات حاملةً عنه صدَاقَها،وتشوَّفتْه الولاياتُ مادَّةً إليه أعناقَها؛ وقد ٱتَّصل بالمَلُوكِ ماجدّده الله تعالىٰ من سعادَتِه ، وأنجزه من مَواعِيد سيادتِه ، التي كانت واضحةً في عَايِل فضله ، لائحةً في دلائل نُبُله ، مكتُوبةً في صَفَحات الأقدار ، مرقومةً بَسُواد اللَّيْلِ علىٰ بَيَاضِ النهار؛ فَحَذِل المُلُوكُ بِذَلْك، جِذَلَ الحَمِم الْمُشارِك، وُسُرٌ به سرورَ الخليط الْمُشَابِك؛ وليس ذلك لأنَّ الذي تولَّاه مَوْلانا وجدَ [فيه] خَلَلًا فَرَقَعه، ونُمُولا فرفَعه؛ بل لأنَّ الحقَّ غالَبَ الحظُّ فغلَبَه ، والواجبَ سالَبَ الْمُكُنَ فَسَلَّبَهِ ؛ وأَناخَ رِكَابَ الرِّياسة في المحلِّ الخصْب الذي يَحَدُّه ويرتَضيهِ، واللهُ تعالىٰ يتفضَّل على رعيَّته ، المتوطِّنين بفاضل سياسته ، من حبائه ولطفه ، ورأفته وعَطْفه ، بما يُسْيِع عليهم ظلالَ العَدْل، ويقلِّص عنهم سُدُولَ الحور والحَيْف، إن شاء الله تعالىٰ.

 ⁽١) في " اللسان " الغالن سعة العيش والنعمة .

قلت : وكتبتُ للَقرَ البَدْري مجودِ الكلستاني الشهير بالسَّراي مهنَّئا له باستقراره فكتابة السِّرِّ الشريف بالديار المصرية فالدولة الظاهرية «برقوق» في سلطنته الأُولى: رَفَعْتَ لَمَجْد مُدُدُ وُلِّيتَ بُنْيانَا ﴿ وَشَدْتَ لَلْفَضْلِ بَعِد الوَهْنِ أَرَكَانَا ! وأصبحَ الْمُلْكُ فَيزَهُو، ومالِكُه * يَمِيسُ عُجْبًا، وهَنَّا التَّخْتُ إيوانَا! قِدِمْتَ مِصْرا فأمسَتْ مِنْكَ في فَرَهِ * تَهُـنُّ بالبِشْر مر. لُقَيْاك أَرْدَانا! وغُودرَ النِّيلُ مُذْ وَاقَيْتَ مُبْتَهِجًا ﴿ وَقَدْ رَمَىٰ الصَّـدُّ وَالْإِبِعَادُ جَيْحَانًا ! أَلْفَاظُكَ النُّورُ صَارَتُ لِلْوَرِيٰ مَثَلًا * وَكُتْبُكُ الزُّهْرُ بَعْدَدَ اللَّهُمْ تِيجِانَا! تَفُوقُ قُسًّا إذا تَبْدُو فصاحَتُها * وَتَفْضَحُ المصْقَع المَلَّاقَ سَعْبانَا! قد أَفْمَتْ في مَجَازاتِ بلاغَتُهَا ۞ تُرْكًا ورُومًا وبعد الْفُرْس عُرْبانا! كُلُّ الْمُوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلا أَسَــ فُنَّ * إِذَ أَنْتَ باقِ، ويُبْـتِي اللَّهُ مَوْلانا! مولًى به قــدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَّلْنَا * بوجهــه، ولذِّر القومِ أنْسانًا!

الصنف التاسع _ التهنئـــةُ بولاية عمل .

أبو الفَرَجِ البَّبِّغاء :

عَرَّف الله سيدى بركة هــذا العملِ الجَلِيل، بنبيلِ نَظَره الجَمِيل، وَحَمِيدِ أَثَرِه المُحروس، وتناصُر سياسته الشريفة بسِمة رياسته، ووفَّق رعيَّته لشُكْر ماوَلِيهَا من فائض عَدْله ومجودِ فِعْله؛ فالأعمالُ منه ــ أيده الله تعالىٰ ــ بالتهنئة أَوْلىٰ، وبالتَّطاوُل بما شَمِلَها من بركات تدبيره أَحْرىٰ؛ والله بكرَمه يَسمَعُ فيه صالح الدعاء، ويبلِّغه أبلغ مُدَد البقاء، في أسبَغ نِعْمه، وأرفع مَنْزِله، وأصدَق أَمْنِيَّة، وأنجيح طَلِبهَ ؛ بَمَنَّه .

وله فی مشــله :

لولا ما يَشْرَكُ التَّهَانِيَ من بركات الدُّعاء الذي أرجُو أنْ يسمَعَ اللهُ فيك صالحِه، ويُجِيبَ أحسَنه ؛ لأجلَلناك عن التَّبنئة بمستَجِدِّ الأعمال، ومستَحْدَث الولايات، لقُصُورها عن استِحْقاقِك، وآنْحطاطِها وإن جلَّتْ عن أَيْسَر واجبَاتك ؛ وتعَجَّلِها فَضُورها عن استِحْقاقِك، ومَواقِع إنصافِك، فهنَاك اللهُ نعمة الفَضْل التي بأُثُور كَفَايتك، وبَركاتِ نَظَرك، ومواقِع إنصافِك، فهنَاك الله نعمة الفَضْل التي الولاية أصخرُ آلاتها، والرِّياسة بعض صفاتها ؛ ولا أخلاك من مَوْهِبَةٍ مُجَدّده، ومِنْحة مُوَبِّده.

وله في مشـــله :

سيدى _ أيده الله _ أرفَعُ قُدْرا ، وأنْبَهُ ذِكُوا ، وأعظَمُ نُبْلًا ، وأشهَرُ فَضْلا ؛ مِنْ أَنْ نَهَنَّهُ بولاية وإنَّ جَلَّ خَطَرها ، وعَظُم قَدْرها ؛ لأنَّ الواجب تهنئة الأعمال بفائض عَدْله ، والرّعِية بمحمُودِ فِعْله ، والآقاليم بآثارِ رياستِه ، والولايات بسِمَات سياستِه ، فعرّفه الله يُمْنَ ماتولاه ، ورعاه في سائر ما استَرْعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيا يُعانيه ، والتسديد فيا يُبرُمه ويُمْضِيه .

الأجوبة عن التَّهانِي بالوِلَايات

قال ف وموادّ البيان ": هذه الكُتُب إذا وردّت ، وجبَ على الحُيب أن يستنبط من كل كتاب منها المعنى الذى يُجِيب به ، قال : والطريقة المستعملة فيها أنّ كتاب المحيب يجب أن يبنى على أن المهنّى قسيم في النّعمة المتجدّده ، وشريك في المنزلة المستحدّثة ، وأن الحظّ الأوفَر فيما ناله المهنّى للهنّى وببركة دُعائه ، وتوقعه لما يَرِدُ

من حاجاته وَتَبِعاته لِينَفِّــدَها ، نازلا علىٰ أخلص مخالصته ، وعاملا بشُروط مَوَدْته ؛ ونحو هــذا ممــا يضارعه ، فإن كان الحِيبُ رئيسا أو مرءُوسا ، وجب أن يرتَّب الخطاب علىٰ ماتقتضيه رتبةُ كلِّ واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك .

زهر الربيع :

وردت المُشرِّفةُ الكريمـةُ ، أتمَّ الله على مُرْسلها نعمتَه ، وأعلى قدْرَه ومنزِلته ، وجعل جَناحَ العِدا محفوضا ، وعَيْشَه في دَعَة وخَفْض ، وقدْرَه للتمييزِ مرفوعا ، وعدُوّه للتقصير في آنحطاط وَخَفْض ، فتلقّاها باليمين ، وظنّها الريحَ الحنوب لما تعمّلته من رقّة الحنين ، وعِلمَ ما أبداه فيها من تفَضّلاته ، وآعترف بالتقصير عن مُجاراته ومُجازَاته ، فشنّفَ سُمْعَه بألفاظ كأنّهنّ اللّؤلؤ والمرْجان ، وبيّنتِ البّونَ الذي بينه ويَن غيرِه تلكَ الفصاحةُ والبَيان ، وقابل أياديهُ بشكرُ لسانه ، وجازاه بُحسن الدّعاء عن إحسانه ، ولا يقومُ بشُكرُ فضلهِ اللسانُ ولا الحُثان ، وهلْ جَزاءُ الإحسان ، اللّه الإحسان ،

فأمّا ماأشار إليه من الهَنَاء بالمكان الذي تولّاه، وأبداه من المحبّة التي اوجبَتْ عليه أن يَتَوَالاه؛ فالله تعالى يُعِينه على ماهو بصَدده، ويجعلُ الحقّ والخير جاريَيْنِ على لسانه ويَده؛ ويرزُقه آتباع محكم كتابه وسنّة رسوله؛ ويُحصّلُ له من الرُّشد غاية سُوله ومأْمُوله ؛ فإن هذه الولاية صَعبُه المراس ، وجوادها كثير الشّماس ؛ لكن ببركات المولى يحصل من الله الأرب، ويَسْهُل لأوليائه القصدُ والإسعادُ والطّلب؛ أدام الله ظلّ المولى وأسعده، وأوضح لديه طريق السعادة ومهده؛ ومنحه من الألطاف الخفيَّة أفضلَ ماعوَّده؛ بمنّه وكرّمه ،

الضرب الثانى (التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتُها)

وفيـــه ثلاثة أصـــناف :

الصنف الاوّل – التهنئةُ بالإنعام والمَزِيد ولُبُسُ الْحِلْعَ وغير ذلك .

من كلام الأقدمين .

ويُنْهِى أنه آنَّصلَ بالمملوك ماأهًل مولانا السلطانُ مَوْلاَنا لَهُ: من المحلّ السَّنِيّ، والمحكانِ العَلِيّ، الذي لم يزَلْ موقُوفًا عليه، متشقفا إليه، نافِرًا عن كلِّ خاطبٍ سواه، جامِّا على كلِّ راكبٍ إلَّا إيَّاه ؛ فأقرّ الله عينَ المملُوك بذلك لصدق ظنه ، وعلم أنَّ ماأصاره اللهُ تعالى إليه من هذه المنزلة المُنيفه، والرُّتبة الشريفه ، مدَّرَجة ُ تُقْضِى الى مَدَارج ، والله تعالى يَزيدُ مَعالِيه عُلُوّا، ويُضاعف علم سُمُوًا ؛ مِنَّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

ومنه - ويُنْهِى أنه آتَصل بالملوك نَباً المَوْهِبَة المتجَدّة لدَيه، والنعمة المُسْبَغة عليه؛ وما آختَصَّه بهمولانا السلطانُ من الاصطفاء والإيثار، والاجتباء والاختيار؛ وتقديمه للرُّثبة الأَثيره، والإنافة إلى المَنْزِلة الخَطيره؛ فسُرَّ المملوكُ للرِّياسة إذْ أحلَّها الله تعالى في محلِّها، وأنزَلَها على أهلها، ووصَلها بحُفْمُها وكافيها، وسَلَّم قَوْسَها إلى راميها؛ والله تعالى في محلِّها، والرتبة أقل مَرْقاة من مَراقي الآمال، ومكير الرُّتَب التي يَفْرَعُها من رُتَب الجَلَال؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

أدامَ اللهُ أنصارَه، وجعل التَّقُوىٰ شِعَارَه؛ وأَلْبَسه من المَحَامِد أَكَرَمَ حُلَّةً، ونَوَّلُهُ من المَكَارِمِ أَحْمَدَ خَلَّه؛ ولا زالتِ الخِلَع تتَشَرَّف إذا أُفِيضتْ عليه، والمدائحُ تُسْتطاب بذكره لاسِمَّيا إذا أُنْشِدتْ بيْنَ يَدَيْهُ .

الخادمُ يُنْبِي إلىٰ عِلمُ المَوْلَىٰ أَنه ٱتَّصل به خَبُّ أَهْدَىٰ إليه سُرورا، ومَنَحه بَهْجةً وُحُبُوراً : وهِو ما أنعم به المولى السلطانُ خلَّد الله سلطانَه ؛ وضاعفَ إحسانَه : من تشريفه بخُلْعته ، وما أَسْبَعَهُ عليه من وَارف ظلِّه ووا فر نِعْمته ، وأبداه من عنايَتٍ ه بالمولى ومحبَّته؛ وقد حضَلَ له من المَسَرَّة ما أَجْذَله، وبَسَط في مُضاعفة سَعْد المولى أَمَلَهُ ؛ فإنه بَلَغه أنَّ هذه الخلعــةَ كَالرِّياض في نَضَارتِها ، وحُسْن بَهْجتها ؛ وأنهاكُمَّما بِرَقَتْ بَرَقَ لَمْ البِصَرُ، وظَنَّهَا لَحُسْمَها حديقةً وقد حَدَّقَ إليها النظَر ؛ وقد جمعَتْ ألوانَ الأزهار، وأرْ بي ناسجُها في اللُّطْف على نَسَمة الأسحار؛ وأسكنَتْ حُبًّا حبًّا حبَّاتِ القلوب التي في الصُّـدور، وسمَتْ عن المَـدْح برائق المنظوم وفائق المُنثُور ؛ وأن آبَنَ سُلُمْاٰنُ لو رآها، لاَعترف بأنَّ فَلُبْسها لكلِّ فتَّى شرفًا لاريْبَ فيه، ونَسَب البيتَ المنسوبَ إليه إلى أُعَادِيه ؛ وأنَّه لو نظَر نَضْرَةَ نُضارِها لما جعل لها في الحُسْن نَظيرًا ، ولو أَلْقَاهَا عَلَىٰ وَجْهَهَ لَآرَتَدَّ لَوَقْتِهَ بَصِيرًا ؛ فَلَذَلَكَ أَصِدَرَ هَذَهُ الْخَدَمَةَ مَهَنَّيَهُ ، وُمُعْرِبَةً عما حصل له من الفَرَح ومُنتَبِّه؛ ولجيد مَدْحه العاطل من مثل هذه الألفاظ مُعَلِّه؛ نَوْلُهُ اللَّهُ فِي كُلِّ يُومٍ مَسَرَّةً و بُشْرِي، وأجرى له على الألْسُن حمــدًا وشُــكُرا؛ وجعله لكلِّ خيرِ أهلا، وشَكِرله تَفَضُّلا شاملًا وفَضْلا ؛ ومَّتعه من العافية بلباسِ لاَيَبْلىٰ ؛ إن شاء الله تعالى .

⁽١) مراده أبو العلاء المعرى أحمد بن سليان ٠

الصنف الث أنى _ التهنئةُ برِضا السلطان بعد غَضَبه .

فمن ذلك :

وتُنهْى أَنه ٱتَّصل بي ماجَدّده اللهُ تعالىٰ لمولاي _ أطال الله بقاءه _ من حُسْن عاطفة مولانا أمير المؤمنين _ خلَّد الله ملكه _ وآنعطافه عليه بعُـدَ آنْصرافه ؛ و إعاديّه إلى رُثبته التي نَشَرَتْ عنه دَلَالالا مَلالا، وهِجَرْته هَجْر المستصلِح المستَعْتِب، لا هَجْرَ القالِي المتجَنِّب ؛ وكَيْفَ تَقْـلاه، وهي لا تجِـدُ لهـاكُفُوًّا سِواه؛ ولتوقُّع المملوك بما وقع من هذه الحال، وعلمه أنَّ عَوْدها إليه كعودة المُودَع [إلىٰ مُودِعه،] لاَعُودةِ المنتَجِعِ إلىٰ مَرْبَعه ؛ وأنَّ الذي وقَع من الآنْحراف إصلاحٌ باديه تهـذيبٌ وتَقُويم، وخافيه توقيرُ وتعظم: لمَّا في عَتَابِ أمير المؤمنينِ من شَرَف الرُّثبـه، والدِّلالةِ علىٰ ٱسـيَقْرار الأَثْرَة والقُرْبه ؛ وحُلُوله عَلَّ الصِّقال، من أبيض النَّصال، والنَّقَاف من العَسَّال؛ ولا سيَّا ورياسَــتهُ محفُّوظه، وســيادتهُ ملْحُوظه؛ وهيبتْهُ فِي النُّقُوسِ ماثِلَة ، وجَلَالته في القلوب حاصلة ْ ؛ وَلَمْ يرالمملوكُ أجلَّ مَوْهَبَةً من الله سبحانه من شكريستَرْهنُ هــــذه النعمةَ ويخَلِّدها ، وحمد يرتَبِطُها ويقَيِّدها ، ورغبتُ. إلى الله سبحانَه أنْ يجعلَ هــذا العِزُّ الحادثَ لابِّثًا لا يتحوّل ، والسعدَ الطارف ما كِمًّا لايتَنَقَّل؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنْهِى أنَّ من عادةِ الزمان أن يَكِفَ سَحَابُه ثم يَكُفَّ ، ويَرِفَ نَبَاتُه ثم يَكُفَّ ، ويَرِفَ نَبَاتُه ثم يَجِفٌ ؛ ويَدِرَّ حَلَبُه ثم يُنْقَطِع ، ويُقْبِلَ خَيْرُه ثم يرتَجِع ؛ إلا أنَّه إذا سلَبَ النعمة ممن يَسْتَوجِب إمرارَها عليه ، وآنتزع المَوْهِبَة ممن يَسْتَوجُق ٱسْتِمِرارَها لَدَيْه ؛

⁽١) لعل الواوزائدة و يكون متعلق اللام فى قوله «ولتوقع» الخ تأمل .

كَانَ كَالْغَالِطُ الذَى يُراجِع نَفْسَه فينْدَمُ على مافَرَط، ولا يلبَثُ أن يستَدْرِك الغَلَط؛ مُعقباً نْبُوتِه بِإِنَابِتِه ،متَعَقّبا هَفُوتِه باستِقالَتِه ؛ ماحّيا إساءتِه بَرَّاب ماَثَلَم ، وأُسو ماكلُم ؛ و إصْلاحِ مَا أَفْسِد ، وتَأْلَيْفَ مَاشَرَّد ، فلا جَرَمَ أَنَّ النَّفُوسَ بِإقباله علىٰ مَنْ هـذه صفتُه واثِقه، والآمالَ لانصرافه إلىٰ مَنْ هذه صورتُه متحَقِّقه ؛ و إذا سَلَبُها هَرُولَ في إيداعها لدَّيْه، وأخذ [في] إفاضَتها عليه. وما زال المملوكُ _ مُذْ عاملَ الزمانُ مولانا بُسُوءِ أَدَبِهِ ، وَنَأَىٰ عنه بجانِيهِ ، وقَبَضَ بنانَه ، وغَيَّر عليه سُلطانَه ـ عارفاً أنَّ هذه الفَعْلة فَلْتَةً مِن فَلَتَاتِهِ الَّتِي يَتُوقُ شَرَّها ، ولا يُرجِعُ إلىٰ مثلها؛ وأنَّ الآسِيْبُصار، يَقُودُه إلىٰ الآعْتِذار، والآصْطِرار، يَعْدُوه علىٰ ردِّ ما ٱنتزعه بالإجْبار: لأنه لا يجِدُ من يُجُلُّ عَلَّ مُولانًا فِي آرتباطه بإيناسه، وتعَهَّده بَسَقَى أغْراسه؛ وقيامِه بشُّكُره، وتزكيته ببرِّهـ متوقِّعا لأن تتَيَّظ عينه، ويَنْكشفَ رَيْنُه، فَيرى ماصنعَتْ يَدَاه، ويبادرُ لاستقالة ماجَنَاه؛ حتَّى طرق البشير بمــا سَمَّله الله تعالىٰ منَ ٱلْحِسار الكُرْبه، وعَوْد مولانا إلىٰ شَرَف الزُّتْبه؛ وصلاح مافَسَــد، وعَوْد السلطان أعنَّ الله نصره إلى ماعَهد؛ ورُكُونِه إلى حضرته، وٱنْقِلابِه عنه رافلًا فىتشريفه ومَكْرُمتِه؛ فكانَ معتقَدُ المملوك فيه هِلالًا في السِّرارِ فأهَلَّ، وجَنِينا في الحَشَا فاستَهَلَّ ؛ فاســـتَوْلَىٰ علىٰ المملوكِ من السُّرورِ ما عَمْ جَوارِحَه، وعَمَر جَوانِحـه؛ وأطار بجَنَاح المَرَح، وألبس حُلَّة الفَرَح؛ إذ ماجَدَّده الله تعالىٰ له من السعادة يحُلُّ به في العُموم، محلَّ الغيثِ السَّجُوم؛ لأنَّه حرسَ الله عزَّه لايستأثِّرُ بعَوارِف الله عنده ، ولا يَكُزُّعلىٰ عطاياه يَدَه ؛ بل يمنَح مما مُنِح؛ وَ يُولِي مِمَا تَوَثَّى، ولا يَضنُّ بمالِ ولا جاهِ، ولا يَقْعُد عمن أمَّله ورَجَاه؛ والله تعالىٰ يجعلُ ذلك مما أقرَّ به العُيورِن، وصدَّق فيه الظُّنون؛ لاتُخُلِقُه الأيام ولا تُبْلِيه، ولا تَزْويه الحوادثُ ولا تؤَثِّر فيه؛ إن شاءالله تعالى .

الصنف الثالث _ التهنئةُ بالخَلَاص من الاعتقال.

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جدّد اللهُ سعدَه، وضاعفَ جَدّه؛ وأنْجَح قَصْدَه، وأعذَبَ مَنْهَلَه وورْدَه؛ ولا آنهَكَّت الأيَّامُ زاهيةً ببَقائه، والأنْفُس مسرورةً بآرتِقائه إلىٰ رُتَب عَلْيائه ، أصدرها • تُفْصِح عَن شَوْقِ يَعْجِز عَن سَوْقِه الْجَنَانَ، ويقْصُر عَن طُولِه اللِّسان؛ وسُرور تزايدً حتَّىٰ أبكاه، ولاعج بمشاهَدة طَلْعتِه السَّعيدة أغْراه؛ وتُهنِّيه بما جدَّد الله له بعــدَ الاعتقالِ من الفَرَج والفَرَح ، ومَنَّ به بعــدَ ضِــيِّي الخَواطِر من الاِّ بتماج والمَرَح؛ فهــذه المسرَّةُ مَاءً زُلالٌ بَرَد بها الأَوَام ، و إنعامٌ عام ، حِمد اللهَ عليها الخاصُّ والعام ؛ فالحمدُلَّةِ الذي عَوْضَه عِن مَأْتُمَ الْحُزْن بِمَا تَمَّ مِن السرور، و[عن] الهَمِّ المانِع عن الورود والصُّدور بانْشِراح الصُّدُور ؛ فإنَّ القلوبَ شَعَفَها حبُّه وشغَفَها ، وضاعَفَ لتعويقه أَسَاهَا وأَسَفَها؛ بحيث آعتري المَناطقَ قلقُ وعلاها آصْفرار، وعُطِّلِّت يدُكل غانية لغَيْبِيِّهِ وَفَقَدْ آسِمِه تندُبُهِ الجوامُعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِر؛ خلَّد الله سعادتَه، وسَهَّل له منخيْري الدنيا والآخرة قَصْده و إرادتَه؛ بمنَّه وكرمه.

الأجوبة عن التهنئة بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال فى و موادّ البيان " : يجب أن تكون أجو به هـذه الرِّقاع مُودَعة من الثناء على المهنى - لمحافظته على رُسوم المودّة وقيامه بشروط الحُلَّة ـ ماتقتضيه رتبتُه ورُتبة الحجيب ، وأنّه مشاركُ له فى متجدّد النعمة ، مُفاوِضٌ فى حديث المَسَرَّة ، والتيمن بالدعاء، ونحو هـذا مما يحسن موقِعه عند المبتدئ بالهناء، ويضَعه بحيث وضَع نفسه من الاختصاص بمَنْ كاتبه .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخِلْعة :

أدام اللهُ عَلَاءه ، وتَشكَر آلَاءَه، وضاعفَ سَــنَاءه ؛ وحمد منَّنَه التي أثقلَتْ لكلِّ مُعْتَفِى ظَهْرًا وخَفَّفْتُ هَمَّا، وأنالتُ لكلِّ ولِّي نصيبًا من عَوَارفها وقسْما . المملوكُ يُنْهِى إلىٰ العلم الكريم وُرودَ المكاتبة التي كَسَنتُها يُدُه حُلَّةً جَمَال ، وألبسَتْها ثوبَ إِفْضَالَ ﴾ وأَعَــدُّتُهَا بَكَرَمَهــا ، وحسَّنتْ وْجَهَها بلِسان قلمِها؛ فأمطَرْتُه سَحَابَ جُودٍ . أَرْ بِيْ عَلَىٰ السَّحَابِ الْمَتُونَ ،وأُوقَفَتْه منها عَلَىٰ أَلْفَاظِ كَأَمِثَالَ اللَّؤُلُوُ المُكُنُونَ؛ فأجتنىٰ يْمَارَ الفضائلِ من أغصانِها، وآجتليْ عَرُوسَ مَعَاسنها وإحْسانِها؛ وفهِمَ ماأشار إليه من التهنئــةِ بالْخِلْعة التي أنعم المولى بها على خادمه وَتَصَدَّق، وحقَّق الأملَ في مكارمه وصَدَّق ، و إنعامُه خلَّه الله دولتَه ، وأعزَّ نُصْرته ، قدكَثُر حتَّى أخجله ، وميَّزه علىٰ كثيرٍ من مماليك بيته العالى وَفَضَّله ؛ وأَنالَهُ من المُنزلة ماسَمَابها علىٰ أمثاله ، ورَقَّى بها بِعَدَ رَقِّة حَالِه ؛ فَاللَّهُ يَخَلُّد سَـلُطَانَهُ ، وَيُثَبِّت بِالسَّعَادَةِ أَرَكَانَهُ ؛ وهذا بسعادةٍ مولانا ومُساعدتِه ، ومعاوَنتِه ومعاضَدتِه : فإنه كان السببَ في الآتِّصال ببابه أوَّلًا وآخِرا ، ومَّنَّ أَغَاثَهُ بِذَلِكَ وأَعَانَهُ عَلَيْهِ بَاطِنًا وظاهِرًا •

وكلُّ خيْرٍ تَوَخَّانِي الزَّمانُ به ﴿ فَأَنتَ بَاعْثُـهُ لِي او مسبِّبُهُ

⁽١) في الأصول أتم الله بها مخدومه 6 ولا معنى له تأمل -

الضـــرب الشالث (من التهاني التهنئــة بالعَوْد من الحَجِّ)

وهذه نسخ من ذلك يُنسَج علىٰ منوالها .

فمر ذلك :

ويُنْهِى أنه طرق المملوك البشيرُ بِعَوْد مولانا _ أطال الله بقاءه _ من مقام الطائفين ، إلى مقام المعتفين ، وأو بت من كعبه الإحرام ، إلى كعبه الإكام ، وتنقيله من مَوْقف الحجاج ، إلى مَوْقف المحتاج ، وحُلُوله بمنزله الذى هو قبلة ذوى الآمال ، ومحطَّ الرِّحال ، بالسَّمى المشكور ، والحجّ المبرور ، والنَّسُك المقبول ، والأجر المكتوب ، فيمدتُ الله تعالى على مَوْهبته ، وسألتُه زيادته من مَكْرَمته ، والأجر المكتوب ، فيمدتُ الله تعالى على مَوْهبته ، وسألتُه ويادته من مَكْرَمته ، واستنجَحت هذه المكاتبة أمام ما أر ومُه من مشاهدته ، وأرجُوه من الاستسعاد واستخصت هذه المكاتبة أمام ما أر ومُه من مشاهدته ، وأرجُوه من الاستسعاد بالله العالى أن يُعرِّف المملوك جملةً من خبره فى بَدْتُه وعَوْده ، ومنقلبه ومتوجَّهه ، وأنه العالى أن يُعرِّف المملوك جملةً من خبره فى بَدْتُه وعَوْده ، ومنقلبه ومتوجَّهه ، ومن أمان سبيله ، وهداية دليله ، وتففيف وعثاء سفره ، وتسميل وَطره : لأسكن إلى ذلك إلى حين التمثل بنظره ، فله الفضل فى ذلك ، والله تعالى يبلغه سُوله ، ويوصِّله مراده ومأمُوله ، عنة وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنْهِى أَنَّ مُولانا لايزال حاجًّا إلى كعبة الحرَم، أوكعبَةِ الكَرَم ؛ وطائفاً بشــعائرِ الوُفُود ، أو بشَعائر الجُود؛ وواقفًا بموقِفِ الاَسِــتِفْتاح ، أو موقِف السَّماح ؛ وناحِرَ البُدُن بِمَنى، أوناثِرَالبِدَر للنَىٰ ؛ فلا يرتفِع فى حابٍ من الأحوال بِرَّه ، ولا ينقطعُ عن الله

تعالىٰ ذكره ؛ ومَنْ كان بهذه المَناَبه ، فى إحراز الأجر والإنابه ؛ فهو حقيقُ أن تُعْمَر بالتهنئة أوقاتُه وأزمانُه ، كما عَمَرها سعيه وإحسانُه ؛ وقد عرف المملوكُ آنكفاءه _ أدام الله علوه عن مقام الطائفين والعاكفين ، إلى مقام القاصدين والمعتفين ، وعوده إلى منزله المعمور ، بعد قضائه فريضة السَّعي المشكور ؛ فعدَّلْتُ في مخاطبته عن الهناء إلى الدعاء بأن يتقبَّل الله تعالىٰ نُسكه ويتَقِّلَ ميزانَه ، ويُطْلِقَ في حَلْبة الخيرات عَنانَه ؛ ويُحْيِيه لأجريُحْرِزه ، وثواب يَكْنَزُه ؛ والله تعالىٰ يُجِيبُ ذلك فيه ، ويُريه في نَفْسه وأحبَّه مايرَنضيه ،

ومِن ذلك :

وتُنْهِى أَنَّه قد طَرَقَنِى البشير بَّانكَفَاء مولانا إلىٰ مَقَرَّ عَلائه ، وَٱنْفِصاله عن مَلاَذِ النَّسَّاكِ وَالْعَبَّاد، إلىٰ مَعَاذِ الزَّوَّار وَالْقُصَّاد؛ فعرفْتُ أَنَّ ذلك النسيم العليلَ من تِلْقائه، وذلك النَّور الصادع من آلائه ؛ وذلك الاَفْرارَ من أسرَّته ونَحَايِله ، وتلك العُذُوبة من شَمِه وشمائله ؛ فكاد المُمَلُوكُ يطير لو طار قَبْلِي غيرُ ذِى مَطَار فَرَحا، وأَخْرِقُ من شَمِه وشمائله ؛ فكاد المُمَلُوكُ يطير لو طار قبْلِي غيرُ ذِى مَطَار فَرَحا، وأَخْرِقُ الأَرضَ وأَبلُغُ الجبالَ لو أمكن ذلك مَرَحا ؛ وآنفتَح قلى حتى كادت مهجَتُه تَفيضُ شُرُورا ، وطاشَ حِلْمِي حتى تفرق مجوعُه بَهْجَةً وحُبورا ؛ والله تعالىٰ يجعل نِعمه موصولة الحبل، مجموعة الشَّمْل؛ بمنّه وكرمه ،

أبو الفرج البُّبُّغاء :

جعل الله سَعْيك مشكورا، وحَجَّك مَبْرُورا؛ ونُسُكَك مَقْبُولا، وأَجْرك مكتُوبا؛ وأجزلَ منالَمُثُوبة جزاءَك، ومِنْ عاجلِ الأَجْر وآجلِه عطاءَك؛ وقَرَن بالطاعاتِ عَزَماتِك، وبالسَّعْي إلى الخير نَهَضاتِك؛ ووَفَقك من صالح الأعمال، وزَكِن الأفعال، لما يَجَعُ كلَّ خيرِ الدارين، ولَمَّ طوقتْني البشارةُ بقُدومك، بدأتُ بإهداء الدعاء، وتجديد

الشكر لله تعالى والتَّناء؛ وآستنبتُ فى ذلك المكاتبَه، أمامَ ما أنا [عازم] عليه : من المُشافَهَة والمُخاطَبه؛ ولن أتأخَّر عن حظّى من المسير إليْك للتيمُّن بالنظر إلى عُرَّتك، ومداواة ماعانيتُه من ألمَ الشوقِ بُمشاهدَتِك .

الضــــرب الرابع ((من التهانى ، التهنئةُ بالقُـــدُوم من السَّفَر)

من كلام المتقدّمين :

على" بن خلف :

ويُنْهِى أنّه آتَصل بالمملوك خَبرُ توجُهه إلى الناحية الفلانية، فعرَفَ المملوك أنه قصَدَها لِيخُصَّ قاطِنِها، بنصيبٍ من مَوَهِبه، ويُفيض على ساكنيها، سِجالاً من رَغَائبه، ويسَوِّى بينهم وبين مَنْ راسَه بِحَبائه، ويجَعَ شَمْل السُؤْدَد بدَوَام عَلائه، الله تعالى أن يُطيلَ مُحُر المَكارِم بإطالة بَقائه، ويجَعَ شَمْل السُؤْدَد بدَوَام عَلائه، ثم آتَصل بى عودُه إلى مَقرَه، خَفيفَ الحقائب من وَوْه، ثقيلها من ثنائه وشُكره، ثم آتَصل بى عودُه إلى مَقرَه، خَفيف الحقائب من وَوْه، ثقيلها من ثنائه وشُكره، السَّات، وما خصّه به من السَّيْر الشَّحِيح، والسَّعى النَّجِيح، والسَّلامة المفرَقة على الوَجهة والمنقلب، والمفتتَح والمعتقب، ولَمَّ عرض المَملوك ماقطعه عن مُشافَهتِه بالدعاء، رفع يدَه إلى الله تعالى ضارعًا لدَيْه فى أن يتولَّاه فى هذا المَقْدَم الميمون، بالسَعْد المَضْمُون، وإنالة الأماني المُقرَة للعُيُون؛ وأن يمنحه فى الحِلِ والتَّوْحال، بالسعْد المَضْمُون، وإنالة الأماني المُقرَة للعُيُون؛ وأن يمنحه فى الحِلِّ والتَّوْحال، والقَطْن والاَ نتقال، توفيقًا يقارِنُ ويُصاحب، ويُساير ويُواكب، وأن يعتمه فى الحِلَّ والتَّوْحال، من نعمة راهناً خالدا، وما أوْلاه من مَواهِبه بادئاً عائدا؛ إن شاء الله تعالى .

⁽١) فى الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

⁽٢) مصدرقطن في كتب اللغة التي بأيدينا علىْ فعول لا علىْ فعل -

وله أيضـــا :

ويُنْهِى أنه طَلَع عليه البَشِير، طُلُوع القَمَر المُنِير؛ مُؤْذِنا بَمَقْدَم حضرتِه، ومُعْلَما بِظُهُور طَلْعت ، وحُلُوله في مَعَانه الذي هو مَعَان الإقبال ، وعَوْن الرجال؛ وقرارة الأقْيال، وَعَطَّ الرِّحال؛ وقبلة الجُود، ومُعرَّس الوُفُود؛ فسألتُ الله تعالىٰ أن يُبقيه جمالًا للأيَّام، وثِمَالًا للأنام؛ وعمادًا للقُصَّاد، ومَرَادا للرُّوَّاد؛ والله تعالىٰ لا يُحْلِيه في تصرُّفاته، وجميع حركاته وستَخَاته؛ من سَعْى سعيد، وعيش رَغِيد؛ بمِنّه وكرمه.

أبو الفرج الببُّغاء :

مَن كانتْ غَيبُ للكارم مقرونة بغَيْبتِه ، وأُوبَةُ النّعم موصولة بأَوْبته ؛ سافرتِ الأنفُس حيثُ كان إليه ، وقدمتِ الآمالُ عند قُدُومه عليه ؛ وما زالتِ الأنفُس إلى الأُمنيَّة بقُرْ به متطلّعه ، ولُورُود السَّرور بُورُوده متوقّعه ؛ إلى أنْ أنسَتْ بعد الوحشة بلقائه ، وتنسَّمَتْ أرَجَ مَنّه وَنَعْ أَنه ؛ فوصلَ اللهُ قُدُومَه من الكرامه ، بأضعاف ما قَرَن به مَسِيرَه من السَّلامه ؛ محروسًا من طَوارِقِ الغير ، مبلّغا أبعدَ العُمُر ،

وله فی مثـــله :

مَنْ كانت مادَّةُ سُرُوره، بَمَغِيبه وحُضُوره ؛ لم يجِدْ مع بُعْدك مُؤْسِا يسْكُن إليه، ولا عَوضا يعَوَّلُ في السَّلُوة عليه ؛ وما زلتُ أيامَ غَيْبتك _ لا أوحشَ الله منك _ بالوَّحدة مستَأْنِسا، وبالشَّوق إليك مُجالِسا؛ ألاقيك بالفِحْر، وأشاهِدُك باتِّصال الذَّحْر؛ إلى أنْ منَّ الله مِنْ أَوْبتك بما عَظُمت به النعمه ، وجَلَّت لدَّى معه المَوْهِبة ؛ فوصلَ الله بالسلامة نَهَضاتِك، وبالسعادة حَركاتِك، وبالتوفيق آراءك وعَزماتِك، وحرسنِي ببقائك و بقاء النعمة عِنْدك، وهَنَاني النعمة الجليلة بقُرْبك ،

⁽١) في القاموس واللسان «المعان المباءة والمنزل» وأو رداه في مادة م ع ن. •

وله فی مشــله :

مَنْ كَنتَ نِهِ اِيةَ أَمنِيَّتُه، وقُطْبَ مَسَرَّتُه؛ كان من نَفْسه مستوحِشا مع بُعْدِك، وبدَهْرِه مستأْدِسا مع قُرْبك ؛ وما زِلْتُ معـك بالنِّيَّة مُسافِرا ، وبالشَّوق سائِرا ؛ وبالفِكْرِ ملاقيب، وبالأمانيِّ مُناجِيا ؛ إلى أن جمع اللهُ شملَ سُرورِي بأَوْبَتِك ، وسَكِّن نافِرَ قَلَقَ بِعَوْدتِك ؛ على الحال السارة من كال السَّلامه ، ووُفُور الكُلفه ؛ وسَكِّن نافِر قلَقَ بِعَوْدتِك ؛ على الحال السارة من كال السَّلامه ، ووُفُور الكُلفه ؛ فأسعدكَ الله بَقَدَمكَ سعادةً تكونُ بها من الزمان محرُوسا ، وللإقبال مُقايلا ، وبالأماني ظافرا ؛ ولا أوحش اللهُ منه أوطانَ الفضل ، وعَضَّد إخوانك ببقائِك وبقاء النعمة عندك .

وله فی مثـــله :

لوكان القلبُ يجِدُ عنك مُنْصَرَفا ، أو يرى منك فى آكتسابِ المسَرَّة خَلَفا ؛ لاَستراحَ إليه من أَلَمٍ بُعْدك ، وآستنْجدَه على مَرارة فِرَاقك ؛ لكِنَّك أيَّدك الله جملة مسَرَّته ، ونهايةُ أُمنيَّته ، فليس نتوجَّه أمانيَّه إلَّا إليك ، ولا تَقِفُ آمالُه إلَّا عليك ؟ فالحمدُ لله الذي أقر بفَيْتَتك أعيُنَ إخوانك وأودًا ئك ؛ وافاكَ اللهُ من السَّعادة في أوْبتك أضعاف ما آكتنفك من الكفاية في ظَعْنك .

ابن أبي الخصال:

سَرّ اللهُ مُولاى ورَئِيسى ، ورَبَّ تَشريفى وأَنِيسى ، بِلَقَاء الأَعْباب، وآتَصال الأَسْباب، وأَقْبَله أُوجُهَ العِزِّ الأَسْباب، وأُوبِهِ الغُيَّاب ، ولا زالتِ الأيامُ نتصَنَّع لإِقْباله ، وتُقبِّله أُوجُهَ العِزِّ في آقتباله ؛ وتُوفِيه على رغم الحاسد حَقَّ جَلاله .

البُشْرَىٰ _ أدام الله آعترازه _ بمَقْدَم الوزير فلان قد أوضعَتْ رَكابُها ، وآتَصل بالنفوس أعلاقُها وأسبابُها؛ فهنيئًا مَعْشَرَ الأولياء بسُبُوغ هذه النعمة الجليله، والمِنْحة

الجزيله؛ ولا أستوفى شُكَرَ مابه أتى مُعَظِّمَ قَدْره، وملتَزَمُ بِرَّه؛ من ثناء كَعَرْفِ الطيب يُهْدى ، ومذَهَب فى الإنهاض لا يُقْضى واجبه ولا يؤدّى ؛ ولا زالتْ حياة مولاى تُقدّى ، وأفعالُ بِرِه تتعَدّى ؛ وقد لثَمَّتُ مواقع أنامِله وُدًا ، ووردْتُ من عَاسَن بيانِه مَنْهَلا عَدْبا [ووردا] فأمتعنى الله بحياته العزيزة الإيّام ، الطيّبة الإلمام ، الموصولة العهد والذّمام ؛ وأقرأ على سيدى من سَلامى ما يلثمُ يدَه ، ويقضى حقّ اليراع [الذى] أنشأ به البروولده ، والسلام المعاد عليه وعلى جملته ورحمة الله و بركاته .

الشيخ جمال الدين بن نُبَاتة عن نائب الشام إلى القاضى عَلامِ الدين بن فضل الله كاتب السرّ الشريف ، بالأبواب الشريف بالديار المصرية ، عند عَوْده من الكَرَك إلى الديار المصرية ، في سنة ثلاث وأربعين وسنعائة ، مهنّئا له بعوده إلى مَثْرِله بالديار المصرية ، واستِقْراره وعوْدِه إلى كَابة السرّ الشريف بالأبواب الشريف السلطانية ، وهي :

تُقبِّلُ الباسطة الشريفة المن الحرالالقاب لازالَتْ خناصُر الحمد على فَصْل بَنانِها معقُوده، ومَآثِرُ الباس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهُوده، وبواتِر السَّيوف مسيَّة القصد إلى مُناظرة أقلامها المقصُوده؛ تقبيلاً يودُّ لو شافَه بشِفاهه مَوْرِد الجُود من الاَّنامل، وكاثر بتَغْره عند المُثُول للتقبيل تُغورَ الأَمَاثِل؛ فكان يُشافِه بَشُوقه مَوْرِدا كثير الزِّحام، وكان يُكاثِر بعِقْد قُبله على يد الفضل عُقُودا جزيلة الانتظام، وكان يُحاكم جَوْرَ الضَّم إلى مَنْ أبى الله لحار مشاهدته أنْ يُضَام، ويُنهِى ماوصل إليه في الأولياء من السَّرور، وما رُفع بينهم وبين الاَبْتهاج من الشَّرُور، وما طُولِع في أخبار المسَرّة من السَّطور؛ بوصُول مولانا ومَنْ معه إلى مَساكِن العزِّساكِنين، ودُخُولُم كُدُخُول يوسُفَ عليه السلام ومَرْ معه إلى مَساكِن العزِّساكِنين، ودُخُولُم كُدُخُول يوسُفَ عليه السلام ومَرْ معه إلى مِصْرَ آمنِين؛ واستقراره

فى أشرفِ مكانِ ومَكانَه، واستِنصار مصر بأقلامه على العادة فإنَّ هــذه سِمامٌ وهذاه كَنَانه، وإسفارِ عَمَام السَّفْرة عن كَوْكِ عُلَا طالمَلَ حَرَس بِيمِينه أَفْق المُلُكُ وهذاه وزانه، وماكانت إلا غيبة أحمد الله عُقباها، وغيابة بعد من الله عزَّ وجلَّ وجلَّها، وفترة ثنى الله فترتم افتنقس خناق المنصب المشتاق لوجهه الكريم، وهجرة صرف الله هجيرها فسَــقى طرس الإنشاء الذي أبيضَّتْ عَيْناه من الحُزْن فهو كظيم، وما عَاسِن مولانا إلَّا زينة من زين الدنيا فعليها يتشاكس المتشاكسون، وما مزائج كلماته إلَّا من تسنيم (وفي ذلك قلْيتنَافَسِ المُتنافسُون) .

فالحمدُ لله على أن أقرَّ العُيونَ بَمُعاودة ظِلّه الوَرِيف، وعلى أنْ شَخَىٰ الصَّدُورَ بَقُرْ به وأَوْلُمَا وَلَاها صَدْرُ السِّر الشريف، وعلى أنْ أَجْزَلَ الهَناء وقد شَمِلَ ظِلّه، وقد كَلُ بابن الفضل فَضْلُه ، وقد بَهر سَناؤه وسَناه ، وقد تسعَّب القريبُ والبعيدُ فإنْ أجدىٰ على مصر مَوْرِدُه فقد جادَتْ على الشام سَمَاه ، وقد أخذ المملوكُ حظه من هذه البُشرىٰ ، ووالى السَّجود لله شُكرا ، وجَهَّز خِدْمَته هذه نائبةً عنه فى تقبيلِ بَنان إنْ سَمَّاه مَوْلَىٰ الكَرَم بحرا ، فقد سَمَّاه مربي الملك بَرَّا ، لازالتِ الممالكُ متْحَفّة بُميْنِ مولانا ظاعنًا ومُقيا ، متَصفةً بحده وحمد سَلْفه الكريم حديثًا وقديمًا ، تاليةً عَلىٰ مُهِمَّات المُلل بصُحْبة بيته الشريف (وكان فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيما) .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدوم من سفر :

أدام الله ظِلّه، ورفَع مَحَـلَه، وشكر إنعامَهُ وفضَـلَه ؛ وأعزَّ أنصارَه، وضاعفَ القيدارَه ؛ ولا زال مؤيَّدا في حَركاتِه، مَسَدَّدا في سائر فَعَلاتِه ؛ مصحُوبًا بالسلامة في المَهَامِه والقِفَار، مخصوصًا من الله تعالى بالأعوان والأَنْصار .

المملوكُ يُنْهِى بعد تقبيلِ الأرض ، والقيام بما يَجِب من سُنيَه والفَرْض ؛ عِلْمَهُ بِحَلُول رَكَابِهِ العالى بَمَغْناه، واستقرارِ خاطرِه الشريف في عَلَّه ومَثْواه، وجْمع الشَّمْل بالأهل بعد طُول الغَيْبه، وبَعْد القُفُول والأَوْبه؛ فتضاعف لذلكَ فرَحُه وسرورُه، وزال عن قليه قليل الهمِّ وكثيرُه ؛ فالله يمنحُ المولى أطيبَ المنازِل، وأسر الرَّواحِل؛ ويععلُ تجارة بَعْدِه راجِه ، وأوامِر دوام عزّه لائِحَه، حتَّى تُنْشِد نفسُه الكريمة قولَ أبى الطيِّب :

أَنَا مِن جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا * وأَسَرَّ راحِــلةً وأَرْبَحُ مَتْجَــرَا! لازالتِ الأَعْيُنُ قريرةً برُؤيتهِ، وقلوبُ الإخوان قارّةً بمشاهدتِهِ ؛ والأوجهُ وسِيمه، والنَّعمِ الظاعِنةُ مُقِيمه؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالقدوم من السفر

قال فى و مواد البيان ": أجوبة هذه الرّقاع ينبغى أن تُنبى على الا عتراف للمهنى على الا عتراف للمهنى على الله على السّفر، وما أفضت إليه من السلمة، والتأسّف على ما تقضى من الأيام فى مُباعدته، والتخلّف عن مُباسَمته، السلامة، والتخلّف عن مُباسَمته، وأنه لم يزَلُ يدّرع الإدلاج، ويَقْطَع الفِجاج، رغبةً فى القُدوم إليه، والوفادة عليه، وبلّ الغُلّة برُؤيته، وترويح النفس بحاضرته، وما يليق بهذا النّمَط من الكلام.

الضــــرب الخامس (من التهانئ التهنئةُ بالشهور والمواسِم والأعياد)

وهي على ثمانية أصــناف :

الصنف الأوّل _ التهنئــةُ بأوّل العام وغُرّة السَّنة .

من كلام المتقدّمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبي مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيّدى يعامه ، والفضل منه وما حَوىٰ من الأعياد والأيّام الخطيرة وسائر شُهوره وأيّامه ، ومتصَرِّف أحواله ، و بما يأتى و يَكُرُّ عليه من زمانه ، سعادةً تسُوقُ إليه حظُوظَ الدِّينِ والدنيا كامله ، وتجمَّعُ له فوائد الأمدَيْن تامَّة وافيه ، وتجمَّعُ له فوائد الأمدَيْن تامَّة وافيه ، وترتَبِنُ إليه النَّعَم فلا تزال لَديْه زائدة ناميه ، وبلَّغه بها الأمَل ، ومدّ له في البقاء إلى أنْفَس المُهَل .

ولأبى الحسين بن سعد :

عظّم الله على مَوْلاى بركة الشهر والسنة المتجدِّدَيْن، ووهَبَ له فيهما وفيا يتلُوهُما من أيام مُحُره، وأزمان دَهْره، سعادةً تجع له أشتاتَ الحُظُوظ، وتصل لَدَيْه مَوادَّ المَزيد؛ وتُيَسِّرله بُلوغَ الأمل في كلِّ مأيطالع ويُنازِع، والأَمْن من كلِّ مأيراقِبُ ويُحاذر.

وله فی مثـــله :

عَظّم الله على سِيدى بركة الشهر والسَّنة، وأعاشَهُ لأمثالها مُدَّة آختلافِ الجديدَيْن، وتَجَاوُر الفَرْقَدَيْن، مَتَّعا بالنِّم السابِف، والمَواهب المترادفه، والسَّعادة والغِبْطه، والعزِّ والمسَرَّه،

وله في معناه :

(۱) جدّد الله لسيِّدى في الأيَّام الحاضرة والمستَقْبَله ، والأحوال الراهِنَة والمُتَنقِّلَة ؛ حظُوظًا من السَّعادات ، وأقسامًا مر الخَيْرات؛ لايُخْصَى عدَدُها، ولا يَنقَصِى مَدَدُها .

وله فی مثـــله :

عَظّم الله [على مولاى] بركة الشهر والسنة المتجدّدين عَلَيْه ، وعَرَّفه فيهما وفي الأيَّام بعدّهما مر حادث صُنْعه ، ولطيف كِفَايته ، ماتَدُوم فيه السعاده ، وتَعْشُل به المنّه، وتحسُن فيه العاقبة .

وله في مشـــله :

عظَّمَ الله على مَوْلاَى بَرَكَةَ هــذا الشهر : المــاضِي [من] أيَّامَهُ وباقيها، وهــذه السنَةَ، وجعلها أيمَن سنة حالَتْ عليه وأسعَدها .

ومنه : ويُنْهِى أنَّ المملوكَ يُهِنَّى عُرَّة الأَيَّام، بغُرَّة الأَنَام؛ وصدَّر العام، بصَدْر الكام، بصَدْر الكرام؛ بل يَهَنِّى الزمن كلَّه نعمْ وأهلَه بالحَضْرة التي واسَتِ المَعَالِي .

الصنف الثاني _ التهنئــةُ بشهر رمضانً .

من كلام المتقدّمين :

لأبى الحُسَيْن بن سعد :

جمع الله لمولاًى فى هذا الشهر الشريف شُروطَ آماله وأحكامَ أماليه، فى حاضِر أمرِه وعاقِبتهِ، وعاجلِ دُنْياه وآخرتِه ؛ وأبْقاه لأمثاله بقاءً لايتناهىٰ أمَدُه، فى ظِلِّ عيش يرضاه ويحَدُه .

⁽١) في الأصول الماضية تأمل.

وله في مشــله :

عرَّف الله سيدى بَركة هذا الشهر الشريف وأعاشَهُ لأمثاله ، ماكرَّ الجَديدان، وآختلف العَصْران؛ مُتَّعًا بسَوابغ النَّعم، محروسًا من حَوادِث الغِير، وهُوَقَّقًا فَي شَهْره، وأَزمان دَهْره؛ لأَزْكَىٰ الأعمال، وأرْضَىٰ الأحوال؛ ومقبُولًا منه ما يُؤدِّيه من فَرْضه، ويتنقَّل به قُرْبة الى رَبِّة .

وله في مشــله :

عرَّفه الله بركة إهلاله ، وأبقاه طويلًا لأمثاله ، موقّقا فيه من عمل الخير، ومُراعاة الحقّ، وتأدية الفَرْض ، والتنقُل بالبِّر، لما يُرْضيه، ويستحقَّ جزيلَ المَثُوبة عليه ، ممتّعا بعده بسَنِيّ المَواهِب، وجَسِيم الفوائد ، مع اتصالِ مُدّة العُمُر، واجتماع أمنيًات الأمل .

وله فی مثـــله :

عَرَّف اللهُ مولانا بركة هذا الشهر الشريف وأيَّامِه، وأعانك على صيامِه وقيامه؛ ووصل لك مايزيدُ من فَضْله وإنعامه؛ وتابع لك المزيدَ من مَنَائِحه وأنْعامه؛ وختمَ لك بالسعادة العُظْمَىٰ بعد الانتقال [في الجاه والرياسة إلى] أبعد المدىٰ ؛ وفي العزِّ والتَّروة إلى أقْصَىٰ المُنىٰ .

أبو الفرج الببغاء :

جعلَ الله ما أظلّه من هذا الصيام مقرُونًا بأفضل قَبُول، مُؤْذِنا بإدراك البُغْيةِ ونُجُحْ المأمُول؛ ووقَّقه فيه وفي سائرِ أيَّامه، ومستأنف شُهوره وأعوامه؛ لِأشْرَف الأعمال وأفضَلِها، وأذْكَىٰ الأفعال وأكمَلِها؛ ولا أخْلاه من بِرِّ مَرْفُوع، ودعاء مسمُوع؛ وسَعْى مشْكُور، وأمرٍ مَبْرور؛ إلىٰ أن يَقْطَع في أجملِ غِبْطةٍ وأتمَّ مسرَّةٍ أمثالةً .

وله فی مثـــله :

عرَّفَ اللهُ بَرَكَةَ هـذا الشهر المعظَّم قَدْره ، المشَّرفِ ذِكُرُه ، ووقَّقَكَ فيه لصَالِح الأعمال ، وزَكِّ الأفعال ، وقابَلَ بالقَبُول صِيامَك ، و بتعظيم المَثُوبة تهجَّدَك وقيامَك ، ولا أخلاك في سائر ما يَتْبعُهُ من الشَّهور ، ويَليه من الأزمِنَةِ والدَّهور ، من أجْرٍ تَذْخَره ، وأثرَ تَشْكُره .

قلت : ومماكتبتُ به تهنئةً بالصوم للقَرّ الأشرفِ الناصري محمدِ بن البارزي كاتبِ السرّ الشريف المؤيَّديّ بالمالك الإسلاميةِ ، في سنّة ستَّ عشْرةَ وثمانيمائة نظَّا:

أَيَا كَاتِبَ السِّرِّ الشَّرِيفِ ومَنْ بِهِ * تَمِيسُ نَواحِى مِصْرَتِيهًا مَع الشَّامِ! ومَنْ جَلَتِ الجُلِّي كَاتُبُ كُتَبِه، * ومَنْ نَابَ عن وَقْع السَّيُوفِ بأقلامِ! تَهَنَّ بهٰذَا الصَّوْمِ والعِيدِ بَعْدَه، * ومِنْ بَعْدِه بِالعِيد والْعامِ فالْعامِ! وتَرْقَىٰ رُقِيَّ الشَّمس في أَوْجِ سَعْدِها * وتَبْقَىٰ بَقاءَ الدَّهْرِ في فَيْضِ إِنْعامِ!

الصنف الثالث _ مَا يصلُح تهنئةً لكلِّ شهرٍ من سائر الشَّهور . لأبي الحسين بن سعد :

عظّم الله بركة إهْلَاله ،وأعاشه لأمْثاله ،أطْولَ الْمُدَّة ،ممَّتعا بَأَدْومِ النَّعمة ،ومشَفّعا(؟) بأفضل الأَمل والأُمْنِيَّه .

وله : أسعد الله سيِّدى بانْصِرامِه و إهْلالِ ما بعده ، وأبقاه مابَقَى الزمان ممتَّعا بالعزِّ والنِّعمه؛ محروسًا من الآفات الَحُوفة، والحوادث المحْذُوره .

وله : عَظَّم اللهُ علىٰ سيدى بَرَكةَ الماضِي والمستقْبَلِ منالأيام والشُّهور[والأعوام] والدُّهُور، ووصلَ له السعادةَ بَاتِّصالها، وجدّدَ له النّعمةَ بِتَجَدَّدِها . وله : عظَّم الله بركةَ ٱنْسِلاخِه ، و إِهْلالِ مايتـــلوه ؛ نَجَدَّدا لك بَتَجَــدُّدِه فوائِدَ الخيرات، وأقْسامَ البركات؛ تَدُوم فيها المُدّه، وتطُولُ بها النَّعْمه .

وله : أسـعَدَك اللهُ بإهلاله ، وأعاشك أبدًا لأمْثالهِ ، ممتَّعا بدَوامِ العِزِّ والنعمه، وآجتاعِ أسبابِ الرَّخاء وشُروط المحبَّه؛ إنَّه جَوَادُّ كريم .

[وله: عَظَّم اللهُ علىٰ مولَاى بركاتِ هذا الشَّهْر ومايتلُوه، وبلَّغه مايُحاوِله ويَنْحُوه؛ في مستأَنْفَ الشَّهور، ومؤتنَف النَّهور؛ مُضاعَفًا له العِزُّ والتأْبِيد، ومَوْصولًا له أصلُ النعمة بُحُسْنِ المَزِيد] .

وله : عَظَّمِ اللهُ على مولاًى بَرَكةَ الشَّهر، وأدامَ له سَلامةَ الدَّهْر، مَوْفُورا من العِزِّ والسلطان، غُيرَ مذْعُور بنَوائِب الزَّمان .

وله : عظَّم الله على سيدى بركة الأيَّامِ والشُّهور، والسِّنينَ والأحقاب؛ وجمع له المواهِبَ كامِلَه، والفَوائد فاضِلَه؛ دِينًا ودُنْيا، وحاضِرةً وُعَقْبِيٰ .

وله : عظّم اللهُ عليكَ بركته ، وعَرَّفك بُمْنه وسَعادته ؛ وجددَ لك الخَـيْرات ، بتَجْدِيد الأوقاتِ والسَّاعات؛ حتَّى تَحُوزَ منها أَسْنىٰ الحُطُوط وتبلُغَ مما تَمَنَّاه أقصىٰ الغايات .

الصنف الرابع – التهنئة بعيد الفطر .

من كلام المتقدّمين :

لأبى الحسين بن سعد :

عظم الله على سيّدى بركة هـذا العيد ، واعاشَه لأمثاله ؛ من الأعْيادِ المَشْهُودِه ، والأيّام الجَدِيده ، [ف] أهنا عيش وأرْغَدِه ، وأطْوَلِ مدّى وأبْعَدِه .

⁽١) الزيادة في بعض النسخ -

أبو الفرج الببغاء :

أسعدكَ الله بهـذا الفطر الجَدِيد، والعِيد السَّعِيد؛ ووَصَل أيَّامَك بعدَهُ باكمِلِ السَّعادات، وأَثْمَل البَرَّكات؛ وجعل ما أسلَفْتَه مر الدَّعاء مقْبُولا مسْمُوعا، ومن التَهَجَّد زاكِيًّا مَرْفوعا؛ ولا أخلاك من نِعمة يحرُسُ الشكُرُ مُدَّتَهَا، ولا يُخْلِقُ الدَّهْرُ جِنَّتَها،

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

المولى أدام الله نعمه ، وحرس شِمَيه ، هو سيِّدُ الأفاضل ، ورئيسُ الأَمَاثِل ، وحسَنةُ الزَّمان ، وَلَيْث الأقران ، وهو في الأَنام ، كالأعياد في الأَيَّام ، فإنَّ الأنام ليلُّ والمولى المُصباح بل الصَّبَاح ، وسائر الأيَّام أجسادُ وسائر الأعياد هي الأَرْواح ، فإذا كان المولى قد زُهِي على أبناء جِنْسه ، ويومُ العيد على غَده وأمسه ، فقد صاركُلُّ منكما إلى صاحبه يتقرَّب ، ويأزم ويَلْزَب، وهو أحقُّ الناسِ بأن يُبهِجَه مَقْدَمُه ، وأن يَهْفِه الدى هو مَجْعَعُ السَّرور ومَوْسِمُه ،

والحادم يُهَنَّى المولى بهذا العيد، واليوم السَّعيد؛ فإنه وافى فى أَوانِ الرَّبِيع وزمانه، لُبَاهِى بُعُصْن قَدِّه أغصانَ بانه ، و يَسْتَنْشِقَ فى صَدرِه وورْدِه، رائحة رَيْحانه وورْدِه، ويختالَ فى ريَاضه وحدائقه ، ويُلاحِظَ بَهْجة أَزْهارِه وشقائقه ، والعيدُ والرَّبِيعُ ضَيفانِ ومكارِمُ المولى جَديرة بإكرام الضيف، والتتع بالمَلاذ فيهما قبلَ رَحيلهما وقُدُوم حَرِّ الصَّيْف، وألتتع بالمَلاذ فيهما قبلَ رَحيلهما وقُدُوم حَرِّ الصَّيْف، وألتتع بالمَلاذ فيهما قبلَ رَحيلهما وقُدُوم مَرِّ الصَّيْف، وأن يُعَسِّن وجه عيده، بحُلُوله فى مَعْناه ووُجُوده، بما يُولِيه لعُفَاته من إنعامِه وجُوده، لازالتِ الأعيادُ تُهَنَّى بَبقائِه، وألسنة الأيام تَشْكُر سوابِغ نَهْائه، وتَعَدُّ جزيلَ عَطائِه، وتَنْطِق بَولائه وثنائه، أبدًا، إن شاء الله تعالى .

قلت : ومم كتبتُ به مهنّنا للقرّ الأشرف الناصِرِى محمد بن البارزي صاحب دُواوِين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية فىالدولة المؤيّديّة «شيخ» بعيد الفِطْر نظا، بعد أن سألتُه حاجةً فقضاها، وأسنى لى الجائزة على نَثْرِ كَتْبَتُه له .

سأَلْتُ نِظامَ اللَّكُ كَاتِبَ سِرِّه * إِذَالَةَ ضَنْكُ أَرهَفَ الدَّهْرُ حَدّه! فِي بَا أَنْ بَعَاهِ زَعْزَعَ الأَرْضَ وَقَعُه، * وجادَ بمالٍ لأيرى الفَقْرُ بَعْدَه! وبالبارِزِيِّ آزدانَ وصْفُ مَكارِم * فأشْبَهَ في فَضْلِ أباه وجَدّه! فيهناهُ صَوْمٌ ثُمَّ عِيدُ مَسَرَةٍ * وطالعُ إقبالٍ يُقارِنُ سَعْدَه! ورَفْعُ دُعاءٍ لايغِبُ نَتَ أبعًا ، * وطيبُ ثناءٍ خامَ المِسْكُ نَدّه! ورَفْعُ دُعاءٍ لايغِبُ نَتَ أبعًا ، * وطيبُ ثناءٍ خامَ المِسْكُ نَدّه! الصنف الخامس – الهنئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدّمين :

أبو الحسين بن سعد :

كتابى والنحر — نحر الله أعداء مَوْلاَى وحُسَّادَ نعمتِه ، وأَمْتَعَه بَمَوَاهِبه عنْدَه ، وبارك لَهُ فَى أعيادِه ومتجَدِّد أيَّامه ، بركة تَنْتَظِم السَّعادات ، ونتضمَّن الخَيْرات ، متصلةً غير مُنْقَطَعه ، وراهنةً غير فانية .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

تَهَنَّ فَأَيَّا مُ السَّرورِ أُواهِلُ * وَكُلُّ مَخُوفٍ عَن جَنَا بِكَ راحِلُ! وَتَهُمُّ مَنْ فَوْقِ الكَواكِ طالِحٌ، * وَتَجُمُ ٱمْنَ ثُنَمُولَ آفِلُ!

أَلَا أَيُّهَا المَّوْلِى الَّذِي عَمَّ جُودُه: * فَدَنْكَ العَوالِي والحِيادُ الصَّواهِلُ! تَمَتَّعُ بِعِيدِ النَّحْر، وافاكَ خاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْسَاكُ ما أَنْتَ آمِلُ! وَدُمْ كَابِتَ الأَعْداءِ وَآبْقَ نُحَلِّلًا * علىٰ المالِ على، بالرعيَّةِ عادِلُ! وَدُمْ كَابِتَ الأَعْداءِ وَآبْقَ نُحَلِّلًا * علىٰ المالِ على، بالرعيَّةِ عادِلُ! لَقَدْ راقَ مَدْحِي في مَعَالِيكَ مِثْلَما * صَفَتْمنكأوْصافُ ورَقَّت شَمَائِلُ!

جعله الله أبرك الأعياد وأسعدها، وأيَّنَ الأيَّام وأَنْجَدَها، وأَجْمَلُ الأوقاتِ وألَدُّها وأَرْجَلَ الأوقاتِ وألَدُّها وأَرْعَدَها، ولا بَرِحَ مَسْرُورا مسْتَبْشِرا، مَنْصُورا على الأعداء مقْتَدرا؛ مسْعُوداً مُحُودا، مُعانًا بالسَّعود الجَديده، والحُدُود السَّعيده؛ والقُوةِ والناصر، والعُمُر الطويل الوافر:

ولا زالت الأعيادُ لِبْسَكَ بَعْدَه * [فَتَخْلَع] عَنْرُوقًا وتُعْطَىٰ مُحَدًا؛
فذَا اليومُ في الأيَّامِ مِثْلُكُ في الوَرىٰ * كَاكُنْتَ فِيمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدَا!
وأعاده على المولىٰ في صِحَّة دائمه، وسلامة مُلازِمه، وأصار عيدَه مُطيعا لأوامِرِه كسائر العييد، وعييدَه في كلَّ يوم من المَسَرَّة ببقائه لها كالعيد، والأيَّامَ به ضاحكة المَبَاسم، والأعوامَ جميلة المَوَاسم، ومتَّمنا بدوام حَياته، واستجلاء جميل صِفَاته، واستحلاء مدائحة بإنشاد عُفَاته، وأراهُ نَحْرَ أعاديه، بينيديه كأضاحيه، وأصار الحج الى بابه غافرًا سَيَّناتِ الإفلاس والإعدام، ومُبيحًا لَبْس المَخيط من إنعامه العام، المباه، ألله من السعادة أجمل حُلَّه، ومنحه من المكارِم أحسَن خَلَّه ه

الصنف السادس _ التهنئة بعيد العَدير من أعياد الشِّيعة :

وكان لهم به آهتمامٌ في الدولة الفاطميَّـة بالديار المِصْريَّة ، والطريقُ في التهنئةِ به على نحو غيرِه من الأعياد ،

⁽١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام •

مايصلُح تهنئةً لكلِّ عِيد .

أبو الفرج الببغاء :

لولا العادة المَشْهُوره، والسَّنَة المأثوره، بالإفاضة في الدعاء، والمشافهة بالتهنئة والنَّناء، في مثل هذا اليوم الشريف قَدْرُه، الرفيع ذِكُه، لكان أيده الله دُونَ رُوَساء الدهر، وملُوكِ العَصْريَجِلُّ عن التهنئة : إذ كانتْ سائر أيّامه بما يُودِعُها من أفعال الحير مُعَظَّمه، وبما يَبُثُها من المحاسِن مُكرَّمه، فبلغه الله أمثالة محروسًا في نفسه ونعمته، محفوظا في سُلطانه ودولته، مُوفِيًا على أبعد أمانيه، مُدْرِكا غايتَها فيا يؤمِّله ويَرْتَجيه.

وله فی مثـــله :

عرَّ فَكَ الله يُمْنَ هذاالعيدِ وبركته، وضاعفَ لك إقبالَه وسعادَتَه؛ وأحْياكَ لأمثاله في أُسبَغ النَّعم وأكلِها، وأفسيح المُدَد وأطْوَلِما ؛ وأشرفِ الرُّتَب وأرفَعها، وأعنَّ المُنازل وأيْفعها؛ وحرسَ مِنْحَتك من المحذور، ووَق نِعمتك من عَثَرات الدُّهُور.

الصنف السابع _ التهنئــة بالنّـــيُرُوز .

وهو من أجلِّ أعيادِ الفُرس، علىٰ ما تقــدم ذكره فى الكلام علىٰ أعيــاد الأَمَم، في المقالة الأولىٰ . وكان للكُتَّاب به اُهتمامُ فى أوائل الدَّوْلة العَّباســية بالعِراق، جَرْيا علىٰ ماكان عليه الفُرْس من قَديم الزمان .

وفيه لأبى الحسين بن سعد :

هذا يومُ شَرَّفَتُهُ العجم ، ورَعَىٰ ذِمَامَهُ الكَرَم ؛ وهو مر. أسلافِ سيِّدى ذَوِى النَّباهة ، وأخلافه ذَوِى الطَّهارة ؛ بين مُنْشِئَ رَسْمه ، ومؤدِّى حقِّه ؛ وكاسٍ له بقَبُول

آنسابِهِ إليه جمالًا يبقى على الأيام، وحالًا يَنْفَق بهـا لدى الأنام؛ فليس أحدُّ أحقَّ بالنهنئة [به] ممن سَنَّة آباؤُه، وشــيَّدتُه آلاؤُه؛ فصارتْ إلىٰ أُوَّلِيَّــه نِسبَتُه ، وبكرم سجيَّته عصْمتُه .

وفيه له : هدذا _ أيد الله سيدى _ يوم عظمه السّاف من العَجَم ، وسيّدى وارث سُنّة الكّرم ، وللسادة على العبيد في هذا اليوم رَسْم في الإلطاف ، وعليها لهم حقّ في القبُول والإسعاف ، وقد بعثت بما حضر جاريًا على سُنّة الحدْمه ، وعاديًا عن طريق الحشمه ، ومقتصرا على ما اتّسعت له الحال ، وما يُوجِبُه قَدْرُ سيّدى من المالغة في الاحتفال ، فإنْ رأى أن يُشَرّف عبده بالا حمّال إليه ، وإجرائه مُجْرى الأنس عنده ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

وفيه للكرجى :

هـذا يوم تشمو له العَجَم، ويُستعجَم في العَرب؛ تشريفًا له واعترافًا بفضله ، واقتداءً بأهله ، وأخذا بسئتهم فيه ، فليهن لإخراز الدولة في العِزِّ [منزلا] بحيثُ لأيرام، ولا يُضام ، ولا ترقى إليه الأماني، ولا يطمع في مساواته المُساوى ، وإنَّهم بعد تَصَرَّم الدولة على حميد آثارها ، وجميل الذّكر فيها ، أعلام تُضرب بهم الأمشال ، وترقُعو بأيَّامهم الأيَّام ، وآثارهم تُقتفى ، وأعيادهم تُنتظر ، يُتَأهب لها قبل الأوان ، ويُعرَف فيها أثر الزمان ، وإنَّك منهم في الذّروة السامية ، والرّبة العاليه ، وبحل لاعار معه على حُرّة في الخُشُوع الك ، والتعلّق بحبلك ، وقد وجَدتُ الاتباع عند ساداتها في مثل هذا اليوم على عادة في الإلطاف جسَّمتها ، وسيّرت بها على أقوام منحتهم ظُهو ذَ الدَّعُوى فيها ، فأقبل فائلهم يقول : « لو كان بابُ الإهداء مفتُوحا غير مسدُود ،

⁽۱) مراده أن العرب آتبعت العجم فى تعظيمه تأمل · (۲) قد بلغ التحريف من هذا مبلغه حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العز منزلا بحيث الخ تأمل ·

ومُباحًا غير ممنُوع؛ لأتحفَّتُ بالغُرَابِ الأعْصَم، والكِبْريت الأحمر، والأَبْلَقِ العَقُوق، وَبَيْض الأَنُوق» . وقد بعثتُ بهديَّة لا تُرَدُّ (يعني الدعاء) .

وفيه: من كان عَلَّك من العِزِّ، ونَبَاهةِ الذِّكر، واَرتفاعِ الدَّرَجه، وعُلُّو المَنْزِله؛ وسَسعة البَلَد، وبُعْد الأمَد؛ لم يتَقرَبْ متَحلِّ بالعلم والأدَبِ إليه في يوم جديدٍ إلَّا بصالح الدُّعاء، وحُسْن الثناء.

الصنف الثامن ــ التهنئة بالمهرجان.

وهو أحدُ أعيادِ الفُرْس، على ماتقدّم ذكره فى المقالة الأُولى، فى الكلام على أعياد الأُم، وكان للكُتَّاب من الاحتفالِ بالتهنئةِ به فى أوائل الدولة العبَّاسِيَّة مالهم بالنَّيْروز. فيه ـ لأبى الحسين بن سعد :

لسيِّدى علىَّ فى الأعياد المُشْهُورة، والأيَّام الجَديدة ؛ عادَّةً آختَرَلَنِي عن بَعْضِها فى هـذا الفصل ، كَلالُ الطَّبْع عن البَعْض؛ ووُقُوعُ الخطر (؟) بعرضه من الثناء نظَّا وتَثْرا، ومن الإهداء عرضا و برا؛ دعاءً تزيد قيمتُه علىٰ الأعلاقِ الثَّينه، وموقِعهُ علىٰ الذخائر النَّفِيسه، ولُطْفُه علىٰ التَّحَف البديعه ؛ فأسـعدَ اللهُ سيدى بهذا اليوم سعادةً تُقِم ، ولا تَرْيم؛ وتَزيد، ولا تَبِيد؛ وتتوطَّن ، ولا تَظْعَن ؛ وتجمع حظُوظًا م.

الخيرات، وفوائد من البركات؛ يتّصِلُ سندُها، ولا ينتهِى أَمَدُها، وأبقاه في أسبع عِنَّه وأرفع رُبْبة وأرغد عيشة، مكنوفًا بحراسة تقيه [وآله] عَوادِي الزمان، وتصرف عنهما طوارِق الحَدَثان؛ ما طَرد الليلُ النَّهار، وطلع نَجْم وغار؛ وعلى ذلك _ أيد الله سيدى _ فإنَّ الحِرْص على إقامة الرَّسم والتَطَيَّر من إضاعة الحقّ بعثاني على مُراجعة القريحه، وآستِكُداد الرِّوية؛ فأسعفا بما قبِلته الضرورة؛ ولم أُطِعْ في إهدائه سُلطانَ الحَشْمه ؛ وفضلُ سيدى يتيّع لقَبُول الميْسُور، وتحسينِ القبيع ؛ والله المعين على تأدية حقّه؛ والقيام بواجب فرضِه ،

وله فيه أيضا، إلىٰ مَن منع أن تُهْدى إليه فيه هدية .

لوكنت فتحت باب الإلطاف، ونَهجْت إليه سَيِيلا ؛ لتنازع أولياؤك قصب السَّبق وتنافَسُوا في السَّرف؛ فبان اللجتهد فضله ، والنَّس العذْر في التقصير ملتمسه ؛ وعمَّت المنحة كافَّتهم بما يظهر من مَواقعهم، وينكشف من أحوالهم ؛ لَكنَّك حظَرْت ذلك حَظْرا الستوى فيه الفريقان في الحُكْم ، وامت قيه على ذوى الخَلَل السِّتْر ؛ ولم تحظُر الدَّعاء ، إذ حظَرْت الإهداء ؛ فأنا أهديه ضرورة والختيارا ، وإعلانًا وإسرارا ؛ فاسعَدَك الله بهذا العيد الجديد ، الذي زاد بك في قدْره ، وشَرَّفه بأن جعلك من أرْبابه وولاة أمره ،

أبو الَفَرَجُ البُّبغاء :

هذا اليومُ من غُرَر الدُّهُور المشهوره، وفضائِلِ الأَزْمِنَة المُدْكُوره؛ معَظَّمُ فَى العَهْد الكِسْرَوِى ، مستظَّرَفُ فى العَصْر العَربِي ؛ باعثُ على عمارة المَودات، عصوص بالا نيساط فى الملاطَفَات، ولستُ أستَزيدُه _ أيَّده الله _ من بِرَّيُولِيه، ولا تَطَوَّلِ إلى يُسْدِيه ؛ غيْرَ إدخالى فى جُمْلة من بسَطَتْه الأَنسه ، وتَقَّفَتُه المحبَّة ؛

وتقرَّ بتُ منه بوكيد الخِدْمه، في قَبُول ما إن شَرَّف بَقَبُوله، كان كثيرًا مع قِلَّته، جَلِيلًا مع نَزَارته؛ فإنْ رأى أَنْ يقَوِّى منه ثِقَتِى، ويُقابِلَ بَقَبُولٍ ما أَنفَذَتْه رَغْبتِي، فعل، إن شاء الله تعالىٰ .

وله فی مثـــله :

قد أطعْتُ فى الأنبساط إليك دَواعَى النَّقه ، وسلَكْتُ فى التَحَرَّم بك سُبُل الأَنسه ، وتوصَّلْت بملاطَفتِك إلى حَسْم مَوادِّ الحشْمه ؛ فاستشهَدْتُ على ثَقَتى بك الأَنسه ، وتوصَّلْت بملاطَفتِك إلى حَسْم مَوادِّ الحشْمه ؛ فاستشهَدْتُ على ثَقَبُّله إلى سَعة فيا أَنفَدْته بمُفارقة الحَفْله، وكُلف المكاثره ؛ فإنْ رأيت أن تَكلّنِي فى تَقَبُّله إلى سَعة أخلاقك، وتَسْلُكَ فى ذلك أخصَرَ طريق إلى ماأخطُبُه من مَودّتك، وأزاحِمُ عليه في إخائك؛ فعلتَ ، إن شاء الله تعالى .

وله فی مثله :

هذا اليومُ _أيَّد اللهُ سيدى _ من أعياد الْمُرُّوه، ومَوَاسِم الْفُتُوَّه، وأوطانِ السرور، وَعَاسِنِ الأَزْمِنة والدُّهُور، بَلَّغه [اللهُ] أمثالَهُ في أَنْضَر عيشٍ وأسبغ سَلَامه، وأبسَطِ قُدُره، وأ كُل مَسَرَّه، وقد توتَّبْت إلى الاقتداء فيه بأدبه، والأُخْذ بمعرفة فُروضِه بَدْهَبه، وأطعْتُ في الانساط إليه دَواعِي الثِّقة، وأَنفَذْت ما اعتمَدْتُ في قَبُوله على مكانى منه ، عائدًا بالتقليل من كُلف المُكاثره، ومستثقل الكُلفه، فإن رأى أن يأتي فيا التمسته مأيناسِبُ شَرَف طبعه، وسَعَة أخلاقه، فعل، إن شاء الله تعالى .

وله فی مشله :

لوكانت المُلاطَفَات بحسَبِ الرُّتَب وقدْر المَنازِل، لما آ نبَسَطَتْ قُدُرةٌ ولا ٱتَسَع إمكانٌ لِمَا يستَحِقَّه نُبْلُ محلِّه؛ وواجباتُ رِيَاستِه؛ ولكُنْتُ من بين خَدَمه ضعيفَ المُنَّة عن خِدْمته في هذا اليومِ السعيد؛ بلَّغه اللهُ أمثالَه في أفسح أجَل، وأنجع أمَل،

⁽¹⁾ كذا في الأصل ولعله «الكلفة» .

بِمَا يَخْدُمُهُ بِهِ ذَوْوُ الجِدْمات الوكيدةِ عنده، المَكِينةِ لدَيهُ ؛ غير أنِّى أثِقُ منه أيده الله بَجَمُل قليلي على على علمه بإخلاصي في وَلاَئه، وآنتسابي إلى جُمْلته، وآختِلاطِي بأنسابه ؛ فإنْ رأى أن يُجرِيَني في قَبُول ذلك على سُنَّة أمثاله من ذَوِي الجَلاَلة ، عند أمثالي من الأولياءِ والحاشيةِ ، فعل ،

وله في مثـــله :

لوكانَتِ الهَدايَا لا تُتَقَبَّلُ مالم تُناسِبْ فى نَفَاسة القَدْر، وجَلَالة الذكر، حَلَّ من يُتَقَرَّبُ بها إليه، ومنزلة من أهداها إليه عليه، لَى سَمَتْ هِمَّة، ولا ٱلسَّعَتْ قُدْرة، لَى يستَحِقُّه _ أيده الله _ بأيسَر واجِباته، وأصغر مفْترَضاته، غير أنَّ الأَنسة بَقَطَّله، والاعتداد بسالف تطوُّله، والتحقُّق بخِدْمته، والانتسابَ إلى جُمْلته، بسَطَنى إلى إنفاذ ما إن شرَّفى بقَبُوله كان مع قلَّت كثيرا، ومع نزارتِه جليلًا؛ فإنْ رأى أن يقوِّى بذلك منه ثقيّى، ويحسِمَ مادَّة ٱحتشامى، فعل .

أجوبة التهنئة بالمواسم والأعياد

قال فى ومواد البيان ": هذه الكتُبُ والرِّقاع مضمُونُها الهَناءُ بالمَوْسِم الجديد، والدعاء الهنإ فيه بتمَلِّيه ، قال : وهذا المعنىٰ مُفَاوَض بين المهنّى والمهنّى، وينبغى أن تكون أجو بَتُها مشتقّةً منها ، ثم قال : وقد يتصرِّف الكُتَّاب فيها إذا كاتبوا الرُّؤساء تصرُّفا يخرج عن هذا الحكم ،

أبو الفرج الببغاء :

سَمِع الله دُعاءَك، وبَدَأ فى تقبُّل المسألة بِك، وأَجْزل من أَقْسَامِه حظَّك ؛ وبلَّغك أَمْثُ الله في أَفْسِح مُدَد البقاء، وزاد فيما خَوَّلَكَ من المواهب والنَّمَّاء ؛ ولا أَخْلانِي من بِرِّك، وأَنْهُضَنِي بواجِبَاتِك .

وله فی مشــله :

كُلُّ يوم أَسعَدُ فيه بمشاهَدَتِك، وأقطَعُه فى ظلِّ مودِّتِك، حقيقٌ بالإِحْماد، مُوف على مَحاسِن الأعياد؛ فسمِعَ اللهُ دُعاءَك، وأطال ماشئْتَ البَقاء بَقاءَك؛ وجعل سائرَ أيَّامك مقرونةٌ بالسَّعادات، موصولَةً بتناصُر البَركات.

من زهر الربيع :

يخدُم المجلِسَ العالى جعل الله قدره على الأقدار سامِياً ، وجزيلَ نَوَاله على مَنْ هامَ به من العُفَاة هامِياً ، ونصَره نَصْرا عزيزا ، وأسكنه من حِراسَته حِصْنا حَصِينا و ثِرزا حريزا ، ولا زالتِ الأيَّام حالية الحِيدِ بوُجُوده ، والأيْدِى تَهَشَّ إلىٰ تَناوُل أياديه وَجُودِه ، والأَيْدِى تَهَشُّ إلىٰ تَناوُل أياديه وَجُودِه ، والمَانِ مَثْلُوه ، وأخبارُ المكارم عنه مَرْويَّة وإليه مَعْزَوه ، وآياتُ فضله وفضائله بكلِّ لسانِ مَثْلُوه .

ويُنهِى إلى علمه ورُودَ مشرِّفته التى حلَّتِ الأسماعَ عند ماحلَّت، وسَمَتْ عن الرِّياض لَمَّا جُلِيْت عَروسُ فضلها وجَلَّتْ؛ وزهَتْ على زُهورِها، برَقُمْ سُطُورِها؛ وطِيب عَرفها وتَشرها، بما فاحَ من طَيِّها عِنْد تَشْرها؛ وفائِق حُسْنها وبَهُجَها، برائق براغة عبارَتِها ، ومعامَلتها بما يجِبُ من فُروض إكرامها والسُّنَن ، والمشي في تجييلها على الطريق المالوفِ من مُوالاته والسَّنَن ، وعِلْمَه بما أشار إليه من الهَنَاء بالعيد ، واليُومِ السعيد ، وقد تحقق بذلك إحسانَه الذي ما بَرح متحققا بجيله وجزيله ، واليُومِ السعيد ، وقد تحقق بذلك إحسانَه الذي ما بَرح متحققا بجيله وجزيله ، وشاكرًا لكثيره وقليلِه ، وحصلتُ له البُشرى ، والمسَرّةُ الكُبْرى ، ليس للعيد بمُفْرَدِه ، ولا لهذا الهناء بجرّده ، بل لبقاءِ المَوْلى ودَوامِ سعادته ، وتخليد سيادته ، فإنَّه لكلِّ السان عينُ ولكلِّ عين إنْسان ، وهو رُوحٌ والأيَّام والأنَّامُ جُثْان ، فالمَلوكُ ببقائه كلَّ

يوم يَتْجَلَّدُ له عيدٌ جديد ، ويتضاعَفُ له جَدُّ سَعِيد ؛ حَرَّسَ اللهُ شَرَفَه الرفيعَ من الأَذَىٰ ، وأراه فى عَيْن أعاديه جِذْعا ناتئًا وسلَّم لحظه المحروس من القَدَىٰ ، وأصار أيَّامَه كلَّها أيامَ هَناء ، وبِدايَةَ سَعادتهِ بغير حدِّ وآنتهاء .

من كلام المتقدّمين:

أبو الفرج الببغاء :.

وصلَ اللهُ هـذا الآتِصال السعيد، والعَقْد الحَييد؛ بأحمد العَواقِب، وأجملِ المنتخ والمَواهِب؛ وجعل شَمْلَ مَسَرَتك به مُلتئا، وسبَبَ أُنسِك بإقباله منتظا؛ وعرفك به تعجُّل البركات، وتناصر الحَيْرات؛ ولا أخلاكَ فيه من التَّهاني بنُعَباء الأوْلاد، وكبَتَ بكَثْرة عددك سائِرَ الحُسَّاد؛ وهنأني النعمة الجليلة بإخائك، وعضَّدني وسائِرَ إخوانِك بَقائك.

وله فی مثـــله :

قرنَ الله بالخيرةِ ما عقدْت، وبالسعادةِ ماجَدَّدْت، وبجيلِ العاقبةِ ما أفدْت، وبجيلِ العاقبةِ ما أفدْت، وعرف لل عرف الله تُصال، ولا أخلاك فيه من مَوَادِّ السعادةِ والإِقْبال، وعضَّدك بالبَررة من عَقبك، والسادة من ذُرِّيَّتك .

وله في مثـــله :

إنِّي وإن كنتُ مُلْتَحِفًا بُلُحف مَوَدَّتك، ومَتَسَّكَا بِعَصِمُ أَخُوِّتِك؛ أَوْلَىٰ بالتهنئة بما يَحْدُث لك من وُرودِ نِعْمه، وآتصالِ مَوْهِب ؛ فإنِّي ماأجِدُ فرضَ الدعاءِ لك

ساقطا ، ولا واحِبَ الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائِلا ، فعرَّفك اللهُ بَركةَ هذا الاَّ تصالِ الحيد، والاَقترانِ السَّعيد، وجعله للسَّرور مُكَثِّرًا، وباليمن مَبَشِّرا، وأحياك للتهانى بمثلِه فى السادةِ من وَلَدك، والنَّجَباء من ذرّ يَّتك .

وله فی مشله :

وصل الله هذا الآتصال الميْمُون بأَدْجَح البركات وأفضَلِها ، وأَنْجَح الطَّلِبات وأَصلَها ، وأَنْجَح الطَّلِبات وأَحَلِها ، وأحياكَ للتَّهانِي وأحمَد بدُأَه وعُقْباه، و بلَّغك الآمالَ في سائِرِ ما تَهْواه ، وأحياكَ للتَّهانِي بأمثاله في البَرَرة من وَلَدك، والنَّجباء من عَقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

جعل الله الحيرة له فيا يَذَرُه و يأتيه ؛ والنجاح مقروناً بما يُعيده من الأوام ويُبديه ، والألسنة شاكرة مايُولِيه من الإنعام ويُسديه ، صدرت هذه الحدمة معْرِبة عن شاء تأرَّج عَرْفُه ، وولاء أعجز الألسنة شرحُه ووَصْفُه ؛ وتهنئة بهذه الوُصْلة المباركة جعلها الله للا تصال بالسعادة سَبَبا ، ومحصّلة من الحيرات مَراما وافراً وأربا ؛ وعَرَّفه بركة هذا العُرْس الذي أصبح الحيرُ بفنائه مُعرِّسا ، ونُورُ الشمس من ضياء بجته مقتيسا ؛ فنحمدُ الله على هذه الوُصْلة سِرًا وجَهْرا ، ونشكره أن جعل بينه وبين السَّعْد نَسَبا وصِهْرا ؛ منح الله المولى الرَّفاء والبَيْن ، والعُمُر الذي يُفني الأيام والسَّنين ، ورزقه إسعافاً دائمًا وإسعادا ، وأراه أولاد أولاده آباءً بل أجدادا ؛

أجوبة التهنئة بالزَّواج والتسرِّي

قال فى و موادّ البيان ": أجو به هـ ذه الرّقاع يجب أن تكون شكرا للهـ في على العناية والا هتام، و [مشتملة على] الإبانة عن مو قِع دعائه من التبرُّك والتيمنُّن به، الا أن تكون البداية بمعنى يخرُج عما هذا جوابه، فينبغى أن يُجابَ عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك .

الضرب السابع

(من التَّهانِي التهنئةُ بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأوّل _ التهنئــةُ بالبنين .

مما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسُّله .

إنّه ليس من نِعَمِ اللهُ وَفَرائِدِ قِسَمِهِ و إِن حُسَنَ مُوقِعُهَا، وَلَطُف عَمَّلُهَا؛ نعمـةً تَعْدِل النعمة في الوَلَد، لنَائِمًا في العَدَد، وزيادتِهَا في قُوّة العَضَد؛ وما يُتعجَّل من عظيم بَهْجتِهَا، ويُرْجى من باقي ذِكْرِها في الخُلُوف والأعقاب، ولا حق بركتِها في الدعاء والاستِغْفار.

ومنه : إنَّه ليس من النّعم نعمَّةُ تُشيه النعمة في الولد، لزيادتها في قُوّة العَضُد، وحُسْن موقعها في الخَلَف والعَقِب ؛ والتصلّ بي خَبَرُ مولود فسَرَّني ماوصلَ اللهُ به من العارفة إليك، وشَرِكتُك في جميل المَوْهِبَة فيه شَرِكة مَنْ له مالكَ وعليه ماعلَيْك ؛ وسألتُ الله أن يُوزِعَك شُكُر النّعمة و يُؤنسَ بهذا المولُود رَبْعك، و يُكَثِّر به عددك ؛ ويعقّم بركته و يُمْنَ طائرة عليْك، و يَزيد به في النعمة كذلك، و يفعَل اللهُ ذلك، عنه وطَوْله .

وفيه لابي الحسين بن سعد إلى أبي مُسْلِمَ بن بحر يهنِّئه بابنٍ حدَّثَ له :

فَأَمَّا مَاجِدَدَ اللهُ مَنِ النعمة في القادم والموهوبِ لك وَلَدَا وَأَنْسَا، ولنا سَنَدًا وَدُنْوا، فقد جلَّ قدرُ هذه المَوْهِبَة عن أن يُحاط لها بَوَصْف، أو يُوفى لها بشُكر. وفيه لعلى بن خلف :

ويُنْهِى أنه آتَصل بالمملوك بُزُوعُ نَجْم سعد فى مَشارِق إقباله، مُؤْذِن باتِساق سُمُوه وَجَلَاله ، فأحدَث من الجَلَال والاستبشار بَمْقُدَمه ، والتَبرُّك والتَيمُّن بقدمه ، ما تلألاَّتُ على المملوك أنواره ، وحسُنت عنده آثاره ، وسألتُ الله تعالى راغباً إليه في أَنْ يُعرِّفَه سعادة مَوْلِده ، ويُمن مَوْفِده ، ويجعَلَه شادًا لعَضُده ، ومُورِيا لزَنْده ، ويَشْفَعه والسادة السابقين ، نُجباء مُتلاحِقين ، يتَبَلَّجُون فى نِطَاق سعادتِه ، ويُتوسَّمُون فى آفاق سيادتِه ، ويَصُونَ سِلْكَهم من الانفصام ، وشَمْلَهم من الانهدام ، ويبقيهم في آفاق سيادتِه ، ويصُونَ سِلْكَهم من الانهدام ، وشَمْلَهم من الانهدام ، ويبقيهم في آفاق سيادته ، وأقارا في صَفَحات الظّلام ، بنّه وفَضْله ، إن شاء الله تعالى .

وفيه له : ويُنهِي أنَّ المملوكَ يشْكُر الله تعالى على ما أنزلَهُ عِنْد مَوْلانا من عَوَارِفه ، وآختَه به من لطائِفه ، شُكْر مَنْ شاركه فى النعمة المُسْبَغة عليه ، وآنتهى إلىَّ خَبَرُ السَّند المتجدّد لمَوْلانا ، فطار المملوكُ بحَوَافي السَّرور ومَقادِمه ، وأخذَ من الآبتهاج بأوفى قسمه ، وسأل الله تعالى أنْ يُبارِكَ له فى عطيته ، ويُردِفه بزيادته ، ويُوفِّر عدده ، ويشد بصالح الوَلد عَضُده ، ويُعْنيه من هذا القادِم ثمارَ المسَرّه ، ويُريَى عينه منه أقرّ قُره ، ويَشْفَع المنْحة فى مَوْهِبَه بإطالة مُدته .

وفيه: ويُنهِى أنَّ أفضلَ النَّعمِ مَوْقِعا، وأشْرَفَها خَطَرا ومَوْضِعا؛ نِعمةُ الله تعالى في الولد: لزيادتها في العَدَد وقُوّة العَضُد؛ وما يُتَعَجَّل من عِظَم جَمَالها وزينتَها، ويُرْجى من حُسْن مآلها وعاقبتها؛ في حفْظ النَّسب والأصْل، وحُسْن الجِلافةِ على

الأهل؛ وجميلِ الذِّكُر والثَّناء، ومتقبَّل الآستغفارِ والدُّعَاء؛ وقد آتصل بالمملوك بُزُوغُ هلال سماءِ المَجْد، ومتعَلَّق الإقبال والسَّغد؛ فأشرقَتِ الأيامُ بإشراقه، ووَثِقَتِ الآمالُ باجتلائِه وَآتِساقه؛ فقام المملوكُ عن مولانا بشُكْر هذه النعمة المتجدِّده، والمَوْهِبة الراهنة الخالدَه؛ وهنَّأْتُ نفْسِي بها، وأخذت بحظِّي منها؛ والله تعالى يعرَّفُه يُمنَّ المولودِ من أطهر والدة وأطيبِ والد؛ ويُعمِّر به منزله، ويُؤْنس ببقائه رَحْلة؛ ويبلِّغ محبِّيه، من الآمال فيه، مابلَّغهم في الماجد أبيه؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : ويُنْهِى أنَّ نِعِمَ الله تعالىٰ و إن كانتْ على مولانا متظاهِره، ولديه مُتناصِرَه ؛ فقد كان المملوك يرغَبُ إلى الله تعالىٰ فى أن يُجِلِّل الأيام من نَسْله ، بَمْن يحفَظُ عليها شرفَ أَصْلِه ، ويَخْلَفُهُ بعد العُمُر الطويل فى نُبله وكرم فعله ؛ ولَلَّ ٱتَّصل بالمملوك نبأ هـذا الهلال البازغ فى سَمَائه ، المُقِرِّ لعُيون أوليائه ، المخيِّبِ لظُنُون أعدائه ؛ حَمدتُ الله تعالىٰ على مَوْهِبَته ، وسألتُه إقوار نعمته ؛ وأن يُعرِّف مولانا بركة قدمه ، ويُعن مَقْدَمه ؛ ويوقر حظَّه من زيادته ، وسعادة وفادته ، وأن يجعله بَرًّا تقيًّا ، مباركا رضيًّا ؛ ويُفَسِّع فى أَجله ، ويُبكِّغه فيه أمله ؛ إن شاء الله تعالىٰ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

هُنَّتُ بالإسعافِ والإسعادِ * ونَفَاذِ أَمْ فِي العِدَا بنَفَادِ! وبَقِيتَ مَا بِقَ الزِمانُ مَهَنَّا * ووُقِيتَ شَرَّ ثَمَاتِهِ الْحُسَّاد! يا مالكِ الرِّقِ الذِي أَضَىٰ لنا * من جُودِه الأطواقُ في الأجياد! خُلِّدتَ في عَيْش هَنِيٍّ أَخَضَرِ * يَسْطُو بِبيضٍ ظُبًّا وسُمْرِ صِعَاد، حَتَّى يَخَاطَبَك الزَمانُ مُبَشِّرا: * مُتَّعْتَ بالإخوان والأولاد!

جدّدَ اللهُ فى كلِّ يوم له مَسَرّةً و بُشْرى ، وأطابَ لعُرْفه عَرْفا ونَشْرا ، وشَــد له بولده السعيدِ الطلعةِ أَزْرا وأَسْرا ، وسَرّى به الهُمُومَ عن القلوب وأصارَهَا لدَيْه أَسْرى ، ورفَع درجَتَه إلى سماء المَعالى ليُقال : سُبْحانَ الذي بعَبْده أَسْرى .

المملوك يَخْدُم المولى ويهنيه ويشكره ، ويُطلِعه على ماحصل له من الآبتهاج للسبب الذي يُنْهِيه ويذكره ، وهو أنه آتَّصل به قُدومُ المسافر بل إسفارُ البَدر، وظهو رُمْيُونِ الغُرة الذي جاء لأهله بأمان من صُروف الدَّهْم ، وهو الولدُ العزيز الموقق النَّجيب ، فلان ، أبقاه الله تعالى ليَحْيا مشكورًا محمُودا ، منصُورا بسَيف بَجْده وسنان سعده مَسْعُودا ، وأدام عزّه وعُلاه ، وأعلى تَبْه وخلَّد شرَفَه وبهاه ، وضاعف سناء هوسناه ، وأرانا منه ماأرانا من السعادة في أبيه ، فسُرَّ وآبتهج بهذه النعمة غاية السُرور والآبتهاج ، وآتَضح له في شُكر إحسانِ المولى وحُسْن ولده كلَّ طريق ومِنْهاج ، وسأل الله تعالى أن يُطوّل له مُمُرا ، ويجعلة لإسعاد والده وإسعافه ذُنُوا ، ليَرْتَعَا في رياض الدَّعة في صحَّة وسلامه ، ويَجْعلا في فناء العُلا لها دار إقامه ، ويبُلغا من السعادة درجة لا تَريم عالية ولا تُرام ، ويَخْضَع لها الليالي والأيَّام ، ويشقاهما من السعادة درجة لا تَريم عالية ولا تُرام ، ويَخْضَع لها الليالي والأيَّام ، ويشقاهما من السعادة درجة لا تَريم عالية ولا تُرام ، ويَخْضَع لها الليالي والأيَّام ، ويشعام الصَّروف ويَطْعَناهما باستَّتِها ، ويَفْهما دعاء الأيام لها من صدورها ويسمعاه من ألسنتها ، مخاطبة لأبيه ، ومنشدة لسائر أهله وعبيه :

مَدَّ لَكَ اللهُ الحياةَ مَدًا، * حتَّى ترى نَجْلكَ هذا جَدًا

الصنف الشاني _ التهنئــةُ بالبَنَات.

من كلام المتقدّمين.

أبو الحسين بن سعد :

النَّعمةُ نِعْمَانَ : إحداهُما تُعجِّل الأُنْسِ ، والأُنْرِئ تدُّرِ الأجر؛ وعلى حَسَب

مأتُتَاقَى به من الشَّكر على ظاهر المحبوب، والتَّسليم فيا يَحْرِى جَوْى بعض المكرُّوه؛ يكون المتاع عاجِلا، والثواب آجِلا؛ وما قَدَّمتُ القولَ [إلّا] لمَّ ظننته يَعْرض لك من الوُجُوم في هذه الموْهِبَة، في المولُودة التي أرجُو أن يعظَم اللهُ بركتها، ويجعلها أيْن مولُود في عصرها، ودالَّة على سعادة أبيها وجدِّها؛ و [لَئن] كان في الطبع حُبُّ اللهُ كور والشَّغفُ بالبنين، فإنَّ البنين من البنات، وهُنَّ باليمُنْ معرُوفات؛ و بالبَركات موصُوفات، و باللهُ كور والشَّغفُ بالبنين، فإنَّ البنين من البنات، فهناك اللهُ النعمة فيها تهنئمة لاتنقضي موالتقدير شيئًا منها؛ وابقي هذه الصييَّة ممتَّعا أبوها بها، ومُنشأ له الحظُّ من حَدَاثتها؛ و بلّغها أفضل مَبالِغ الصالحات القائتات من أمَّهاتها؛ وجعل في مؤلدها أصدق دليل على طُول عُمر أبيها وسَعادة جَدِّه، وتضاعُف نِمَم الله عنده؛ إنه لطيفُ جَواد ،

أبو مسلم مجمد بن بحر :

مَرْحبًا بِبُر النِّساء، و بِكر الأوْلاد، وعَقِيلة الحِباء، والمأمُولة للبركة، والمشهورة بالمُرْت؛ وقد جَّربناه فوجدناه معْهُودًا مسْعودًا؛ والله يعرِّفُك أضعافَ ماعَرَف مَنْ قَبْلك، ويُباركُ لك فيا رزَقَك ؛ ويُتَنفِّى لك بأخ المولودة و يجعَلُه رديفَها، وفي الخير قريتَها وشريكها .

علىّ بن خلف :

ويُنْهِى أَنَّ الْمَلُوكَ آتَّصُل به آرْتِمَاضُ مُولانا بَمَقْدَم الكريمـةِ الوافِده، بطـالع السـعادةِ المتجدِّدَه ؛ فعجِبَ المملوكُ من وُقُوع ذلك مِن مثل مَولانا مع كمال نُبْله،

⁽١) المراد به التضييق انظر القاموس .

^{﴿ ﴿ ﴾} الله علقه وعائم أأنبساطه .

وَشَرَفَ عَقْلُهُ وَعِلْمُهُ ، فإِنَّ الله تعالَىٰ جلَّ اسمُهُ يقول : ﴿ يَهَبُ لَمَنْ يَشَاءُ إِنَانًا وَيَهَبُ لَمْنَ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴾ وإِن ما جدّده الله تعالىٰ من مواهِبه جديرً أن يُتلقى بالسّرور والفَرَح ، لابالاستياء والتَّرَح ، لاسيًّا والذَّكُ إنما يتفَضَّل علىٰ الأنثىٰ بَعَابته ، لا بحليته وصُورته ، وقد يَقَع في الإناثِ مَنْ هو أَشَرُفُ من الذكور طَبْعا ، وأَجرَلُ عائدةً ونَفْعا ، وقد رُوى أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : و إذا رُزِقَ العَبْدُ الأَثْنَىٰ الدىٰ مناد من السماء : ياأهل الدار أشرُوا بالرِّزْق ، وإذا رُزِق ذكرًا نادىٰ مناد من السماء : ياأهل الدار أشرُوا بالعِزِّ ، فليستقبل مولانا الرِّزْق بالشَّكْرِ فإنَّ العِزِّ يَتْبَعه ، من السماء : ياأهل الدار أشرُوا بالعِزِ " فليستقبل مولانا الرِّزْق بالشَّكْرِ فإنَّ العِزِّ يَتْبَعه ، ولا يستقلُّ شيئا من هَبته ، والله تعالىٰ يُعرِّفه يُمْن ولا يعارضُ الله تعالىٰ يُعرِّفه يُمْن عَمْودها ، وسعادة قُدُومها ، وأن يُسَرّه بعدها بإخوة متتَابعين متلاحقين ، يؤيِّدُون أَمْرَه ، ويُحيُون بعد العُمُر الأطول ذكرة ،

أبو الفرج الببغاء :

لوكان الإنسانُ متصرّفًا في أمره بإرادته ، قادرًا على إدراك مَشيئته ؛ لبطلت دلائل الْقَدْره ، واستحالَت حقائق الصّنعه ؛ ودرسَتْ معالمُ الآمال ، وتساوى الناسُ ببلُوغ الأحوال ؛ غير أنّ الأمر كمّا كان بغير مشيئته مَصْنُوعا ، وعلى ماعنه ظهر في الا بتداء مَطْبوعا ؛ كان الحُثور له إلى الوُجود من العدم ، في الرّبَضاه له غير مَتَهم ، في الا بتداء مَطْبوعا ؛ كان الحُثور له إلى الوُجود من العدم ، في الرّبَضاه له غير مَتَهم ، ومولانا وأيده الله مع كال فضله ، وتناهي عقله ؛ وحِدّة فطنته ، وثاقب معرفته ، ومولانا أيده الله مواقع النّعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخّط مواهب الصادرة إليه ؛ فيرمُقها بنواظر الكُفْر ، ويشلُك بها غير مذاهب الشكر .

وقد ٱتَّصلَ بالمملوك خبَرُ المولودة كَرَّم الله نُخَرِّتها ، وأطال مُدِّتَها ؛ وعَرَّفَ مولانا البركة بها، وبلَّغه أملَهُ فيها؛ وماكان من تغَيَّره عند ٱتِّضاح الخبَر، و إنكارِ ما آختارَه

له سابقُ القدر؛ فعجبَ المملوكُ من ذلك وآسَنْنكره، من مَولانا وأنْكره؛ لبضيق العُذْر في مثله عليه ، وقد علمَ مولانا أنَّهُنَّ أقربُ إلى القُلوب، وأنَّ الله تعالى بدأ بهِن في الترتيب فقال جلّ من قائل: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لَمْنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴾ في الترتيب فقال جلّ من قائل: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لَمْنَ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴾ وما سَمّاه الله هبةً فهو بالشَّكر أولى، وبحُسْن التقبُّ ل أخرى ؛ ولكم نسب أفدن ، وشرف آستَحْدَثن ؛ من طُرق الأصهار، والاتصال بالأَخْيار، والملتمسُ من الذكر بجابتُه ، لاصورتُه وولادته ؛ ولكم ذكر الأُنثى أكرمُ منه طَبْعا ، وأظهرُ منه نَفْعا ؛ فولانا يُصورتُه وولادته ؛ ولكم ذكر الشَّكر على ماوُهِبَ منها ؛ ويستأنف الاعتراف في فولانا يُصورتها ؛ ويجدِّدُ الشَّكر على ماوُهِبَ منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى .

الصنف الشاكث _ التهنئة بالتَّوْم .

أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ مَن ذلك قُولُ بعض الشَّعراء مما كَتب به إلىٰ بعض أصحابِه، وقد وُلِد له ذكرُّ وأُتُثىٰ من جاريةٍ سوداء، وهو قوله :

وخَصَّكَ رَبُّ العَرْشِ منها بَتَوْءَم * ومِنْظُلُماتِ البَحْرِ نُسْتَخْرَجُ الدَّرَرِ! واركَ أضْمَىٰ وارتًا عِـــلْمَ جابِرِ * فأعطاكَ من ألْقابه الشَّمْسَ والقَمَر!

الأجوبة عن التهنئة بالأولاد

قال في وممواد البيان ": أجوبة هذه الرِّقاع يجبُ أن تُبنَىٰ على شُكْر آهتهامِ المُهنَّى ورعايَتِه، والاعتداد بعنايتِه، وأنَّ الزيادة في تجدد المهنَّى [به] زيادة في عَدده، وأن نصيبة من تحرُّك السرور فيما يخلُص إليه من المَواهب كنصيبه: لتناسُبِهما في الإخاء، وتوافيهما في الصَّفاء، وأن تراعىٰ مع ذلك مرتبة المَهنَّى والمَهنَّى، ويبنىٰ الخطاب علىٰ ما يقتضيه كلُّ منهما .

زهم الربيــع:

ويُنْهِى ورودَ الكتابِ الذي تَشرَّف المسلوكُ بُورُوده ، وأشرقَتِ الأَيَّام بكال سُعُوده، وأرغَمَ ببلاغته مَعْطِسَ مُناوِيه وحَسُوده؛ فشكَرَ أيادِيَ من أنْهم بإرساله، وآكتسىٰ بالوُقُوف عليه حُلَّة من حُلَل خَفْره و جَمَاله ؛ و بالغَ في إكماله، حتَّى وقفَ إجلالًا له بين يَدَيْه ، ثم تلا آيات حُسنه على أُذُنَّيْه ، فوجده مشتملا على إحسان لمُيْسِقُه إلىٰ مثلِه أَحَد، ومِنَنِ أُودَعها فيه فلا يُحصيها حَصْر ولا عَدَد؛ فَهَيَّج بُورُوده رَسِيسَ الأشْواق، وتَقَلَّد بإنعام مُرْســله كما قُلِّدت الحمــائمُ بالأطْواق، ووجدَ لَوْعَةً لا يُحْسَـن وصفَها لسانُ اليَراع في الأوْراق ؛ وعلم ما أشارَ إليــه المَوْليٰ من التهنئة بالوَلَدُ الجديد، بل بأَصْغَر الخَـدَم والعَبِيد؛ وما أبداه منَ الآبتهاج لِميلادِه، وأظهره من التَفَضُّ لل مِكُونُ الأمرُ كَذَلك من المُعروفِ من آبائِهِ الكرامِ وأَجْداده ؛ ولمَ لا يكونُ الأمرُ كذلك والوالدُ مملوكُه ، وهو مملوكُ السادة الأجلَّاء أولاده؛ حَرَس الله عَجـــَدَه ومَّتعه بَتُوب مَكَارِمِه، وَخَفَص قَدْرَ مُحَـارِ بِهِ ورَفَعَ كَلَّمَةً مُسالِمَه ؛ ولا زال مَــَاليُّكُه تَتَرَيَّد تزيَّد الأيَّام، وسـعادتُه باقيةً بقاءَ الأعوام، وعينُ العنايةِ تحُرُسه في حالَتَي السفرِ والْمُقَّام؛ إن شاء الله تعالى .

الضرب الثامن (من التهانى التهنئة بالإبلال من المَرَض والعافية من السَّقَم) فن ذلك :

ويُنْهِى أنه مازالَتْ أجسامُ أهل التَّصافِى، تَشْتَرَكُ فِى الأَسْقَامِ والعَوَافِى، كَمَا تَشْتَرَكُ أَنْفُسُهم فِي التخالُص والتَّوافِ ؛ ولَكَّ أَكَمَّ بمولانا هــذا الأَكْمُ الذي تفضَّل الله تعــاليٰ

إِماطتِه، ومَنَّ فِيه على السَّوْدَد بحِراسةِ مولانا وحياطَتِه ، فَرَائِتُه حالًا فى جَوارِحى، مُحَرَّقاً لَحوانِحى ، ممازِّجا لأعضائِى ، مَمَّلَكا لأنوائِى ، ولئن كنتُ قد تَحَلْت من ذلك عبّا ، وارتقَیْت من تَحَلّه مُرتقی صَعْبا ، فلقد نَفَرْتُ بَمَاسَتِه ، وأحَدْتُ طبعی علی مُشَاكلته ، وشكرت الله تعالی إذ جعَلَنی شُعْبة من سَرْحتِه ، وجبِلّة من طینتِه ، وعلی ماسر به من إقالتِه و إنعاشه ، ومُصافاتِه و إبشاشِه ، وسألتُ الله تعالی أنْ ببقیه نُورا مُوضِّع مَعْرِبَ الدَّهر ومَشْرَقه ، ودُرًّا يُرضِّع قَوْد الحُبْد ومَفْرقه ، ويُحْسن الدِّفاعَ عن حَوْ بائه ، وهو سبحانه يُجِيب ذلك و يتقبّله ، ويرفَعه و يشمَعه ، إن شاء الله تعالى .

وله في مثـــله :

المملوكُ يُهَنَّ مُولاه خاصَّةً إذ جعله الله تعالى من صَفْوة أوليائِه، وخالِصة أحبَّائه؛ الذين يبتليهم آخْتبارا، وينتآبهم آخْتيارا: ليجمع لهم بين تمجيص وزْرهم، ومضاعَفة أجرِهم، والحضِّ على طاعته، والآنصراف عن معصيته، ويُهنِّ الكاقة عامَّة بالموْهِبة في نُوره المُطلِعة لاملِ الإقبال، المُرْويَة لمَاحِل الآمال، ثم أعطفُ على حمْد الله في نُوره المُطلِعة لاملِ الإقبال، المُرْويَة لمَاحِل الآمال، ثم أعطفُ على حمْد الله على مامن به من إبلاله، ويَسَره من آستِقُلاله، والرَّغبة إليه في أن يمنحه صحة تُحَلَّد وتُقيم، وعافية تَرْهَن ولا تَربِم، وأن يحيه من عوارض الأسْقام، ويصُونه من حوادثِ الأيَّام، بفَضْله وجُوده، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج الببغاء :

أَفْضُلُ مَا يَفْزَع إليه العبدُ المُخْلِص، والمَوْلَىٰ المُتخَصِّص، فيما يَنُوبُ سيِّدَه ويُهِمُّ وَلِيَّ نعمتِه، الدعاءُ المقترِن بصدْق النيه، وصَفَاء الطويَّه [فالحمد لله الذي منَّ بالصحَّة] وتصدُّق بالإقالة، وتدارك بجيل المُدافَعة؛ وعَمَّ سائرَ خدَمِه أيَّده الله بالنَّعمه، وأعاده

⁽١) كذا في الأصل وُلعله لأحشائي أو نحو ذلك .

إلى أجمل عاداتِه من السلامة والصِّحَه، فائزا بمُدَّخَر الأَجْر، متعَبِّدًا بمستأنف الشُّكْر؛ فلا أخلاه الله من زيادة فيما يُولِيه ، ولا قصَدنا بسَمَاع شُوءٍ فيه ؛ وحَرَّس من الغير مُهْجته، ومن المحذُور نِعْمَتُه .

وله فی مشــله :

ما كنتُ أعلم أنَّ عافِيتِي مقرونَةٌ بعافِيتِك، ولا سَلاَمتِي مضافةٌ لَسَلاَمتِك، اللهُ أن تحقَّقْت ذلك من مُشارَكتي إيَّاك في حالتي الألم والصِّحه، والمرض والمِحْنه، فالحمدُلله الذي شَرَّف طبعي بمناسَبَتك، وبَحَل خُلُق بملاَءَمتِك، فيما ساءَ وسَرّ، وإيَّاه تعالىٰ أشكر على ماخصَّني به من كال عافيتك، وسُبُوغ سلامتِك وسُرْعة إقالتِك، وسبوع سلامتِك وسُرْعة إقالتِك، وبه _ جلَّ اسمه _ أثِقُ في مَزيدك من تظاهر النَّعم، وتوقَّر القِسَم.

وله فی مثـــله .:

ولولا أنَّ متضَمَّن كتابك قرَن ذكر المرض الهاجِم عليك، بذكر ما وهبه الله لك من عَوْد السلامة إليك؛ لما آقتصَر بى القلَقُ على [ما] دُون المسير نحْوَك، والمبادرة لمشاهدَتِك؛ غيرأنَّ السُّكون إلى ماأدًاه كتابُكسابق الجَزَع، والطَّما ثينة إلى ماوهبه الله من كِفَايتك حالت دُون الهَلَع؛ فالحمدُ لله الذي منّ بالإقالة، وتصدّق بالسَّلامة وعمَّ بالكِفَاية؛ وهو وليُّ حِراستي فيك.

وله فی مثـــله :

سيَّدُنا في سائر مايذ كُره اللهُ من هُجُوم أَلَم مُؤْذِن بصحَّه، وَآعتراض عُمنة مؤديَّة إلىٰ منْحَه؛ مَرْمُونَّ بالعافيه، محروش من الله جلَّ آسمه بالحفظ والكَلَاءة؛ فهو مع العلة فائزُ بذخائِر الأَجْر، ومع العافية موقَّقُ لاَ سستزادة الشَّكر؛ فالحمدُ لله الذي عقدَ الكَرَم ببقائه، وشفىٰ مرضَ الآمال بشِفَائه؛ وكفاه آعتراضَ الخُوف، وعَوَارضَ الصَّروف.

وله فی مثـــله :

ماً أنفردَ جِسْمُك بالعِلَّة دُونَ قَلْى، ولا ٱختصَّت نفْسك _ حرسها الله تعالى _ بُعاناةِ المرَض دُون نَفْسى؛ ولم أزل بالقلْب تالِيا، وفى سائر ماشكوتَهُ بالنّية مُساوِيا؛ إلى أنْ كَشفَ الله الغُمَّه، وأقال العَثْره، ونَفَّس الكُرْبه؛ ومَنَّ بالسلامه، وتصَدِّق بالكِفايه؛ وأوجب بالعافية علينا جميعًا فُروضَ الشكر، بعد ما ادَّخَره لك بالألمَ من كثرة الأجر؛ فالحمد لله على ذلك حمدًا يؤدّى إلى حراسة ماخَوَلك، ويُؤذِن بالمَزيد فيا منحك ،

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَىٰ الله قدرَ الحناب الفُلَانِي، ولا زالتْ شُمُوسُ أيامه لاتخَافُ كُسُوفا ولا أُفُولا، وأَهَارُ لِيالِيه تَغْرِس في قلُوب أوليائه ومحبِّيه فُروعًا وأصُولا .

المُلوكُ يَغْدُم خدمةً مَنْ تَحْمَل جميلا، ونال من تَفَضُّل الجناب الكريم جزيلا .

ويُنْهِى ما حصل له من السرور بعافية مولانا، فالشكُر لله على ماجدد من النّعمة التامّه، وسَمِح به من الكرامة العامّه؛ حين أعاد البَدْر إلى كَاله، والسَّرور إلى أَتَمّ أحواله؛ وماكانتْ إلا غَلْطَة من الدَّهْم فاستَدْركها، وصَفْقة خارجة عنيده فُلِّكها؛ فقرّتْ بذلك العُيون، وتحقّقت في بُلوغ الأمل الظَّنون؛ وآنجبر قلبُه بعدما وهن، وعاد جَفْنه بعد الأرق إلى الوسَن؛ وقال: ﴿ الحمدُ للهِ الذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَن ﴾ وقاد كان يَتْ المُلوك لو فاز من الرَّوْية الشريفة بحظّ السمع والبَصَر، وتملى بمشاهدة وجهه الكريم فإنَّ فيه البُغية والوطر،

والمملوك في يُعدّ نفْسَه إلا من المحبين الذين بذَلُوا نُفُوسَهم لمحبته وأَعَدُّوها ؛ والله تعالىٰ يسُرّ الأولياء بتضاعُف سُعُوده ، ويُديم بهجة الأيَّام بميمُون وُجُوده ؛ ويُطيل

فى مدّته ويحُرُسُها من الغِير، ويحرُس أحوالَ مِزَاجِه الكريم على القــاُنُون المعتّبَر، ويكُفِى أولياءَه ومحبّيه فيه كلّ مكروه وحَذَر؛ إن شاء الله تعالىٰ.

من زهر الربيع :

ولَتَّ شَكَوْتَ، ٱشْتَكَىٰ كُلُّ مَا * عَلَىٰ الأَرْضِوَاهَتَرَّ شَرْقُ وَغَرْبُ! لِأَنَّكَ قَلْبُ إِلْمَانِ * وَمَاضَعٌ جِسْمٌ إِذَا ٱعتَــلَّ قَلْبُ!

حرسَ الله جَنابَه ، وأسبَلَ عليه رِداء السعد وأثوابَه ، ومتَّعه ببُرود العافية وجِلْبابِها ، وفتح له إلى نَيْل السعادة سائر أبوابِها ، ومنَحه الكِفايَة والأمْنَ في سِرْبه ، والعافية في جِسْمه من قَلَق كلِّ مرَضٍ وكَرْبه ، وجمع له بين النَّواب والأَجْر ، وجازاه بجزيل النُفران عن جميل الصَّبْر .

المملوك يَبَشِّر نفْسَه ومولاه بما مَن الله به من صِحَّة مِزَاجه الكَرِيم، والإبلالِ من مرض كاد يُدير كُتُوس الحَمَام على كلِّ صديق حَمِيم ، ويحمدُ الله على عافيته حمدًا جزيلا، ويشكُره عليها بُكرةً وأصيلا ، فإنّه قد عُوفي لعافيته المجدُ والكَرم، وزالَ عنه إلى أعدائه الأَلَم ، فالمولى حفظ الله صِحَّته من السَّقَم، وحماهُ من أَلَم أَلَم ، وجعل سعادته تتزايدُ على مَمَر الأنفاس، وجسدَه سالما من الأذى كسلامة عرضه من الأدْناس ، وان شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقىٰ الله من الأسواء شَخْصَه الكريم، وشَمْلَهَ النَّظِيم؛ وقلْبَ محبِّه الذي هو في كلِّ وادٍ مِن أوديةٍ الإشفاق يَهِيم .

⁽١) لعله حفظ الله على المولىٰ صحته الح .

ولا زالت الصحة قرينَه حتى لايعتَلَ في منازله غيرُ مُرور النَّسيم . ويصفُ شوقا يَزِيد بالأنفاسِ وَقْدا ، ويجَدّد للا حشاءِ وَجْدا ، ويباشِرُ القلبَ المُغْرَم فيمَدّ له من عذاب الا نتظار مَدًا .

أَلَا لَيْتَنِي حُمَّلْتُ مَا بِكَ مَن ضَنَّى * عَلَىٰ أَنَّ لَى مَنْهُ الأَذَىٰ وَلَكَ الأَجْرِ!

ثم لَطَف الله تعالى وعبَّل خَبر العافية المأموله ، والصحة المُقْبِلة عَقِيبَ الدَّعوات المقبوله ؛ فيالها مسَرَّة شَمَلتْ ، ومبَرَّة كُلت ؛ وتهنئة جمعتْ قلوبَ الأودّاء وجمَلتْ ، وأعضاء فَدَثْها عُيونُ المَها فنقلَتْ عنها صفاتِ السِّقام وحَملَتْ ؛ وعافية حوَّلتْ إلى قلوب الأعداء المرض ، وجَوْهَ جسد طاهر زال [عنه] بأس العرض ؛ فهنيئاً له بهذه الصحة المتوافرة الوافيه ، والحمد لله ثم الحمد لله على أنْ جمع بين حُصُول الأجرِ ووصُول العافيه ، وعلى أن حفظ ذاته الكريمة وحفظها هو المقدّمة الكافية الشافيه :

وتقاسمَ الناسُ المسرَّةَ بينهم * قِسَّمًا فكانَ أجلُّهم قِسْما أنا!

والله تعالىٰ يُشبغ عليه ظِلَال نِمَمِه، ويحفَظُه حيثُ كان في نَفْسِه وأهلِه وخَدَمِه، وَيَحْفَظُه حيثُ كان في نَفْسِه وأهلِه وخَدَمِه، وَيَحَالَ سُرَّهم بِعِيَان مَقْدَمه .

 ⁽١) في الأصل قيدتها ولا معنى له

أجوبة التهنئة بالإبلال من المرض والعافية

قال فى ووموادّ البيان ": أجوبةُ هـذه الرِّقاع يجبُ أن تكونَ مبنيَّةً على وصف الأَلَم وصُورته وما تفَضَّـل الله تعالىٰ به من إمَاطتِه، وشكر المهنِّى بَاهتمامه وعِنَايَتِه.

وهذه أمثلة من ذٰلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمتَه ، وشكر مِنَّته ، وأدالَ دَوْلَتَه ، وأعلىٰ قَدْرَه وكامتَه ، وحَمَّم علىٰ الأاسنة شُكْرَه والقلوب محبَّنَه . ولا زالت النهاني من جهته وا فده، والبشائرُ واردّه .

ويُنْهِى وُرودَ الكتاب الذى أعدّتُه يُد المَعالى فعادَ كَرِيمَ، وشاهدَ حُسْنَ مُنظَرِه فصار وجْهُه وَسِما، وأنه وقَفَ عليه، وأحاط عِلما بكلّ ماأشار المَوْلى إليه، فذكّره أنساكان بخِدْمتِه لم يَنْسَه، وجدّد له وَجْدا ما زال يَجِدُ فى قلبه ونَفْسه عينه ونفسه ، وفَضَائله المرقومةِ فى صَـفَائحِ الصّحائف المسطُوره ، وفَضَائله المرقومةِ فى صَـفَائحِ الصّحائف المسطُوره ، ماشنّف به وشَرّف ، وشوّق إلى لقائه وشوّف ، وأقام البُرهانَ على ذَكِى فطنته ، وزكى فطرته ، وعلَم ماأنم به وتفضّل ، وأحسن وتطوّل : من تهنئة المملوك بالإبلال من مَرضه ، والبُرء من سَقَمه ، والتخلُّص من يدى وجعه وألمه ، وسُرورود كريم من مَرضه ، والبُرء من سَقَمه ، والتخلُّص من يدى وجعه وألمه ، وسُرّبورود كريم مُشرّفته ، أعظم من سُروره بلباس توب عافيته ، وبدوام تجده وسعادته ، أكثرَ من مُصَّة من المُوره ، بلباس توب عافيته ، وبدوام تجده وسعادته ، أكثرَ من في القلوب من الأحداق الناظره ،

فالحمدُ لله الذي مَنّ بالعافية من ذلك المَرَض ، والداءِ الذي أَلَمَّ بَعرَضَيْه فاحتوىٰ منهما علىٰ الحوْهر والعَرَض ، وطالَ حتّٰى أَسَامَهُ من نَفْسه وُعُوّاده ، وآيَسَه من الحياة

لولا لطفُ اللهِ واللهُ لَطِيفُ بِعِبَاده ؛ وهـذا ببركة المولىٰ ودعائه الذي كان يُرْفَعُـه ، والحواطِرُ والأسماعُ مع بُعْد الشَّقَّة تشْهَد به وتسْمَعُه ؛ جعل الله التهانِيَ مع الأبد واردةً منه و إليه، وشكرَ إنعامَه وأتَمَّ نعمتَه عليه؛ إن شاء الله تعالىٰ .

قلت : وكتبتُ للقرّ العلائيّ علاءِ الدين الكَرَكَىّ وهو يومَيْذَكَاتبُ السِّرِّ الشريف في الدولة الظاهريَّة «برقوق» في سلطنته الثانيةِ، وقد بَرأ من مرض نظا :

أَفْدِيهِ مِنْ جَسَدٍ قَدْ صَعَّ مِن سَقَم * فَبَاتَ جَوْهَرُهُ خَالٍ مِن العَرَض! فاستَبْشَرتْ بعَلَى القَوْمِ شِيعَتُه * ومات حاسـدُه بالسَّقْم والمَرَض!

الضرب التاسع (التهنئـــةُ بَقُوب المَـــزَار)

الشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

قرَّب اللهُ مَنَ اره ، وأَدْنَى جِوَارَه ، وأعانَ أعوانَه ونَصَر أنصارَه ، ولا زالتِ الأَنْفُسُ لُقُرْ به مَسْروره ، ورآياتُ مُجْدِه فى الملإ الأَمْليٰ وأحراب الإسلام بهيبَتهِ علىٰ اعداء الدِّين مَنْصُوره ،

المملوكُ يَقبِّل الباسطة العالية بسَطَ اللهُ ظِلَّها، وشَكَرَ على الأولياء فَضْلُها، ويُنْهِى أنه آتَصل به طَيِّب أخباره ؛ وقُرْبُ مَزَاره ؛ فتَضاعفَ شَوْقه، وتَزايد تَوْقُه ؛ وهيَّجتْ صَبَابتُه لاعجَه ، وسَمَّلتْ إلىٰ نَيْل المَسرَّة طُوْقَه ومَنَاهِجَه :

وأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوقُ يَوْمًا * إذا دَنَتِ الدِّيارُ مِنَ الدِّيَارِ!

فاللهُ يقرّبُ من أمَدِ التَّلاقِي بَعِيدًا، ويجعَلُ رِداءَ الآجتاع بخِدْمته قَشِيبًا جَدِيدًا.

الضــــرب العــاشر (التهنئـــةُ بنزول المنــازل المستَجِدّة)

فمن ذلك [من إنشاء] على بن خلف :

أَشَرَفُ الْمَنَازِلُ رُقْعه ، وأَتْرَفُها بُقْعه ، وأرَفَعُها رفعه ، ما آتخذه مُولانا لنفسه مؤطناً ، وجَعله بنزُوله فيه حرماً آمِنا ، وصيَّره بُخْصِب مكارمه للعُفَاة مَرَادًا ومَقْصدا ، وبُعْذَبِ نوافِله للظَّاة مَشْرَعا ومَوْرِدا ، وللسُّؤدَد بجده مَعْقلا ، وللرِّياسة بشَرَفه مَنْزِلا ، والله تعالىٰ يجعَلُ هذه الدارَ التي تدَيَّرها وحلَّها ، وحطَّ بها رحْله ونزلها ، مأهولة بقائه ، آنسة بسُبُوغ نَعْائه ، عامرة بسعادته ، مَشِيدة بتناصُر عِزِّه وزيادتِه ، لاتُخْطِئها عومائم الآمال ، ولا نتخطَاها ديمُ الإقبال ، ويُعرِّفُه من بركتها ، ويُمْنِ عَتَبتها ، ما يقضى بامتداد الاجل ، وأنفساح الأمل ، وبلوغ الأماني ، وأتصال التَهاني ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهِي أنه قد آتَصل بالمملوك تحوَّلُ مولانا إلى المنزل المنشَّ الحديد، ذي الطالع السحيد، والطائر الحميد؛ فسألتُ الله تعالى أن يُبوَّلَه منه المُبوَّ الكريم، ويمتِّعه فيه بالدَّعَة والنَّعيم؛ والنَّماء والمَزيد، والعَيْش الرَّغيد؛ ويجعَله واصلًا لحبْله، مأهولًا بأهله؛ ويعرِّفه بركة عتبته، ويُملِّيه بَهائِه وَنضَارته؛ وحصل للملوك السُّرور بأن بلَّغه الله الوَطَى، في سُكنى ماعَمَر؛ وأنالَه الأمل والالتذاذ بخِدْمته، والسُّرور بافتضاض عُذْرته؛ إن شاء الله تعالى .

ومر_ ذٰلك :

مولانا ـ أمتع الله بوجوده ـ غنى عن الهَنَاءِ بمْنْرِلِ يَبْرِله ومَحَلِّ يُحُلُّه ، إذِ الله ســـبحانَه وتعالىٰ قدكَثَّر أوطانَه وآذَرَه ، و بلَّغه فى تمــامٍ عِمارَتها وآنفِساحها وطَرَه ؛

وخصّه بافضلها مَعَانا ، وأشرفها مَكَانا ؛ والمستوجِبُ فى الحقيقة للهَناء هو الموضع الذى آختاره دَارَا ، وآرتضاه مستَقَرًا ؛ وعرَفَ المملوك آنتقاله _ لازال يتنقّلُ فى بُروج السّعْد، ويأوى إلى ظلّ ظليل من المجدْ _ إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشَمْله ، مانوسة بأهله ؛ فعدَلَ عن خدمته بالهناء ، إلى إخلاص الدُّعاء ، بأن يعرِّقه الله تعالى مأنوسة بأهله ؛ فعدَلَ عن خدمته بالهناء ، إلى إخلاص الدُّعاء ، بأن يعرِّقه الله تعالى مُنهَم وبركتها ، ويُري ها إقباله وسعادتها ؛ ويَقْرُنَ تحوَّله إليها بأيْنِ طائر ، وأبرك طالع ؛ فإنَّ للحركات أوقاتاً مجودة ومَدْمومة : فإذا آعتنى الله تعالى بعبد من عبيده ، وفرض له نصيبًا من تأييده ؛ وفقه للحركة فى الزَّمَن السعيد ، والوقت الحميد ؛ لتكون مصايره مُشاكلةً لمباديه ، وأعجازه مشاجهةً لمواديه ، والله تعالى يجعَل بابها محطًا للقطّاد ، ومناحًا للوقاد ، ومَن ارا للعَفَاه ، وملاذا [للعناه] ويصل بها حبله ، ويُنشى بها طفله ؛ ويضاعف باستيطانها أنسه ، ويسر بتبَوَّهُا نَفْسَه ؛ إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج الببغاء :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما آستوطنه أيّده الله وتبوّاه، وتخيره لنفسه وآرتضاه ، فغدا بشخصه وطَرَ الإقبال ، وبفائض كَرَمه حَمَ الآمال ، وبشَرفه للشَّودد مَعْقلا، و بُنبُ له للرِّياسة مَثْزلا ، فعرفه الله يُمنَ هذه الدار المعمورة بحُلُول السَّود مَعْقلا، و بُنبُ له للرِّياسة مَثْزلا ، فعرفه الله يُمنَ هذه الدار المعمورة بحُلُول البركات ، المحفوفة بتناصر السَّعادات ، وجعلها وكلَّ رَبْع يقْطُنُه ، وعملٌ يسكنه ، مَشَرا بالمعمود بقائه ، وآهلاً بالرِّيادة في نَهْائه ،

وله في مثـــله :

كُلُّ وطن يُحُلُّه _ أيده الله _ ويقطنه، ومحلِّل يَتَخَيَّره ويْسُكُنه ، مقصودُ بالشَّكر والثناء، آهِلُ بالحمدِ والدَّعاء؛ لا يتخطاه مُتوارِدُ الآمال، ولا تنقطع عنه موادُّ الإقبال؛

⁽١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام ٠

ولذلك صارهذا المنزل السعيدُ من فضائلِ الأرض وعاسِنها، ونُجَعَ الآمالُ ومَعَادِنها، فعُرَفه الله يُمنه و بركته، وإقباله وسعادته ، وقرن النقاله إليه باسبَع نِعْمه، وأكمل سَلَامة وأبسط قُدرةٍ وأعلى رُتْبه .

وله فی مثـــله :

عرَّفه الله [من] بركة هذا المنزل المَوْرود، والفناء المقصُود، ما يُوفِي على سالف ما أولاه من تكامُل البركات، وتناصُر السَّعادات، وجعل مستقرَّه فيه مقْرونًا بنُمُق الحال، وثنابُع الإقبال، في أفسَج المُدد وأطولها، وأنجَح المطالِب وأقضَلها، وعمُر (١) أوطانَ المكارم بإقباله، وعَضَد الأمانيَّ بأتِّساع نَعْائه .

أجوبة التهنئة بقُرْب المَزار، ونُزول المنازل المستجدّة

قال فى "مواد البيان": أجو به هذه الرِّقاع يجب أن تُبني على الاعتداد للهني بتعهَّده، والشكرله على تَوَدَّده؛ والابتهاج بهنائه، والتبرُك بدعائه، وأن المستجد غير مباين لمنزله، ولا خارج عن أحكام محله، وأنَّ تمامَ بركته، أن يُؤْنِس فيه بزيارته، وما يُشابه هذا .

الضرب الحادى عشر (نُوادِر النَّهَانِي، وهي خمســـةُ أصـــناف)

الصنفُ الأوّل _ تهنئـــةُ الدِّميّ بإسلامه .

فمن ذٰلك ماأورده أبو الحُسَين بن سعد فى ترسُّله ، وَهُوِّ :

وما زالتُ حالُك مُشَّلةً لنا حميلَ ما وهبَ اللهُ فيك حتى كأنَّك لم تَزَلَ بالإسلام مَوْسُوما، وإنْ كنتَ على غيره مُقيا، وقد كُنَّا مؤمِّلين لَكَ صرْتَ اليه، ومُشْفقين لك

⁽١) لعله بيقائه ليئاسب السجع الذي بعده .

مَا كُنْتَ عليه؛ حتى إذا كَادَ إشفاقُنا يستَعْلَى على رَجَائِنا، أتتِ السعادةُ فِيكَ بما لم تَزلِ الأَنْفُسُ تَعِدُ منك ، ونسأَلُ اللهَ الذي نورَ لكَ في رأْيِك، وأضاءَ لك سبيلَ رُشْدِك، أَنْ يَوَهِّلك لصالحِ الأعمال، وأَنْ يؤتِيك في الدنيا حسنةً ويَقيَكَ عذابَ النارِ.

ومن ذٰلك، من كلام أبى العَيْناء :

ولتَهْنِئْكَ نِعِمْةُ اللهِ عليك فى أُخُوَّة المهاجِرِين والأنصارِ والتابعين بإحسان ؟ والحمدُ لله الذي فَوَّزَ قِدْحَك [وأ] على كَعْبك ، وأنقذَ من النار شِلْوك ، وخلَّصَك من لَبْس الشَّك ، وحَيْرة الشَّرْك ، فأصبحت قد استبدلت بالأديارِ المساجد ، وبالآحادِ الجُمّع ، وبقبْلة الشام ، البيتَ الحَرَام ، وبتَحْريف الإنجيل ، صِحَّة التنزيل ، وبأوثانِ المشركين ، قبْلة الموحِّدين ، وبحُمُ الأَسْقُفِّ رأسِ المُلْحِدين [حكم] أميرِ المؤمنين وسيِّد المرسلين ، فهناك الله ماأنعَم به عليك ، وأحسنَ فيه إليك ، وذكرك شُكرة ، وزادك بالشَّكُر من فَضْله ،

أجوبة التهنئة بإسلام ذمى

قال فى وموادِّ البيان ": أجوبةُ هذه الرِّقاع ينبغى أن تكونَ مبنيَّة على شكر المهنَّإ للهَنِّى، واعترافِه بنعمةِ الله تعالىٰ عنده، والبهاجِه بمازَجتهِ فى الدِّين، الذى جعل اللهُ أهـلهُ إخوانًا متصافِين، وخُلَّانًا متوافِين، ومَنَّ عليهم به، وبإماطةِ الحسائِفِ من قلوبهم، ونحوهذا م

الصنف الشانى _ التهنئة بالختان وخروج اللِّحية .

فن ذلك تهنئةً لأميرٍ بخِتَان ولدَّيْن له :

فَن خَصائِصِ ما حَبَاه اللهُ بعدَ الذي قدّم له في نَفْسه _ نَفْس الله مُدّتَها ؛ ووسَّع له مُهْلتها ، وأفنىٰ الأعدادَ دُونَ فَنائِها ، والأعمارَ دُونَ تصرُّمِها وٱنتهائِها : [من] الفَضَائل

⁽١) الحسائف جمع حسيفة وهي الضغينة والسخيمة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف ٠

المشهوره، والمحاسن المدكوره؛ والمّناقب المأثُوره، وأقسام الفضــل الذي يَنْقضي دُونَ تَصرُّم(؟) منازله وصْفُ الواصف إذا أفْرطْ، وينتهي دون أيْسرها أملُ الآمل إذا ٱشتَطَّ ــ ما وهبَ اللهُ له من أولادِ سادةٍ فضَّلهم في الأخلاقِ والصُّور، وأكملهم في الأجْسام والمَرَر؛ وقدّمهم في العُمُّول والأفهام؛ والقَرائح والألباب، ولم يجعــل لَمُعَايِب فيهم سيمه ، ولا للإناث بينهم شركه ؛ حتى يكون مسلِّمًا لهم قصبَ العُلا والمَفَاخِر، وصدُّدُورَ الأسِرَّة والمَنابِر؛ من غير منازِع ، ولا مُقَارِع ، ولا مُساهم، ولا مُقاسِم، وزادهم من النَّماء في النَّشِّء والبركة واليمن بما يُؤذِن الحاضُر منه بالغابر، ويدلُّ البادِي على الآخِر؛ وعْدًا من الله تعـالىٰ ذكره لهم بأوْ فى السعادات، وأكمل الخيرات وأعْلَىٰ الدَّرَجات ؛ أرجو أن يجعل اللهُ النُّجُحَ قرينـــه ، والنجاةَ ذَرِيعتَــه؛ وما أوْلاه فيهم في هــذه الحال الحـادثة التي يَعْدق الله بهـا أداءَ الفريضــة، وكمالَ الشريعــه؛ ويقع التطيُّر بالختــَان، الذي جعله الله من شُرُوط الإيمان، وفَرَضَه علىٰ أعضاءِ ناعمه، وإيصال الألمَ إلى قلُوبِ وادعة ، لم تُقَارِعْ نَصَّبا، ولم تُعانِ وَصَبا؛ وآجتمع فيه إلى رقَّة الصِّبا ، وضَعْف الأَسْرِ والقُوىٰ ؛ آعتيادُ الرحمه، ومخالفةُ الترقُّه والتنقُّل بين الشهوات؛ علىٰ أن كلُّ واحد من الأميرين شَهد المُعْرَكة أعزَلَ حاسرًا، وباشر الحُرْبَ مَغَرِّرا مُخَاطراً؛ فثبت لَوَقْع السِّلاح، وصَبَرَ علىٰ أَلَمَ الحِراح؛ وأبلىٰ بَلاءَ الفارس الْمُدَجِّج، والكَمِّيّ المَقَنَّع؛ ثم خرَجَ خُروجَ شبْل اللَّيْث، وفرخ العُقاب، كالقِدْحِ الْمُعَلَّى والشِّهابِ الساطع، والنَّجْمِ الناقب؛ وكان فلان أكثَرَهما تغيُّرا في وجْه قَرْنه ، وسطوةً على مُنازِله ؛ وكلُّ قد حصَّل فوق الخَصْل، وحوى فضيلةَ السَّبْق؛ وٱستحقَّ ٱسَمَ البَّأْس والشِّدّه، وحليةَ البَسَالة والنَّجْده .

ومن ذلك ماأورده أبو الحسين بن سعد في كتابه :

الحمُدُ لله الذي كَسَاك باللِّحيــة حُلَّةَ الوَقَارِ ، ورَدَّاك رَدَاءَ ذي السَّمْت من الأبرار · والأخْيار؛ وصانَكَ عن ميسَم الصِّبا، ومطامع أهــل الهوىٰ ؛ بمـا جَلَّلك من اللحية الهيَّه، وألبَسَك من لباس ذَوى الَّلبِّ والَّويَّه ؛ وألحقَك في متصَّرَّفاته بمن يســـتَقِلُّ بنفسه ساعيا ، ويستغْني عمَّن صحبه حافظا ؛ وجعل ماجَمَّل من صُورتك ، وكمَّل من أداتِك وَآلَتِك؛ قِرْنًا لمن جاذَ بَك، وخَصًّا لمن نازَعَك؛ ونفيْ عنك ذِلَّةَ الاِّحتِقار، من أهل المَراتِب والأخْطار؛ تُسْتُوي [بهم] في المجالس الحافِله ، وتجرِي مَهْراهم في المَشَاهد الحامعيه ؛ مسمُّوعا قَوْلُك إذا قُلْت، ومُصْغِّى إليك إذا نطَقْت؛ آمنًا من آنصراف الأبصار عنك لقُرْبِ وِلَادك، ومن [عدم] الاستماع لحديثك لقلَّة الثَّقة بسَدَادك؛ وجاريًا مَجْرَىٰ كَلَةِ الرجال على الجمله ، إلىٰ أن يكشفَ اللهُ عَمَا برَك بالمحنه ؛ وتعطىٰ المَهَابَةَ من الدَّاعِي العادِي، ومن السُّبُع الضاري ؛ ولو كان عاريًا من هذه الكُسُوة الشريفه، والحِلْية الملحُوظه؛ لسِيقَتْ إلى الآزدراء بالأعين، والآستِصغارِ بالقلوبِ والأَلْسُن؛ أَصِنافُ الحيوان : من البهيمة والإنسان ؛ ثم لا يُحِسُّ من نفسه قوَّةً على الدُّفْع عنها ، ولا من صِرعته ثباتا (؟) على يدها فيه . وتلك نعمةٌ من الله جل وعَنَّ حَبَاك بمرتبتها في جَمَال غَشَاك، وكمالِ أتاك؛ فَليُصدّق بها آعترافُك وشكْرُك، وليحْسُن ثَناوُّك وَنَشْرُك؛ قضاءً لحق الله عليك، وآستِدْرارا في المزِيد من إحسانِه إليك.

الصنف الثالث _ التهنئـة بالمـرض.

أبو الفرج الببغاء :

فى ذِكْر الله سيدى بهذا العارض _ أماطه اللهُ وصَرَفه، وجعل صحةَ الأَبَد خَلَفه _ مادَلٌ على ملاحظته إيَّاه بالعناية، إيقاظًا له من سِنةَ الغَفْلة؛ إذ كان تعالىٰ لاُيذَكِّر

⁽١) غشى فلان فلانا أتاه كغشاه يغشوه . قاموس .

الصنف الرابع ــ التهنئة بالصَّرْف عن الوِلَاية .

أبو الفرج الببغاء :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّه – أيده الله تعالى – من رُتَب الرِّياسة والنَّبْل ، كان معظَّا في حالَتِي الولاية والعَزْل ؛ لايقْدَح في قَدْره تغيَّر الأحوال، ولا ينْقُله عن موْضِعه من الفضل تنَقَّل الأعمال ؛ إذ كان استِيحاشها للفائت مِنْ بَركات نَظَره، بحسَبِ أُنْسهاكان بما أفادَتْه من مُحُود أَثَرِه ، فهَنَاه الله نعمة الكفاية ، وأوزَعه شكرَ ما احتازه من النَّراهـة والصِّيانه ؛ ولا أَخْلاه من التوفيق في سائرِ متَصَرَّفاته ، والخيرة الضامنة لعَواقب إراداته ،

وله فی مشــله :

لَوكَانِ لَمَسَحْدَث الأعمال ومستَجِد الولايات زيادةً على ما آختصّك به من كال الفَضْل، ومأثور النَّبْل، لحاذرنا آنتقال ذلك بآنتقال ماكنت نتولاه بحمود كفايتك، وتحوُطه بنواظر نزاهتك وصيانتك ؛ غير أنَّ الله تعالى جعلك بالفضل متقمّصا، وبالمحامد متَخصّصا ؛ فالأسفُ فيما تنظر فيه عليك لامنك، والفائدة فيما نتقلّده بك لالك ؛ ولذلك كنت بالصّرف مهنّا مشرورا، كاكنت في الولاية محموداً مشكورا ؛ فلا أخلاك الله من تواصل آلائه، وتظاهر نعمائه ؛ في سائر ما تُبرِمه وتمضيه، وتعتمده وترتئيه ،

أبو الحسين بن سعد _ عمَّن تولَّى عَمَلًا إلىٰ من صُرف عنه :

قَدُقُلِّدُتُ العَمَلَ بناحِيَتِك، فَهَنَاك الله تجديدَ وِلاَيتِك، وأَنفَذْتُ خليفَتِي لِخلافَتِك؛ فلا فَتِك؛ فلا تُخْلِه من تبصِيرك وهدايتك، إلى أن يمُنَّ اللهُ بزيارَتِك .

تهنئة بصرف عن ولاية :

لوكانتْ رياسةُ سيِّدي مجنيَّةً من عُرُوش الولايات، وسيادَتُه خارجةً عن سانح التصُّرُفات، لأشفَقَ أُولياؤُه من زوالها بمزايَلتِهما، وحَذَّرُوا من أُنتِقالها بنَقْلهما؛ لكن ماؤيهم به من الكمال، وعَلَا به من رُتَبَ الحَلَال ؛ موجُودٌ في غريزته وُجودَ الفرنْد في السيف المأْثُور، واللَّأُلاء في النور؛ وإذا تَصَّرف،أورد الله الرعيَّةَ مَن مَشارِعها نِطَافًا ، وأسبع عليهم من ظلِّها عطَافًا ، و إذا آنصرف فخيرٌ مُسْـبَلٌ تقلُّص، وعيشٌ رائعٌ تنَغُّص؛ والأسفُ على العمل السَّليب من حُلَل سياستِه الفاضله ، العاطل من حِليْ سِيرِيِّهِ العَادِلهِ ؛ ولهذا أصبح _ أيَّده الله _ بالعَزِلْ مبتَّهجا مسْرُورا ، كما كان في الولاية مجُودًا مشْكُورًا ؛ وَٱنْطِلْقَتْ أَلْسِنَةُ أُولِيائِه ، في هَنَائِه ، بما وَهَبِه الله من الرَّفاهيَة والدُّعه، وحَطُّه عنه من الأثقال المُقْلقه، ولا سيَّما وقد علمَ الخاصُّ والعامُّ أنَّ الأعمال إذا رُدَّت إليه، وعُوِّل فيها علَيْه ؛ تَسلَّم المودع ودِيعتَه ، والناشدُ ضالَّتَه ؛ وإذا عُدِل فيها إلىٰ غيره تناولها تناوُلَ الغاصب، وآستولىٰ عليها ٱستِيلاءَ السَّالِب؛ فلا تزال نازعةً إلىٰ رَبِّها، متطلِّعَة إلىٰ خطْبها ؛ حتَّى تعودَ إلىٰ محلِّها، وْترجِعَ إلىٰ نَصْلِها؛ واللهَ تعالىٰ أسأل أن يقْضِيَ لمولانا بُبلُوغ الأوطار؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخذمة

قال ف وموادِّ البيان ": يجب أن تكون أجو بتُها مبنيَّة على شُكر الآهتمام والأعتِداد بالمشار كة في الأحوال، مع وُقُوع ما وَرَد من الخطاب المَوْقِعَ اللطيف، وما ينتظم في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كَابُ من وَلِي مكانه في معنىٰ ذلك .

فمن ذلك :

مَا أَنصرَفَتْ عَنِى نعمَةً أُهْدِيتْ إليك، ولا خَلَوْتُ من كرامة آشتملتْ عليك؛ وإنّى لأَجِدُ صَرْفِى بكَ ولايةً ثانيــه، وحُلّة من الوِزْر واقِيه؛ لما آمُّلُه بمكانك من حميــد العاقِبة وحُسْن الخاتمه .

الصنف الخامس _ تهنئــةُ من تزوّجتُ أمُّه بزواجها .

قد تقدّم فى أوّل المقالة الأُولىٰ فى حكاية حائكِ الكلام مع عمرو بن مَسْعدةً وزيرِ (١) المأمون، أنه قال يُكْتَب إليه :

أما بعدُ، فإنَّ الأمور تجرِى على خلافٍ تحابِّ المخلوقين [واللهُ يختار لعباده]، فخارَ (٢) الله لك في قَبْضِها [إليه، فإن القبور أكرم الأكفاء] والسلام .

أبوالفرج الببغاء: وقد أمره سيفُ الدولة آبُ مَدانَ بالكتابة في معنى ذلك آمتحاناً له:

مَنْ سَلَكَ إليك _ أعزَك الله _ سبيل الآيبساط، لم يستَوْعْر مَسْلكا من المخاطبة فيا يحسُنُ الآيقباضُ عن ذِكر مثله . وآتَصل بى ماكانَ من خبر الواجبة الحق عليك، المنسُوبة بعد نسبتك إليها إليْك _ وَقَر الله صيانتها _ في اختيارها مالولا أنَّ الأنفُس تتناكُه، وشرع المُروءة يَحْظُره ؛ لكنتَ في مثله بالرضا أولى ، وبالاعتداد الأنفُس تتناكُه، وشرع المُروءة يَحْظُره ؛ لكنتَ في مثله بالرضا أولى ، وبالاعتداد بما جدّده الله في صيانتها أخرى ؛ فلا يُسْخطَنك من ذلك مارضية وجوبُ الشَّرع، وحسَّنه أدبُ الدِّيانة ؛ ومُباحُ الله أحقُّ أن يتبع ، وإيَّاك أن تكونَ ممن لمَّا عدم آختياره تسَخَّط آختيار القدرله ، والسلام .

⁽١) تقدُّم في ج ١٠ ص ١٠٤٠ "وزير المعتصم" .

⁽٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ه ١٤٠.

النـــوع الثـانى (من مقاصــد المكاتبات التّعاذِي)

قال فى "موادِّ البيان ": المكاتبةُ فى التعزية بالأحداث العارضةِ فى هذه الدنيا واسعةُ المَجَال: لما نتضمَّنهُ من الإرشاد إلى الصَّبْر، والتسليم إلى الله جلَّت قدرتهُ، وتسليّةِ المعزى عما يُسْلَبه بمشاركة السابقين فيه، ووْعده بُحُسْن العوض فى الجزاء عنه؛ إلى غير ذلك مما ينتظم فى هذا المعنى ، قال : والكاتبُ إذا كان جيِّد العَريزة حسسنَ التاتيّ فيها، بلغ المراد ، ثم قال : وحكمها حكم التّها في من الرئيس إلى المرعوس ومن المرعوس إلى المرعوس الى المرعوس المرعوس الى المرعوس الى المرعوس المرعوس الى المرعوس الله الرئيس ومن النظير إلى النظير ،

ثم التعــزيةُ علىٰ أَضُرُب:

· الضــــرب الأوّل (التعـــزِيّةُ بالاّبِن)

أَبِلَغُ مَا كُتِب به فى ذلك ما كتب به النبيَّ صــ إِنَّى الله عليــه وسلم ، إلى مُعاذِ بن جَبَل، معَزِّيًا له بابنٍ له مات، فيا ذكره أبو الحسين بن سعد فى ترسَّله، وأبو جعفر النحَّاس فى صناعة الكُتَّاب، وهو:

«من مجد رسولِ الله إلى مُعاذِ بْنِ جَبَال :

«سلامٌ عليك ، فإنّى أحمَادُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو »

«أما بعد، فعَظَم اللهُ لك الأجر ، وألهمَك الصَّبْر ، ورزَقنا و إيَّاكَ »

«الشَّكْر ، ثم إنَّ أنفُسَنا وأهلينا ومَوَاليِنَا مِن مَوَاهِبِ الله السنيَّة ، وعَوارِفِه »

⁽١) فى أصولنا بالفاء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية •

«المستوْدَعة ، تمتّع بها إلى أجل معدود ، وتُقْبَضُ لوَقْتِ معلوم ؛ » «ثم آفترض علينا الشُّكْرَ إذا أعْطَى ، والصبْرَ إذا آبتَلى ؛ وكان آبنك من » «مواهبِ الله الهنيَّة ، وعوارِفه المستوْدَعة ؛ متَعك به فى غَبْطة وسُرور ، » «وقبضه منْك بأجر كثير : الصلاة والرحمة والهُدى إن صبَرْت » «وآحتسبت ، فلا تُمْعَنَ عليك يامُعادُ خَصْلتين إنْ يُحْبِط جَزَعُك » «وآحتسبت ، فلا تُمْعَنَ عليك يامُعادُ خَصْلتين إنْ يُحْبِط جَزَعُك » «ومم برك فتند معلى مافاتك ؛ فلو قدمت على ثوابِ مُصيبتك قد أطعت » «ربّك وتنجّزت موعُوده ، عرفت أنّ المصيبة قد قصرت عنه ، وآعلم » «أنّ المحيبة قد قصرت عنه ، وآعلم » «أنّ المختوب المنفك ماهو نازلٌ بك فكأنْ قدْ ، »

من كلام المتأخرين :

تعزيُّهُ بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتةً ،وهي بعد الألقاب .

وأحسَنَ عَنَاءه بأَعَنَّ فَقِيد، وأحبِّ حبيبٍ ووَلِيد، وعَقَضَ بَجيلِ الصبرِ جوانِحَه التي سُئلت عن الأَسَى فقالت : ثابتُ ويَزِيد ، صدرت هـذه المفاوضةُ تُهُدى إليه سلاما يَعِزُّ عليه أن يُثْبَع بالتعزيه ، وثناءً يشُقُّ عليه أنْ يطارِحَ حائم سَجْعه المُطْربة بعائم الشَّجُو المُبْكية المُنْكية ، وتوضِّع لعلمه ورود مكاتبته المؤلمة ، فوقفنا عليها إلا أنَّ الدَّمْعة ماوقفَتْ ، وخواطِلَ الإشفاق عليه وعلى مَنْ عنده طفَت حُرَقُها وما انطفَتْ ،

⁽١) فى أصولنا بالفاء و رواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية •

 ⁽٢) أى فقد الثواب وفقد الولد . و إليه يشير من عزىٰ عمر بن عبد العزيز بابنه فقال. :
 وعقضت أجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

وعلمنا ماشرَحه ولم يَشْرِح الصَّدْر على العادة ـ مِنْ وفاة الولد فلان، ستى الله عهدَه ولَمُدَه ، وَنَضَّر وجهـ وتغمَّد بالرِّضوان خاله وخَده ، ومابقي إلاَّ التمسَّكُ بأسباب الصبر ، والتفويضُ إلى مَنْ له الأمر ، والدَّنيا طريقَ والآخرةُ دارُّ ودِهْليزها القَبْر ، ولا عِمْ تَنَبَّته وازع ، والآجتاع بالأحبَّة الراحلين واقع ، إن لم يَصِيرُوا إلينا صرنا إليهم ، و إن لم يَقَدَمُوا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم ، نسألُ الله تعالى أن يجعَنا في مستقر رحمته ، ويُحْضِرنا مع الأطفال أو مع المتطفلين ولائم جَنَّه ، والله تعالى يُداركُ بالصبر الجميل قلبة ، ولا يجعُ عليه فقدَ الثواب وفقدَ الأحبَّه ،

الشيخ شهاب الدين مجمود الحلبي :

رزقه الله تعالىٰ ثَبَاتا علىٰ رَزِيَّته وصَـبْرا ، وجعلَ له مع كلِّ عُسْرٍ يُسْرا ؛ وأبقاه مُقَدِّى بالأنفُس والنَّفائس، وكان له أعظَمَ حافظ من نُوَبِ الدهر وأجلَّ حارس .

المملوك يُنْمِى عَلْمَه بهـذه النازلة التي فتّتتِ القلوبَ والأكباد ، وكادَتْ أن تُفَرّقَ بين الأرواح والأجساد ، وأذالَتْ ذخائرَ العُيون ، وآبتذلَتْ من المَدامِع كلَّ مَصُون ، وأنابِتِ المُهَج تحرُّقًا وتلَهُبًا ، وجعلت كلَّ قلْب في نارَي الأسى والأسفِ متقلِّب ، وجعلت كلَّ قلْب في نارَي الأسى والأسفِ متقلِّب ، وهي وفاةً ولده الذي صَغُر سِنَّه ، وتزايدَ لفَقْده هَمُّ المملوك وحُزْنُه :

وَجَالُكُ لا يُبْكِي علىٰ قَدْرِ سِنَّه * وَلَكُنْ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَخِيلَةُ وَالأَصل !

وكان الأمَلُ يحدّث بأنه يَشُدّ للولى أزْرَه، ويشرَح ببِرِّه صَدْرَه، ويؤثِّل مجدّه، ويؤثِّل مجدّه، ويُونِّ لمجدّه، ويُبقِ الذكرَ الجميل بعدَه، فقُقِد من بين أترابه، وذوى عند ما أينَعَ عُصْنُ شَبابه، وغُيِّب مَنْظُرُه الوسِيمُ في لحده وتُرابه، وسيِّدُنا يعلم أنَّ الموتَ مَنْهَلَ لابدٌ من وَرْده، وآبنَ آدم زَرْع لابدٌ من حَصْده، وأنَّ المنية تشمَلُ الصغيرَ والكبير، والجليلَ والحقير،

⁽١) هو مصدر كالورود عن ابن سيده أنظر اللسان (ج ٤ ص ٧١) .

والغنيُّ والفقير؛ فينبغى له ٱستعالُ صَبْره ، والاستِبْشار بمضاعَفةِ أَجْره ؛ والله يمتُّعه بأهله وطُول مُحُره .

وله

لَمْ فَى وَمَا لَمْ فِي عَلَيْكَ بِنَافِع! * كَلَّا وَلَا وَجْدِى وَلا خُرُقاتِى! يَامَنْ قَطَى فَقَطَى سُرورِى بعْدَه * وَتَحَدِّرَتْ أَسَفًا له عَبرَاتِى! عُقَدُ التجلَّد حَلَّها فَرْطُ الأسلى * والقلْبُ موقوفَ على الحَسرات! لو كُنْتَ مَن يُشْتَرَى أو يُفْتَدَى * لفُدِيتَ بالأرواح والمُهجات! كُنْتَ المُعَدَّ لُنُصْرِتِى فى شِدَّتى * فقضى الحمام بفرقة وشَتَاتِ! كُنْتَ المُعَدَّ لُنُصْرِتى فى شِدَّتى * فقضى الحمام بفرقة وشَتَاتِ! والله لا أُنْسِيتُ نَدْبَك والبُكَا * أبدًا مَدَى الأنفاس واللهظاتِ! ويَسُونَى أَنْ عِشْتُ بِعْدَك ساعة * أَسَدِ فا لفَقْدِك مِيًّا وَحَيَاتِى، ويَسُونَى أَنْ عِشْتُ بعْدَك ساعة * أَسَدِ فا لفَقْدِك مِيًّا وَحَيَاتِى،

أعظم الله أجْرَمولانا ومَنحه صَبْرا جميلا، وأجرا جزيلا، وثناءً عريضَ الشُّقَة لَثَبَاته على هـذه الفادحة طَويلا ؛ وجعل هذه الرزيَّة خاتمة الرَّزَايَا، ومُحصَّمة جميعَ الذنوب والخَطَايا؛ ولافِحَه بعدها فى قُرَّة عين، ولاأورد محبُوبًا شُغِف به قلبُه الكريمُ مَنْهَلَ الحَمَام ولاسقاه كأسَ الحَيْن .

المُملوك يَقبِّل البِساطَ الذي مافَتِيَّ لَنَشْرِ المُعْدَلة مُبُسُوطا، وكلُّ أمل بيرِه مَنُوطا . ويُنهِي إلى العلم الشريف علْمَه بهذه المُصيبة التي أصابت فُؤادَكلِّ عبِّ فأصَمَتْه، وطرقت سمَع كلِّ ولي فأصَمَته ، وو لِحَتْ كلَّ قلبٍ فأحرَقتُ ه صَبابةً وحُزْنا ، ومرَّت على الصَّلَّد فصَدَّعته ولو كان حُزْنا ، وهي وفاهُ فلان سين الله عهده ، وأسكن الرحمة مَواه ولي الله على المفقود جيب كلِّ جَنان وطوى الأكاد على حِراحها ، وحَسَّر الأجساد على أرواحها :

وما هِي إِلّا نَكُبَةُ أَيَّ نَكِيةٍ * أهاجَتْ سَعِيراً في الْحَسَا يتلَهِّ! فلا جِسْمَ إِلّا بالتَحَرَّق ذائب * ولا قلب إلّا في الأسي يتقلّب! بكى كُلُّ جَفْنِ مَصْرَع السيف فأعتدَتْ * عيوتَ عليه في الأباطح تسكُب! لقَد هال عُدَّالي بكائي تعجبًا * وإنَّ بُكائي بَعد فقديه أعجبُ! فلورام قُش وَصْفَ حُرْبي ولَوْعِي * لقصَّر في أوصافه حين يُسْمِبُ! فوالله لاَجفَّتُ جُفُونِي من البكا * وإنْ زادَ عُذَّالِي العتابَ وأطنبُوا! ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويُعزِّيه، ويندُب فقيدَه بالسنة ولا قلام ويَبرِّيه ، ويندُب فقيدَه بالسنة الأقلام ويَبرِّيه ، ويندُب فقيده بالسنة في الما نازلة بُغْعَتْ بغُصْن رَطِيب، وقر يَرْفلُ من الشَّبِية في ثوبٍ قَشِيب، وصدَعتِ القالوبَ بفَقْد حبيب وأي حَبِيب :

والمــوتُ نَقَّادُ علىٰ كَفِّه * جَواهِرٌ يَخْتار مِنْهَا الْجِياد!

وبعد، فللمملوك في هـذه الرزيَّة مشاركة كادَتْ تُبايِن بينَ رُوحه والحَسَد، وهو المُصِيب لهذه المصيبة ماتجِدُه الوالهةُ على فقَد الوَلَد؛ لايستقرَّ به قَرَار، ولا يُغْيه من يَدِ الحُزْن فِرَار؛ دأبُه البُكاء والعَوِيل، وحُزْنه العريضُ الطَّوِيل؛ فوا ضَعْفَاه عن حمل هذا المُصَاب، ووا أَسفاه على مُسافِرٍ لا يُنْتظَر له قدُومٌ ولا إيَاب؛ وواعجَباه لِضِدْن آجتمعا لوالده الكريم الجَنَاب!

تَخُونُ المَنَايَا عَهْدَه في سَلِيلِهِ * وَتَنْصُره بَيْنِ الفَوَارِسِ وَالرَّجْل! وعلىٰ كلِّ حال فهو أَجْدَر من آستعانَ على هذه الحادثة بصَبْره، وشرحَ لما قد قُدَّر فَسِيحَ صَدْره، وشكر اللهَ على حُلُو القضاء ومُنَّه، ؛ فما كان إلا أَحَدَ العُمَرين فُقِد خُلفه عُمَر، وثانِي القَمَرين أَفَلَ فقام مَقَامه هلالُّ قَدْم من سَفَر؛ وفي بقاءِ المولىٰ مايُوجب التسليم للقَدَر والقَضَاء، والشكرَ لله تعالىٰ في حالتي الشِّدّة والرَّخاء؛ جعله الله في حِرْز لا يزالُ حَرِيزا مَكِينا ، وحصْن علىٰ تمتر الأيام حَصِينا .

وله : أعظَمَ اللهُ أجره ، وأطال تُمُره ؛ وشرح صَدْره ، وأجرل صَبْره ، وسَخَرَ له دَهْره .

المملوك يُنهِى أنه آتصل به خَرُّ صدَع قَلْبه ، وَسَرَقَ رُقادَه ولُبَّه ، وضاعف أسفه وكَرْ به ؛ وهو [موت] فلان تغمَّده الله برحمته ، وأهمىٰ عليه سحائب مَغفرته ؛ وعامله بلطفه ، وجعل الحيرة له في حَثْفه ؛ فشق ذلك قَلْبه وعظم عليه ، وقارب لشديد حُرْنه أنْ يَصِل إلى ماوصل المرحومُ إليه ؛ لكنة ثبّت نفسه وثبَّطها ، ورفع يَدَه بالدعاء للولى وبَسَطها ؛ وسأل الله أن يُطيلَ بقاءه ، ويُحْسِن عَزاءه ، ويَحْرُسه من أزمات الزمان ، فإنه إذا سلم كان الناس في السَّلامة والأمان ؛ ويجعله عن كل فائت عوضا ، كا أصاره جَوْهم ا وجعل غيرة من الأنام عَرضا ؛ ولقد جلَّت هذه الرزيَّةُ على كلِّ أصاره ودخل حُرْنُها إلى كلِّ قلبٍ من كلِّ باب ؛ جعل اللهُ أجره للولى من أعظم كناب ، وحمنحه الحياة الأبديَّة التي لا تَنْتهي إلى أمد ولا آخر، إن شاء الله تعالى .

الضـــــرب الث نی (التعــزية بالبنت)

من كلام المتقدّمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عَزَّاه الله على احتسابه ، وجعل الثواب المرتقب أفضلَ اقتنائه والشيخ فلان عَزَّاه الله على احتسابه ، مُعزِّيه عن فِلْدَةِ كَبِده ، ومساهِمُه فى أَرَقِه وسُهْده ، والفاتُّ فى عَضُد صحيره الجميدل وجَلَده ؛ فلان ، فَإنِّى كَتَبَّتُه كَتَبُ اللهُ لَكُمْ خَيْرًا يُذْهِب جَزَعَكم ،

وحَسَّن مَنْجاكم بالتفدّى الجميلِ ومَنْزَعكم عند ماوصَلني وفاة البنتيكم المرحومة نفعها الله بإيمانها، وتلقّاها بروْح الجنّسة ورَيْعانها؛ وهي _ أعرَّك الله _ وإن آلمَك فقْلُها، وأوجعك أن اسنأثرَبها كحَلُها؛ فليُعزّك عنها مُصابُنا بنبينا عليه السلام، وعلمُك بأنًا جميعًا بمَدْرَجة الجمّام؛ أفتجد على الأرض خالدا، وقديمًا تكلّنا وليدًا تجيبا ووالدا، فمَن خُلِق للقناء، واختلس بمر الساعات والآناء، جديرً أن يتّعظ بنفسه، ولا يَحْزَن لذهاب من ذهب من ذوي أنسه بفاحمد الله عن وجل إذ رَجَّت ميزانك، وضمينت لك يوم المَعاد جنانك؛ والله عن وجل يرزُقنا المُتسابا جميلًا وصبرا، ويُونِسك وقد اختار لك الصّهر قَبْرا، ويعظّم لك ثوابا جزيلًا على مُصابك وأجرا؛ ويعمَّ فقيدتك بالزَّحي، ويشكّب على جَدَثها مُن نَها الأوْكفَ الأهمى، ويُوفِيك إلى كَنفه الأعظم الأحمَل، بمِنه ورحمته، لا رَبَّ غيره ؛ والسلام عليك ورحمة الله و بركاته .

الضــــرب الشالث (التعــزية بالأب)

من كلام المتقدّمين .

ابن أبي الخصال معزِّيا بوزير :

ياسيِّدى وواحدى، وعَلَّ الآبِن المبرور، والأخ المشْكُور، عندى؛ أعزَّك الله بالتَّقُوى، ورَضَّاك بما قَضَى، وأمَدَّك بالنَّعمى، وشَمَلك بالحُسْنى، كتبته أعزك الله وقد وصل كَابُك الكريم بما نفذ به القَدَر الذى هو فى العِباد حَثْم، وله فى كلِّ عُنْق خَثْم، فى الوزير الفقيه الشهيد أبيك كان، رحمه الله وأكرم مَثْواه، وجعل الحُسنى، التى أعدّها لأوليائه مَقَرّه ومَأْواه، فأسِفْتُ كلَّ الأسَف لِفِقْدانه، وقد كان عَيْنَ زمانه،

وعُمدة إخوانه ؛ تغمّده الله بغُفرانه ، ونقله إلى رضوانه ؛ وتلك _ أعزك الله _ غاية الأحياء ، وسبيل الأعداء والأحباء ؛ كان على ربّنا _ جلّ وعلا _ حَثّا مُقضيًا ، ووَعدا مَأْتِيًا ؛ والأسوة _ أعزّك الله _ فَعَمْره الفَضْفاض ، وبِره الفَيّاض ، وأنه خُتِم له بالخير والآنقباض ؛ وكان آخر ذلك [الحسب]القديم ، والجيل الكريم ؛ وقدأ مرك الخير فافعَل ما أُمْرت به وكن كما ظنّك وقدّرك وتركك ؛ وإنك بفضل الله تُسد مَسدّه ، وتبلغ في كل فضيلة حُضره السابق وشدّه ، وتُعدّ للأيام من الجدّ والآعتزام ماأعده ؛ وإخوتك _ أعزك الله _ لك أظهار وأعضاد ، وفيهم غَنْ وُمُضَاد ؛ فأشتمِل عليهم ، وآرفَق بهم ؛ فإنهم مُنزلُونك منزلة أبيهم ، وتبحِدُ أخلاقه وعَوْنَه فيهم ؛ وأما ماأعتقده من تكريمك ، وأراه من تفضيلك وتقديمك ؛ فشيء تشهَدُ به نفسك ، ماأعتقده من تكريمك ، وأراه من تفضيلك وتقديمك ؛ فشيء تشهَدُ به نفسك ، ويُدْركه يقينك وحَدْسُك ؛ أشد به اعتناء ، وأجمل له استواء ، وأوفى عنك ردءا وغناء ؛ جعلنا الله من المتحابين في خلاله ، والمتقلّين في ظلاله ، وأمّننا من الزمان واختلاف أحواله ؛ بمنة والسلام .

الضـــــرب الرابع (التعـــزيةُ بالأم)

أبو محمد بن عبد البرالمغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بِعْدَه خَلَفٌ ﴿ وَالكُلُّ فِي البَعْضِ غَيْرُ مُمْتَنِع !

كتب عبدُه القِنّ، من الأسى لأجله بعضَ ما يُجِنّ ؛ المُنْطوى على قلب تطْمَئن القلوبُ سُلُواً ولا يطْمَئن؛ فلان : بعدَ وصول كتابِه الكريم بصَدْع يُصْمِى القُلُوب، ويَقدُ أقوياء الجُيُوب، ويَقدُ الأحبابَ مصَرَّعين على الجُنُوب، فوقفَ العبدُ عليه مترقيقَ المَدَامع، متحرِّق الأضالِع، وائيًا سامِعًا سَجَا الأبصارِ وأسى المسامع؛ فياأسفي

لَمُعْضَ حَسَنَ الصِبرُ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وصَوَّح روضَ الفضلُ وكان وَرِيقًا ، ونَعْضَ حَسَنَ الصِبرُ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وترك العبدَ خليقًا بهذا القول ومثله معه حقيقًا ، فآه لدين ومروءة فقدا في قَرَن ، وعلى صون وعَفَاف أُدْرِجًا في كَفَن ، وحَصَان رَزَانِ لا تُعرفُ بوضمة ولا تُزَنّ ، لقد أصم بها الناعي وإن كان أشمَع ، وأرَّق ماشاء الفُؤاد وأراق المدْمَع ، ولم يُبْقِ قلبا للصبر إلاصَدَعه ، ولا أَنْفا للسَّلُو إلا جَدَعه ، ولا بابا للتعزّى الله أرتبه ، ولا عقيما للتأسف إلا أنتجه ، ولو قُبِل في الموت فدًا وصَّ أن يؤخذ فيه فداءً كل خَلَص إليكم ولا ألمَّ ، ولا عَدَاكمُ في صُروف المَنكي المخيضة سَلم ، في الموت المُن الله إلا أن تَعمَّ الحَرْقه ، وتستولي على الوقت الفُرْقه .

الضــــــرب الخامس (التعــزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر:

وكتبتُ والأنفُس مر يمضه ، والعين غيرُ مغتمضه ؛ والانفاس تتصعد ، والأحزانُ تتا كد ؛ أسَ فا للمُصاب الذي عم وغم ، وأسمَع نعيه فأصم ، وقال المفرح : كُفّ من عنانك ، وللترّح النيظر الأوانك ، بوفاة [الفرد] الذي في رأسه نُور ، وسَداد الآراء المختلفة وسداد الثّغُور ، والفَ لِله الذي شهد الرجالُ بفضله ، وعقم النساء ف تجيى عمله ، أبي فلان صنوكم ، السابق الذي الأيجاري ، والشارق الذي الأيساري ، والغيث الذي عمّ المنيل والمستنيل ، والليث الذي ورد الفرات زئيره والنيل ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعُون ! تسليماً للقدر وإنْ ساء ، وشمّل المرءوسين والرُّوساء ، فياله مُصاباً ترك كلَّ رأس راجعُون ! تسليماً للقدر وإنْ ساء ، وشمّل المرءوسين والرُّوساء ، فياله مُصاباً ترك كلَّ رأس الصّوارم ، وعطّل المحمّل المحمّل الشّمر اللهاذم ، وأخمد البيض الصّوارم ، وعطّل الحكائب والمقانب ، وأوحش المفاوز والسّاسب ، ولم يُبق مشيه الصّوارم ، وعطّل الحكائب والمقانب ، وأوحش المفاوز والسّاسب ، ولم يُبق مشيه

عُلَّا إلا هَدَّه، ولا مَدِيد ثناء إلا صَده ، ولم لا وهو الشخص يموت بموته بشركثير، ويَبْكِيه قَلَمُ وحُسام ومِنْبَر وسَرير ، وعند الله نحد به جميعا ، ونُوسِعُه بحُضِ الصَّفاء وصَفْو الثناء تو يعا وتشييعا ، ونُفارِقُه فراق الصَّدْر خَلَدُه ، والمُصابِ جَلَده ، فَوَاأَسَلَى لَرُزْيُه ما أَفْظَعَه مَوْقِعا! وواحَرَا ليومه ما أظلَمَه مَطْلَعا! وواحَزَا ليَعْيه ما أشْنَعَه مَرْأًى ومسْمَعا!!! فائن جَرَتِ الدموع له دما ، وأضرت الضلوع به مُضَطرما ، مَرْأًى ومسْمَعا!!! فائن جَرَتِ الدموع له دما ، وأضرت الضلوع به مُضَطرما ، لل أَدَّت حَقّه ولا كَرَبَت ، ولا دانت بعض الواجب فيه ولا اقتربَت ، ولولا أنَّ المنيَّة مَنْهَلُ لا يُحَلَّ وارِدُه ، ومَعْلَم يُهْدى إليه على أهدى سَمْتِ مُباعِدُه ، لم يبق في أُنِس مَطْمَع ، ولا لحَزْن مستَدْفَع ، ولكان الناكل غيرما ترى وتشمع ، وما أنتم في أُنِس مَطْمَع ، ولا لحَزْن مستَدْفَع ، ولكان الناكل غيرما ترى وتشمع ، وما أنتم الفادح ، يحتَسِبُه ، وصبر في الزَّء أينا الشيخ المَرَّم ممن يُنَبَّه على أَلْمُسِين والمُصبِحِين ، والنبا الذي يُعْلَم ذَوْقًا الفادح ، يحتَسِبُه ، فصبرًا فالمَنُون غاية المُمْسِين والمُصبِحِين ، والنبا الذي يُعْلَم ذَوْقًا ولو بعد حين ، وهو تعالى المستُول أن يُوقع بَكانِكم هذا الخَرْق المَسِع ، ويصل جَنابِكم ذلك الشَّمل المنصدع .

ابن أبي الخصال :

الشيخ فلان أبقاه الله يتَلقى الأرزاء بحُسن الصبر، وجميل الا حَساب، ويتقاضى التعزى مرتقب الأجر، ومُتظر النّواب، مُعزّيه فى أخيه الكريم علينا، العظيم مُصابه الفادح لدّين فلان : فإنى كتبته _ كتب الله لكم صَبْرا تجدُون ذُخره، وأوجب لكم عَزاء تَعْمَدُون يوم القيامة شأنّه وأمره _ عند ما وصل من وفاة الشيخ أبى فلان أخيكم رحمه الله تعالى ما كدر العيش ونغصه، وجسم جُرع الحمام المقطوعة وعُصصه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون !! آستسلامًا لقدره وقضائه، وأخدًا فيا يُدْنى ويقرّب من الدّنيا كما من أرضائه ، وما نحن إلا بَنُو الأموات الذين دَرَجُوا، وسَنحُرُج من الدّنيا كما قبلنا نحرجوا، جعلنا الله جميعًا ممن ينظُر لمَعاده، ويجعلُ التقوى خير ماأوعاه بجداده،

وسلكَ بنا نَهْجَ هِدايتِه وطريقَ رَشادِه . وهو جلَّ وعلاَ يُجْزِل لَمَ على مُصابِكُم ثَوابا عَمَيا مُوْفُورا ، ويَجعلُ فقيدَكُم بين أيديكُم في يوم القيامة نُورا ، ويُلقِّيه في دار الفردوس مُلْكاكبيرا وحُبُورا ، ولولاكذا لسِرْت إليكم لأَعَزِيكُم شِفاها ، وأَحَدِّنَكُم عن ضُلوع أحرقَ هذا المصابُ حَشَاها ، لكن آمتنالُ أمره المُطَاع ، حملَ على البِدَار إلى ماأَمر به والإسراع ، والله عنَّ وجل يُديم لنا بكم الإمتاع ، عنّه وكرمه ، والسلام .

الضــــــرب الســـادس (التعـــزية بالزوجة)

من كلام المتقدّمين:

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تقرَّرَ عِنْد ذَوِى الألباب، وبَبَتَ ثُبُوتا لا يَعَلَّل بالا رَتياب، أَنَّ الدنيا قنطَرَةُ دَائِرِه، ومَعْبَرة إلى الآخِره، وأنَّ ساكنها وإن طال عُمْره، وطار في الخافقين أمْره، لا لَديغ سَمِّها، وصريع سَهْمِها، فما تُضْحِك إلَّا لتُبْكِى، ولا تُؤنِس إلا لتُنكِى، وقد نفَذ القدَر الذي ماله رَدّ، ولا منه بُدّ، بوفاة فلانة ألحقها الله رضوانه، وأسكنها بفضله المرجو جنانه، فإناً لله وإنا إليه راجعون!! تأسيًا بالسَّلف الصالح، وتسليًا عن ماء الدَّمع السَّاف، وزَنْد القلب القادِح. وعند الله تحتسبها عقيلة معدومة المَثيل، مفقُودة الدِّين والعفَّة في هذا الحِيل، متحلِّية من دُعاء الفُقَراء، وثناء الصَّلَحاء، بالغُرَّة الشادخة والتَّحجيل، لقد ذَهب لذَهابها الرَّفْق والحَنان، وعُدِم لعَدَمها الشِّمَ البَرَّة والأخلاق الحَسان، وإنَّ فقد ذَهب لذَهابها الرَّفْق والحَنان، وعُدم لعَدَمها الشِّمَ البَرَّة والأخلاق الحَسان، وإنَّ فقد ذَهب لذَهابها الرَّفْق والحَنان، وعُدم لعَدَمها الشِّمَ البَرَّة والأخلاق الحَسان، وإنَّ فقد دَهب لذَهابها الرَّفْق والحَنان، وعُدم لعَدَمها الشِّمَ البَرَّة والأخلاق الحَسان، وإنَّ فقد دَه الله الله عله عَلَم المَّرى كائِن، وأن المخلّف في الدُّديا لا محالة عنها في عَلَم عنها في الدِّديا لا عالمَ عنها في في الدِّديا لا عالمَ عنها في عنها في في الدِّديا لا عالمَ عنها في عنها في في الدِّديا العلم أَن المَّلَة عنها في في الدِّديا لا عالمة عنها في في أَنْه المُنْه عنها في في الدِّديا لا عالمة عنها في في في الدِّديا العَلْم أَن المُنْه في الدِّديا لا عالمة عنها في في السَّديا العَلْم أَن المُنْه في الله عنها في الله عللة عنها في في الله المُنْه المُنْه عنها أَمْر كائِن ، وأن المخلّف في الدُّديا لا عالمة عنها المُنْه المُنْه المُنْه عنها أَنْهُ المُنْه الم

بائن ، وأن النقل للآخرة مالانتقل نسمعُه ونعاين، لمَ بقيتْ صُبابةُ دمْع الا الرفظّة عنه ولا يوامةُ صَبْر إلا الققطّة به ولكانَ الحُرْن غير ماتَسْمَع وترى، والوجدُ فوق ما يَجْرِى و جَرى، لكنْ لامعنى لحُرْن لما يقعُ فيه الاشتراك، ولا وجه لأسف على مالايصح فيه الاستدراك . وما أنتم جمد الله ممن يُذكّر بما هو فيه أذكر، ولا ممن يُنبَّه على ما هو بالتنبيه عليه أخلَقُ وأجدر ، ولولا أنَّ التّعازي بما اطرد به العمل ، وسَنَّه الصالحُور الأول ، لما سُلك سبيلُه معكم وأنتم ممن قدر الأمور قدرها ، وعلم أنَّ الحياة ولو طالت فالموتُ أثرَها ، وإذا لم يكنْ من الموت بدّ ، ولم بمنتع منه صَدَّ ولا سَد ، فالصبر خيرٌ من الجزع ، وأدلُ على كم المنتحى والمترّع ، وأحرى بأن يكون الثوابُ جَزيلا ، والحزاء حسنا جميلا ، والله يبقيكم أثمَّ البقاء ، ويرقيّكم أن يكون الثوابُ جَزيلا ، والحزاء حسنا جميلا ، والله يبقيكم أثمَّ البقاء ، ويرقيّكم أنه الارتقاء .

ابن أبي الخصال:

الشيخ الأجلُّ فلان _ آنسَ اللهُ وَحْشَتَه ، وجدد على فقيدته رحمته ، معرَّيه عن أهله الهالكة وسَكنه ، ومساهِمه بأوجب حُرْن في القلوب وأسْكنه ، فلان : فإنا كتبْناه عن دُمُوع تَصُوب وَتُنْسَرب ، وضُلوع تَخْفق من وَجِيبِها وتضْطَرب ، وأُسلوع تَخْفق من وَجِيبِها وتضْطَرب ، وأُنس يشردُ منا ويحتجب ، بموت فلانة رحمها الله التي أودعَتْ في جَوَانِحنا من الثُّكُل ماأودَعَتْ ، ورضَّتْ أكادنا بمُصابِها وصدَعت ، عَزَانا الله جميعًا فيها ، وأولاها نعيًا في الفردوس الأعلى وتَرْفيها ، وأعقبنا من الوَحْشة أُنسا ، وعَمَر بالرَّحْي جَدَاً مباركا ورمْسا ، وجعلنا كُلًا ممن يَردَع عن الانحطاط إلى الدنيا نَفْسا ، بمنّه وكرمه ،

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب آلدين مجمود الحلبي :

لَتَ علم مملوك المجلس السامى أطال الله بقاءَه، وأعظم أجْرَه وأحسن عَزَاءه، وفاة السيدة المرحومة سَقَى الله عَهْدَها عَهْدا يبُلُّ الثَّرَىٰ ، وجعل الرحمة لمن نزلَتْ به لها القرىٰ ؛ تألم لفقدها غاية الألم، ووجد حُرْقة كسَنْه ثوبَىْ ضَنَّى وسَقَم ؛ وحُرْنا لا يعبِّر عنه بعبارة بَيانِه ، ولا يستوعب وصفه بلسان قلمه وبنانه :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنا ﴿ لَفُضَّلَتِ النِّسَاءُ عَلَىٰ الرِّجَالِ !

والمُولىٰ أَوْلَىٰ من عَرْىٰ نَفَسه، وآستَحَسَن رِداءَ الصبر ولُبُسه، وعلمَ أنَّ الموت غريم لا يُغْجِى منه كثرةُ المِطَال، ولا يُدَافَع بالأطلاب والأبطال، وأنه إذا طالب بذِمَّة كان ألدَّ الحِصام، وإذا حارب فعلَ بيدِه مالا تَفْعَلُهُ الكُّاةُ بَحَدِّ الْحُسَام .

الضـــرب السابع (التّعاذِي المطلّقةُ مما يصلُح إيرادُه في كلّ صِنْف)

من ذلك، من ترسُّل أبي الحسين بن سعد :

مَن صَحِب الأيامَ وتقلَّب في آنائها، اعتورتُه أحداثُها، وآختَلَفَت عليه أحكامُها: بين مَسَرَّة ومَسَاءة يعتقبان، وفَرْحة وتَرْحة يَتَناو بانِ [وكان] فيما تأتيه من محبُوبها على غير ثقة من دوامه والتَّصاله، ولا أمْن من تغيره والنقاله ؛ حتى تعقب السلامة حَسْرة، وتستحيل النعمة مُخنة ، والسعيد مَنْ وُقِّق في كلِّ حال لحظّه، وأُعين على مافيه سلامة دينه : من الشَّكر على المَوْهِبة، والصبرِ على النازِلة ، وتقديم حقِّ الله تعالى الله من الشَّكر على المَوْهِبة، والصبرِ على النازِلة ، وتقديم حقِّ الله تعالى

فى حال الغيطة والرَّزِيَّة ، ولم تكن بالفَجِيعة به مُفْرَدا عنِّي و إن كان النَّسَبُ يقرِّ به منك ، والرَّحِم تَصِلُهُ بك : لماكنتُ أُوجِبه من حقِّه ، وأرعاه من مَوَدِّته ، وأختَصُّه بالاعتداد فيه دُون أدانِي أهْلِي والثَّقَة من إخواني ، فمضى رحمهُ الله أقوى ماكان الأملُ فيه ، وأكلَ ماكان عليه في لُبِّه وأدبِه ، وآجتاع فَهْمِه وكال هَدْيه ، وآنتظام أسبابِ الخير وأدوات الفضل فيه ،

ومنه : لأينكر للعبد أن يتناوَلَ مولاه عند وُقُوع المِحنة فى أهل خاصَّته، وتَحَوَّن رَيْب المُنُون من حاشيته، بالتَّعْزِية عن مُصِيبته، والإخبار عما يُحُصَّه من ألم فِيعته وعُظْم رَزِيَّته، لاسِمَّا إذا كانَ بحيثُ لايرى شخصُه فى الباكين، ولا تُسمَع صَرْختُه بين المتفَجِّعِين، ولو سعيت على حَدَقتِي .

ومرب ذلك :

إنَّ الله تعالىٰ أمر أهل طاعته، بتنزيل هذه الدنيا بمنزلتها من إهانته، وسوى بين البَرِّ والفاحر في رغائبها ومَصَائبها، ولم يجعل العطيَّة دليلًا علىٰ رضاه، ولا الرزيَّة دليلًا علىٰ شخطه ، ولكنَّه ألزم كلَّ واحد من أهلِ الرِّضا والسَّخْط من نِعمها بنصيب ، وسقاهم من حوادثها بَذُنُوب : ليبتلَى أهلَ رضاه في أهون الدار بين عليه، ويُحْسن لهم الجَزاء في أخرِمهما لديه ، ولذلك حبَّب إليهم الزَّهادة في زَهِيد فاتدتها، وممنوح وهربها ، وسمَّاها لَعبا ولَهُوا : لئلًّا يَعْتَقُوا بحُطامها ؛ وينغمسُوا في آثامها ، وختمها بالموت الذي كتبه على خليقته ، وسوَّى بينهم في سَكْرته : ﴿ لِيَجْزِيَ الدِّينَ أَسَاءُوا بِلُوت الذي كتبه على خليقته ، وسوَّى بينهم في سَكْرته : ﴿ لِيَجْزِيَ الدِّينَ أَسَاءُوا بِهُ عَلُوا ويَحْزِي الذِينَ أَحْسَنُوا بالحُسْنىٰ ﴾ . ويُقرِّبَهُم بداريَفْنى الموتُ ويبقُونَ بيا بعده ، كما عَمُلُوا ويَحْزِي الذِينَ أحسَنُوا بالحُسْنى ﴾ . ويُقرِّبَهُم بداريَفْنى الموتُ ويبقُونَ فيها بعده ، كما فَنُوا في هذه الدار وبقي الموتُ بعدهم ، فإن تأخرالأجل فإلى غايه ، وإن تطاول الأمَدُ فإلى نهايه ، ولأبدً أن يُلتحق التالي الماضي، والآنفُ بالسالف، وهذه حالٌ نُصْبَ الأفكار، وتِلقاء الأبصار، لاتحتاج أن يرتاض الصبرعلى آلامها ، وهذه حالً نُصْبَ الأفكار، وتِلقاء الأبصار، لاتحتاج أن يرتاض الصبرعلى آلامها ،

والتحمل لمُعْضِلات سِهامِها، والحَزَعُ عند وقُوعها قادحٌ في البصائروالأفهام، دالٌ على الجهل بالليالي والأيَّام؛ وقد طرق المملوك ناعي فلان فهدَّ جَلَدى، وفتَّت كَبِدى، لا السيالي والأيَّام؛ وقد طرق المملوك ناعي فلان فهدَّ جَلَدى، وفتَّت كَبِدى، لا المعادثة : لأنَّها لولم تُكن فيه لكانتْ في المملوك، ولو لم نتطرق إليه لتطرقت إلى المدرك (؟) ولكن الأسفُ على عَطَل الزمان من حُلية فضله ؛ وتعرّيه من حُلة نُسله، وخلو عمر اصه من الأنس بمثله، وما نال سيِّدى لفقده، وتحمَّلَه من بعده؛ و إلى الله تعالى يرغَبُ المملوك أن يَرْبُطَ على قلبه بالصبر، ويوفِّقه لتنجُّز ما وعد به الصابرين من الأجْر؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف:

رقعة: ليس عند المُصيبة _ أطال الله بقاء سيدى _ خيرٌ من التسليم إلى الله والرّضا بقضائه ، والصبر على بَلائه ، فإنه تعالى مَدَح الصابرين في كتابه ، ووعدهم بصَلواته ، فقال جل قائلا : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصابَتُهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إليه واجِعُون بَصَلَواته ، فقال جل قائلا : ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْم مَلَواتٌ من رَبِّهم ورَحْمةٌ وأُولئك هُم المُهْتَدُونَ ﴾ . وقال جل قائلا : ﴿ وَبَشّرِ الخُوبِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُم ﴾ . ﴿ وَاللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم والصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُم ﴾ . ولم تزل الأولياء من القُدَماء يَحُضُون على الصّبروهم لا يَرْجُون عليه ثوابا ؛ ويَنهُون عن الجَزّع ولا يَحَافُون عليه عَقَابا ؛ ومَنْ عرف الأيّام وتداولها ، والأحوال وتحوّلها ، وطمع عن الجَزّع ولا يَحَافُون عليه عَقَابا ؛ ومَنْ عرف الأيّام وتداولها ، والأحوال وتحوّلها ، وطمع عدرة النوائب ، وصبر على تجرّع المصائب ، ومن آغترً بطول السّلامه ، وطمع في الاستمرار والإقامه .

رُقعة : وقد ٱتَّصلَ بالملوكِ خبرُ الفَجيعة بفلان ، فأُفيضتِ المَدَامع ، وتضعَت الأَضَابِ ، وأَذَابَ الطرفُ وتضعَت الأَضَالِع ، وزَفَرت الأَنفاس ، وهَمَدت الحَوَاسِ ، وأذابَ الطرفُ

⁽۱) لم يذكر فالاصل لهذا الشرط جوابا و يمكن أخذه من المقام أى «فقد حاول محالاً > وضل في سعيه ضلالا » أو نحو ذلك .

سَوادهُ على الوَجَنَات بدَلًا من الأنقاس، وخلعَتِ القلوبُ سُوَيداءَها على الأجساد، عوضًا عن جلابِيبِ الحِداد؛ وعُضَّت الأنامِلُ جَزَعا، ومُزَّقت الثيبابُ تفَجُعا وتوجَّعا؛ وكل هذا وإنْ فارقَ حيدَ المَّاسُك، ووافق ذَميم التَّهالُك، غيرُ مُوفِ بحق ذلك الدارج الذي بلغ المَعالِي وهو في مَهْده، وشد دَعائم الفضل ولم يبلغ أوانَ رُشده؛ وعلم سيدي أنَّ غاية الجازع وإرن صدَعتِ المصيبةُ قابَه، وأطاشَتِ الفجيعَةُ لُبَّه، الصَّبرُ والسَّلُوّ؛ وأنَّ نِهايةَ القَلقِ وإن هجمَتْ عليه الحُرْقة بما لانتوفَّر عليه الأضالِع، ولا نتماسَكُ معه المَدامِع، القَرَارُ والهُدُق، واللهُ تعالى لايُريه بعد هذا الرُّذَا بفِنائه، وينقل ذلك عنه إلى حاسِديه وأعدائه.

رقعة : مَنْ عَلَمَ أَنَّ الأَقضِيَةَ لأَعْطِئ سِهامُها ، والأقدار لأَرَدُّ أحكامُها، سلَّم الأَمر في السَّراء والضَّراء، ورَضِي بما مَناه في البَلاء والا بيناء؛ ولا سيًّا في مُصيبة الموت التي سوّى بين الخليقة في تجريع صَابِها، وآقتِ عام عِقابها، وقد آتَصل بالمملوك خبرُ الحادثِ الفاصِم لعُرىٰ الجَلَد ، البارح في الجلد ، فاستحالَتْ في عين المملوك الأحوال، ومالَتْ عنه الآمال، ورأىٰ السهاء وقد تكدّر جوّها، والشمس وقد تعكر ضَوَّها، والسَّمسُ وقد تعكر وقد ركد ، والسَّمات وقد أخلف نوَّها، والنَّهار وقد الظم، والليل وقد ادْلَم، والنسيم وقد ركد ، والمعين وقد جَمَد ، والزمان وقد سُمِمَتْ وجنه ، وسُلِبتْ حليتُه ، وأفرَجت قبضَتُه عن التماسُك ، وقبضَتْ علىٰ النهالُك ، وعدلَتْ عن التجلّد، إلى التبلد ، ثم أفاق من غَمْرة فِقيعتِه ، وهييب سِنة رويّته ، فسلم لله راضيا بأقضيته ، راغبًا في مَثُوبتِه .

⁽١) لعله البادح والبدح والبدح بالاهمال والاعجام الشق والمراد ظاهر .

أبو الفرج الببغاء :

إذا كان أيَّده الله أهدى في النَّعم إلى سُبُل الشكر، وأعرف في الحِمَن بطُرُق الصبر، فكيف نُحاذِرُ عليه من المَصائِب، ونذَّكِه التسليم لمحتوم النَّوائِب، والمصية بفلان أعظمُ من أن نهتدى فيها إلى سَلُوة غير مستفادة منه، أو نقتدى في العَزَاء بغير مانا خُذه عنه، إذ كانتْ قلُوبنا تبَع قلبه _ سَرَّه الله _ في طُرُوق السَّراء والضَّرَاء، وحالَتي الشَّدة والرِّخاء، وأحسن [الله] عن الفَجيعة عَزاءه، وأجرل من المثوبة عطاءه، ولا شَغَله عن حَلاوة شكر النَّعم بَمَرارة الصَبْرِ على وُرُود الحَين، وجعل مانقلَ الماضى إليه، أنفَع له ولسيِّدى من الجَزَع عليه .

وله فی مشله :

آتُصل بى خَبرُ المصيبة فِحدد الحَسْره، وسكبَ العَبْره، وأضرَم الحُرْقة، وضاعَفَ اللَّوعة، وكان الأسفُ عليه، بقد تشوَّف الآمالِ كانتْ إليه: فإنَّا يله وإنَّا إليه واجعُون!! أَخْدًا بأمْره، وتسليًا لحُكْه، ورضًا بمَواقع أقضيته، وأحسنَ الله فى العَزَاء هذا يته، وحرسَ من فتن المصائب بصيرته، وحمَل عن قلبه ماأظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية .

ولا أزال على جملة من القَلَق إلى أن يَرِدَ على كتابُه _ أيده الله _ بما أكونُ فيه بأدَبِه مَقْتَدِيا ، وبِهدايَتُ و إلى سَبِيل العَزاء والصَّبْرِ مُهْتَدِيا ؛ فإن رأى إجرائى من تشريفه بذلك على مشكُور العادة ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

وله فی مثـــله :

آشتراكُ القلوبِ فيما أَلَمَّ بقلْب سيِّدى بحسَبِ تَساوِيها في المَسرَّةِ بما سَرَّه ، إذكان لايختصُّ دُونَ أوليائِه بِنعْمه، ولا ينفَرِدُ دُونَ مؤمِّليه بَحْلُول مَوْهِبه، والمصيبةُ بفلان - و إن جَلَّ مُوقِعُها وعُظُمت الفَجِيعة [بها] - جَلَّل مع سُقُوط الأقدارِ دُونَه ، وتجاوُزِها عنه ، ومُسامَحتِها به ، فلا شغَلَ الله قلبه بعْدَها بَمَرَارة الصبْرعَّا تُوجِبه النَّعم من حَلاوةِ الشَّكرَ، ولا جاوره برزِيَّة في حميم ولا نعمه .

وله فی مثـــله :

بصيرتُك إلى العَزَاء تَهْدِيك ، وآغتباطُك بَنُواب الله يُسلِّك ، وعلمُك بقِلَة الغَنَاء عن الجَزَع يَشْنِيك ، وجمعنا بك في الصبر مقتَدُون ، ولرأيك في الرِّضا بما آختاره الله تعالى متَّبِعُون ، فَمَلَ الله عن قلبك ثِقْلَ المُصيبة ، وحرس يَقينَك من اعتراض الشبهة ، وأحسن إلى جميل الصبر هدايتَك ، وتوثّى من فِبَنِ الحِن رِعايتَك ، وجعل مانقل الماضي إليه ، أنفَع لك وله من الأسف عليه .

وله فی مثـــله :

اتّصل بى خَبُرُ المصيبة فأضْرمَ الحَسْره ، وسكَبَ العَبْره ، وقدَح اللَّوْعه ، وآمترىٰ الدَّمْعه ، وكانتْ مُشاركتِي إيَّاك في المُصيبة به ، والفَجِيعة لفَقْده ، بحسبِ آختصاصي بمواهِب الله عندك ، وآغتباطي بمنحه لدَيْك ، فإنّا لله و إنّا إليه راجِعُون !! تسليًا لأمْره ، وآنقيادًا لحُكْمه ، ورضًا بمواقع أقداره ، وأحسن الله على العزاء توفيقك ، وإلى السَّلُوة إرشادك ، ولا أخلاك في تطرقك به مصيبةً من مصاحبة الصبر، وفي تفد به عليك نعمةً من الاستزادة بالشكر ، وحَرسك في نفسك وأحبيّك ، ودوي عنايتك ونعمتك .

⁽١) أى يسير هين على حدّ قول امرى القيس لما قتل أبوه :

بقتل بني أسد ربهم * ألاكل شيء سواه جلل

 ⁽۲) فى القاموس « ومرىٰ الشيء استخرجه كامتراه » .

وله فی مثـــله :

قدرُك أكبَرْ ، و بصيرتُكَ أَنْوَر ، وثقتُك بالله تعالى أعظَمُ من آعتراض الشَّكُوك عليك فيا يَطْرُقُك من عِظَاته بالحوادث و إن عظمتْ ، والحجنِ و إن جَلَّتْ ، آختِبارا بالمَصائب لصَبْرك ، و بما يُظاهِرُ ، عليك من النَّع لشُكْرك ، ومثلُك أيدَك الله مَنْ قابلَ الفجيعة بفلان ـ إذ كانتْ من الواجب المحتُوم _ بأحسَنِ عَن ا وأفضل تسليم ، غير مرتاب بما آختاره الله له ولك فيه ، فعظم الله به أجْرَك وحَرسك وحَرس فيك .

الأجوبةُ عن التَّعازِي

قال فى "موادّ البيان": أجوبة التّعازى يجبُ أن تُبنىٰ على وتُوف المُعزّىٰ على كتاب المعزّى ، وأنّ إرشاده نقع عُلّته ، ووعظه نقع علّته ، وتبصيره سكّن أواره ، وتذكيره أخمد ناره ، وتنبيهه أيقظ منه بحُسن العزاء غافلا ، وهدى إلى الصبر ذاهِلا ، وحسّن عنده الرزيَّة بعد جَهَامتها ، ودمّت نفسه للصيبة بعد فدّامتها ، فسلم لله تعالى متأدّبا بأدبه ، وعمل بالحُثم مقتديا بمدْهبه ، وغالبَ الرُّز ، بالعَزْم ، وأخذ فيه بالحَزْم ، وسأل الله تعالى أن يُحْسِن له العوض فى رده ، ويجعله له خَلفا ممن أصيب بفقده ، وغوهذا مما ينخرط فى سِلْكه ،

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعزَّ الله سيدنا وأسعَده ، وسهَّلَ له طريقَ المسَرَّة ومهَّدَه ، وصانَ عن حوادث الأيَّام حِجابَه ، وعن طوارِقِ الحَـدَثان جَنابة ، وجعله فى حِمَّ عن عوارض الغيرَ والغَرَر، وأصار أيَّامه محَسِّنةً لوجُوه الأيَّام كالغُرَد .

ورد الكتابُ الذي أنعَمَ بإرسالهِ ، بل المَشرِّف الذي كَسَتْه اليدُ العاليةُ حُلَّةً من حُلَل جَمَاله ، فوقَفَ عليه وفهمه وتذكّر به إحسانَهُ الذي لا يَنْساه ، وتفضَّله الذي لا يَعْرف سواه ، فأما التعزيةُ بفلان، فإنه ردّبعذْبِ لفظها قُوتهَ ، وبَلَّ بماء حُسْنِها غُلَّته ، وصبَّره على حادثته بفلان بعد أنْ عزَّ عليه العَزَاءُ وأعْوزَه ، وطلب وعْدَه من صبره فما أنْجَزه : لأنه كان وَجَد لمؤتِ المذكور حُزْنا ما آستطاع له تَرْكا، وفقد لموته خلًا مثله يُناح عليه ويُبكىٰ ، وفي بقاء مولانا مسرَّةُ تطرُد كلَّ حَزَن ، وفي بهاء طَلْعته عوضٌ عن كل منظر حَسَن ، جعله اللهُ سامِيًا علىٰ أثرابه ، مقدَّما علىٰ أضرابه ، ما مَسَدَّم علىٰ الأفعال، وتقدّم الحالُ علىٰ الاَيستقبال .

آخسر: ضاعف الله بقاءه وأطال عُمُره، وشَرَخ لإسداء المكارِم صَدَره؛ وأنفذ نَهْ وأمْره، ولازالَ إلى أوليائه مُعْسنا، وفضله يحصِّل لمحبِّيه غاية السُّول والمُنى ؛ ورد مشَّرُفه المعزِّى بوفاة فلان سوق الله عهده عهاد رضوانه، وأسكنه في عُمَف غُفرانه ؛ فجر مُصابا، وفَتح إلى الصَّبر أبوابا؛ وهدى إلى طريق الخير وقال صَوَابا؛ وسكّن نَفْسه، وذكره إحسانه الذي لم يَنْسه، وأزال الوَحْشَة وزاد أُنْسه، بعد أنْ كان فَقْدُ المهذكور قد هَد رُكْنَه وفَتَ عَضُدَه، وأوصله إلى أمد الحُزْن وضاعف على الأيام أمده ؛ وألبسه رداء الاكتئاب، على تربه الذي أصبح تحت التراب، وصديقه الموصوف بالصدق، الذي فاق سناه ذلك الأَفْق ؛ جعله الله أصلًا في تحصيل المسَرَّة إذا ذوَتِ الفُرُوع، وسيْفًا يقْهَر به ولِيَّه الحوادث التي تَرُوع؛

آخــر: جعـل الله أُجره عظيما كقَدْره ، والقــلوبَ مجمعةً على خبّه كابِحــاع الأنْسنة على شُكْره .

المملوك يُعْلِمه بُورُ ود كتابه الكريم المعزّى بفلان _قدّس الله رُوحَه، وأمطر سحائب الرحمة ضَريحه _ عليه، وعِنْده من شديد الحَزن، ماأعدمه لَذيذ الوَسَن ، ومن زائد الاكتئاب، ماكاد يَحْرِمُه التقمّض بثوب النّواب ، بحيث إنّه عُوض بالزّمَن الأسود عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لُبس الأبيض طَعْمَ الموت الأحْمَر، وأنه ضَمَّ الحبوب، وأبتهَج به آبتهاج من ظفر بغاية السّول والمطلوب ، فأعمدت الكاتبة خوفًا من قلمه سَيْقها ، وأزالت الدنيا الدنيّة عنه حَيْفها ، وعزى نَفْسَه وسَلّاها، وشغله إحسائه عن عاسِنَ ما الموت سناها ، فرفض من توجَّعه مافرضته حادثتُه ، وسلك مَنْهَجا غيرَ المَنْه ، ويُديم سعْده وعُلَاه .

النـــوع الشاكث (من مَقَاصِد المكاتبات التَّهادِي والْملاطَفة)

قال فى "موادّ البيان": رِقاعُ التّهادى يجب أن تُودَع من الألفاظ المستحسنة ما يُمَهّد لقَبُول الملاطفة والمَبرَّة التى نتميز فى المودّة، قال: وينبغى أن يُطْرِف الكاتبُ إذا كان مُهْدِيا أو مستَهْدِيا؛ وقد جرتِ العادةُ أن تُودع هذه الرقاعُ من أوصاف الشيء المُهْدى ما يحسِّنه فى نَفْس المُهْدى إليه، قال: وينبغى لمن ذَهَب هذا المندهَ أن لا يعتمد تفخيم هديَّته، ولا الإشارة إلى جَلالة خَطَرها، فإنَّ ذلك يُخِلُّ بشروط المُرُوءة و يتحاماه الكُرَماء .

ثم هي علىٰ ثلاثة أضــرب:

الض____رب الأول

(مايُكْتَب مع التَّقادم إلى المُلُوك من أهل مملكتهم إلى المُلُوك من أهل مملكتهم إلى القائمين بإيصال التَّقْدِمة إلى المَلك وكاتبِ السِّرِّ ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتبِ السِّر بالأبواب السلطانية صحبَةَ تَقْدِمة من نائب الشام إلى السلطان :

لازالت أقلامُها لتَنائج الفَضْل مُقدِّمه، ولمَراكض الكَرَم والبَأْس جيادًا مُسوَّمه، ولكَّنَائِب المَلِك من كُتُبه أعلامًا بشِعارها العبَّاسِيِّ مُعْلَمه، وفي يد صاحبها من أصحاب المَشْامه، تقبيلَ مُحِبُّ لاتُفْسَخُ المَيْمنة، والذين كَفَروا بآياتِ الله ونِعَمِها من أصحاب المَشْامه، تقبيلَ مُحِبُّ لاتُفْسَخُ عُقُودُ وَلائه المُحْكَمه، ولا تُنْسَخ إلَّا في الكُتُب عقودُ ثنائه المنظَّمه، ولا تطوفُ الأشواقُ بَيْتِ قلبه إلَّا وهي من مَلابس الشَّلوان الحرَّم مُحْرِمه.

ويُنهِي أنه قد آختار مر عناية مؤلانا بمقاصده أحسن الحير، وبُورك له في قَصْدها (ومَنْ بُورِكَ لَهُ في شَيْء فليَلْزَمَه) كا جاء الحبر، وقد جَهَّز فلانا إلى الأبواب الشريفة حَلَّد الله سلطانها بتقدمته على العادة في كلِّ سنة، واتبع سفارة مؤلانا بين يدي المواقف الشريفة فاتبع من القول أحسنه ، وسأل حُسْن نظر مولانا الذي إذا لاحظ قصدا أعلنه وسعدا عينه ، وقد جهز المملوك برشم مولانا ماهو بمقتضى الوَرقة المجهزة عطفها ، المؤمِّلة وإن كانت ورقة قطفها، وسأل مقابلتها بالجبر الذي يحسب الأمل حسابه ، ويستفيّخ ببنان القلم بابه ، والإصغاء لما يُمل من رسائل الشَّوق فإنها من رسائل إخوان الصَّف المستطابة ، لا برح القاصدون مَن حين بأيّام مولانا وحق لهم أن يُمرَّحُوا، تالين نسبة بيته ورُحْي الله على يَده: ﴿ قُلْ بَفَضْل الله و برحمته فيذلك فَلْيَفْرَحُوا ؟ .

وله إليه أيضا مع الحَهَاز الشريف السلطاني :

أَمْتُهَا اللهُ مَن خَيْرِي الدنيا والآخرة بَكَرَم الأَمْرِيْن ، وبشَرَف الذِّكْرِين ، وسرَّها بما يحهز في النَّناء والنَّواب من الوَفْرَيْن ، وأعلىٰ مَنارَها المحَلِّق إلىٰ السهاء علىٰ وَكُر النَّسْرِين ، ولا زالَتِ الآمالُ لا تَبْرح حتَّى تبلُغَ من تلك البدَيْنِ عَجْمَ البحْرِيْنِ ، تقبيلَ عظيص في الوَلاء والدُّعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمةِ علىٰ ثُبُوت الاَدِّعاء ، وارد لموارد النَّعم قبل صُدُور بل قبل وُرُود الرَّعاء ،

وينهى أنه ليس للملوكِ فيما يوَّمُّله ويتأمَّلُه ، ويفَصَّلُه من عُقُود المَطالب ويُجْمِله ؛ غَيْرُ إحسان مولانا الذي لا يُمَـلُّ على طُول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيتــه المستجدة تالية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلِ عَلَىٰ النَّاسِ ﴾ . وقد جهَّز الملوكُ الولدَ فلانا بالجَهَاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلَّد الله سلطانهَا ، ومَلَا به جَواهر حَّبات القلوب ورَيْحانَها، وهو على قَدْر المملوك ومقداره، لاعلىٰ قَدْر مُراده وآختياره؛ ولو أن الْمُرادَ مما يحمُّهُ العبدُ إلىٰ سيِّده ، ويقدَّمُه من سَبَد الحال ولَبَده ، على قدر المحمُّول إليه ، والمقدَّم بين يدَيْه ، لضُّعُفَتْ قُوى أكثر العبيد عن ذلك، ويَئس من الرِّضُوان جُهْدُهُمُ الْمَالِكُ ؛ و إنمَا علىٰ العَبِيدِ أَن تَنْصِبَ علىٰ قُدْرَتِهَا الحال ، وعلىٰ السادا ب أَن تُصَرِّف بِعَوَامل الخبر مستقْبَلَ الأفعال . وعِلْمُ مولانا الكريم مُحِيطٌ بتنقُّل المملوكِ في هذه السِّنينَ من بلَّد إلى بلَّد، ومن أمَد كُلُّفه إلى أمَّد، وبما حَصَل في ذلك من التمَحُّق في إقطاعات كاد أنْ يُحْنِيَ عليها الَّذِي أَخْني علىٰ لُبَد . وكان المملوك يوَدُّ لوكان هــذا المحمولُ من الحَهَاز من جواهر النُّجوم المُنثُوره ، وأُخبِية السُّـعُود المأثُورَه ، وجميع مأزِّين للناس من الشُّهَوات المذُّكُورِه ، أضعافَ أضعافه الآن، بل أضعاف أضعاف ماحَمَل الأَوْلُون من فُلانِ وفلان ؛ كَالْحَسَن بن سَهْل مع الجهة المأمونيَّة التي حَلَا ذِكْرِها، وآبنِ طُولُونَ مع المعتَضِديَّة التي كاثر هـــذا الغَيْثَ قَطْرُها، والسَّامانِيُّ

وما أدراك، والسَّلُجُوق وما أسراك، وجميع ماتضمَّنته التواريخ التي لو عاينَت تاريخ هذه الدولة الشريفة عنَت في الحال تَجْده، وكان كلَّ مجلَّد منها يموتُ للهَيْبة في جِلْده: لما خلَّدته أيامُها الشريفة من أخبار حُكْمها وخَيْرها، وكَرَمها و برِّها، وعَطْفها على مماليك بيتها الشريف: نتقبَّلُ ميْسُورَهم، وتُكَلِّ سُرورَهم؛ وملاً بُجيُوش الإنشراح صُدورَهم، وتبلِّغهم من هِمَ مطلُوبهم؛ وتُقْيِل على زاهرات تَجَاياهم ورياحِينِ قلوبهم:

ولو لم تُطِعْه نِيَاتُ القَلُوبِ * لَمَا قَبِــل اللهُ أعمالَهَا.

والمملوك يسأل من إحسانِ مولانا الذي أَلَفَه، ومعروفِه الذي عَرَفه، ملاحظة الولد فلان بين يدّي المواقفِ الشريفة خلّد الله سلطانها، وإقامة عُذْر المملوك بعبارتِهِ التي أحلّ الله سِعْرَها وبيانَها ؛ فما المملوك في مقاصده مثلُ مودّة مولانا الوافية المُتوافيه ، ومقدّمة عبارتِه الكافية الشافية ، والله تعالى يُعين على شُكْر مننه ، والقيام بفرائض حُده وسُنَنه ، والنهوضِ بأوصاف أياديه التي يُغرّد بها قلمُ الكُتَّاب كما يُغرّد القَمْريُّ على فنَنه ،

الضرب الشاني (ما يكتب مع الهدية عند بعثها)

وهو علىٰ عَشَرَةُ أُصِــناف :

الصنف الأوّل ــ مايكتَبُ مع إهداء الخيل .

على بن خَلَف : في إهداء جَوَادٍ أَدْهُمُ أَغَرُّ مُحَجَّل .

وقد خدم المملوكُ رِكَابَه الأكْرَم ، بجوادٍ أَدْهَمَ مُطَهَّــم ، قد سَلَبَ الليــلَ غَياهِبَه وَكُواكَبَه ، فَأَشْمَلَ بأدِيمه ، وتَعَلَّى بنُجُومه ، وأَطْلع من غُرَّتِه السَّاذَجَة قرًا متَّصِــلا

بالحَجَرّه ، وتحلّى من رُثْمَتِه بالثّريَّا أو النَّثْره ، صافي القَميص ، ممحُوض الفُصُوص ، حديد الناظِر ، صليب الحافر ، وثيق القَصَب ، نتيِّ العَصَب ، قصير المَطا ، جعْد النَّا ، كأنما أنتعلَتْ بالرِّيَاح الأرْبَع أرْبَعُه ، وأصْغىٰ لاستراق السَّمْع مَسْمَعُه ، النَّسا ، كأنما أنتعلَتْ بالرِّياح الأرْبع أرْبعُه ، وأصْغىٰ لاستراق السَّمْع مَسْمَعُه ، وأن تُرك سار ، وإن مُحمز طَار ، وإن ثُنيَ آخْرَف ، وإن آستُوقف وقف ، أديب أن تُرك سار ، وإن مُحمر طَار ، وإن ثُنيَ آخْرَف ، وإن آستُوقف مطلع عُرَّته ، والإقبال مَعْقد ناصيتِه .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح: شمس الدين صاحب ماردينَ قرينَ خيل مُنْعَم بها إليه ، عن السلطانِ الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد آبن قلاوُون ــ من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتةً ، وهو بعد الألقاب .

وأَحْرَى بِالنَّصْرِجِيَادَه ، وبِالظَّفَر مُرادَه ، وعلى عوائد السَّعْد مَطالِعَ شُمِسِه التي يُسَمِّيها عُرْفُ المُلكةِ بِلَادَه ، ولا زالتْ مُنيرةً بسعادةِ شَمْسِه الأَحْلاك ، نَظِيمةً بدُرّ عَمامِده الأَسْلاك ، ماثلة خيولُ سعدهِ حتى حُمْر السَّوابق من البُروق والشُّمُب السَّوانح في الأفلاك .

ويُنْهِى بعدَولاء وثناء للإخلاص شارحَيْن، وفى الضائر والآفاق سانِحيْن، وآشتياق وعهد كانا أحقَّ بالانتماء لاسمه ونَعْتِه وكان أبواهما صالحَيْن، أنَّ المرسومَ الشريفَ زاده الله تعالىٰ شَرَفا، وردَ يتضَمَّن تشريفَ مولانا على العادة وإعظامَه، وآستقُرارَ مكانته من الخواطر الشريفة في دار مُقامه ؛ واستمرار كرامتِه من الآراء المعظّمة

⁽١) هي بالضم بياض في طرف أنف الفرس و قاموس و

ولا يُنكَّر بين الصالح والصَّالح استمرارُ الكِّرامه ، وأنَّ الصَّدَقات الشريفة أنعمَتْ على مَوْلانا بثلاثة أَدْوُّس من الخيل كثلاثة الراح ، إلا أنَّ حَبَابِها عَرَقُ سُبْقِها ، وثلاثة الشجر (؟)كما قال الطائي تساوي شَرَف ثَمَرها وزَهَرِها وعَرْفها ؛ مامنها إلامَنْ تَقْصُر الرِّياحِ أَن تَسْلُكَ فَحَةً ، والبرُوقُ أَن نَتْبَعَ نَهْجَه . ومَنْ تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَن تكونَ لِحامَه والهلالُ أن يكونَ سَرْجَه . ومَنْ يَتَطَّرَ كَالْغَمَام و يركُضُ كَالسَّيل . ومَنْ كَلَّت حلاه ولبس حُلَّة الفَخَار فمشي على الحالتين في الحُلَّتين مُسْبِلَ الدَّيْل. ومَنْ عُقد بناصيَته كُلُّ الحير وعُقد له لواءُ الفَخَار علىٰ كلِّ الحَيْل : من كلِّ خَضراءَ مُعْجبة فهي على المجَاز حَديقه، وكل أحمرَ سابقِ فهو البُّرقُّ علىٰ الحَقيقه ، وكلِّ أصفَرَ شَفَقٌّ إلا أنَّ الرياحَ من تُجاراته علىٰ نَفْسها شفيقه . وكيف لا يُشَبَّه بالشَّفَق وهو من الأصائل ، وكيف لايفتَخر العسكريُّ بهذه الخيل وخَناصُرُ عَدَدها فيالْحُسْنِ أُوائِلٍ، قد صُرفَتْ وجوهُها المَقِّله ، لباب مولانا أحسنَ المَصَارف، وَكُتبتْ عوارفُ الفضل في مَعَارفه المُسْبَله ، فناهيك منها بكتاب عَوَارف المَعَارف؛ ووصل لمولانا بذلك مشالُّ شريف؛ ورسم للملوك بتجهيزها مع مَنْ يراه؛ وقد جهَّز الملوك لخدمة مولانا الخيلَ المذكورةَ مع المثال الشريف صحبةَ فلارب، ومولانا أدْرى بنفَحَات رياض الحمد بهذه الدِّيمَ المُطلَّه ؟ و بالتقبيل في الأرض التي هي سَمَاءُ حوا فر هِـــذم الخيل التي هي أهلَّه ؛ وأولىٰ أن يَشِّرُف المملوكَ بمُهمَّاته ، ويؤيسَ لحظه بطيف اليَقَظـة من مشَرِّفاته ، والله تعـالى يجدُّد لمعاليه في كل قصــد نُجْحا ، ويعلى لمجدُّه في كل حال قِدْحا؛ ويُروِّع الأعداءَ

⁽١) كذا في الأصل باستعمالُ من في غير العاقل .

⁽٢) فى الأصــل ينخطركالغام ولعله مصحف عمــا أثبتناه يقال تمطرت الخيـــل إذا جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضا تأمل .

⁽٣) في الاصل وجاد مجده تأمل .

مِن خَطُوات خَيْله فى بلادهم بالمُغيرات صُبْحا ، ومر خَطَرات ذَكْره فى قُلُوبهم بالمُغيرات صُبْحا ، بالمُوريات قَدْحا .

وَفَى معنــاه :

يَقَبِّلِ الباسطةَ الشريفة أعلىٰ اللهُ شأنَها ، وجَمَّــل ببقائها زَمانَهــا، وضاعفَ علىٰ الأولياء بِرَّها وإحسانها .

وينهِي : أنه آبتاع جَوَادًا أعجبه ، وطِرْفا آنتخبه ، وقدْ قدّمه لوَلِي فعْمتِه ، ومالك عُهْدته : لأنَّ الكِرامَ لا تكونُ إلا عند سيّد الكِرام ، والذي يصلُحُ للولى على العبد حَرام ، فالله تعالى يجعَلُ التوفيق ضِياء نُحَرِّته ، والبُمْنَ مَعْقد ناصيته ، والإقبال تحجيل أوظفته ، والسعادة موضع الجلوس من صَهْوته ، والمملوكُ يسأل الإنعام بقُبُوله ، و [أن] يبلّغه من ذلك [غاية] مأموله ، مضافًا إلى ماسبق به سابق إحسانه العميم ، وفضله الجسيم ، والله تعالى يحرُسه بعينه التي لاتتام ، آمين .

الأجوبة بوصول الخيــــل

جوابُ عن نائب الشام إلى أميراخور بالأبواب الشريفة ، عن وصُول خيلٍ السه من الإنعام الشريف _ من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب :

لا زَالَتْ مَبَشِّرةً بَاعظُم الخير وكرام الجيل، مَيَسِّرة النعاء بسوابِق السَّيْر كَدُوافِق السيل؛ مُشفِرةً عن إيجاد سواجِح إلا أنها في الفَخَار والشِّيةِ ضافِيةُ الذَّيْل، سيفيرة في الجَوَاد بكلِّ جَوَاد تبتسمُ غُرَّتُه آبتسامَ النهار ويُدرِك طَلَبَه إدْراك الليل؛ تقبيلًا يستَبِقُ استِباقَ الجياد؛ ويتَسق على الدَّرج آتِساقَ العُقُود على الأَجياد.

⁽١)` النعيم والنعمة والنعمى والنعاء ما ينعم به فلعل الصواب الانعام .

وُيْنْهِي بعد ثناءِ وولاءِ : هذا يَهِيمُ في كل واد، وهِــذا يَهِيم بمثله كلُّ وادٍّ؛ وُرُودَ مشرِّفة مولانا الكريمة بما ملأ القلْب مَسَرَّه، والعينَ قُرَّه، ودرَجَ عامَ الفيل من نُجُب الحيل السيارة مستَمَّل وُغُرَّه؛ فقابلها المملوكُ بتقبيله ، وقام لها على قَدَم تُعجيله ؛ ثم قام إلى الخيل الشريفة المنعَم بهـ عليه فقبَّـل من حوا فرها أهلَّةً ثم من غُرَرها نُجُومًا، وتأمَّل شياتها البرقيَّةَ وٱستمطر من الشُّعود نُحيُومًا؛ فأَدْنَتُ له من الإقبال أمَّدَ قاصيها، وظلُّ بمنزله الخيرُ المعتُّودُ بنواصيها؛ وتضاعفتْ أدعيتُه الصالحةُ لهذه الدولة القاهرة الصالحيَّة زادها اللهُ من فضــله ، والوقت الذي ملأَ الدنيا بسَحَاب جُوده ورياح جيَّاده ورياض عَدْله ؛ والملك الذي لاينبَغي لأحد من بعده ، ولولا شُهودُ العهد الشهيديِّ لقال ولا لأحدِ من قَبْله ؛ وأعدُّ الملوكُ هذه الثلاثةَ من الحيل ليُفْني عليهـا بالقتال أهلَ التعطيلِ والتَّثْليث، ويستَخفُّ بهـا آجالَ الأعداء بيز_ يدَّى مالكه: فإنها من ذَواتِ العِزِّ والعزم الحَثِيث؛ وما هي إلَّا كواكبُ سَعْد تمددها أسنَّتها الوَقَّاده ، وزَهَراتُ حسن حيَّتْ بها علىٰ البُعْد سفارتُه المعتاده ؛ لاَبر ح مولانا يقَلِّد بعِنايتــه وإعانيّه المِننَى الحِسام، وينصُر بعزائمهِ القاطعَة، وكيف لاينصُرَ ويقُطَع وهو الحُسَام ؟ .

وله فى جواب وصُول أكديش وبازٍ [وكوهية] :

لا زالَ جزيلاً سَمَاحُه ، جيلاً من الحمد رَبَاحُه ، جليلاً بِرَّه الذي يشْهَد به طائرُ الخير و يمنه وطائلُ الخيل وتَجاحُه ، هذه المفاوضة تُهدى إليه سلاماً يخفِقُ جَنَاحُه ، وثناءً تُشْرِق نُحَوره وأوضاحُه ؛ وتوضِّع لعلمه الكريم وُرودَ مكاتبته سريعة الإحتثاث ، طائرة بيمن طِرْسها وهدييتها بأجيحة مَثْنَى وثُلاث ؛ فحصَل الوقُوفُ عليها ، وتجدَّد عهدُ الارتياح لدَيْها ؛ وقهمنا ما لم نَزَل نفهمه من وُدّ الحناب العالى ، وبِرَّه المُتعالى ؛

ووفاءِ عَهْده الذي نتلقًاه المحامِدُ بأمالِي المحبِّ لا بأَمَالِي القالِي ، ووصل الأكديش الايكر ظاهِرًا حُسُنه ، سافِرا عن وَفَق المُراد يُمنه ، نتجمَّل به المَواكِب، وتُمَاشيه الرِّياحُ وبعضُها من خَلْف ه جَنائِب ، وكذلك وصل البازي والكُوهِيَّة ، وكلاهما بديعُ الأوصاف ، سريعُ الاَ قتطاف لأزَاهِر الطير والاَ ختطاف ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ بجناحِه اللَّمُوح ، ويستَعْجِل من الأَفْق وارد الرِّزْق المُنُوح ، ويُواصِلُ الحيرَ والمَيْر إلى المَطبخ ، فكأنَّ حوائج كاش تغُدُو إليه وتروح ، لا بَرح إحسانُ الجناب العالى واصلا، وذِكُه في ضمير الاَعتداد حاصِلا ، وحثمُ سماحتِه وشجاعتِه باستِحْقاق الناء فاصِلا .

جواب بوصول جَوَارح :

كُتِب به عن نائب الشام، جوابًا لمطالَعة وردَتْ على نائب الشام من الصالح صاحبِ مارِدِينَ من بَقَايا بنى أُرْتُق، صحبة سَناقِرَ، هديَّة للصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون: صاحب الديار المصرية. من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَاتة:

وأيَّد هِمَه السَّواجِ ، ونِعمَه السوافح ، وشِيَه التي تنتظم منها عليه دُرَرُ المحامد والمَمَادح ، وشكَر هَمَداياه التي منها جَوارِحُ طير تخفُقُ لفَرْط آستِحْسانها الجَوارِح . ولا زال من أَجْمَحة نَصْره حتَّى السِّماك الرامح ؛ ومن جُنُود سعده للأولياء سعد الشّعود ، وفي الأعداء سَعْدُ الذابح ؛ ومن جِياد ركابه الشَّهبُ إلا أنها شُهبُ الأفلاك السَّعود ، وفي الأعداء سَعْدُ الذابح ؛ ومن جِياد ركابه الشَّهبُ إلا أنها شُهبُ الأفلاك السَّواجِح ؛ ولا بَرِح سلطانُ البسيطةِ مكافِئًا عملَ قلْيه الوفيِّ ، ولا يُنكر العملُ بالقلُوب بينَ الصالح والصَّالح .

المملوك يقبّل الأرضَ التي تستمِدُّ السُّحُبُ من سَمائها، وتستعِدُ منازِلَ الأَنجُم للتعَلَّم من أنوائها؛ تقبيلًا يُودِع ورَقَ الرسائل أزاهِرَه، ويُطْلِع في ليالى السُّطُور زَواهره، ويدِّنِزُ في أيدى الحُروف إلى أن تَصِلَ إلى أجياد المَنَابر جَواهِرَهُ. ويُنْهِي ـ بعد دعاءِ صالح، إذا جُدّد تجدّد، وولاءِ ناجِح، إذا ٱنْعطف تأكّد، وثناء سانيج ، إذا سرى لا يتوقَّف إلا أنَّ نَسِيمه في الآفاق يترَدَّد ، وآرتياج لما يَردُ من أخبار دياره السارة إذا شافَهَ سرورُه سَمْعَ الوليِّ شهد وسَمْعَ الحاســـد تشَهَّد، حيثُ يتَلَقُّ ببلاده النُّجْح والمَقاصد، وصلات البِّر والعوائد، ووُفُودَ الآمال من كل أَوْب: فديارُ بكرديارُ زيْدِ وعَمْرو وخالد_ وُرودَ المشرِّف الكريم، بل الغيث السائرِ بخِصْب الْمُقيم ، علىٰ يَد فلان ونِعْمَ السُّدُ العائلةُ لأيَّادِي البِّرِّ العَمِيمِ ، ونِعمِ المشرِّفُ الوارد عن مَقَرٍّ : هذا للا مَل كَهْف وهذا للتأميل رَقِيم ؛ فَفَضَّه المملوك عن علامةِ ٱسم لحُسْنها وُسُوم، ولها رُسُوم، وٱستجلىٰ مواقِعَ تلك الأناملِ المُضَسيَّة وأقسمَ علىٰ فَضْلها بمَوَاقِع النَّجوم؛ وأنتهىٰ إلى الإشاراتِ العاليــه، وعلمَ ما كان القلبُ يعْلَمُهُ من ضمــائر الوُّدِّ الحاليُّــة لا الحالية، وقابل كلُّ أمْرِ حسنِ بمــا يجِب من مَذَاهب الوُدِّ المُتواليــه، ووصلت السَّناقرُ الْمُنيرُ سَــناً فضلها ، المُبِير في مَعَارك الصيد شَــباً نَصْلها ، القــائمةُ ف كُواسِر الطبير مقامَ الملوك الأكاسرة إلَّا في حُكُمها وعَدْلها ؛ لا حِمَ أنها إذا دَخَلَتْ آفَاقَ طَيْرِ أَفْسَـدَتُهَا وجعلت أعزَّة أَهْلِهِـا أَذِلَّهُ ؛ وإذا ٱنقضَّتْ علىٰ سرْب وحْشِ جَذَبَتْهَا مِن دَمِ الأَوْرِدة بَارِسانِ حَيثُ كَسَتْهَا مِن قَوَادِمِ الأَجْنِحَةُ أَجِلَّهُ ؛ لأُيْسَالُ كَاسِرُها في الطُّيور بأيِّ ذَنْب قُتِلتْ ، ولا يجِلُها جانب الطــير والوَّحْش إذا عاندَتْه فياعَجَبا لها على أيْدى البَشَركيف مُمِلَتْ؛ تُظلُّ الصيدَ فلا عَجَبَ أن يَفْزَع بها من ظِلَّه ، وتكتُبُ علائِمَ الْمَيْن والظَّفَر بمـا في لَوْنها من شَــبَه الخَطِّ وشَكَّله ، نِعْمَ الجالبةُ للخَيْرُ والمَيْرُ، والسائرةُ بما يُخيف المتصَيَّدات وكيفَ لا ؟ وعلىٰ زُمُوسها الطير، أزاهِمُ حُسْنِ لابِدْعَ أن يكون لها كَمَاتُم ، وبَوَارِقُ العزم لاجَرَم أنَّ أجنِعتُها غَمَاثِم ؛ ونواقِلُ البأس والكَّرَم عن مُرْسِلها فمهما جَمَعَتْه الشَّجاعةُ فرَّقتْه المَكَارم . ٱستَجْلاها المملوكُ بعد ألفاظ المشرِّف الكريم فقال : (تلك الرياضُ وهذه السُّحُب، وتلكَ الأنوارُ الهادِيَةُ وهذه فى أُفْق مَطَارِها الشَّهُب) ؛ وجهّز المملوك المطالعة المُحضَرة للأبواب الشريفة أعلاها اللهُ وشرَّفها على يد فلان المذكور فقُويِل بالإكرام والكَرَم، ومَثَل بالمَوَاقف الشريفة مُثُولًا رقى بهِمَّته إلى الكَواكب لا جَرَم ؛ وذَكَّر بصالح بيت الارتقاء صالح بيت أُرْتُق حتَّى أنشد :

فَهَلْ دَرِيْ البيتُ أَنِّي بِعْدَ فُرْقَتِهُ * مَا سِرْتُ مِن حَرِّمٍ إِلَّا إِلَىٰ حَرَّمٍ!

وقد عاد مُعْلَما من البِشْر بما يَراه مولانا عليه ، مُعْلِما بما تقدّم من نجوى الإنعام بين يدَيه ؛ حاملًا من كَرْم وجاه يُعَدّان للأولياء في يوم نُزُل وللأعداء في يوم نِزال ، قائلا برجاء سَعيه المؤمَّن : (يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) ولن تَزَال ؛ واللهُ تعالى يُجرِى كَرَم مولانا على عوائد إسعاده ، ويَحْرُس بعينه وملائكته نَفَاسة نَفْسِه وبلاده ؛ ويُدْخله بأشمِه ومُسَمَّاه لدى الدِّنيا والآخرة في الصَّالِحين من عَبَاده ،

وله جوابٌ بوصول بازِيَيْنِ :

ولا زالَتُ بُزاة كرمه على الحمد مُطله ، وسحائبه مستمِله ، وهمه مستقِلة بأعباء المكارم وإن كانت لكثير ما يُهديه مستقلة ، هذه المفاوضة تُهدى إليه من السلام أجله ، وتُوضّع لعلمه الكريم وصول مكاتبته العالية فوقفنا عليها ، وعودناها بكلمات الثناء التامّة من خَلْقها ومن بين يديها ؛ وعلمنا مالم نزل نَعْلَمُه من مُوالاته وآلائه المُسْنَد في الشكر عنها والمستند في الوَلاء إليها ؛ ووصل كلا البازيين الحسنين المحسنين ويخصل به اليسار ، وما هما بأقل العلوب والأبصار ، ويحمل كل منهما على اليمين فيحصل به اليسار ، وما هما بأقل إحسانه الأسنى ، ويره الأهنى ، وأياديه التي أبي الكرم إلا أن ترد مَثْنى مَثْنى ، وعُلم الصيد العندار ، عن المُوهية التي كارب آدّ وها في المنققت ، ولو أقيمت بها أسواق الصيد العيد

نَفَقَت، وأرسل بروايتها تحقيقًا لدَعْوى المكارم التي من زمان تحقّقت ؛ واللهُ تعالىٰ يشكُر بِرَّه، ويملأ بذكره بحرَ الثناء وبَرَّه .

وله جوابٌ بُوصُول كُوهِيَّتين علىٰ يدِ شخصٍ ٱسُمه باشَق :

لازالتِ المحامدُ من مَصَايدِ إنعامه، وفوائدِ أيَّامه؛ وثمراتُ الباسِ والكَرَم مر. قُضُب سُيوفه وأقلامِه؛ تقبيلَ معتَرفِ بإحسانها، مغتَرفٍ من مَوَارد آمْتِنانها؛ متْحَفِى منها بعالي تُحَفِّ تُدُلُّ على مكانها في الفضل و إمْكانها .

ويُنْهِى ورُودَ مشرِف مولانا الكريم على يد الولد « باشـق » فياله باشَـقُ جاء بُكُوهِيَّتين جميلتيْن ، وطار للشرعة وهو حاملٌ مِنْتين جليلتَيْن ؛ وقد وصلتاً و [كُلتا] هما حسنةُ الخُبْروالخَبر، حميدة الورْد والصَّدر، يحسن مَسْرىٰ كلِّ منهما وسَيْره ، و يَتجمَّلُ بهما بابُ الشَّكْر خاناه وصدْرها و ينكثر خير المَطْبَخ ومَيْره ، فمد المملوك إليهما اليدَ المتحمِّلة الحسامِلة ، وإلى المشرِف الكريم اليدَ المتولِّية المُتناولة ، وعلم ما تضمنه من الحُسْن والإحسان، وذكر الموالاة التي يحكم بها القلب العالمُ قبل شهادة اللّسان ، وكلُّ موارد والإحسان ، وذكر الموالاة التي يحكم بها القلب العالمُ قبل شهادة اللّسان ، وكلُّ موارد مؤلانا عن تعدُّر وُجُودِ الشاهين ؛ وكلُّ إحسان مولانا شهي كافي ، وكلُّ موارد نعمه هي صافي ؛ ومافات مَقْصَدُ و إنعامُ مولانا و راءَ طَلبه و إنْ طال الأمَد، ولاقر مطلوبٌ حتى يأتِي به سعْدُ مولانا مقرُونا في صَفَد ؛ والله تعالىٰ يشكرُ عوائدَ فضله ، ولا يُضْحِي الآمال الملتجئة [أليه] من ظلة .

جواب بوصول طيور، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وشكرَ هذا ياه المتقبَّله، وَسَجاَياه التي هي بأفواه المحامد مُقبَّله، ولا زال بدرَ سعادتِه المأمولة وطائرهديَّته المتأمَّله .

⁽١) مراده لا يحرمها ولا بخليها .

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه من السلام أمّمة، ومن الثناء أمّمة، وتوضّع لعلمه الكريم وُرود مكاتبته الكريمة، ومكارمة العميمة، وطُيور هديّته التي كلَّ منها في الحُسن بدر تمّم، وظهرت ظُهور البدر لِتمّامة فأبت محاسِنها أنْ تنكيم، فَسُن ورُودُها، ورُعِي بفضل التلطّف والتودُّد مقصودُها، وأقبلت تلك الطيور التّميّة تامّة الإنعام، دالّة بُيمْن طائرها على بَركة عامّة وكيف لا؟ وقد جاءت بيضاء عدد شهور العام، والله تعالى يزيده من فضله، ويُموي الأقدار بالسَّعود الشاملة لجمعة الحَلمة لشَمْله، إن شاء الله تعالى .

جواب فى المعنىٰ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتةَ أيضا :

لازالتِ الحَوارِحُ شاهدةً بِيرِهُ، والحوائحُ حائمةَ الجَناحِ علىٰ شَريفِ ذِكْره؛ والمحامد من مَصايدِ أقلامِه ورِماحه في السَّلْمُ والحُرب : فإمَّا بقَوادم شُمْره، وإما بَمَنَاسِر مُمْره؛ تقبيلًا يبعَثُه علىٰ أجنحةِ أوراقِ الرَّسائل، ويتصيَّدُ به علىٰ البُعْد مشافَهة تلك الأنامل الحَلَائل.

ويُنْهِى بعد دعاءٍ، تُحَلِق إلى السهاء كلماتُه الحَسنه ، ووَلاءٍ وثناء : هذا تَخْفِق بتشوّقه أجنحة القلوب، وهذا تخفِقُ بذِكْره أجنحة الألسنه _ أنَّ كتابَ مولانا ورد على المملوك فأورد عليه المسارّ؛ و[ملأ] يده بالمبار، ومصايده بالميْر، ومنازلة بالحيّر؛ وآماله بأمالي الكّرم لذى السرحات المنشرح بآية (وعُلِمَّنا مَنْطِقَ الطَّيْر) فقابله المملوك بتقبيله ؛ وواصل فضل الا عتداد بتفضيله ، وحصل من هَداياها وهُداها على جملة الإحسان وتفصيله ؛ وآنتهى إلى الإشارات العالية التي زكت على العِيان وتأميّله وأربت على الجنان وتأميله .

فأمًّا الإنعام بالكُوهيَّتين اللتين ماقَذَف البحُر إلى الساحل أبهي من دُرَرهما المُكُنُونه ، وأَزْهَرَ من وجُوههما المباركة الميمُونه ، فقد وَصل كلا الطائريْن بيمُنه ، والسابقين بَمِّنَّه؛ والغائبين فيجَوِّ السهاء الآتيين من الصُّيُود بأوْفيٰ من قَطَرات مَوْنه، وٱستقبل المملوكُ منهــما وُجوهَ المَسارُ ، وحملَتْ يمينُــه الثَّرُوةَ وحملَتْ على اليَسَارِ ؛ وتناولتْ يُده يدَى إحسانِ يَسُرُّ الناظرين والسامعين؛ وٱستُتخدَمَا للشِّكُرْ خاناه ولحفظ مَطْبَخ يملاً عُيونَ الْمُشْبَعِين والجائِعين؛ وقال صَنْعُ الله لِصِنَاعتهما: ائْتِيَا بَصُيُود السَّماء طَوْعا أوكَرْها ﴿ قَالَنَا أَتَيْنَا طَائِعِين ﴾ . قد كتبَتْ باليُّمْن في مَطَاوى رِيشها أشباه الحُروف ؛ وقصى الجُودُ لِتلكَ الأحُرُف أن تَقْرِىَ ماتقتَرِى عَوَاصى الطــيرله بطاقةٍ تقَيِّد الساجِحَ فَى طَلَقَه ، ويعودُ مُطْلِقُها وقد ألزَمَ نَجَاحَ الطيرِ طائرَه فى عُنُقِه ؛ فشكر الله إحسانَ مولانا الذي أَخْفَ الأملَ جَنَاحه ، والقصــدَ نَجَاحه ، وبرَّه الذي أحمدَ في سوانح الطيرِ وبَوَارِحه مَسَاءه وصَبَاحه ؛ وعلمَ ما أشارَ مولانا إليــه في أمر فلان وأمْرُهُ علم الله تعمالي في الحاطر حاضر، وما يؤتِّرُ شُمُّنكَ عن إهمال وعائبُ الإمْهال غادر؛ وما أشار إليته فى أمْن فلان أمير شكاره وأمير شكر المملوك، وتقدّمَ بخَلَاص حقّه، وآستنزل بهديَّته قضاءَ الشُّغُل من أُفُّقه ؛ لأبرح مولانا ممَتَثَلُ الأوامر، هامي سُحُب البِرِّ الْهَوَامر، مجدِّدا في كل وقي نُعْمىٰ ، مالئاً بهداياه قلوُبُ عبيِّه و بيُوتَهم شَعْما ولحماً ؛ إن شاء الله تعالى .

وله جواب في وُصُول طُيُور العَقْعَق :

لازالتْ متَّصلةً مِنَنُ إرفا ها و إرْفاقِها ، نازلةً على حُكُها [الأشياءُ] حتَّى الطَّيْرُ العاقّة من آفاقها ، خافقةً أعلامُ نصرها بالأجنحة مؤمِّنةً لظُنُون القاصدين من

⁽۱) لعل المناسب « بطون » •

، إخْفاقِها، تقبيلَ مُطْلِقِ لسانَ الحمدِ على عوائِدِ إطْلاقِها ، مُجْتَنَ لثَمَرات الإحسان من غُصُون أقلامها وغُضُون أوْراقِها .

ويُنهِي وُرُودَ مشرِّف مولانا العالى على يَد الولد فلانٍ فوقفَ المملوك عليه ، وعلم من جميل الاحتفالِ ماأشار إليه ، وأنه موقع على المقصود من طيور العقعق فاوقعها من مَطَارها ، واستنزلها مر . . أوكار أُفقها وأُفق أوكارِها ، وأرسلها قرينَ مشرفه الكريم ، وقلد عُنقَ الأمل بعقدها النَظيم ، ووصلتْ سبعة كعدد أيام الجُمعة الكامله ، والكواكِ المائله ، والسَّموات لاجرم أن سُحُبَ يُمنها هامله ، حسنة الشَّكل الموصوف والوَصْف و إن كان مع عُقُوقه المألوف ، طائعة لأوام توقيعه فحاعق منها شيء غير تضَعَف اسمِها المعروف ، لابرح إحسان مولانا متنوّا، وبرَّه الجزيل متفرعا ، وغُصن قلمه بأنواع المكارم متفرعا .

وله جواب بوصول تِمَّــاتٍ، و إوزِّ صِينيٌّ، وطلبِ إمرةِ عشرة :

حمى الله تلك النّعمة من الغير، وأطلعها عليه بأين الغُرَر، ولا بَرِح طائرُ مَنّه كوصفه أبيض الحُبْر والحَبر ، هذه المفاوضة إلى الجناب الكريم تُهْدى إليه سلامًا يَشُوق الصَّبَاح، وثناء خَفَّاق الجَنَاح، وتُوضَّع لعلمه الكريم ورُودَ مكاتبته الكريمة بشُوق الصَّبَاح، وثناء خَفَّاق الجَنَاح، وتُوضَّع لعلمه الكريم ورُودَ مكاتبته الكريمة جميلة الفوائد، جليلة المَصايد، تميِّية البُدُور المتناولة من مَنال الفراقد، فوقفنا بالأشواق عليها، وعطفنا على العادة بتأكيد الولاء إليها، ووصلت تلك المَيَّاتُ واضحة الأنوار، عليه لائحة كبياض النُّوَّار، تامَّة تمام ميقات مُوسى عليه السلام إلا أنَّها لبياضها كأر بعين نهار، وكذلك البَطُّ الصِّينَ كأيَّام الحبِّعشرة كامله، مفترضا على عَشرتها ولاء القلوب نهار، وكذلك البَطُّ الصِّينَة مملوءة بَعَاسن الألوان التي هي بغير مَشَل ماثله ، وحصل المتامِّلة الآمِلة ، والاَّ زدياد لحمده وشُكُره، وفهمنا ماذكره من إمرة العَشَرة التي آنعلَّت

عن فلان، وقد طالَمْنا بأمرها، وعَجَّلنا بذِكْرِها، ونرجُو أن يعَجَّل بأمانِيِّها المنتظَره، وأن يقابلَ بَخُوا فِق أعلامها خَوا فِقُ بَطِّـه فتقابلَ عشَرةٌ بعَشَره، والله تعالىٰ يعجِّل لَمَاليه الصَّعود، ويؤكِّد لمَسَاعيه السَّعُود؛ إن شاء الله تعالىٰ .

الأجوية عن وصول الصُّيود ولحومها

جوابٌ عن نائب الشام إلى نائب حلَبَ بوصول [لحم] طير صيد قَدِيد وَصحبتَه بِطّيخ أَخَضُرُ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتةً ، وهو بعد الألقاب :

لازالتُ تُقتَنَصُ المحامدُ بِعَطَاياه المكرَّره، وأوابِدُ الصيدْ برَماياه المُقَرّرة، ورقابُ الإنس والوَحش: إمَّا بسمام نِعمه المتواترة، وإمَّا بسمام قِسِيَّه المُوتَّره، ولا بَرِحتْ نَفَحَات مكارمه، تشهَدُ أنَّ المِسْكَ بعضُ دَمِ الغزال، وسَرَحات عزائمه، تمتد في صَيْد الوَحْش لقرئ تزيل أو في صيد الأعداء لتقرير تزال، تقبيلًا تنعطف أجيادُ الظّباء لمحاولة عُقُوده، وتزدَحُمُ أفواه الأولياء على مشافهة ورُوده.

ويُنهِى بعد وَلاءِ تقومُ الحواطرُ الكريمةُ فى دَعْواه مَقامَ شُهوده ، وشوق لا تزال النّسَمَاتُ الشَّمَالَيَّة قاضيةً باستمرارِ وُنُوده ـ أنّ مشَرِّف مولانا الكريمَ وردَ على المملوك على يد فلان وصُحبَتَه الإنعامُ المتجدّد ، وإن كان قديما فى المعنى ، والليم القديد ، وإن كان أطرى من الروض النّضير حُسْنا ، والسّمين المحبوب وإن كان كال عداه الذين تُقدَّد جسومهم فى الحياة قبل الممات حُرْنا، فقابل المملوكُ المشرِّفَ الكريمَ ، بقبول مُسْعده ومُسْعفه ، وعانقَهما بجوانح آماله ، بتقبيل أحرُفه ، والإنعامَ العميم ، بقبول مُسْعده ومُسْعفه ، وعانقَهما بجوانح آماله ، وأخذ الكتاب والبرَّكما يقال بيمينه وشماله ، فيالها من ظباء تُعْسَق وإن بليتُ وأخذ الكتابَ والبرِّكما يقال بيمينه وشماله ، فيالها من ظباء تُعْسَق وإن بليتُ عاسنُها ، وغرْلانِ تُعازَل وإن بادَتْ عيونُها إلا أنه ماباد حُبُّ من يعاينُها ، وصيود تُوصَف وإن قصدَتُها قِصَدُ السِّهام بطَعْن ، ويُتَق بَقُرونها القتالُ والقسىُّ تالية : تُوصَف وإن قصدَتُها قِصَدُ السِّهام بطَعْن ، ويُتَق بَقُرونها القتالُ والقسىُّ تالية :

(كُمْ أَهْلَكُمَّا مِن قَبْلِهِم مِنْ قَرْب) . سلكَتْ خيولُ مولانا لقَنْصها المَصَاعِبَ وَآتَخَهُ الآكِلُون سَهْلا ، وتَصَيَّدها من الفَلاة وآصطادَها القاعدُون من المِقْلى ، ووصل معه البِطِّيخ الأخضرُ فشبهه بيار الجنة المَشَبّهُون ، وقيل : هكذا ترتيبُ مآكِلِ الجنة لهم فيها فاكهة ولحمُ طيْر مما يَشْتَهُون ، لا زالتْ مِنَنُ مولانا مشرُ وحةً مشرُوعه ، وثمراتُ نِعَمِه من الدنيا كَثَمَرات أهلِ الجنه غيْرَ مقطوعة ولا ممنوعه ، متمدً وكَرَمه ،

أجوبة هَدَايا الفَوَاكه وما في معناها

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جوابُ وُصُول مشْمِش لُولُؤى ودَغْمِيشي من حَمــاة .

بَسطَ الله ظِلَّها ونَدَاها، وأطلع باليُمْن نُجومَ هديَّتها وهُــدَاها؛ ولا زالتْ مواهِبُ بحرِها لُوُّلُؤيَّه، وشواهد يُمْنها كُوكبِية، وثمراتُ جُودها فضِّيةَ الأعيان ذَهبِيِّه، تقبيلًا حلَتْ مواقعه، وجلَّت مَطالِعُه.

وينهى بعد ولاء وحمد : هذا قد ثَبَتَتْ فى القلب شريعتُ ه وهذا قد عذّبَتْ فى السمع مشارعه ، أَنَّ مشرِّف مولانا الكريمة وردت على المملوك نتضمَّن الحُسن والإحسان، ويمين البرِّ الشامل لكلِّ إنسان، وعَهْدَ الحَبَّةِ التى حكمَّ فيه بعلمها القلوب فما تحتاج إلى بَيِّنة لِسان، فقابلها المملوكُ مقبِّلا، واستجلى وجه الوُدِ والإحسان مُقْيِلا، ووصل المشمشُ الذي شفى لُولُو يَّه نظر الناظرين، ونوعُه الآخر الدخميشي الذي هو الشهد بحسنه ولا يُدغمَّش باسمه على الحاضرين، فتناول المملوك عوارِف بِيِّه المعروف والمبتكر، واستضاء نجُومَه المترددة مُنشداً قولَ المعرّق : (كَمْ دُرنْ ، في المتحرة والمربّق المتردة مُنشداً قولَ المعروف عالمَرات ، المتصلة وكم يُرنَ هاذه الأَكر) ، وقال : شكر الله هذه المين الحُلُوة الثمرات ، المتصلة وكم يُرنَ هاذه المُن الحُلُوة الثمرات ، المتصلة

الحَطَرات ؛ وهذه الْجَانِي التي طابَتْ أصولُها وفروعُها فلا أبعدَهن الله من شَجرات ، وحدائق ذلك العاصى وحَيًّا حماة وما جلبَت ، وحدائق ذلك العاصى الذي أطاع ببركة مولانا فأنبت أحلى وأحل ما نبَت ، وقد جهّز المملوكُ هذه الحدمة منطوية على وظائف الحمد المُستَجاده ، ولطائف الحُبِّ المستفاده ، وحمْد المنن التي لا تزال من مولانا عادة ومن الحبِّين شَهادَه ، لا برحتْ يدُ مولانا الكريمة أن بُسطت فيعوائد إنعامها ، وإن قُبضتْ فعلى سُيوفِها لمَصَالِ الدُّول وأقلامها ، وإن رَهتْ فروع المكارم ، تساقطتْ ثمراتُ بِها من زَهرات أكامِها .

جواب بوصول مِشْمِش وبِطِّيخ حلَبِّي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

ويُنهِي بعد ولاء وثناء : لهذا في الأسماع أزهى وأزهَّر تَمَره ، ولهذا في القلُوب أرسلي وأرسخُ شَجَره وُرود المشرِّف الكريم على يد فلان بما مَلاَ السَّمْع من أخبار مولانا المرتقبة سُرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نُورا ، والفَمَ من هَدَايَا المسْمِ المَهَوَّى كُثُوس لَذَّة كان مِزاجُها كافُو را ، فقبَّل المملوكُ أستُطرَه مستَحلياً مواقِع رَشَفاته ، وقابله بعوائد المحامد مستَجلياً عوائد آفتقاداته وصلاته ، ومد يَده وفكره فالتقط النَّجوم المُشْرِقة من هَدَاياه وكلماته ، وتقلَّد جواهر المَبرَّات الحسنة الحُسَّنه ، والمُرات الي جاءت بدرية القُدُوم وإن كانت نُجُومِية الهيئات المكونة ، واستَصوب فالتمرات الي جاءت بدرية القدوم وإن كانت نُجُومِية الهيئات المكونة ، واستَصوب نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادقُ قوْس السماء المُلوّنة ، وصَفا وطاب ظاهرُها وقلُهُ على على عَبَه المُراسانِيّ أولى بفَصَاحة الفَخَار والكَرَم ، لا زالتْ فَعَلَات منز مولانا مستَجادَه ، ونِعَمُه لاسيّ المشْمِشيّة مستزاده ، وآفتقاداتُه المشمورة لدى مماليكه مستجاده ، ونعَمُه لاسيّ المشْمِشيّة مستزاده ، وآفتقاداتُه المشمورة لدى مماليكه

⁽¹⁾ لعل الصواب وان هزت، كما لايخفي .

ومحبّيه منه عادةً ومنهم شَهاده؛ وجاءتُ فاكهةُ اليِطِّيخ الحليِّ وقد رَضَع حَلَب الْغَهَم فَانْجَب ، وآستوى باطنه وظاهِرُه فى الحُسْن فأَعْجَبَ من حين أعشَب ؛ وآستطابَ الذوقُ والشَّمُ مَطعَمه وأنفاسه ، ووصف بالرَّءوس فضَمَّه كلَّ متاقَّ وقبَل راسَه ؛ وقال : نِعْمَ الهَديَّة السِريَّة ، والفاكهةُ التي طلَعَت حُزز[ها] هلاليَّة وتُمزتها بَدْريه ، ووابُ عن وصول بِطِّيخ حَلَى ، من إنشائه أيضا، [وهو] بعد الألقاب : جوابُ عن وصول بِطِّيخ حَلَى ، من إنشائه أيضا، [وهو] بعد الألقاب :

وشكر سَجَاياه التى عَلَتْ ، وهداياهُ التى تَكَرَّرَتْ فَلَتْ ، وآفتقاداتِه التى طابَ ظاهِرُها وباطنها فكأنها من أخلاقه الجيه إنقلَتْ ، أصدرناها تُهدى إليه سلامًا يتقدّم كهديته نسيمُه العاطر، وثناءً يُنتِّج أطابِبَ النَّمْرَ مقدِّماتُ غيثه الماطر، وتُوضِّع لعلمه الكريم أنَّ مكاتبته الكريم أنَّ منافرة به الله حرَّ حَلَيه ودُرَّ جليه ، لقد حسنت في مَلاذ المطاعم طريقتُه المرضيه، ولقد أشبه القناديلَ بتكوينه وفتيه عرقه فلا جرم أنَّ قناديلَه عند الشَّكْرُ مُضيَّه، ولقد ملاً خَبره وخُبرُه عينَ البصر وأذُن المُصيخ، ولقد خُلق دواءً للأجسام حتى صَّ قولُ الحلييين للأرمَد: دَواوَّك اليطيخ؛ فشكر الله إحسان الجناب المخالى، والله الوالد ومن عندها سلامُ الحبِّ المتغالى، والله العالى، ويرد أنَّه من الفضل ماوَهَب ، ويردُقُهم بغير حساب ويردُقُ الظنَّ فيهم ماحسبَ ؛ إن شاء الله تعالى .

وله أيضا جواب بوصول بِطِّيخ حلبي ، وهو بعد الالقاب :

وشكر إحسانَه الذي حَلَا مَذَاقُه، و زَكَتْ أَعْرَاقُه، وحَيَّا عَلَى البُعْد تَحَيَّــةً طَيِّبةً نَفَحَتْ بِهَا أَزِهَارُ الكتاب وأَثْمَرَتْ أُوراقُه ؛ هــذه المفاوضة تُهدِي إليه سَلامًا طيِّبا كهديَّته، وثناءً زاكيًا كطَويَّته، وتوضِّع لعلمه الكريم ورُودَ مكاتبتــه الجامعة حَسَن الأقوال والأفعال، المطلعة بوارد غمامها أطيب الثمر في الحال؛ فأحيَتْ وَلاءً حاشىٰ لوجوده من العَدَم، وجدَّدت عهد البشر وما بالعَهْد من قدّم ووصل البطّيخ الحلّي أصله، الحموى فصله، الدِّمَشْقُ ضَّمه وشَّمه وأكله، العَلَكِيُّ ولا سِمَّا من الأهلَّة المُحتمعة شَكْله، فكرُم مَطْلَعا، وحَسُن من الأفواه مَوْقعا؛ وعَمّ الحاضرين نوالا، وأشملهم بعَطْف الإحسان ٱشْمَالا، وأخذ الغلامُ السِّكِّين:

فقطُّع بِالْبَرْقِ شَمْسَ الضُّحىٰ ﴿ وَنَاوِلَ كُلُّ هَلَالٍ هَلَالًا هَلَالًا

لاَبَلْ أَهلَة كَثَّرَ تُعدادها، وَكُررَ تُردادها، ورَصَد قُرْبَها ولا نقول كما يقول أصحابُ الهيئمة أَبْعادها، وبرَّه الذي يُطلِع الهيئمة أَبْعادها، وبرَّه الذي يُطلِع كلَّ وقت من هَدَاياه وكُتُبه أهلَّة وكواكِها، ومَرْباه الذي نقل عن ملوك كانت منازلُهُم لَلحامد رَوْضا وكانت أيديهِم للكَرم سَحائبًا؛ إن شاء الله تعالى .

وله جوابُ بوصول قَصَب سُكَّر وأُثرَجِّ وقُلْقاس :

لازالَتْ أوصافُ شِيمَها، تُطْرِب كما يُطْرِب القَصَب، وألطافُ كَرَمها، مما يَغَدِّى الحسسدَ ويُنْعِش الرُّوحَ ويَشْفِي الوَصَب، وأصنافُ نِعَمِها من الحُلُو إلى الحامض مما يُعْدِى الأيدَى المتناولة فهي على الأعداء تَنْتُصِب؛ تقبيلَ محِبِّ حلَتْ له المِننَ فتناوَلَهَا، ومواقِعُ اللَّمْ فعاجَ إليها وعاجَلَها.

ويُنْهِى ورُودَ مشرِّف مولانا الكريم، على يَدِ فلانٍ يتضمَّن الحُسْن والإِحْسان، والبِّر المَاثُور بكلِّ فَم المشكُورَ بكلِّ لسان، فقابله المملوك بما يجب من الحِدْمة لمثله، ولاقاه بعوائِدَ تحَدُ عوائدَ فضدله، ووصل قرينَه الإنعامُ الذي تنوَّع فُنونا وأفنانا، وملا فَم الشراب خاناه سُكَّرا ويد المَطْبَخ إحسانا، وذكر نباتُه الطرابُلُسَيَّ عُهُودَ الديار المُصريه، وأوقات الأنس بخِدْمة مولانا السنيّة، سَقْيًا لها من أوقاتٍ وعُهُود، وشُكْرا

لُحُود مَوْلانا الذي هو في كلِّ وادٍ موجُود ؛ ولتدبيره الشمسِيِّ الذي احْيا اللهُ به على عباده عناصرَ هذا الوُجُود، ولا برحتْ مكارِمُه متنوِّعه، ونِعَم أياديه متفَرِّعه : فمنها ماحَلا فرعه فأصبح لكلِّ حُلُو أصلا ؛ ومنها ماطاب ريحه وطَعْمُه فكان للؤمِن مِثْلا ؛ ومنها مالذ طعامُه الشهيِّ فما هو مما يُهْجَر و إن كان مما يُقْلى .

وله جواب بوصول با تُحورة خِيَار ومُلُوخِيَّة :

لازالتُ تشرَح بمكارمها الصَّـدور، وتفْتَح بركاتِ الأعوامِ والشَّهور؛ وتمنَّحُ من لَطائِفِ مِنْنِهَا كُلَّ جماعةِ السَّرور، وتلْمَح في هَـدَاياها المستبقةِ إلى الأولياء خيارَ الأمور؛ تقبيلً تُحِبِّ لاتُغيِّرولاءَه الدَّهور، ماشٍ من طريقِ المُصافاة والمُـوافاة في نُورِ على نُور على

ويُنْهِى وُرودَ مشرِّفةِ مولانا على يد ف لان نتضمَّن المَعْهُودَ من وَلاَئه وَآلائه ؛ والمشهود المشهور من إحسان نداه قبل ندائه ، فقابلها المملوك مقابلة الشَّيِّق إلى قُرْب الديار ، المُمْضى فى الحَبَّة قلب لمولاه قبل شرط الحيار ، ووصلت لطائف هديّت الخضرة النَّضره ، وطرائف الفضل الباكرة كعانى اللفظ المبتكره ، فتنجَّز اله لوك الخضرة النَّضرة البَّكرة ، فتنجَّز اله لوك الفاكهة قبل أوانها البديع ، ورصد من أفلاك العُلَب فى ذى الحِجَّة عُرَّة ربيع ، وتفاعل بالمحرية الجَمِّع عاد فلان حاملًا وتفاعل بالهدية المجمّعة الأحباب فى أن يَعُودَ الشَّمْل وهو جَمِيع ، وقد عاد فلان حاملًا من رسائل الشوق والشّكر ما يُؤديه بين أيدى مولانا الكريمة ، ويجدد بذكراه عُهود الأنس القديمة ، لا بَرحَ مولانا سابق الكرّم ، مُخْضَر المرابع بييض النّعم .

قلت : وكتبت جواً البعض الأصحاب وقد أُهْدىٰ لى سَمَكا :

أَهْدَىٰ لَنَا سَمَكًا قَدْ طَابَ مَطْعَمُه * أَكْرِمْ بِهِ سَمَكًا لَمْ يَسْكُنِ البَرِكَا ! لَا شَكَّ أَنْ يُهْدِى السَّمَكَا! لا شَكَّ أَنْ يُهْدِى السَّمَكَا!

الضرب الثاني (مر مُثُنَّب التهادي الاستِبْداء)

وآعلم أنَّ كلَّ ما يُكْتَب مع إهدائه قد يُكْتَب مع آستَهْدائه ، إلا أنَّ الغالب مما جَرَتْ به عادة الكُتَّاب في الاستهداء طلب الأشياء المستظرفة الحفيفة المنَّة دُونَ ما يعظُمُ خَطَرُه ، أللهم إلا أنْ يكونَ الاستهداء من الماوك ونحوهم فيطلب فيه ماجل وعظم .

والذي جرت عادة الكُمَّاب بالكتابة في آستهدائه على أصناف :

الصنف الأوّل _ آلاتُ الكِتابة : من الأَدْوِيَة والمِدَاد والأَقْلام :

مما تقدّم ذكره في الإهداء.

أبو الفَرَج البُّغاء في آستهداء دواة :

أَنْفَسُ الذَّخَائِرِ وأَشْرِفُ الآمال ماكان للفَضْل نَسَبا ، وللصِّناعة والحُظُوة سبَبا ، وباللَّوِيِّ تَجْتَىٰ ثَمْرةُ الصِّناعة ، ويحتلَبُ دَرُّ الكتابة ، وقد أوحش المحلوكَ الدَّهْرُ مما كنتُ أَقْتَنِيه من نفائِسها ، وضايقَه في وُجود الرَّضِيِّ على الحقيقة منها ، فإنْ رأى مولانا أن يُميطَ ببعض مايستخدمه من حاليها أو عاطلِها سِمَة عُطْلة المملوك ، ويَسْمَحَ بإهدائها إلى أهل تصريفه ويقابِلَ بالنَّجْج والتقبُّل رغبتَه ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

وله في آستهداءِ مِدَاد :

التَّنَافُسُ _ أيدك الله _ فى أَدَوَات الكتّابة وآلاتِ الصِّناعة بحسّب التَّفَانُر فى ظُهُور النعمة، والتخيَّر لبَيان الإمكان والقُدْرة، و إلا فسائرُ الدُّوِيِّ سَوَاءً فيما تُصْدِره

⁽١) لعل الصواب من الدوى انظر القاموس .

الأقلام عنها ، وتستمدَّه بُطونُ الكتُب منها ؛ وأوَّلَى آلاتها بأن نتَوفَّر العنايةُ عليه ، وينْصرف التَّخَيَّر بالضَّرُورة إليه ؛ المِدادُ الذي هو يَنْبُوعُ الآداب، وعَتَادُ الكُتَّاب، ومادَّةُ الأَفْهام، وشِرْب الأقلام ؛ فعلها اللهُ بواجب القضيَّة والحُكُم ، في حَيِّز وصْفِه من الحمد والذَّم ؛ ومازِلْتَ لنفائس الأَخْلاق مَوْطِنا ، ولنُجَع الإِخْوان في الحَلْ مَعْدنا ؛ ولا مَعْدل بي عن استماحة خرَائيك عَمرها اللهُ المُمْكِنَ من جَيِّده ، فإن رأيتَ أن تستَنْقِذ دواتِي من نُحُول العُطْلة ، وتُكَرَّم قلمي عن ظمإ الغُلَّة ، وتكشِف عنها سِمةَ النَّقُصان والخَلَّه ، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

علىّ بن خلف، في مثله :

أوْلَىٰ مَا أَنْسِط فِي آسَتِهْدَائه، وتسمَحُ [نفسي] في آستماحتِه وآستِجْدَائه، ماكان ناقِعًا لغُلَّة الأقلام، مقَيِّــدًا لشَوَارد الأَفْهام، مَحَبِّرًا لبرُود البَيَان، حاليًا في مَعَارض الحُسْن والإحسان، وكتبتُ هذه الشَّكُوىٰ أطال الله بقاء سيدى :

الصنف الشاني _ الشّراب.

فی آستهداء مشروب .

أبو الفرج الببغاء :

أنا _أيدَ اللهُ سيِّدى _ ومن ساعَني الدَّهْر بزيارته من إخوانى وأوْليائه ، عضَّداللهُ جَمَعنا ببقائه ، وُتُوف بحيث يَقِف بنا آختياره : من القَبُول والآي نبساط ، ويرتضيه لنا إيثاره : من الهَمِّ والسَّرور ، لأنَّ الأمر فى ذَلك مما يُولِيناهُ من المساعدة بالمُكِن من المشرُوب إليه ، والاعتاد دُونَ كلِّ أحد فى آجتاع شمْل المسَرَّة لَنَا بِهِ عليه ، فإن رأى أن يَكلِني إلى أوْلى الظَّنين به وأحقّهما بما ثُور فُتُوته ، فعل .

وله فی مثـــله :

أَلطَفُ المَنَ مُوضِعا ، وأَجَلُّها من الأَنفُسِ مَوْقِعا ، ماعَمر أوطان المَسَرَّه ، وطَرَد عوارضَ الهَمِّ والفِكْره ، وجمعَ شَمْل المَودَّة والأَلْفُ ، وأَدْى إلى آجتِناء ثمرةِ اللَّذَّة ، ورضَ الهَمِّ والفِكْره ، وجمع شَمْل المَودَّة والأَلْفُ ، وأَدِّى إلى آجتِناء ثمرةِ اللَّذَة ، وبذَخائِرك من المشرُوب مع هذه الأوصاف [ما] يستَرقَّ حُرَّ الشكر، ويُحْرِز قصبَ السَّبْق إلى الثناء وجميسلِ الذِّكْر ، فإنْ رأيتَ أن تُنْجِد بالهَكِن منه مُرُقِيى، على قضاء حقّ من أوجبَ المَنَّة على بزيارتي ، فعلْتَ ،

وله في مشــله :

مَنْ كَانَ لَلْفَصْلَ نَسَبًا ، وَلَفَلَكَ الْفُتُوَةَ قُطْبًا ، لَم تَفْزَع القلوبُ مِن الْهَمِّ إِلَّا إلَيه ، ولم تُعَوِّلِ الْأَنفُسُ في آسْتِياحة المَسَارُ إِلَّا عليه ، وقد طَرَقنِي مِن إخوانِي مَنْ كَان الشَّمُوبِ الدَّهُرُ يُمَاطِلُني بزيارَتِه ، وَيَنْفَسُ عَلَى "بقُرْبه ومُشاهَدتِه ، فصادَفنِي مِن المُشْرُوبِ الدَّهُرُ يُمَاطِلُني بزيارَتِه ، ويَنْفَسُ عَلَى "بقُرْبه ومُشاهَدتِه ، فصادَفنِي مِن المُشْرُوبِ مُعْسِرا ، ووجدتُ الانبساط في آلتِياسه مِن غيْرِك عَلَى متعَلِّرا ، وإلى تفَضَّلك تَفْزَع مُرُوءتِي في الإسعافِ منه بما يَلُمُّ شَعَتَ الأَلْفة ، ويجع شَمَل المَسَرَّة ، ويجعلنا لك في رقِّ الاعتدادِ بالمَّنة ، ويقضى عنى بتفَضَّلك حقُوقَ المودّة ،

عليّ بن خلف :

قد آنتظم لنا أطال الله بقاء سيدى بجلس واقف بين النَّشاط والفُتُور، والكآبة والسَّرور: لُغُرُوب نُجُوم الخَرعن سَمَائه، وعَطله من حُلِيّ نُورِه ولَأَ لائه، وقد عوْلنا في إطلاقه إلى إحدى الجهتين عليه، وجعَلْنا زِمامَه بيدَيْه، فإن رأى أنْ يُرقح أفكارنا بشيء من راحِه المُشابهة عَبقا وعَتْقا لأخلاقِه وأعْراقه، فعل، إن شاء الله تعالى .

⁽۱) فى °°القاموس'' مادة ن ف س « ونفس به كفرح ضن وعليه بخير حسد» •

وله فی مثـــله :

أفضلُ ماأهدى سيدى ماأهدى السُرُورَ إلى أحبَّته، ونظَمَ شَمْلَ المتَحَقَّقين بِخِدْمته ، وحَسَم عنهم هوَاجِسَ الفِكْر، وأعداهم على الدَّهْر ، وقد جَمَعَنا مجلسُ وهَبْناه للثناء عليه ، وزُفَّت عرائسُ الخمر إليه ، فإن رأى إيثارَنا بما يُكِلِّ نَشاطَنا ، ويَتَمُّ وَلَيْساطَنا ، فليَعقر همُومَنا بشيءٍ من عُقَاره، ويَنظِم [جمعنا] في سِلْك أياديه ومَبَاره ، إن شاء الله تعالى .

النـــوع الرابع (الشَّـفاعات والعِنَـايات)

قال فى وفموادّ البيان ؛ وهذه الكتُب إنما تَصْدُر عن ذَوِى الرُّتَب والأخْطار ، والمَنْظار ، والمَنْظار ، والمَنْظار ، والمَنْظار ، الذِينَ يُتوسَّل بجاههم إلىٰ نَيْل المُطْلُوب ودَرْك الرغائب .

ثم قال : والكاتبُ يَعتاجُ إلى التلطَّف فيهما وإيداعِهِما من الحطاب ما يَخْرُج به الشافِعُ عن صُورة المثقِّل على المشفُوع إليه بما كلَّفه إيَّاه ، ويؤدِّى إلى بلوغ غرض المشفُوع له ونجاح مَطْلَبه ، ثم أتبع ذلك أن قال: وسبيلُ ما كان في آسمُّاحة المثال، أن يُبنى على الإبانة عن مَوْقِع الإفضال، وفضيلة النَّوال ، وآغتنام فُرَص الا قتدار،

فى مَعُونة الأحرار، وما جارى هذا _ وسبيل ماكان منهما فى طلب الانتفاع بالحاه أن يُبنى على هَنِّ الأرْيحِيَّة لا صطناع الصَّنائع، وتحمَّل المَشاقِّ فى تقليد المنن، وآدخار الفعل الحسن، وآغتنام الأجروالشَّكر _ وسبيل ما كان منهما فى الا ستنزال عن السَّخائم أن يُبنى على الملاطَفَة، والإشارة إلى فضيلة الحلم والصَّفْع عن الخاطئ، وما فى ذلك من حُسْن السَّمْعة فى العاجلة، ومتوفّر المَثُوبة فى الآجلة، ونحو ذلك.

وذكر أنَّ أحسن ماقُصِد في هذا الفَنِّ مَسْلَك الإيجاز والاختصار، وأن يُسْلَك به مَسْلَك الإيجاز والاختصار، وأن يُسْلَك به مَسْلَك الرِّقاع القِصَار المجمَله ؛ لاالكُتبِ الطِّوال المفَصَّله ؛ وأنْ يُرْجعَ فيما يُودَعه إلىٰ قَدْر الشافع والمشفُوع فيه ، والكاتبُ إذا كان مُرتاضا ماهِرا لم يضِلَّ عن تَنْزيلِ كلِّ شيء [ف] منزلته ، وترتيبه في مرتبته .

قلتُ : ومن أحسن مايطابِقُ هذا النوعَ مارأيتُه فى بعض المصنَّفات : أنَّ عمروز آبَنَ مَسْعدةَ وزَيرالمأمُون كتب إلىٰ المأمُون فى رُقْعة :

أما بعد، فإنَّ فلانا سألَنِي أَنْ أَشَفَع له إلى أميرِ المؤمنين، فأخَبَرْته أنَّى لم أَبْلُغُ عند أمير المؤمنين مَبْلَغَ الشَّفاعة _ فلَمَّ وصلَتِ الرَّقعة إلى المأمونِ وَقَّع عليها بخطِّه : قد فَهِمْنا تصرِيحَك به وتعْرِيضَك بنَفْسِك، وأَجْبناك إليهما وأَتْحَفَّناك بهما .

من كلام المتقدّمين:

الحسن بن سهل:

كتابى إلَيْـكَ كتابُ معتَنٍ بمن كتب له واثقي بَمَنْ كتَبَ إليه ، ولن يَضيعَ حامله بين عناية وثِقَةٍ، والسلام .

أبو الحَسَيْن بن سَعْد :

وقد توجَّه إليك فلانُّ بقَصْد فيهِ مستَجْمِع، وأملٍ فيما قبلَك مُنْبَسِط، وليس بعدَ إصابتك عنده مَوْضِعا وعندَنا متحمَّلا لليَد الحسنة إلا آفتراضُ ذلك مِنْه ومِنَّا في أمره على يُسْر في حاجتِه، وتخفيف من مَحُونتِه ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تأتّي في ذلك بما يشبه أملَه وظَنَّه ، وتُوجِب عليه الحقَّ به ، ونشكر لك منه ماييقي عندنا، بأنك بحيثُ تأتي الفضل ونتوخَّى الصَّلة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : معْرفتى بأنك لا نتجاوزُ فى الْعَقُو بة سبيلَها من مَوَاقع الأدب، تَمْلنى على مُساءَلتِك ماأنت مُوجِبُ له والذّ كرى تنفَعُ المؤمنيين، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابى عنه، فإن كان ذَنبُه صغيرا فالصغيرُ يُخْرِجه من حَبْسه، وإنْ كان كبيرا فالعفو يسَعُه ، وكتابى متقاض لك تقديم العَفْو على الْعَقُوبة ، والحسنة على السيّئة، والا ستصلاح على القُوّة فى التأديب ،

طفَال بن شَــبَّة :

وأحقَّ من يَعْطِف علىٰ أهلِ البيوتات ، ويجُودُ لهم بما يَبْقىٰ ذكره ، ويَحْسُن به
ذُنْرُه ، مثلُك ، وقد وجَّهت إليكَ فلانا ، وهو من ذَوى قراباتى ، وذَوى الهيئة من
أَشْرَتَى ، وعَرَّضْته لمعْروفك ، وأحببتُ أن تُلْسِه نعمتَك وتَصْرِفَه إلى وقد أودعْتَنى
وإيَّاه ماتجدُه باقيًا علىٰ البشر الجميل في الغَيْب والحَضَر ،

ولغييره:

وقدجعلكَ اللهُ غِياثًا، وجعل عِنْدكَ لمؤمِّلِيك وراجى رِفْدِك، أَبِلغَ ذَرِيعةِ من كرمك وفَضْلك ؛ وقد أصبحْتَ مَفْزَع كلِّ ذى هَمٍّ ، ومَلْجاً كلِّ ذِى أَرَبٍ، وموضِعَ كلِّ أمل، وأصبحتَ ملتق السُّبُل، ومجمعَ الأصناف المختلِفةِ، والطوائفِ المتصرِّفة .

⁽١) لعله على نشرالجيل الخ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شَهَّرتَنِي باصطناعك [حتى] تكافاً في معرفة خبرها أهلُ بُلدات المَشْرِق والمَغْرِب ، والذين عرفُوني فصديق منهم مُغَتبِط بذلك لي ، وشريكُ في النعمة به على ، وقوى الظهر بما مَنَحَنِيه اللهُ من رَأَيك ، وإذا نابت بعضهم نائبة يرجُوك كلى ، وقوى الظهر بما مَنَحَنِيه اللهُ من رَأَيك ، وإذا نابت بعضهم نائبة يرجُوك لكشفها ولم يكُن له إليك طريق يُذنيه ولا حرمة تقربه وتعطفك عليه ، سالني الشفاعة له إليك ، ففعلت ذلك مُدلًا بما أعتقده من الشّكر على نعمتك عندى ، والإخلاص في طاعتِك المفروضة على ، واثقًا بتسويغك إياى مارُقيت إليه من درجة الشافع لغيره ، والسائل (؟) في طريقه وذوى الحق عليه : لتكون قد أكملت على النّعمة ، ووكدت لدّى العارفة ، واستمّنت عندى الصّغيعة .

أبو الخَطَّاب بن الصابى :

أَبْسَطُ الشفاعة وَجْهَا، وأَوَرَبُهَا نَجْحًا، وأَوْقَعُهَا فى القلوب، وأسرَعُها إلى القَبُول، ماوقَعَ من أقسام ثلاثة : من إدلال السائل بحُسْن الظنّ، وآرتياح المستُول إلى فعل الخَيْر، وآستحقاق المستول فيه لقضاء الحقّ، فإذا آجتمع لها ذلك كانت الثّقة بها زائده، والفُتُوة لها رائده، والفضل عليها قائما، والنَّجْع بهاقادِما، وكان الشّكر من أقلِّ موجُوداتها، والمّنة من أجَلِّ مَذْخُوراتها .

وله : إنْ دَلَّ المملوك فبصدْق المودّة ، أو عَوَّل فعلى حُسْن النيَّة ، أو آستظهر فبقديم الحُرْمة ، أو آستظهر فبكريم الرِّعاية ، وورَاءَ ذلك همَّةُ من مولانا بعيدةُ المَرامِي ، طويلةُ المساعى ، شامخةُ الأَنْف ، سابقةُ الطَّرْف ، تُوجد الآمال سِرَاحا ، وتُوسِعُها فَرَا) مَا خُذُها خِمَاصا ، وتُردُّها بِطَانا ، وتُورِدُها هِنَ الا وتَصْدرها سَمَانا ، وثِقَةً منيً

⁽١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على بطان وسمان لايأباه .

قد أحكم عَقْدَها الزَّمان، وأوثقَ شَدَّها الاِميْحان، فصارتُ لأعراض المملوك رائده، وفى قُوّة نَفْسـه زائده؛ فالمملوكُ من اجتماع هذه الأقسام، ووُجُوب ماتقتضيه من الأحكام، بين ظَنَّ جميل لامجالَ للشكِّ عليه، ويقين صحيح لاوُصولَ للاَرتياب إليه .

آخــر : ولئن كانَ المملوكُ أَسْرف فى مَجارِى التثقيل على مولانا ، فإنَّ المملوك لمَ يردِّ بعضا من دواعى الأمل فيه، فإنَّ المظنونَ من فتَوَّة مولانا رائدُ الثَّقة بجميلِ نيته، ولن يعدَمَ النجاحَ من آعتمدَ علىٰ الفُتوّة والثَّقة .

آخــر : ويُنْهِى أنَّ المملوكَ إن أدَلَ، فبحقَّ لدى مولانا أكَّده، أو آستَرْسَل، فبفضْلٍ منه عَوَّده، وبين الدالَّة من المملوك والعادة من مولانا موضعً لنَجَاح الحاجة، وبلوغ الإفادة، وقد فعــل المملوكُ ما نعلَق به واثقاً بالكرم من مولانا، فليَفْعَل مولانا ما يتعلَّق به محقِّقا للأمَل فيه .

اخــر: وينهِى أنَّ المملوك إن آ نُبسط، فمُدُلُّ بالحرمة الوكيدة، ومعول على النية الكريمة، أو آنقبض، فلهَيْبة الإقدام على مولانا ومُراعاة التخفيف عنه، ولفضله فيا بير ذلك مَسْلَك وغلبة تسلُّط يَدْعُوان إلى حُسْن الظن بمولانا، ويُوثِّقان من وُجُود النجاح لدَيْه .

آخــر : بذُلُ الحاه فى إعانة الضعيف ، وإغاثة المنْهُوف ، والترويج عن المضْفُوط، والتفريج عن المكروب المكدود؛ كَبَدُل المال فى إسعاف المُعسر، وإسعاد المُقْتر، ومُواساة المحروم، والتعطَّفِ على المَرْحوم، وما فى الحالتين إلَّا ماالدِّيانة له ضامنه، والمُروءة له قائمة؛ والحقُّ به مستَوْجَب، والأجرُ به مكتسب، والصنيعة به معتَقَده، والمَثُوبة به مُدَّخره ،

آخسر: وينهى أنَّ حُرْمة الجوار مِن أوْجب الحُرْمات حقّا، وأحكيها عَقْدا، وأخَصِّها بالعِنايه، وأحقِها بالرَّعايه، وما رَعَاها إلا ذُو قَـدْرِ عظيم، وخُلُة كريم، وأصلِ عريق، وعَهْد وَثِيق، وفلان ممن يَضْرِب بدَالَتها، ويَمُتُّ بوسيلتها، ويتَخَفَّر وأصلِ عريق، وعَهْد وَثِيق، وفلان ممن يَضْرِب بدَالَتها، ويَمُتُّ بوسيلتها، ويتَخَفَّر بذمتها، ويتعلق بعضمتها، ويعتدها وزَرا مانعا، وذُخوا نافعا، وعُدةً موجودةً عند الحاجة؛ وله أمَّر يذكره مشافهة، فإن رأى مولانا أن يحقِّق من ظَنَّه ماكان جميلا، ويصدق من أمله ماكان فَضْلُ مولانا إليه سَبِيلا، فهو المعهود من إحسانه، والمؤمَّل من فَضْله ،

آخر : مَنْ سَافَر إِلَىٰ سَيِّدَى بَامِلُهُ وَرَغْبَتُهُ ، وَمَتَّ إِلَىٰ حضرته بِوفَادَتِهُ وَهِجْرته ، فقد آستغنیٰ عن الشافع ، وکُفِی آمْر الوسائِلُ والدَّرائع ، وحاملُ کتابِی هذا قد تجشَّم القُدُومَ إلیه ، وتمسَّك بذمام الوفَادة علیه ، مع ما یَتَحَقَّقُ به من حَقِّ المشارکة فی الصِّناعة ، ویستوجبه بفضیلة الکفایة والأمانة ، و إنّما أصدر المملوكُ هذه الحدمة علیٰ یده ممهِّدة لأنسه ، ومقوِّیةً لنفسه ، و إذا مَثَل بحضرته ، ونظره بعین نباهته ، فقد غنی عن الشفاعة و بَلَغ الإرادة ،

آخر : ويُنْهِى أَنَّ مايَفْرضه مولانا لمن أمَّه بالرجاء، ومَتَ له بإخلاص الحمد والثناء : من إدرار أَخلاف الإفضال ، وتحقيق الرَّغَبات والآمال ، يُغْنِى قاصديه عن الشَّفاعات والوسائل، ويكفى آمليه تحمُّلَ الدَّرائع والمَسائِل؛ والواصلُ إليه بهذه الرُّقعة فلان ، ومولانا يَعْرِف حقَّه على المُلوك وماله من المَواتِّ لديه ، وقد توجه إلى حضرته ، راجيًا أن يُلْحِفه من ظلِّ سعادته ما يتكفَّل بمصلحته ، ويقضى على الزمن بإعدائه ومعونته ، ومولانا أحقُّ من تولَّاه بحسن خلافته فيه ، والتفضُّل على المُلوك بتحقيق ما يُرجِّيه .

⁽١) الذمام بالذال المعجمة الحق والحرمة.

آخر فى معتقل : عِلْمُ المَلُوكِ بَأَنَّ مُولانا لا يتعدّى فى العِقابِ مُوضِعَ الإصلاحِ والتَّاديب ، ولا يتجاوَزُ فى الغَضَب مُوقِعَ التَّقْوِيمِ والتَهذيب ، عملًا بالعَدْل ، وتمشكا بالفضل ، يبعَثُ على تنبيهِ لما أغْفَله ، وآنقيادِه لما أَصَّله ، وفلانُ قد تطاولَ اعتقاله : فإن كان جُرْمه صغيرًا فقد ظُلِم فى القصاص ، وإن كان كبيرًا فقد استحقَّ الخَلاص ، والمستُول من إحسانه أنْ يُعاوِد جميل عادته ، ويُراجع كريمَ شيميه ، الخَلاص ، والمستُول من إحسانه أنْ يُعاود جميل عادته ، ويُراجع كريمَ شيميه ، فيعَملَ فى أمره بالعَدْل ، إذا لم يرة أهلا للفضل ، وإنْ كانت حقوقُه مِنا كُده ، وحرمته مؤكده ، فلا يحسن أن يُضاعَ ويُحْفَر ، ولا ينبغى أن يُجْحَد ويُنكر ، وهو حَرِينُ أن يَحقق الظنَّ فيه ، ويقابل هذا السُّؤال بما يقْتضيه .

آخسر: على ، حَسَب أخطار الودائع يكونُ الإشفاقُ عليها ، والشكر ممن صرف رعايَتَ اليها ، وقد كان المملوكُ أودَع كَنَفَ مُروءَته ، وفناءَ همّته ، فلان ، وهو دُرَّة الحَاسن الفريده ، ونادرةُ الدَّهْ الشريده ، والجامعُ لأسبابِ الحَامدِ بفضائله ومَناقبه ، والناظمُ لِنثَار المآثر بُحُلُقه وأَدَبه ، مع ماخُصَّ به من المعرفة بقَدْر الصنيعة ، والتعويض بالشَّكرِ عن قليل العارفة ، والمملوك يرجُو أن يكونَ مولانا قد أحسن خلافته فيه ، ونزَّله من حياطتِه وتولِّيه ، ما يُوجبه مكانه من المملوك ويقتضيه ، متعقضا من شكر المملوك وشُكره بما هو خليق أن يطوق أجياد مَعَاليه ، وينتظمَ في سلك مساعيه .

رقعـــة ــ وينْهِى أن الأيَّام، إذا قعدَتْ بالكِرام، فأنزلتْهم بعد السَّعة ضيقا، أوجَدَتْهم إلى التثقيل على من يُمتُّون إليه بسالف الخِدْمة طَرِيقا، وممن تحَدَّاه الزمن بنكَده، وعوَّضه ببُوْســه من رَغَده، فلان، وكان قد فَزع إلى جماعة من الخُلَّان، واثقًا منهم بالاَّ متنان والإحسان، فألفىٰ وَعْدا جميــلا، ومَطْلا طويلا، فعدَلَ عنهم

إلىٰ سيدى وعزل عَنْهم إليه، وتوجَّه إليه معتمدًا بعدَ الله في مَقْصده عليه؛ ثقةً بفَضْ سل عَيْره، وحُسْن أثَرِه؛ وتحَّلَ عبوديَّة المملوك هذه ذريعةً تبْسُط له من مولانا مُحَيَّاه، وتوصِّله إلىٰ مايرجُوه من معروفِه وندَاه. وما أوْلىٰ مولانا بأن يحقِّق ظنَّ المملوك وظنَّه، ويحوز شُكْره وشُكْره؛ إن شاء الله تعالىٰ .

رقع — قابل السّفر إليه ، والتقدُّم بالرَّغَبَات عليه ، واللهُ تعالى يواصل المنتح لدَيه ، تبعَثُ على السَّفر إليه ، والتقدُّم بالرَّغَبَات عليه ، واللهُ تعالى يواصل المنتح لدَيه ، كا وصَلها من يدَيه ، وقد سبقتُ له عَوَارفُ لا يَنْساها المملوك ، ولا يؤمِّل جزاءَها إلا بمرفُوع الدعاء ، وكريم الثَّناء ، حتَّى تقتضى ضَرائِرَها ، وتستدْعى نظائِرها ، وحاملُ عبوديَّى هذه ، فلان ، والمملوك يَرضى لمولانا لسانَ شُكره ، كما يَرْضاه لتحمُّل بِرة ، وقد رَكِص ظهر الأمل إلى حَضْرته ، ووَثِق ببُلُوغ الوَطَى من جِهَته ، وأن يُنظَم في سلك من أُسْبِغتُ عليه عَوارِفُه ، وعَمْته لطائفُه ، وعَزْز ذلك باستصحاب كتاب المملوك إلى بايه ، وتقديمه ذريعةً في الترام حقّة وإيجابه ،

رُقْعَــة ــ مَنْ كان سيدى شافِعَه آنبُسَط فى المُنى ، ولم يَرْض بغير العُلا ؛ وقد علم مولانا أَنَّ للشَّـفاعة أحوالًا ثلاثا ؛ حالًا تُخُصُّ الشافع ، وحالا تُخصُّ المستشفع ؛ وحالا تُخصُّ المششفع ؛ وحالا تخص [المشفُوع إليه] ولكلِّ حد يجب الآنتهاءُ إليه ، ولا يجوز التقصير فيه ؛ فعلى المستشفع آرتيادُ أخصَبِ جَنَاب، وأَسْكَبِ سَحَاب، وقَصْدُ الجهةِ التي لا تصدُّ عن البُغْية سائِلا، ولا تردُّ عن الأمَلِ آمِلا، وأن ينهض بالشَّكر على العارفه، ويُحدِّث بالنَّعم عنه فى الأحوالِ الطارفه ؛ وعلى الشافع أن يُهرَيق ماءَ وجُهه فى السَّوال ،

⁽١) غارالرجل يغوره ويغيره نفعه فالمراد بفضل نفعه تأمل ٠

⁽٢) فى الاصل الشفيع وهو غير مناسب •

ويجرِّد رَغْبَته في تسهيل المَنَال ، ويعتقد أنَّ ذلك من الدَّين المقترَض ، والدِّين المفترض ، ويتكفَّل بالقيام بما يستَدعى منه من المكافاه ، ويُلتَّمَس من العوض والمجازاه ، وعلى المشفُوع إليه أن يعلم أنَّ الشافع والمستَشْفِع ما قصداه إلَّا بعد الثَّقة بأحديَّته ، ولا اعتمداه إلَّا بعد السُّكون إلى أرْ يَحِيَّته ، وأنه لاينبغي أن يُخْسِر بأحَديَّته ، ولا يُضِيع سَفَرهما ، وقد اجتمعتُ هذه الأحوالُ الثلاثُ للرئيس مَتْجَرهما ، ولا يُضِيع سَفَرهما ، وقد اجتمعتُ هذه الأحوالُ الثلاثُ للرئيس المشفُوع إليه ، ولسيِّدى الشافع ، وخادمه المستَشْفِع به ، ولم يبق إلا عَزْمةً منه تَهُزُّ أفنانَ الإقبال فتَسَّاقطُ أثمارُها ، وتُنشئُ عَوارضَ الآمالِ فيَتَهافتُ قطارُها .

أبو الفــرج الببغاء :

ومُوصِّل كَابِي هـذا عَنِيُّ عن شفاعتى له بما يَمُتُّ من حُرُمات الرَّغْبـة إليك، والوقُوفِ دُونَ كلِّ مَقْصدِ عليك، وبما يشْفَع ذلك من التقدَّم فى الصّناعة، والتوصَّل بوجِيه الكفاية؛ وإنما زوَدْتُه هذه الأحْرُفَ لأَفْتَح له باب الأَنسَة، وأَسَمِّل السُّبُل إلى التعلَّق بالحُلَّة ؛ وأدُلَّ بها على ما تكشف منه المُطاولة والجيرة ؛ وأنتَ أيدك الله ولي التعلَّق بالحُلَّة ، وأدُلَّ بها على ما تكشف منه المُطاولة والجيرة ؛ وأنتَ أيدك الله ولي التعلَّق بالتقدّم فى إيناسِه وبَسْطِه فى الجدْمة بما يستزيد له محمود الأثر فيها من حُسْن النظر وجميل الرأى .

وله في مثله :

ومُوصِّل كتابى فيما يَوَمِّله منك ويبلُغُه بك مُمَّسِّكُ من رجائِك بأوكِد ذمَّه ، ومن شفاعَتِى بأوجَبِ حُرَّمه ، ومهما مَتَّ به بعد ذلك من ظهُوركفَاية أو تقدُّم فى صناعة كان غيْرَ ضائع عند رِعايَتك ، ولا مجهولٍ مع تيَقُّظ عِنَايتك ، وأرجو أن يُحُلَّ من تقَبُّك ، بحيث أحَلَّه حسْنُ النظر بَطَوَّلك .

وله فی مثـــله :

وفى عِلْمِكَ مَا آخُذ به نفْسى ، وأَرُوض به أخلاقي : من الأنقباض عن التَسَرَّع إلىٰ مَسَالَة ، والاحتشام من الانبساط في حاجة ، مادَلَّك على موضع فلان ومكانيه من إيثاري بواجبات حُقُوقه ، وسالف مَواتِّه ، ولذلك سمحتُ بالكتاب له إليك ، وفارقتُ رَسْمى بالتنقيل في قضاء حقِّه عليك ، وقد قصد نَعُوك بأمله ، وآختارك لرجائه ، وقدر بك بلُوع البُغية ، وآختصر بشفاعتي إلى تفضَّلك السبيل إلى إدراك الحبَّدة ، فإنْ رأيت أن تأتي في بابه مأيشيه فضلك ، ويُناسِب وكيد ثِقَتِه بك ، وأبى أشرَكه في الشكر وأساهمُه في الاعتداد، فعلت ،

آخــر:

رَأَيْتُ المَسَاكِينَ قد أَجْمَعُوا ﴿ عَلَىٰ أَنَّكَ الْوَزَرُ الْمُعَتَمَد ! فَأَنْتَ لِشَيْخِهِمُ كَالُولَد !

السلامُ العَمِيمُ ورحمةُ الله و بركاتُه علىٰ مَنْ جعله اللهُ للساكينِ ظِلَّا يقيهم، وطَلَّا يَشِهم، وطَلَّا يَشِهم، وطَلَّا يَشْهِم، ورحمةً تضُمُّهم، أبوفلان، أبقاه الله في عِزَّةٍ تالدةٍ طارِفه، وسعادةٍ لاَ تَزال طارقةً بكلِّ عارِفه.

مَنْ أقامه الله مُقَامَك أَيُّهَا الشَيْخُ المبرور بالترفَّق بالْفَقَراء، والإحسان إلى الضَّعفاء، لم يَعْدَمْ مَرِيضا يقْصِدُه فى الشِّفاء ، ولا يَعْدَم فَيْضا يعتَمده للاَ كتفاء، لاسيَّ إذا توسَّل وَحْده، وتشَفَّع بمن لا يَضِيع عملُ عاملٍ عنْده ، ومتحمِّلُها فلان قَصَّ الفَقْرُ جَناحَه، وأخنى عليه الدَّهْرُ وٱجْتاحَه، ولما رأى الفُقَراء ببرِّكم مرتفقين، وعلى جَناحَه، وأخنى عليه الدَّهْرُ وٱجْتاحَه، ولما رأى الفُقَراء ببرِّكم مرتفقين، وعلى

⁽١) لعله الطَّلبــــه ٠

شكركم مَتَّفِقينَ ؛ أُمَّكم حَسَنَ الظنّ بالمَنّ ، ولم يُقَدِّم شفيعًا دُنْيَوِيًا ، ولا طريقًا واضحا سَـوِيًا ؛ وَأَنْتُم أَيُّهَا الشيخُ الموقَّر تُنْزِلونه مَنْزلة سِـواه ، مَّن ثوَى مَثْواه ؛ ونَوىٰ فيكم من الأُجْرِ والشُّكُر مَانَوَاه ؛ إنْ شاء الله تعالىٰ ، والسلام الكريمُ العميمُ ، يخصُّ جنابكم ورحمةُ الله وبركاتُه :

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُبْقِيــكَ فَى دَعَةٍ ﴿ وَحُسْنِ حَالٍ وَتَيْسِيرٍ وَإِقْبَالِ !

مُقَــدٌم المجــد في عِنِّ وفي كَرَم * مؤمَّل النَّفْع من جاهٍ ومن مالٍ!

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخُ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعةً في آستخدام كاتبِ دَرْج:

جعلَ اللهُ تعالىٰ دُورَه رَحْبَة العِراص، وسعادَتَه في الآزدياد وأعادِيَه في الآنِتِقاص، والدعاءَ لإحسانه مقرُونًا بصِدْق النيَّة والإخْلاص:

وهــــذا دعاءً لو سَكَتُ كُفِيتُه ﴿ فِإِنِّى سَالْتُ اللَّهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلَ !

صدرَتُ هذه الحُدْمةُ تستَمْطِر سَعابَ كَرَمه ، وهامِي دِيمهِ ، وتسألُ جميلَ شَيمهِ ، في معْنيٰ مملوكِ المَوْليٰ وداعِيه ، والشاكِر لأياديه ، والمُلازِم علىٰ رواية أخبارِ فضائله وبَشّما ، فإنّه من بيت كريم النّجار ، زائد الفَخَار ، وله علىٰ مولانا حَقَّ خدْمة ، وهو يُتُ بسالف مَعْرفة ، وعبةُ المُلوك له شَديده ، والصُّحبةُ بينهما قديمةٌ وشُقَّة المَودة جَديده ، ولولا ذلك ماتقل علىٰ خدْمته ، وتهجم على المولى بينهما قديمةٌ وقد توجّه إلى بابه العالى مُهاجِرا ، وناداه لسانُ جُوده فلبّاه وأجابه مبادرا ؛ وغرضُه أن يكونَ كاتبًا بين يَدَيْه ، ومملوكًا تقع عينُ العِناية عليه ، وهو من الكِرام وغرضُه أن يكونَ كاتبًا بين يَدَيْه ، ومملوكًا تقع عينُ العِناية عليه ، وهو من الكِرام

الكاتبين، والراغِيين فى الانتظام فى سلك خَدَمه والمُؤْثَرين، وصِفاتُه بالجميل موصُوفه، وفَصاحتُه معرُوفه، وقلَمُه الذي يَقْلِمُ ظُفُر المهمَّات ويكُفُّ كَفَّ الحَدثان، ولسانُه الذي يُغْنِي بشَبَاتِه عن حَدِّ السِّنان، ورأيه المقدَّمُ في الهَيْجاء على شجاعة الشَّجْعان؛ فإذا أنعَمَ المولى باستخدامه، وتحقيق مَرَامه، كانَ قد وضع الشيء في مَلِه، وصنع المعروف مع أهْله ، وبيَّض وجه المملوك وشفاعتِه، وصدَّق الأملَ في إحسانه ومُرُوءته، ورأيه العالى؛ إنْ شاء الله تعالى .

وله شفاعة في آستخدام جُنْدي :

لازالَ بِرُّهُ مُطْلُوبًا، وجُوده مخْطُو با ؛ وذِكْرَ إحسانه في الملإِ الأعلىٰ مُكْتُوبًا؛ ولا بَرِحتْ رِياضُ جُوده أَزْهَر وأَنْضَر من رَوْض الرُّبا، ويَدُه البيضاءُ ترقُمُ له في سَوَاد القلوب سُطورَ حَمْدِ أَحْسنَ من نَوْر تُقَبِّحه الصَّبا . هذه الخدمةُ صدّرتْ على يد فلان تُهدى إلىٰ المولىٰ سلامَ المملوك وتحيَّتَه، ودُعاءَه الصالح الذي أخلص فيه نيَّتَه؛ وتشْفَع إليه فى تنزيله فى الحَلْقة المنصورةِ وآستِخدامِه ، وترتيبِه فى سلْك جيشــه المؤيَّد وآنْتظامِه ؛ فإنه من الأجْناد الجِيَاد، وذَوى الجَلَد على الجِلَاد؛ وهو الغشَمْشَم الذي لأيُرد، والشَّمْم الذي لايُصَـد، والباسلُ الذي لاتُحْصَر بَسالتُـه بوصف ولا تُحَدّ، والنقيبُ الميمونُ الْغُرَّة والنقيب، الموصوفُ في الهيجاء بحَزْم الكُهُول وجْهُل ذَوى الشَّبِيبه . والمولى و إن كان بحمدِ الله غيرَ محتاجٍ إلى مُساعد، ولا مفتقرِ إلى معاضد ؛ فإنَّ أَسِنَّتُه لاتحتجب عن رُوح محتجب، ونفْسَه الشريفةَ تقوم وحدَها يومَ الكِفاَح مَقامَ عَسْكَرٍ لِحَب؛ وقلْبَهَ يُغْنيه عن الأطْلاَب والأبْطال ، وجيوشَ سطوته لاتكلَّفه الْمُقَامَ فِي مَنازِلِ النِّزالِ؛ فإنَّ المملوكَ يعْلَمُ أنَّ نفْسَه الشريفةَ تَهْوَىٰ تَزَيَّدَ عسكرِه وجُندِه، وتَرْعَىٰ حرمةَ قاصِده وقَصْده ، فلهذا توَسَّل بشَفْع وَتْر الشَّفاعه ؛ وتوصَّل إلىٰ إزالة

شفاعة في ردّ معزول إلى ولاَيته :

يَقَبِّل اليدَ العالية لازالتْ مَقَبَّله، ولإسداءِ الخير إلى أهله مُؤَهَّله، وبأياديها على الكافَّة متفضِّله.

وينهي ملازمته على شُكر مواهيه ، ونشر فضائله الجسيمة ومناقيه ؛ وحمده كريم شيمه ، والاعتدار من تثقيله على خدمة المولى بخدمه ، وسؤال إنعامه بوجُوه مكاتبته ولسان قلمه ، وما ذاك إلا لمك يتحقّقه من كريم نجاره ، وشدة تطلّبه لإسداء العوارف وإيثاره ؛ والموجب لهذه الوسيلة وسؤال مكارمه ، واستمطار سحائب مراحه ، مابلغه من عن معنول المولي وعبده ، وواصف جميل أوصافه بلسان شُكره وحمده ، فلان ، أفاض الله عليه إحسان المولى و إنعامه ، وخلّد لنا وله دَوْلته وأيامه ، فإنه صاحب المملوك وصديقه ، وشريكه في الدَّعاء لمولانا و رفيقه ، وهو من العدول الأمناء ، المملوك وصديقه ، وهو قليل الحدة كثير العيال ، لا يجد حيلة إذا بطل بخلاف ما يُحكى عن البطال ، وقد تشفّع بالمملوك ومكاتبته في ملاحظة المولى له بعين عنايته ، والتقدُّم برده إلى جهة ولايته ، فلهذا كتب إليه وأكّد في معناه السُّؤال ، وعَلَّق بتحصيل برده إلى بعلم ذلك موقّقا ،

شفاعة فى خلاص مسجون :

فَسَّح اللهُ فَى مُدِّتِهِ ، وسهَّل أداءَ مايجِبُ من شُكْر نِعْمت ، وألزم الألْسِنةَ بِمُدِه وَالقلوبَ بَحَبَّته ، وجعله مَفَرِّجاكلَّ كرب، ومسَمِّلا من المقاصدكُلُّ صَعْب .

وبعد، فإنَّ كَافَّة الأُمَّة قد تحقَّقت رحمةَ قلب المولى ورأفتَه ، وتبقَّنتْ إحسانه ومُرُرُوءَتُه، وأنه يُؤثر إعانةَ كلِّ عان و إغاثَةَ كلِّ ملْهُوف، وأنه لايُمْسَك إلَّا بالإحسان ولا يُسَرِّح إِلَّا بِالمُوْرُوف، بحيثُ سارتْ بحُسْن سيرته الرِّكَاب عوضًا عن الرُّجُان، ودرأتْ مكارِمُهُ عن الأولياءِ نُوَبَ الزَّمان ؛ وعَلَا علىٰ حاتِم فلو تشَبَّه بكرَمه لقُلْنا له : (مَرْعَى ولا كالسَّعْدان) . والمملوك من إحسانه أوفَرُ نَصيب، وهو يَرْفُ ل من جُوده فى تَوْبِ قَشِيبٍ ؛ وقد ٱشتَهَرَ مايُعامَلُ به من الإِكْرَام ، وأنَّ قسْمه من العناية أوفَرُ الأقسام ؛ وكان يُعدُّ من جملة العَبيد فأصبَحَ مُضَافًا إلى الأَلزام ؛ وهذا مما يُوجب علىٰ المملوك أنْ يبتَهل إلىٰ الله في تخليد دَوْلتِه ويتضَّرُّع، وعلىٰ حِلْم مولانا أنه إذا شَفَع إليه في مُذْنِب أَن يُشَفَّع؛ وهو يَشْفَع إليه في مملوكه وعَبْدِه، والملازم على رفْع راياتٍ مجده وتلاوة آيات حَمَّده ، فلان؛ رزقَه اللهُ رضا الخواطر الشريفه، وأسبلَ عليـــه حُلَّةَ عَفُوهُ الْمَنْفَةُ عَلَىٰ الْحُلَلُ بِظَلَالِهَا الْكَثَيْفَةِ ﴾ فإنه قد طالَتْ مَدَّةُ حَبْسه، وآعترف بأنه الجانِي علىٰ نَفْسه؛ والمعترفُ بذَنْبه كمن لاأذْنَب، والمُعْترِفُ من بحر جُودِه يَرُويٰ دُونَ أَن يَشْرَب؛ والطالبُ لبِرِّه ينال سُؤْله والمَطْلَب؛ فإنْ حَسُن في رأَيه العالى زاده اللهُ عَلاء، وضاعَفَ له سَناء، المشيُّ على مَنار جُوده ومنْهاجه ، وبُرُوزُ أمره المُطَاع بإطْلاقه وإخْراجه ، آغَتَنَم أجَره ، وجَبَركَسْره ، ورَجِج في هـــذا الشهر المبارَك دُعاءه الصالحَ وُشُكْرِه ؛ وكان قد أَنَّعَم على المملوك بقَبُول شفاعتِه إليه، وفعلَ مايُوجِب علىٰ كلِّ مسلم الثناءَ عليه؛ واللهُ الموفِّق .

شفاعة بسبب خلاص حقّ :

يخدُمُ المجلسَ السامِيَ لافَتِيَّ بالتحيات عَمْدُوما ، وحبلُ سَعده مَبْروما، ودُرُّ المَدائِح لِلْهِيهِ فَحُدِهِ منظُوما، وعدلُهُ بين الأخصام قاضِيًّا فِمَا يَتْرُكُ ظالِيًّا ولا مظْلُوما .

⁽١) فى الأصلين «ودارت مكارمه على الأولياء » ويظهر أنه تصحيف من الناسخ .

ولا زالتِ الآمالُ متعلِّقةً بهِمّته ، مَنُوطةً بسعيد عَرْمَته ، راجيةً خَلاصَ كلِّ حقِّ مِن هو في جِهَته ، وتُوضِّع لعلمه أنَّ فلانا أدام اللهُ سعادته ، وخلَّد سِيادته ، ذكر أنَّ له دَيْنًا في جهة غريم مُمَاطِلٍ مُدافِع ، وخَصْم مُمانِع ، وقد جعل هذه الحدمة ذريعة إلى خَلاص حقّه ، وخاهَلَ إلى الوصُول إلى عِنَاية المولى أقْربَ طُرُقه ، وهو جدير بالتقدّم بإحضار غريمه ومحافقت ، وأخذ ماللملوك في ذمّته ، وأن لا يُفسَح له بالتقدّم بإحضار غريمه وعاققت ، وأخذ ماللملوك في ذمّته ، وأن لا يُفسَح له في تأخيره ، ولا يُسمَح بقليل الصبر ولا كثيره ، فإنه يعلم أنَّ المولى المشار إليه واجبُ الحَدْمه ، وافر الحُرْمه ، وقد تعلَّق أملُه في خَلاص حقّه بالمولى ، ولا يُحاوبُ عن هذه الحَدْمة بلَوْ ولولا ، بل يَبْدُل جُهدَه ، ويُطلِقُ في تحصيل الغرَض لسانَ عن هذه الحَدْمة بلَوْ ولولا ، بل يَبْدُل جُهدَه ، ويُطلِقُ في تحصيل الغرَض لسانَ الاجتهاد ويَدَه ، و يعتمد من الاهتام مايليق بامثاله ، و يبيِّض وجْهَ الشافع وسُؤاله ، موفَّقا ، شعر :

وَلَوْ كَانَ [لى] في حاجَتِي أَلْفُ شافِع * لَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُ جُودِكَ شافِعُ شفاعة فيمن آسمه سراجُ الدِّين إلىٰ من آسمه جمالُ الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينهِى بعد ولا يُحْكُم على القُلوب شافِعُ جَمَالِه ، وثناء يُحُرُّ على أكامِ الزَّهْرِ فَضْلَ أَذْيالِهِ : أَنَّ العلومَ الكريمة مُحيطةً بإيجابِ حقِّ منْ هاجرَ إلى بابها ، وشكا غُلَّة الفاقة إلى مَنْهَلِ مُنْهَلِّ مُنْهِلِ مُنْهِلِ مُنْهِلِ مُنْهِلِ مُنْهَلِ مُنْهِلِ مُنْهِلِ مُنْهِلِ مُنْهَلِ مُنْهَلِ مُنْهِلِ مُنْهَلِ مُنْهِلِ مُنْهِلِهِ وَأَنَّ المائِل بهذه الحدمة ، فلان به ذكر آحتياجه إلى عاطفة من عَواطف مولانا التي شَمِلَتْ ، وعارفة من عَوارفه التي لو آستمدتُ من غُرَرها الليالى لما أظلمتُ ولا ظلمَتْ ، وأنَّ بيده وظيفة شَهَادة بيتِ لحَمْ بتواقيعَ شريفة نظرت في حاله ، ونشرَتْ حالَ عيالهِ وأطفاله ، وأنَّ مَمَّ من يُنازعه في جِهَته المعتاده ،

ويَقْصِد نَرْعَه والنَّرْع عن تلك الشهادة المسطَّرة أَخَفُّ من نَرْع الشَّهاده، ومولانا أولىٰ مَنْ رَحِم منبه ضَعْفا، وآشتمَل عليه عَطْفا، ودارك بكرمه هذا السِّراج قبل أن يُطْفىٰ، ورعىٰ سيرة مباشرته الحسنة الآثار، وآغتنم أدْعيتَه وأدعية أولاده الذين هم كَقَطَع الشَّطْرَبْج صِغارٌ و بَجار، وكفَّ يدَ التعرَّض إليه فى أيام عَدُله فإنها أيامٌ لاضَرر فيها ولا ضرار، وعلىٰ الجملة فقد تركته الأيَّامُ قطعة لحم، فباشرة بيت لحم أولىٰ به، ورجاله فرجانية وأخواتُها أحقٌ أن يتعلَّق سببُها بأسبابه، والله تعالى يُنير بمنن مولانا أحوال المضرورين فإنها ظكرم، وينصُرهم على حرب الأيَّام بسيُوفه التي هي أقلام، ويتصره على حرب الأيَّام بسيُوفه التي هي أقلام، ويتَتَع بأيام عدله وإحسانه التي نتنافَس فيها أعمارُ الرعايا فإنهم يُتْبِعُون أيَّامًا بأعوام،

وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

ويُنهِي بعدَ قيامٍ بوظائفِ ثناءٍ يتمسَّك بنفَحاته [المتواليه]، وولاء يتمسَّك بحباله المتينة وما كلَّ شمس حبالهُ واهيه: أنه يرتادُ الأوقات لحطاب مولانا بالأقلام، حيثُ حبَس البعدُ خطابَ الكلام، ويتغيَّر حَمَلة رسائل الشَّوْق، وإنْ أضعف عَطفُ النَّسيم رسائل السَّلام، ولما حضر من مكان كذا، عارض هذه الحدْمة فلان، وذكر توجَّهة إلى حمى حاة المحروسه، وقصد كتاباً يكون في وَحشة الإعتراب فلان، وذكر توجَّهة إلى حمى حاة المحروسه، وقصد كتاباً يكون في وَحشة الإعتراب أيسه ، فوافق ذلك غرض المملوك، وسَلَّك طريق مُرادِه ولا يُنكر من جهة هذا الرجُل الصالح السَّلوك، فأعلمته أنّ المكارم الحمادية لاتحتاجُ غير الحمد والأجر شافعاً الرجُل الصالح السَّلوك، فأعلمته أنّ المكارم الحمادية المتحتاجُ غير الحمد والأجر شافعاً إليها، والمنازل الشمسيَّة لاتفتقر إلى دليلٍ ينبِّه عليها، وطالمَا جمعتُ لقاصدها الفعل والقولَ السخي، وطالما قال يوسف رحمه الله أخو مولانا أبقاه الله للقاصد: أنوسفُ وهذا أخى، ولكن المملوك يذكّر الخاطر الكريم بهذا القادم فإنه من

⁽١) في الاصل عند وهو تحريف من الناسخ .

أهله ، ويلقاه قبلَ ذلك بالبِشْر المنشِد * أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزالِ رَحْلِه * فإنَّه من أصحابِ ولِيٍّ لله طالمَلَ فاضَ وَلِيَّ معرُوفِه ، وآستفاضتْ بِسِبَتُه المُرْشِديَّة فكان وليًّا مُرْشِدا قامت صفتُه مقام موصوفِه ، وإنّ آثار هذه البركات على هذا القادم لائِحه ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سُوقِ هِمَ مولانا تجارة وراجِه ، والله تعالى يجعل له في كلّ ثناء وثواب نَصِيبا ، ويُدِيم قلمَه الكريم مَقْصِدَ رِفْد وجاهِ (فَطَوْرًا رِشاءً وطَوْرًا قَلِيبا) .

وله : عن نائبِ الشامِ إلى نائبِ حماةَ شفاعةً فى شخصٍ آسمه شهاب الدين، وهو بعد الألقاب :

لازالتِ الأقدارُ تُسْعِده، والملائكةُ تُخِيده، ومَواطِنُ النصر تجرِّدُ حدَّ بأسه ومَوَاطنُ الخَمْ تُغْمِده، والحُناةُ تلُوذُ بظلَّه: فأيَّ جانِي ذَنْبٍ مايعفو عنه، وأيَّ جاني بِرّ مايريُّ عليه ويَرْفِده، تقبيلًا يترادَفُ مَدَدُه، ولا تنتهِي في القُرْب والبُعْد مُدَده.

وينهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يَبْل جَدِيدُه وهذا لا تخفى جدده ؛ وشوق و و تنهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يَبْل جَدِيدُه وهذا لا تخفى جدده ؛ وشوق و آرتياج كلاهما يُرُوى عن آبن شِهَاب توقَّدُه ، ويعمل على يد شهاب سندُه : أنَّ العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحِلْم وفضله ، والعَفْو ومحلّه ، والتجاوُز عن هَفُوات الخطئين من القوم ، وطلب العفْو من الله عدّا بالعفْو عن عباده اليَوْم ، قال الله تعالى : (وَلَيَعْفُوا ولِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ ولله سَمِع الصدّيقُ رضى الله عنه هذه الآية ، قال : (بلى والله إلى لا يُحبُّ أَن يَغْفِرَ الله لي) ثم عَفَا عمن نزلَتْ بسببه ، ومملوك مولانا أعز الله أنصاره فلان ، قد آعترف بهَفُوة بدَتْ منه ، وزلَة نقلتُ عنه ، ما يسَعُها إلَّا عَفُو مولانا ومَرَاحُه ، وقدم على المملوك فكأنّه ماحرج عن ظلّ مولانا ولا فارقَتْه معالمه ، وسأل سُؤالَ مولانا أن يشمله بالعفُو ، و يتجاوز له ظلّ مولانا ولا فارقَتْه معالمه ، وسأل سُؤالَ مولانا أن يشمله بالعفو ، و يتجاوز له

عن السَّهُو؛ ويَرْحَمَ كِبرَسِنَه وكبيرة جَهْله؛ ويرعَىٰ قِدَمَ هِمْرَته لِحَدْمة هـذا الباب الذي نَشَا عُمُوا طويلا في ظلّه، أهلا لأن تشمَله عواطفُ أهله؛ وهو عَمَف المملوكُ واطلع عليه حيثُ كان في نيابة حماة _ مشكورُ السِّيرة بالاعتبار، ناهضُ الحدمة بالاِحتبار؛ ملازمٌ لثرى الباب بعزْم ماعليه غُبَار؛ وله على المملوك بالأمس حَقُّ خِدْمة وباليوم حقَّ سؤال يشفَّع بهما في القلوب وهي يَجَار؛ والمستُول من صَدَقات مولانا تجاوُزُه عن هَفُوته، وردُّه إلى أَمْنه ووظيفته؛ وإجراؤه على عادة إقطاعه، وحاشاه في أيَّام مولانا أن يُقْطَع، بل حاشي المذكور أن لايستخبر وأن لأيقطع؛ واستقراره في مكان خِدْمته، وإجابة سؤال المملوك في كل مايتعلق بنجاح لأيُقطع؛ واستقراره في مكان خِدْمته، وإجابة سؤال المملوك في كل مايتعلق بنجاح هجُمْرته وعَنْمته؛ لاَبَرح مولانا مأمول المَن الغائبة والحاضره، والمقيمة والسائره؛ مأهُولَ الخواطر، بَوْع ذكره وقدْره في الدنيا والآخره .

الشيخ جمال الذين بن نباتة :

لا زالت المحامدُ بذِ كُرها مُتَوَّجه ، ومقدِّماتُ الفضل والفضائل من تلقاء شَيها مُنْتَجه ، ومَطالعُ الكرمِ والإكرامِ هادية إلى حَرَمها من الجَّه ، تقبيلَ مواظبِ على الدعاء يرفَعه ، والولاء يجْعُه ، والثناء يقول بَضَّاعُ أرَجه لا بم انضَيعه بل مما نُضَوَّعه ، يرفَعه ، والولاء يجْعُه ، والثناء يقول بَضَّاعُ أرَجه لا بم انضَيعه بل مما نُضَوَّعه ، [وينهى] أن عارض هذه الحدمة على عارض كَرَم مولانا المُطر، وبايه الذي هو لكَيد الحاسد وقم الواردِ مُقطّر، فلان ، لقضاء تعلَّقات له أولها التعلُّق بحبل رجائه الحُصد ، واتحاله المُعْصد ، واتجمع باب مولانا الذي هو المُهمَّ المقدّم على كل مَقْصد ، وهو من الفضلاء الذين يعرفُهم انتقادُ مولانا معرفة الحبير، وله اتصالُ بالأكابر الذين وهو من الفضلاء الذين يعرفُهم انتقادُ مولانا معرفة الحبير، وله اتصالُ بالأكابر الذين وتنشد المَقرّ الذي ماقرّع سنَّ الندامة مَنْ قَرَع بابَه :

يَاغَرِيبَ الصَّفاتِ حَقَّ لمنْ كَا * نَ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الغُرَباء! والمملوكُ يسأل من إحسان مولانا مُلاحظة المهذكور بعين عِنايَتِه التي ما أغفت عن القاصدين ولا غَفَلَتْ ، وعَواطفه التي طالماً فتحَتْ أبوابَها فأثنَتْ عليها الركائبُ التي قفَلَتْ ، والله تعالى يُدِيم تقليه الأعناقِ بكلمه و بِرِّه ، و يمتِّع المهالك الساحليَّة بما قذَفَ لها من دُرَر بَحْرِه .

النـــوع الخــامس (التشــقق)

قال فى "موادّ البيان": وينبغي للكاتب أن يجمّع لها فِكْره، ويُظهِر فيها صناعَته، ويأخُدَ في نظمها مَأْخَدًا من اللّطاف والرّقّة يَدُل على تَمَازُج الأرواح، وأُتِسلاف القلوب، وما يجرى هذا الجَرْئ، وأن يستخدم لها أعذَبَ لفظ وألطف معنى ؛ ويذهبَ فيها مَذْهب الإيجاز والا ختصار، ويعدلَ عن سُبُل الإطناب والإكثار؛ لئلا يستغرق جزءا كبيرا من الكتاب فيُملَّ ويُضْجِر، وينتظم في سِلْك المَلق والتكلُّف اللذيْنِ لا يعتادُهما المُتُصافُون من الأصدقاء.

وهذه نسخٌ من ذلك :

أبو الفرج الببغاء :

شُوْقُ المملوك إلى مَوْلانا بحسب مَكانِه من تَفَضَّله ، وحظَّه من جميلِ نَظَره ، والتَّه يَجَعُ للملوك والختصاصِه بإنعامه ، واعْتِباطه بشَرَف خِدْمتِه ، ومكانِه من إيثاره ؛ والله يَجَعُ للملوك شَمْلَ السعادة بمُشاهدة حَضْرته ، و سامه من الدَّهْر بالنظر إلى غُرَّته ، على الحال السارة فيه و به .

⁽١) كذا في الأصلين بإهمال النقط والمراد أنَّه يمتعه بالنظر الخ تأمل •

وله : شَوْق المُلُوك إليه شوقُ الظُّمآن إلى القَطْر، والسَّارى إلى غُرَّة الفَجر .

وله : شُوْقِي إليه شُوْقُ مَنْ لَم يَجِدْ مع بُعْدِه عِوَضًا منه، فتقودُه الزيادةُ إلىٰ الانصراف بالرَّغبة عنه .

وله : شُوْقِي إليه شُوْقُ من فَقَد بالكُرُّه سَكَنه، وفارقَ بالضَّرورة وَطَنَه .

وله : لوكان مأيضدره من خطاب ، ويُناجِيه به من متَضَمَّن كتاب ، بقد ما أُعانِيه من أَلَمَ الشوق إلى غُرَّته ، ومَضَض الفائتِ من مشاهَدَتِه ، لمَا أَحاطتُ بذِ كُره بَسْطةُ لسان ، ولا نابَ في إثباتِه ٱستِخدامُ بَنَان ،

وله : أمَّا الدهرُ فما يَستحِقُ من إبعاد المملوك عنه عَتْبا ، ولا يُعدّ ماجَنَاه من ذلك ذَنْبا ؛ إذ كان إنما نَقَلَ من حِشْمة المخاطَبه، إلىٰ ٱنْيِساط الْمُكاتَبه .

وله : وقَدْره _ أبقاه اللهُ تعالىٰ _ يرَفِع عن ذكر الشَّوْق إليه ، فالمملوكُ يعبِّر عنه بذكر الشَّوق إلىٰ مافارقه من تفَضَّله ، و بعُدَ عنه من أوطان تطَوَّله .

وله : ولولا أنَّ المملوكَ يُخِد نارَ الاَشتياق ، ويَبرِّد أُوَارِ الفِراق ، بالتَخَيَّل المُشَّل لَمُ نَاتُ مَعَلَته ، والتَفَكُر المصور لمن بَعُدت شُـقَّته ، لأُلْهِبَتْ أنفاسُه ، وأُسْعرَت حَواشُه ، وهَمَّت دَمُوعُه ، وأنقَضَتْ ضُلُوعُه ، والله المحمودُ على ماوَقَّق له من تَمَازُج الأرواح ، عند تَبَاينِ الأشباح .

وله : ولا بُدَّ أَن يُكُفَّ بالمكاتبات، من غَرْب الاِشتياق، ويستعين بأُنْس الْمُواسَلات، على وَحْشة الفِرَاق؛ فإنها أَلْسُنُّ ناطقه، وعُيونُ على البُعْد رامقَه.

وله : عِنْــد المملوكِ لمؤلانا خَيَالٌ مُقيمٍ ، لا يبرَّح ولا يَرِيمٍ ؛ يُجْلُو عليــه صُورَته ، و يُطْلِـع علىٰ عينِ فكرته طَلْعَتـــه ، إن سَهِر المملوكُ سامر مُعينًا علىٰ الشَّهاد، أو رقدَ

تصوّر مُعْذِبا طَعْمَ الرَّقاد، لا يَمْطُله بزيارته، ولا يُوحِشُه بغَيْبَته، كأنما تَصَوّر بصُورته في الوَفَاء، وتَخَلَّق بُحُلُقه في المحافظة علىٰ الْإِخاء .

وله : إِنْ تَزايلَتِ الأَشْباح، فقد تواصَلَتِ الأَرْواح؛ وإِن نَزَحتِ الأَشْخَاصُ وَبَعُـدتْ، فقد دَنَت الأَنفُس وتقاربَتْ؛ فلا تُمِضُّ الفُرْقةُ وتُوَّلِم ، وتُنغِّصُ النَّوىٰ وتَكُلِم ، وقد يُنالُ بتَناجِى الضَّائر، وتَحَاوُرِ السَّرائر، مالا تَصِلُ إليه الإشاره، ولا تَذَلُّ عليه العِباره؛ إذ الأَنفُس البسيطةُ أرقُّ مَسْرًى، وأبعَدُ من الأَلْسنة مَرْمى .

التشوق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة؛ وهو بعد الصدر:

لازالَ الدَّهُرُ يَقْضِى خِدَمَه، ويُمْضِى رأْيَه وسَيْفَه وقَلَمَه، ويُرْضِى الدُّولَ الشاكرةَ تَقْدِيمَه فِيها وَقَدَمَه ، ولا بَرِحت الأقدارُ المُعْرِبةُ تَجْزِم أَمْرَه وتَكْسُرُ ضِدَه وترفع عَلَمَه ، تقبيلًا إذا لَثَمَ التَّرْبَ التثمَه، وإذا أُودِع القلْبُ في ذلك التَّرْبُ خَتَمه .

ويُنهِى مواظبَتَه على وَلاء لاَينْسَخ الْبَعْدُ مُحكَمَه، ودُعَاءٍ يقابِلُ النَّجومَ ولا تَنْقَطِع من القَبُول إِدْراراتُه المنجَّمَهُ .

ويُنْهِى أنه سَطَّرها عن شوق يَعزُّ عليه أنينُوبَ فيه سَعْى القلم، عن سَعْى القَدَم، وآرْتياجٍ إلى القُرْب الذى بأنسه يُؤُنِسُه أنوارا على أعْلىٰ عَلَم ؛ وتطَلَّع لمعاوَدةِ الأخبار أوْفى من تطَلَّع العامري إلى مُعاوَدةِ أيَّام ذِي سَلَم ؛ وتعَلَّل بقول القَّائل :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوادًا في بَيَاضٍ ﴿ لِأَنظُرَكُمْ بَشَيْءٍ مِثْلِ عَيْنِي!

وهيهاتَ! أينَ نظراتُ الحُروف المرْقُومة من نَظَرات العُيُون الرامِقه، وأينَ مَنَالُ الشَّلُوّ من شَجْو يقول: * أُعيذُها نَظَرات منْك صادقه *

ما يَحْسُبُ المملوكِ من النظر إلّا ما يَمْلاً العينَ من ذلك الوجه الكريم ، ولا يَلْبَس من خَلَع الأيَّام إلا ما تَخيط الأهْدابُ علىٰ شَا ذلك القُرْب الرَّقِيم ، وعلى ذلك فقد جَهَّزها المملوكُ علىٰ يَد فلان ، وحَمَّله من رسائل الشَّوْق ما يَرْجُو أَنْ يَنْهضَ فيه بأعباءِ الرِّساله ، ويَسْأَلُ الإصْعَاء والمُلاحظة فيا تَوجَّه فيه و إنْ أدْتِ الأمَالِي إلى الملكله ، والله تعالى السَّول أن يبلِّغ في آميدادها مولانا الأُمْنِيَّه، و يُمتِّع الدُّولَ منه بهذه البقيَّة النقيَّه، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام، إلى القاضى عَلَاء الدين بن فضلِ الله ؛ كاتبِ السِّرِّ بالأبواب السلطانية، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتة أيضا ؛ وهو بعد الألْقاب .

لازال قَلَمُها مِفْتاحَ الرِّزْق لطالبِه، والجاه لكاسبِه، والظَّفَر لمستَنيب كُتُهُما عن كَتَابُه ، والنَّجْج لوائِد مُطالبة الدَّهْر بعد المطالِ به، ولا بَرِح الباسُ والكَرَم يتحدثانِ عن بَحْرِها ولا حَرَج عن عَجائِبِه ؛ تقبيلًا تغيطُه في مَرابِعِها، ثُغُورُ الأزاهِر ، لابل تَحْسُدُه في مَطالِعها، ثُغُورُ الزَّواهِر ،

وينْهِي بعد دعاء أحسنَتْ فيه الألسنة وأخلصَتِ الضَّائر؛ ووَلاء وثناء لهما مَصَاعدُ النَّجْميْنِ إلَّا أَنَّ هٰذا في القلُوبِ واقعُ وهٰذا في الآفاقِ طائر _ أنه جهز هٰذه الحَدْمة مُعْرِبةً عن شوق يتجدّد، وآرتياج لايتعدى ولا يتعدّد، ساعيةً عنه بَحَطُوات الأقلام، أنْ منع الوقتُ خَطُواتِ الأقدام، نائبةً في تقبيلِ الأناملِ التي تُستَسْق ديمُها على القُرْبِ والبُعْد ولا كُيْدَ ولا كَرامة للغام؛ وجهزها على يد فلان بعد أنْ حَلَّه من رسائل الشوقِ ما إنَّ حَلْف من إحسانه ليُنْضي عقُودَ الأنجم لو تعدّدت، ومَفاتيح أبوابه لتَنُوء بالعُصْبة أولِي القوّة لو تجسّدت؛ وهو بين يدَيه يقدِّمُ نَجُواها، ويستشهد أبوابه لتَنُوء بالعُصْبة أولِي القوّة لو تجسّدت؛ وهو بين يدَيه يقدِّمُ نَجُواها، ويستشهد

بالخاطر الكريم قبل حضُور دَعُواها ، والمستُول إصغاءُ السَّمْع الكريم إليه ، والملاحظةُ فيما توجَّه فيه متَّكِلًا على الله وعليه ، وإذا عاد مشمُولا بعناية مولانا المعهُودَه ، مكفُولًا برعايته المقصُورة على نَجْح الآمال الممْدُوده ، فلينتم على المملوك من المشرِّفات الكريمة بما يسكِّن على جَوْر البُعْد خواطر ، الدَّهِشه ، ويُعِينُه على الوَحْشة التي حَرَّكُها نحوه البِعَاد فهى الوَحْشَه ، والله تعالى يشكر هم مولانا غائبً وحاضرا ، ويخصُّ بابه العَلوي بسلام كسلام سَقيط الطَّل عن ورَق الغُصْن ناضرا ،

آنَّحُرَ من كلامه : كتب به إلىٰ بعض رؤساءِ مصر .

ويُنْهِى أنه سَطّرها مُعْرِبةً عن شوق مُقيم ، وعهد لا يُبرَّحُ على صِراطِه المستقيم ، وآرتياج بَحَنايِه ، أو لكتابه ، ليتلو لإنصات شَجُوه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصُحَابَ الكَهْفِ وَالرِّقِيم ﴾ . متطلّعا لما يَرد من أخبار مولانا السارة البارّه ، مرتقباً لأنبائه آرتقاب الزُّهْيرة الفاغرة إلى ضَرْع العَام الدَّارّه ، ولو أنَّ كلَّ ما يتمنى المرء يدْركه ، وكلَّ ما يفتر على النَّق المرابية والستجلى كوكب الجمال على الدَّه مِن يَعْد المكاتبه ، واستجلى كوكب الجمال المُشرِق وأقصَر في ليالى الانتظار عن المراقبه ، وقد جهزها على يد فلان ، وحمّله من رسائل الشوق أوْفى وأوفر من رسائل الصَّفا، وسائل الإصغاء والملاحظة من مولى بكاره النيل معروف المنافع والوفا ، ولآمال المملوك بمشرفاته وأوامره بَمَالُ حينَ يُريح وحين يَقْتُصر على مُقترحات الأيام حين يشرح ، فينهم مولانا بمواصلتها على هذه المقدَّمه ، والله تعالى لا يُعدم على المنهد من ادرارات صلاته المنجّمة ، والله تعالى لا يُعدم المملوك في حال كَرمه : إما أن يُفيض في القُرْب بَحْرَه وإما أن يبعث على البُعد ديمه ،

وله إلى كاتب السر:

أعلىٰ اللهُ أمْرَ قلمها على الأقلام، وأدام بفيض أنامِلِه عليه بَسْطَ كلمةِ الإسلام، وراع بكتائب كُتُبه العِدَا إذا آنتَبهُوا، فإذا أغْفَوْا «سَلَّتْ عليهم سُيوفَها الأحلام».

ولا زالت تلك الأقلامُ العاليةُ في تلك اليد الكريمة إن لم تكُنْ من المنشئات فإنَّها من المُنشَآتِ في البحر كالأعلام؛ تقبيلَ مُواظِب على دُعاء يطلُعُ طُلوعَ طُلَّة الصبح تحت ذٰلِك الظلام، وولاء إذا آعت بر الخاطرُ الكريمُ مَسْعاه وخِدْمتَه: (قال يابُشراي هذا غُلَام) .

وينهى أنه جَهَّزهذه الحدمة مقصورةً على وصْف الأشواق الممدُّودة ، وجَوانِك الشَّحْو المعهوده ، وأنفاسِ التذكُّر التي لولا شَرفُ مذكُورها لم تكُنْ عنده مر. الأنفاس المَعْدُوده ، فيالها مقصورةً على شوق مافيها غيرَ طيور الجوانح خَفَّاقةُ الجَناح ، سَبَّاقةُ الاَرتياح ، ويالهَ أنفاسَ ذكر أغنَتْ منادمتُها عن كيس كأس وآفتراح وقت راح ، ويالها ورقةً فازت بمشافهة لثم اليد الشريفة فكرُّمتْ وَصْفا ، ونأتْ عن فَار الروض عطفا ، وآستطابت بشفاه السَّطُور على بلك البَنان رَشْفا :

وَسَطَّرْتُهَا وَالِحْسُمُ أَنْحُلُ مَا يُرَىٰ ﴿ فِيَالَيْنِي أَصِبَحْتُ فِي طَيِّهَا حَرْفًا

واصلةً إلى الباب الكريم بسلام وصلَ عَبَقُه قَبْلَ ماوصلَتْ، واردةً علىٰ يد فلان وقد حملَ من رسائلِ الصَّفاء والوُد مثلَ ماحمَلَتْ، وحصلَتْ على القُرب وياأسَفىٰ علیٰ ماحصَل وحصَلَتْ، والمملوكُ يسالُ الإصغاءَ إليها و إليه بفضل النظر والسَّمْع، والإنعامَ على المُحِبِّ المفارق بمشرِّفات تجلُّوعليه أيامَ جَمْع، وتُعينه على أوقات وَحْشة إذا وصفها المشتاقُون وأقلامُهم ولَّواً وأعينهُم تَفيضُ من الدَّمْع، لابرَح ذكرُ مولانا عليّا، وبرَّه بَمَلْء الآمال مليّا، ووصفُه بالتَّتىٰ وسحاب الجُود على الحالين وليّا:

++

يامُنيْـــة النَّفْس ويا مَا لِكِي * مُذْغِبْتَ عَنِّى لَمْ تَــنْمَ مُقُلْتِي!

إِنْ بِنْتَ عِن عَيْنِي بَرَغْمِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْنِي وَفِي مُهْجَتِي!

لا أوحشَ اللهُ مِن طَلْعته ، ولا أَخْلَىٰ مِن كريم مساعدَتِه ، وجَمَعَ شَمْــل الأَنْسُ
بخدْمتـــه .

الملوك يشكُو من المولى فراقاً أوجب له على نفسه فَرَقا، وجيش صُدُود منحة من العَزائم طوَائف وفَرَقا، وذاء صَبابة كلّم ارجى الإفراق منه آزداد تلهباً وحَرقا، ووجُوبَ قلب تحتم لغيبته ووجَب، ودَمْعَ عين يجو مهما عَبَرعنه لسانَ قلمه أوكتب، وقد أطال الهَجْرُ تألّمه وعَتْبه، وأطار سِنتَه ولُبَّه ، مُذْ وصل المولى غيره وقطع عنه كُنبه، والمولى يعلم أنَّ المملوك لفظ والمولى معناه، وسعده شخص وأنت وجُهُه المبيمُونُ ويُمناه، فيواتر إرسالَ مكاتباته، ويُشف بما ثُورِه ولُباناته، ويعطّر بذكره الجيسلِ الأماكِن ويُشَيِّنف المسامع، كما شرّف بحُلُوله فيها الأضالِع، والله يُديمه ويُمدّه بالإسْعاف والإسعاد، وينصره على الأضداد والحُسّاد:

+*+

أُقَاسِى مَنْ بِعَـادِكَ مَا أُقَاسِى * وَقَلْبُـكَ رَاحِمُ وَعَلَى قَاسِى! وأَحْمِلُ مِن نَوَاكَ بِضَعْفِ نَفْسٍ * عَنَاءً يُعْجِز الشَّمَّ الرَّواسِى! وتُبْعِـدُنِى وأَمْرُكِ إِنْ أَتَانِى * جعلْتُ مَحَـلَةً عَبْنِي وراسِى!

⁽١) أي البرء مصدر أفرق العليل إفراقا اذا برأ من علته . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قرَّب اللهُ أَوْ بِنَه ، وعَجِّل رُؤْيِنَه ، وحَسَ نَفْسه من الغِيْر والحادثات ، وصان حِجابَه المنيع عن المابِيَّات المُؤْلِسات ، وجَّل الأيامَ بوجُوده ، والأنامَ بجُوده ، ولا زالتِ الدنيا به جَبَّله ، وأعناقُ أبنائها لمننه متحمِّله .

صدرت هذه الحدمة إلى خدمته متضمنة إهداء سلامه، وشاكية لغيبته جَوْرَ أَيَّامه ، ومُنْيِيةً شِدّة أشواقه التي أَفْنَت بالصَّبابة قلْبه ، وأذهبت حُشَاشَتُه ولُبه ، وهي في ذلك نائبة مناب سائر الحَدَم ، ومعبَّرة عن ألْسِنة الأقاليم بلِسانِ القَلَم ، فإنَّ الأعينَ متطلِّعة إلى رُو يَتِه ، والقُلوب متعطِّشة إلى قُفُوله ورَجْعته ، كما نتطلَّع إلى السماء عيونُ النَّرجس ، ونتعطَّش الرياض إلى الوابل العَدق بعد أليوم المُحرِّ المُشْمِس ، فالمولى يععلُ مواصلته باخباره فَرْضًا لازما ، ويمتنع من إغفاله كما يمتنع من لذَّة الطعام إذا يعنن ما ما مي يَوْك أشباه ، حرسه الله وتولَّه ، وضاعف عُلاه ، والسلام .

**

يا أَجْمَلَ الناس سَنَاءً وسَنَا * جَفَتْ جُفُونِي لَحَفَاك الوَسَنَا ؟ ثِمَارَ آلَامٍ إلامَ أَجْسَنِي ؟ * يالَيْتَنِي أعلَمُ خَظِّى ما جَنَا؟ وأَنْتُمُ ياأَهُ لَلْ مَنْ اللهِ مَا خَسَنا! وأَنْتُمُ ياأَهُ لَلْ مَنْ عَلَى اللهِ عَلَى * مُدْ بِنْتُمُ لَمْ أَرَ شَيْئًا حَسَنا! أَهْ لَكُمْ أَمَّ مُنْ عَسَنَا واللهِ عَلَى اللهُ وَقُرْ بُكُم عَايَةً سُولِي والمُنَا! في بُعْدِيم مَنِيَّتِي لا تَبْعُدُوا * وقُرْ بُكُم عَايَةً سُولِي والمُنَا!

خلَّد الله سعادته، وبلَّغه من العَلْيَاءِ إرادتَه ؛ وأثَّل مَجْده، وأدام سعْدَه؛ وأعذَبَ مَنْهَله و رْدَه . المملوكُ يتشَوِّقُ إلى لِقائِه، ويتشوَّفُ إلى أنْبائِه، ويصفُ شديد اشواقه وصَبابته، وحنينه إلى مشاهدة المَوْلي ومشاقهته، وما يجدُه لذلك من ألم في جَوارحه الجَريحه، وسَقَمٍ في جَواليحه الصحيحه، ويلتمس مواصلته بكُتبه آناء الليل وأطراف النهار، وأخباره السارة ليتضاعف له مزيد الاستبشار، فإنّ القلب بنار الصَّبابة قَدْ وَقَدْ، وأما صبره على [بُعْده] فقد فقد، ومتى ورد كتابُ المولى شفى الغليل، وأبلَّ العليل، وأبلَّ العليل، ونجع طعمُ الحياة ونجَح التأميل، فليصير وتر مكاتباته شفعا، ولا يجعل لوصلهن قطعا، والله يمنح عيشه خَفْضا ومكانه رفعا، والسلام.

+ + +

شعر في معنى التشوّق :

قد كَانَ لَى شَرَفُ يَصْفُو بَرُؤْ يَتِكُم * فَكَدَّرَتُه يَدُ الأَيَّامِ حَينَ صَفَا

غـــــــيره :

كتَبْتُ (١) للكتابِ مَحَلَّدُ * علىٰ أنَّه قَبْلِي بُلْقَياكَ يسْعَدُ

النوع السادس (في الأستزارة)

قال فى و موادّ البيان " : رِقاعُ الا سترارة إنما تشتّملُ على وصْفِ حالاتِ الأُنس ومجالِس اللَّذَات، ومَشَاهِد المَسَرَّات، قال : ويجبُ على الكاتب أن يُودِعَها حُلُو الأَلفاظ، ومُؤْنِقَ المَعانِي وبارعَ التشبيهات، ويُبالِغ في تشويق المسترَّار إلى الحضُور، ويتلطَّف فيه أحسنَ تلطَّف .

⁽١) بياض في الاصل ولعله ''وشوقي للكتاب الخ'' .

⁽٢) لعله مجالات كما لا يخفى ٠

وهذه نسخ من ذلك :

على برن خلف :

رُقَعتی _ أطال الله بقاء سیدی _ ومجلسی بَمَنْ حلّه من خَدَمه ، ونزلَه من صَنائع كرمه ، فلَكُ مُزَيَّنُ بأنجُه ، فإنْ رأىٰ أن يُطْلِع فيه بَدْرا بطُلُوعه وينقلَ قَدَمه إليهم ، ويُحَمِّلُ نقْصَهم بتمَامِه ، ويُضِيف ذلك إلىٰ تَليد إنعامه ، فعل ، إن شاء الله تعالىٰ .

وله فی مثـــله :

قد آنتظمَ لنا _ أطال اللهُ بقاءَ سيدى _ مجلِسٌ رقَتْ حَواشِيه، وتَبَسَّمتْ راحُه عن حَبَب، كَلَّ آلِئَ على ذَهَب، وقامتْ فيه سُوقُ السُّرور، لا يُكْسِدُها إلا تخلَّفهُ عن حَبَب، كَلَّ آلِئَ على ذَهَب، وقامتْ فيه سُوقُ السُّرور، لا يُكْسِدُها إلا تخلَّفه عن الحضُور؛ فإنْ رأى أن يُكِلِّ جذَلنا بإطلاع طَلْعتِه علينا، ويصَدِّق ظنَّنا بنَقْل قدمه إلينا؛ سَرَّوا بْهج، وتمَّم من الإحسان ماأخْدجَ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا ـ أطال الله بقاء مولانا ـ يوم صفيق الظّل ، رقيق غلالة الطّل ؛ قد ترفّعت شمسه بُرْج أنسه ، وآفتر جَذَلا عن مَضَاحك بَرقه ، وتربّم طَرَبا بَرْجِم قد ترفّعت شمسه بُرْج أنسه ، وآفتر جَذَلا عن مَضَاحك بَرقه ، وتربّم طَر با بَرْج مِن رعده ؛ ووَشَتْ مَدارِج نَسيمه ، بأرج شَميمه ، وقام على مَنابِر السَّرور يخطب آبنة الكُرْم لأبناء الكِرام ، وينادى بأعلى صوته : حَى على المُدَام ، فقد وجب على كلِّ موفق لاجتناء ثمار السَّرور، والتحاف عطاف الحبور؛ أن يلبي دعوته ، وينتمِن فرصته ؛ ويُعتوضه من شمسه الآفله ، براج لإظهار ما آختفیٰ من شُمعاعها كافله ؛ فرصته على التّملّي بالكاس والنّدمان ، ويجعله سِلكا ينتظمُ فيه الإخوان ، ورقعتى هذه صادرة إلى مولاى وقد تهيّا لنا مجلسٌ من مجالس الأنس ، يَبْسُط تَجعّد النفس

⁽١) لعله "افقه" .

فيه بَغْم ونَغْم ، ومِنْه م وزَهْم ، وخُلَّان قد تراضَعُوا لِبِانَ الْعَقَار ، وتسَاهموا نَقْلَ الْوَقَار ، وشَّعُعُوا في مَعَارِك الخَلَّار ، وأَدْمَنُوا على الْمُاساةِ والاَيْتِكَار ؛ إلَّا أنَّ هـذا الحُيلس مع تمامه مُخْدَج ، وعلى كالهِ مختلَج ، لبُعْد مولاى الحالِّ منه محلَّ الواسطة من النَظام ، والأَرْواح من الأَجْسام ، فإن رأى أن يُكِلِّل منه مانقَص، ويُميط عنه [مانقَص] فليجَمِّلنا بالمَصير إلينا، والطَّلُوع علينا ، وإعفائنا من إضُجار الآنتظار ، معتدًّا بذلك في كريم الأيادي والمَبار ، إن شاء الله تعالى .

ولهُ في مثـــله :

هذا اليومُ _ أطال اللهُ بقاء سيدى _ يومُ أعْرس فيه الجَوَّ بالجارِية البيضاء فَدُرَها، وحَجَبها بَسَجْف الغَهَم وسَتَّرها، والختال الختيال المعَرِّس في مُعرَّسه، مُصَنْدَله ومُعَرَّسه، مُورَّسه به والتَّخ من ذَهَب البوارق نثارا، واستنطق من زُنَّار الواعد أوتاراً، ودعا إلى حُضُور وليمته، والسَّرور بمَسَرَّته بافان رأى أن يلبِي طلب هذا اليوم الصّفيق، ويتمتَّع بعيشه الرافع الرفيق بالمُيطلع علينا طَلعته التي تَنهُو القمر المُوهر، وتَصْدَعُ الليلَ المعتَكر: ليُنهِض غُرَّة الإصباح، بغُرَّة الراح، ويَقْطف ثِمارَ الأُنس والمحاضره، ويتمثّل بالسّماع والمُذَاكره، ويأخذ بحظٌ من الذاذة الفيخة الشبيهة بشمائله، ويعدّ ذلك من مَبارَّه وفواضِله به [فعل] إن شاء الله تعالى .

وله فى الاستزارة فى بُسْتان :

كتبتُ _ أطال الله بقاءَ سيِّدى _ وقد غدوْتُ فى هذا اليوم [إلى] بُستا بِي والطَّيْرُ فى الأَوْكار، والأنداءُ تَمْبِط كالَّيَّار؛ والليلُ مشتَمِلٌ على الصَّباح، ٱشتمِال الأَدْهَمِ

⁽١) هو بالفتح و بالضم و بالتحريك ما يتناقل به على الشراب • أنظر اللسان ج ١٤ •

 ⁽٢) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف الناسخ .

علىٰ الأَوْضاح؛ عازمًا علىٰ مشارَفَته ومُشارَفَة ما ٱستمدَدْتُ من عِمــارته، لا للخَلْوة فيه بمُعاطاةِ المُدَام، ومُؤانَسة النِّدام؛ فحين سَرَّحتُ الطَّرْف في مَيادينه وجَدَاوله، وأَقبَلْتُ علىٰ تصَـفُّح حَلَاه وحُلَله ؛ رأيتُ مَنَاظرَهُ تعتلِقُ القلوبَ آعتلاقَ الأشْراك، وتعتاقُ المستَوْفِزَ عن الحَرَاك؛ وتُقيم قاعدَ المِزَاجِ والنَّشاط، وتُوقظ هاجدَ الفَرَح والآنْبِساط: فمن أشجارِ كَالأُوانِسِ، في رَيْحانِيِّ المَلَابِسِ ؛ حاليةٍ من مُوَشَّـع الزَّهَرِ, والثمر، بأنْصَعَ من الياقُوت والجَوْهر ؛ كأنما تحقَّلتْ الآجتلاءِ عَرُوس، أو مُعاطاة كُتُوسَ ؛ مابينَ نَحِيلِ قد نشرَتْ عَذَبِ السُّنْدس علىٰ ذُرَاها، وأطلعَتْ طَلْعا كَالْخَنَاجِ غَشيَها صَدَاها؛ ونارَبْع يحمِلُ أكبرَ العِقْيان، أو وجَنَات القِيَان؛ وأُتْرُجِّ قد آستعار ثمَرةَ أشواق العُشَّاق، إذا صالتْ عليهم يَدُ الْفِراق . ومن رِيضَانَ زاهيةٍ بنَشْرِها ، وقُضُبُها مختالةٌ في مَلَابِسِ زَهْرِها؛ وَنَرْجِسُها كعينِ محبٍّ حَدَّق إلىٰ الجبِيب؛ وثنَىٰ جِيدَه خوفَ الرَّقيب، إذا عَبَثَ بِهِ النَّسِيمُ جَمَّ بِينَ كُلِّ قَضِيبٍ وَ إِنْفِهِ ، وَسَعَىٰ بِالْاعتناقِ مِن شَوْقِهِ وَكَلَفِهِ ؛ وَوَرْدُهَا كَدَاهِنِ يَاقُوتِ فِيهَا نُضَارٍ، وشقيقُها كُدامات عقيقِ فيها صُوَارٍ؛ وبَنَفْسَجُها غَذُّ تَمْضَى فيه من القَرْص آثار؛ أو جامُ كِينِ عليه من النَّدىٰ نِثَارٍ . ومن أَنْهار قُدَّتْ حافاتُها قَد الأديم، وحُدّتْ على صراط مستقيم؛ ببحرة مَسْجوره، كالسُّيوف المشْهُورة أو المَهارِق المنشُورِه ؛ إذا خَمَشَها الهوىٰ خلَّع عليها مُتونَ المَبَارِد، أو سُلُوخَ الأَساوِد؛ يَتَخَرَّق ذَلَكَ كُلَّه نسِمُ رَقِيقُ الغَلَائل ، حُلْوُ الشَّائل ؛ يسـعَىٰ بالنَّمِيم، في المَعَاطِس وِالشَّمِيمِ؛ أَنْصَبَّتْ إِلَىٰ مِحلسِ فَسِيحِ البِناء، ضيِّق الأقْناء؛ مُوَشَّى الْجُدْران والسَّماء، في صَـِدْره شِاذَرْ وان يَرْمِي بِكَسَر البَلُود ، وفي وسَـطه نَهَر ينْسابُ ماؤَه ٱنسـيابَ

⁽١) الريضان والرياض جمع الروضة .

 ⁽٢) الصوار والصوار «أى بالضم والكسر» الرائحة الطيبة والقليل من المسك أنظرج ٦ ــ ص ١٤٧ من اللسان.

الشَّجَاع المَدْعُور، وتتوسَّطُه بِرْكَةُ مَهْنَهَةُ ينصَبُ المَاء إليها بالدَّوالِي إلى أربع شاذَرُوانات، ويخْرُج عنها من أربع فطيمات؛ يحتقُها كلَّ شجرٍ مُثْمَر، وروْض مُرْهِر، فقلت : هـذا المَرادُ الذي يحُطُّ به الرائدُ رَحْلَه، ويُوفِدُ إليه أهْله ، ويدْعُو إلى ققلت : هـذا المَرادُ الذي يحُطُّ به الرائدُ رَحْله، ويُوفِدُ إليه أهْله ، ويدْعُو إلى آختيار مَنْ يَهُبُ إلى السَّرور، ويُساعِد على الحضُور، المشاركة في التملي بهَجْتِه، والتمتُّع بنَضْرته، فكان مولاي أوّلَ مَنْ جَري إليه ذِكْرى، ووقع عليه طَرْفُ فِكْرى: لأنه الساكنُ في فؤادي، الحالُ في عَلّ رُقَادي ، فإنْ رأي أراه الله ما يُقرَّ العينَ أن يُكِلّ مسرِّتِي بنَقُل قَدَمِه إلى ، وإطلاع سعد طَلْعته عَلَى ": ليتم محاسِنَ ما وصَفْته، يُكِلّ الالتذاذ بما شرحتُه، فعل إن شاء الله تعالى .

أجوبة رقاع الآسيتزارة

قال فى "مواد البيان": لايخلو المستزار من الإجابة إلى الحضور أو التناقل عنه ، فإن حضر على الفور، فلا جواب لما نَفَذ إليه ، وإن وعَد الحضور وتاوم ليقضى شُغلا و يحضر، فينبغى أن يَبنى الجواب على سُروره بما دُعى إليه ، وحُسْن مَوْقِعه منه ، وأنَّ تاوَّمه للعائق الذى قطعه عن أن يكون جوابًا عما ورد عليه ، وأن حضوره يَشْفَع رُقْعته ، وإن أيس من الحضور، وجب أن يبنى الجواب على ما يمهد عُذره ، ويقرَّر فى نفس مستزيره أنه لم يتأخر عن المساعدة على الأنس إلا لقواطع صدَّت عنه ، يعلم المعتذرُ إليه صحَّم الينحرس ما بينهما من المودة ، فإنَّ كثيرا ما نتفاسدُ الحُلَّانُ من مثل هذه الأحوال ،

النــــوع السابع (فى ٱختِطاب المَودّة وآفتتاج المكاتَبـــة)

قال فى و موادّ البيان ": الرّقاع الدائرةُ بين الإخْوان فى آختطابِ المُعاشَره، و النّماء المكاثره، وطلبِ الحُلُظة والمُؤانَسة، يجب أن يقدَّر الحطابُ فيها على أن يَصِل المرغوبُ فى عشرته إلى الانخراط فى سلك أحبائه، والانحياز إلى أهل وَلائه، ويبعَنَ على قصْده، فى الالتحاق بوُده، ويدُلّ على المحاحصه، والصّفاء والمخالصه، على قصده، في الالتحاق بوُده، ويدُلّ على المحاحصه، والصّفاء والمخالصه، وما جرى هذا المجرى هذا المجرى مما يتعامل به أخلًاء الصّدق، ويجعلونه مَهْرا لما يلتمسُونه من المحازجه، ويرومُونه من الاختلاط والمواشجة.

قال : وينبغى أن يذهب الكاتبُ في هذه الرِّقاع مَذْهبا لطيفا ، ويُحسِنَ التوصَّلَ إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخُذَ بَجامِع القُلوب، ويُعين على نَيْلُ المطْلُوب.

وهذه نسخ من ذلك :

رقعـــة : ويُنهِى أنَّ المملوك لم يزَلْ مُذْ وقع طَرْفُه على صُورتِه ، وو لَجَ سَمْعَه بُعْدُ شَمِيْهِ ، يُناحِى نَفْسَه بافتتاح مكاتبيّه ومراسليّه ؛ والخيطاب ممازجيه ومواصليّه ؛ رغبة في الاعتقاد بإخائه ، والارتشاف من مَشَارع صَفَائه ؛ والمقاديرُ تَطْوى الطَّويَّة على العَديَّ في الاعتقاد بإخائه ، والارتشاف من مَشَارع صَفَائه ؛ والمقاديرُ تَطْوى الطَّويَّة على على ما فيها ، والعوائقُ تمُطُل النيَّـة بنَجَاز ماتَنْويه وتَلْويها ؛ إلى أنْ أذن الله تعالى بإغراض الأغراض ، والقباض ، والقباض ، فاظهر المملوكُ ما في القُرّه ، بإغراض الأعراض ، وانقباض أسـبابِ الانقباض ؛ فاظهر المملوكُ ما في القُرّه ، وائه يوجب القَبُول بإجابته ، ويُجيب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوكَ أهلا لاصطفائه ، ومحلًا لإخائه ؛ عالماً بإيجابه الحق ، والمعرفة بالسَّبْق ؛ وأن تُلقىٰ هذه الرغبة بالقَبُول ، ويسَلَّم إليها مفتاحُ المامُول ،

رقعية : لوكانتِ المودّةُ لا تحصُل إلّا عن أَلْفة تالدَة ، ومُواصلة سالفة ؛ لم يستَطْرِفِ المرءُ صفيّا ، ولم يستحْدِث وَلِيّا ، وما زال البُعَداءُ يتقارَ بُون ، والمتناكُون يتعارَفُون ؛ ولمّا نُمِي إلى المملوك من أنباء مولانا ما تضوّع عطره ، وطاب نشره ؛ سافر بالأمل إليه ، وقدم بالرَّغبة عليه ؛ طالباً الانخراط في سلك أوْليائه ، والاختلاط بخاصّته وخُلَصائه ؛ ومثل مولانا من أجاب السُّول ، وصَدَّق المأمول ؛ والمملوك يرجُو أن تَكْشف الأيام لمولانا منه عن خُلَّة صادقة ، ومودّة صحيحة ، لا تضيع معها إجابتُه ، ولا تَخْسَر صَفْقتُه .

رقعــة: ويُنْهِى أنَّ المملوكَ مازال مُدُ وقع طَرْفَهُ على صُورته البَدْرِيّة، وأحاط علماً بجلائِقِه المَرْضيَّة، راغبًا في مُواشَّجَته، باعثًا نَفْسه على اختطاب مودّته، وإبجارُه يُقعده، وإعظامُه يُبعده ؛ فَلَمَّ تطاولَ يرائع هِمَّته ، شجعت على إنفاذ عَرْمته ؛ فقد مكاتبته أمام مشافهته ؛ فإن حظى بالإجابة وتنويل الطّلبة ؛ فقد فاز قدْحُه، وتبلّج صُبْحُه ؛ ونال مُنَاه ، وبلغ رضاه ، وصادف هناه ، وديدا موثوقا بُوده ، مسكونا الى عَقْده وعَهْده ؛ يحَدُه عند الاختيار ، ويعرف به صحّة رأيه عند الاختيار ؛ والمملوك يرجو أن يصحّ ماسأله وكفله ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة: ويُنْهِى أنَّ منْ عَمَر اللهُ تعالى بثَنائه المَحَافِل، وعَطَّر بأنبائِهِ الفَضائل؛ وأقام من مَسَاعِيه الكرام خطيبًا يخطُب بُسودَده وفَضْلِه ، ويُعْرِب عن شرف مَتْده وأَصْله ، تطلَّعتِ الآمالُ للانتظام في سِلْك أحبَّائه ، وتشوفت الهممُ إلى الامتزاج بخلصائه وأوْليائه : لما يَضْفُو على المعتَّصِم بعُرى مُصافاتِه من لِباس جَمَاله ، ويُحَلِّى المعتَّصِم الله ويُحَلِّى المعتَّم الله ويُحَلِّى المعتَّم الله ويُحَلِّى المعتَّم الله ويُحَلِّى الله ويَحَلِّى الله ويَحَلَّى الله ويَحَلَّى الله ويَعَلَى الله ويُحَلِّى الله ويَحَلِيه ، وأحقُ مَنْ أسعَفَه مولانا بالمودّة إذا خطبها ،

وأجابه إلى المُصافاةِ إذا طَلَبَها ؛ مَنْ بدأه بالرَّغْبه ، ومَتَّ إليه بالمحبَّه ، لا لمُرْغِب ولا مُرْهِب، وآختاره لَنَفْسه علىٰ عِلْم بكاله ، ومعرفة بشَرفِ خِلاله .

وما زال المحلوك مُذُ أطلعه الله على مأخص به مَوْلانا من المحاسن المتعذّرة إلّا لدَيه، والفضائل الممتنعة إلّا عليه به يُحومُ على مشارع ممازَجته ولا يَرِدُها، ويَرُومُ مواقع مُواشَّجته ولا يعتمدُها، إكارا لقدره، وإعظامًا لحظرة، وخوفًا من تصفَّحه وتقده، وإلقاءً على ماء وجهه من ردِّه، والمملوك وإن كان عالمًا بأنَّ كرمَ مولانا يَرْقع إلحَالَ ، وفضلَه يُصدق الأمل بالله لايعدم مد رغب في قُرْب مولانا مالعلَّه يجدُه فيه، مما يُخالفُ مذهبه ويُنافيه به إذ كان لا يبلغُ تضاهيه في الثمام وتوافيه ، إلى أنْ أذنَ الله تعالى بأن أبلغ نفسه الأمنيَّه ، وأظهر ماطويت عليه الطويّة به فكتب هذه الرَّقعة وجعلها فيا رامّه من الاعتلاق بحبل مَودّته سَفيرا ، وعلى ما التمسه من الانضام إلى بمُثلت خلهيرا ، وقدم بها عليه وظنَّه يترجَّحُ من الإعراض إلى القَبُول، ثقةً بقُرْب بنويل ما آفترَحه ، فعمل بان شاء الله تعالى .

اختطاب المودّة ومفاتحة المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين برنب نُباتةً :

وضاعفَ للمالكِ ببقائِه الآنِتفاع، وبآرتقائِهِ الاَّرتِفاع ؛ وسَرَّ بمحاسن نظره وخَبَرَه العِيانَ والسَّمَاع .

ولا زال للحبِّين من وُدِّه عَطْفُ المتلَطِّف وللأعداء من بأُسِه خَطْفُ الشَّجاع . أصدرها المملوكُ منْطويةً علىٰ ماعَهد من صِدْق المحبَّه، ووفاءِ العهُود المستَتبَّة، ودُرَر المحامد التي لا تَسُوى لدّيها دُرَرُ العُقُود حَبَّه ، مُبْدية لعلمه الكريم أنّ المودّات إذا صفت، والقلوب إذا تجنّدت وتعارفَتْ ، حثّت المحبّين في البعاد على المفاتحة بكُتبهم ورسائلهم ، والمخاطبة في ظلال الأوراق بالسنة أقلامهم من لهَوات أنامِلهم ، إيثارًا لتجديد الأنس و إنْ صَعِّ الميثاق ، وتذكرا الحواطر الودّ ، و إن رسخت منه الأصول ونمت الأعراق ، ولذلك فاتح بها مخاطبا ، وارتقب لمناديها بالأخبار السارة مجاوبا ، نائبة عنه في مشاهدة الوجه الكريم ، ومصافحة اليد في حديث برها القديم ، تستطلع أخباره ، وتستعرض أوطاره ، وتُحيّى بالسلام وجهه وعهدة ودياره ، على يد فلان ، أخباره ، وتستعرض أوطاره ، وتُحيّى بالسلام وجهد وعهدة ودياره ، على يد فلان ، وقد حَل من المودّات والمشافهات مأيعيده على السّمع الكريم المنعم بإصغائه ، المصغى بنهائه ، المتحف بالمهمات التي يحصُل فوزُ القيام بها ، والمشرفات التي كلُّ أسباب السّرور متصلُّ بسببها ، والله تعالى يُبْهج من تلقائه سَمْعا ونظرا ، ويُبقي عيش حاسده هَشيا وعيش محبّيه نضرا ، ويُديم رياض ذكره تاليةً على المسامع : (إفانحرجنا منسه خضرا) ،

أجوبةُ آختطابِ المَودّة

قال فى " موادّ البيان " : لايخلُو مَنْ يُرام ذلك منه من أن يُجيب أو يعتلّ ، فإنْ أجاب بنى الجواب على وُقُوع رَغْبة المختَطِب أحسنَ مواقِعها ، والبهاج المختَطَب بها ، ومعرفته بقد مارآه أهلًا له ومسارعت إليه ، وإن اعتلّ بنى الجواب على أنه قد عَرَض له ما يقصر عنه ، ولا ترضى نفسه به ، وأنّ العذر [ليس] بعادة له فى المُزَايلة ، وطريقة فى الانفراد والمجانبة .

⁽١) أي لاتساوي يقال سوى درهما يسوىٰ من باب تعب ومنعها أبو زيد ٠ أنظر المصباح ٠

النـــوع الشامن (في خِطْبة النِّساء)

قال فى "موادّ البيان": الرِّقاع فى التماس الصَّهْر والمواصَلة يجبُ أن تكونَ مبنيَّةً على وصْف المخطُوب إليه بما يقتضى الرَّغْبة ، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدِّى إلى الكِفَاية والإسعاف بالطَّلِبة .

قال : وينبغى للكاتب أن يُودِعَها من ألفاظ المعانى المنتظمة في هذا البابِ أَوْقَعَها فى النَّفُوس ، وأعودَها بتقريب المَرَام ، وأدهًا على صِدْق القول فيما تكفَّله من حسن معاشرةٍ ، ولينِ معاملة ؛ وأنْ يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز .

وهذه نسَخٌ مر. ذلك :

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسُّله .

وأفضلُ تِلكَ المواهبِ مَوْقِعًا وألطَفُها وأحمدُها عاقبةً ، وأرهنُها يدًا ، ما يؤلِّف الله به القُرُبات ، ويؤكِّد به الحُرُمات ، ويوجِبُ به الصَّلات ، ويجدّدُ به المَكْرُمات ، ويُحدِثُ به المَكْرُمات ، ويحدُّثُ به من القِلَّة ، ويجمعُ به من الفَلْقة ، ويجمعُ به من الفُرْقة ، ويُونِسُ به من الوَحْشة ، ويُزادُ به في الحقوق وجُوبا ، وفي المودّات ثُبُوتا ، الفُرْقة ، ويُونِسُ به من الوَحْشة ، ويُزادُ به في الحقوق وجُوبا ، وفي المودّات ثُبُوتا ، ثُم لامثلَ لما كان لله طاعةً ورضاء ، وبأمره أخذًا واقتداء ، وبكتابه قُدْوة واحتذاء ، فالله نسألُ الحَيرة في قضائه ، والبركة فيا يقوم بناؤك عليه .

⁽١) في الاصل فيا يعزم .

ومنه : تصِلُ رَحِمًا، وتَعْقِد سَبَبًا، وتُحْدِث نَسَبًا، وتُجَدِّد وُصْلة ، وتؤكِّد أُلْفة .

رقعة : مَنْ خصَّه الله تعالىٰ بما خَصَّ به سيِّدى : من طَهارة الأعراق والأنساب، وشَرف الأخْلاق والآداب؛ وأفردَه باجتماع خلَال الخـير المتفرِّقة في الأنَّام، وَعَطِّر بثنائه مَلَابس الأيَّام؛ رغبَ الأحرارُ في مُواصَلته، وهانَ عليهم بذُلُ الوجه في آختِطاب ممازَجَته، وآلتماس مُواشَجته ومناسبَتِه؛ وجديرٌ من رُغِب إليه، وطُلب مالدَيْه؛ وٱخْتِير للشابِكَةَ في الوَلَد واللُّحْمُه، والمشاركةِ في المــال والنِّعمهــ أنْ يجيبَ ولا يَمنع ، ويصلَ ولا يقْطَع ، مصدّقًا لأمل من أفرده بآرتياده ، وتوحَّده بَاعْتَهاده ؛ عارفًا له حقَّ آبتـدائه بالثِّقة التي لابِجُوز ردُّ من آعتقَـدَها، ولا صَدُّ من حَسَّن ظَنَّهَا ؛ وقد علم اللهُ تعالىٰ أن [مضى] للملوك مدّة طويلة [وهو يَبْعثُ] متطلِّبًا مَرْبَعَا للتَأَهُّـل، مُؤْثِرا لِعَهَارة المُنزِل، راغبًا في سَكَن تَطْمئنُّ النفسُ إليـه، وتعتمدُ فِ الفَواتِحِ والمَصايِرِ عليه؛ وَكُلِّما عُرِض للملوك بيتُ أباًه ، أو ذُكر له جَنَابٌ قطَع عنه رَجَاه : لعدم بعضِ الشروط التي يُريدُها فيه ، وتعذُّرها عليه ؛ فلما قَرَع سُمْعَه ذَكُرُ سَيْدِي، علم أنَّه الغايةُ التي لامَرْقيْ بعدها، والنهايةُ التي لامَطْمَحَ وَراءَها، وأنه قد ظَفِر بالنُّقة، ووصل إلى الأُمنيَّة، ووجد من يجَمَع الحلال المرضيَّة ويزيد؛ . ويُحُوز من الفضـل الشأُو البَعيد ، وكتب المملوك هـذه الرقعة خاطبا كريمتَه فلانة [ليكون لهي] كالغمد الضامن للهنَّد ، والحلُّد الحافظ للجَلَّد؛ ويكونَ لمولانا كالوَلَد البِّرُّ بأبِيهِ ، ولأخيها كالصِّنو الشفيق على أخِيـه ؛ فإنْ رأىٰ سيدى أن يتدَبُّر ماكتبه المملوكُ و يَتَسَمَّعَ من توكيد رُقْعته ماحَلَتْه، و يجِيبَه إلى ماسأله فله عُلُوُّ الرأْي فىذلك؛ إن شاء الله تعالى .

رُقْعَــة : ويُنْهِى أَنَّ مَوْلانا بما تمَّم اللهُ تعالىٰ من مَحَاسـنه ومَنَاقِبه، جديُّرَأَن يَلْقِي مَنْ خَطَبِ الاعتصامَ بعُرىٰ ممازجَتِه، وسعىٰ في نَيْل عُلَقَه من مُواشَّجته، بالقَبُول، القاضى بنَيْــٰل المَامُول ، ودَرْك الرُّغَب والسُّول ؛ ولا سيَّــا إذاكان عارفًا من سُمُوِّ خَطَره، وٱعتلاءِ قَدْره، ما يَقْضي عليمه بحَفْض الْجَنَاح في معاشَرته ، وغَضَّ الطَّرْف في معامَلتِـه؛ والوُقُوف دُونَ درَجة المساواة والهـ اثَلَهُ ، والترَّحْزُح عن رُتَبْة المُبــاراة والْمُطاوَله؛ والانتظام في سلك الأنباع والحاشيه، والخُدَّام والغاشيه؛ وكثيرًا ماوجد المملوكُ البركةَ في مشاركةٍ مَنْ هذه صفَتُه أُوفَرَ منها في مشاركة النَّظَراء،وكانت العاقبةُ في مشابَّكَة مَنْ هذه حالُهُ أجمَلَ منها في مشابِّكَة الأكْفَاء؛ الذين يُصادِفُون في الحَقُوق شَطَطا ، ولا يُغَضُّون عن يســير الواجبات تَبَسُّطا : لأنهم يَرُون أنَّ الْوَصْـــلة مَّنْ داناهم في الرُّتْبُــة والمنزِّلة ليستْ عائدةً عليهــم بشَرَف، ولا مُظْهِرةً لهم من نُحُول. وَلَأَنْ يَستُخْلِصَ مثْلُ سَيِّدى من الرُّوَّسَاء ، مثلَ الْمَلُوكِ من الأوْلياء، ويختَصَّه بأثرة الاَّ جتباء والاَّرْصْطِفاء ؛ فيكُونَ مَفْخَرُه إليه منْسُو با ، وما يرقِّيه الله تعالىٰ إليه ببركته من دَرَج الفضل في نفسه محسُّو با ﴾ أوْليٰ من طلَّبِ مُمَاثِل يُناوِئ بقَدْره ويُطَّاوِل . علىٰ أنه لو طلَبَ ذٰلك لطَلَب مُعْوِزًا ، ورام مُعْجِزًا : لما أفرده اللهُ تعماليٰ به من السِّيادة التي لايُترامى إلى منزِلتها، ولا يُتسامى إلى مُطاوَلتِها ؛ وإذًا كان النظيرُ مَعْدُومًا، والكُفُؤ مَفْقُودًا؛ ولو وُجِد لَكَال مَتَسلِّطًا، ووَقَعَ سَوْمُهُ مَنْبَسطًا؛ ومَوْلانا يُطْلَبُ إليه ولا يَطْلُب ، ويُرْغَب فيما عنده ولا يَرْغَب ، فقد سَهُلت السبيلُ إلىٰ مَا يُرُومُهُ الْمُلُوكُ مِن جِهَتَه؛ ويُؤْثِرُه مِن مُواصَلته؛ وٱتَّسَع الْحَاَلُ فيما يُقَدِم عليــه من الرَّغْبِـة في تقليده شَرَف مُصاهَرَته ، وإضافَتِه بذلك إلى بِطَانته وأهل خاصَّــته ؛ ويُغْرِجه علىٰ ما يُخْرِج عليــه الوالدُ ولده، والسيِّدُ عَبــدَه ؛ وقد حَمَّل المملوكُ موصِّلَ

⁽١) لعله يشير إلى المثل العربي «عرض عليه سوم عالة» يضرب لمن يعرض عليك ماأنت عنه غنيّ تأمل.

مطالعته هذِه مالم تَسَعُ إيداعَه المكاتبة، فإنْ رأى مولانا أنْيُصْغِيَ إليه ويجُيبَ عبْدَه َ بمـا يعتَمدُه المملوكُ في ذلك فله الفضْل؛ إن شاء الله تعالىٰ .

رقعــة : ويُنْهِى أن لنَوِى المَناجِب الطِّيةِ الأنساب، والمَناحِت الزُّكيَّـة الأحســاب ؛ والأخلاقِ الكريمةِ والآداب ، بين الأنام لِسانَ صِـــدق يخطب لهم بالمَحَاسن والمَحَامد، ويُعَطِّر بثنائهم الصادِرَ والوارِد؛ ويدْعُو القلوبَ إلىٰ نَيْل عُلَقَه مِن ممــازَجَتهم، وٱلتَشُّــك بطَرَف من مُواصــلتهم؛ وقد جمعَ اللهُ لمولانا من كريم المُتلَّد والْمُطْرَف، وقَدِيم وحديثِ الفضل والشَّرَف، ماتَفَرَّق في السِّيادات، وتَوَزَّع علىٰ أهل الرياسات؛ وجعله في طَهَارة المُولِد، وطِيبة المُحتِد؛ وٱستكمالِ المآثِر، وٱستِبَّامِ المَفَاخر، عَلَمَا ظاهِرًا، ونَجْما زاهِرًا؛ فما مِنْ رئيس سِوىٰ مولانا تُعْجِزه خَلَّة من خِلَالَ الرياسة إلا وجدَها لدَيْه ، ولا نفيس تُعْوِزُه خَصْلةً من خصال النَّفاسة إلَّا ٱستماحها من يدَيْه ؛ ولذلك آمتدتِ الأعناقُ إلى التمسُّك بحبْله ، وتطلُّعت الهمَمُ إلى مُواشَجَتِه في كريم أصْله ؛ وصار مْرْغُو با إليه لاراغِبا ، ومطلوبًا لَدَيْه لاطالِبا ؛ وهو جديُّر بما وهبَهُ الله من هذا الفضل النَّائع، والنُّبْل الشائع،أن يُجِيب سائلَه، ويصَدُّقَ آمَلَه؛ ولا يَتَعَبَّمَ في وَجْه قاصده، ولا يردُّه عن مَقْصَده؛ ولا سيَّما إذا كان قد أسلَفَه الظنَّ الجميل، وبدأه بالثَّقةِ والتأمّيل؛ وتعذَّر عليه قدرُ العارف بقَدْره، العالم بَحَطَره؛ المرتضى بشرائطه، النازل على حكمه، المتدِّبّر برأيه؛ وقد علم اللهُ تعالىٰ أنَّ المملوك مُذْ نشأ وصَلَح للتأهُّل مرغوبٌ فيه، مخطوبٌ إليه؛ من عِدَّةِ جهاتٍ جليلة ، وجَنَباتٍ رئيسة ؛ والمملوكُ صادُّ عن الإجابة ، صارفُ عن المطاوَعَة : لشُذُوذ بعض الشُّروط التي يرُومُ أَن يَكُون مجتمعةً في النَّسب ، الذي أَعُـــــــّـــه شريكًا في الوَلَدَ والنَّشَب ؛

⁽١) المتلد (أى كمكرم) ماولد عندك من مالك أو نتج ومال متلد قديم •

ومُفاوضًا في الحال والسَّبَب؛ مرتادٌ من يقْنَع بالموافقه، ويرتخ ، بالعِشْرة والمرافقة ؛ حتى أفضى في الانتقاد إلى مولانا فوجد المُرادَ على آشتراط ، وألفى المقصودَ على آشتطاط ، فدعاه ذلك إلى التهجَّم بعد الإحجام ، وحمله على التجاسر والإقدام ، والتوسُّل إلى مولانا بما يتوسَّل به الأحرار ، إلى الأخيار ، وأمَّه بصادق الرغبة وصميم الحجة والانبساط ، في خطبة كريمته فلانة ، على أن يعاشرها بغاية الأنس ، ويَصْحَبَها أَحْجة الحسد للنَّفس ، ويَعْرِفَ لها من قَدْر أبوَّتها وأمُومتها ماتستحقُّ برياستها ، وقد أصدرهذه الرقعة نائبة عنه في ذلك ، فإنْ رأى مولانا أن يُتْحِفَه بالقَبُول ، ويجعله أهلا لإجابة السُّول ، فله الفضل في ذلك ، إن شاء الله تعالى .

ومن النادر الغريب ماذكره الشيخ شهابُ الدين مجود الحلبي ف ووحُسن التوسُّل " في الكتابة إلى شخص في تزويج أمه، وهو :

هذه المكاتبة إلى فلان _ جعله الله ممن يُؤثِر دِينَه على الهُوى، ويَنْوِى بأفعاله الوقُوفَ مع أحكام الله تعالى فإنما لكُلِّ آمرِئ ما نوى؛ ويعلَمُ أنَّ الخَيْر والخيرة فيا يسره الله من سُنَة نبيه صلى الله عليه وسلم وأنَّ الشرَّ والمكروه فيا طوى؛ نعرض له بأمر لاحرج عليه في الإجابة إليه؛ ولا خَللَ يلْحَقُه به في المُروءة وهل أخلَّ بالمُروءة من أبلغ النفس في مصالح مَنْ فعل ماحضَّ الشرْعُ المطهَّرعليه؟ وأظهرُ الناس مُروءةً من أبلغ النفس في مصالح حَمْه عُذْرَها، ووقَى من حقُوق أخصَهنَّ بيرِّه كلَّ ماعلم أنَّ فيله يرِّها؛ وإذا كانت المرأة عَوْرة، فإنَّ كال صَوْنها فيا جعل الله فيه سَتْرَها، وصلاحَ حالما فيا أصلح الله به المرأة عَوْرة، فإنَّ كال صَوْنها فيا جعل الله فيه سَتْرَها، وصلاحَ حالما فيا أصلح الله به في الحياة أمرَها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشريّة وظاهره، في الحياة أمرَها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشريّة وظاهره، كان الأولى تعجيلَ أسباب العضمة فلا فرق بين أقي [وقت] الاحتياج [إلى ذلك]

⁽١) الزيادة من ''حسن التوسل'' ص ١١٦ .

وآخره ؛ وما جَدَع الحلال أَنْفَ الغَيْرة إلَّا لِيزُولَ شَمَّمُ الْحَيَّه ، وتنزلَ على حكم الله فيما شَرَع لعباده النَّفُوسُ الأبيّه ؛ ويُعْلَم أَنَّ الفضلَ في الانقياد لأمي الله لافي النباع الهوى بعضل الوليّة ؛ وإذا كان يَّر الوالدة أَتَمَّ ، وحقُها أعمّ ؛ والنظرُ في صلاح حالها أهمّ ؛ تعبَّنت الإجابة إلى ما يصْلُح به حالها ، ويسكُنُ إليه بالها ، ويتوفَّر به مالها ، ويعمر به فنا أُوها ؛ ويحصُل به عن تقلَّد المنن آسيغناؤها ، وتُحمَّل به كُلفة خَدَمها عنها ، وتُدَفّع به ضروراتُ لابُد لذوات الجابِ والجالِ منها ، ويَضْفُو به سِتْر الإحصان والحَجابِ والجالِ منها ، ويَضْفُو به سِتْر الإحصان والحَجابِ ما فَحَمَان مَا مَا مَا مَا يَهُمُ مَواقِع الإحسانِ إليها ،

وقد تقدَّمَ منساداتِ السَّلَف مَنْ تولِّى ذٰلك لوالدته بَنْفُسه، وٱعتدَّه من أسباب برِّ يومِه الذي قابل به ماأسلفَتُه إليه في أمسه؛ عِلْمَا منهم أنَّ آستكال البرِّ مما يُعْلَى قَدْرَ المرءِ وُيُفْلَى؛ وقد أجاب زيدُ بنُ زينِ العابدين هِشَامًا لَمَّ سأله : لِمَ زَوْجت أُمَّك بعدَ أَبِيك؟ فقال : لتبَشَّرَ بآخَرَمِثْلي، لاسِمِّما والراغبُ [إلىٰ المُوْلى] في ذلك مِن يُرْغب في قُوْرِ به، ويُغْبَط على مالَدَيْه من نِعَم ربِّه، ويعَظَّم لِٱجتِماع دُنْياه ودِينه، ويُكْرَم لِيُمْن نَقِيبتِه وجُود يمينِه ؛ و يعْـلَمُ أنَّ العقيلة تَحُلُّ منه فى أمْنَعَ حَرَم ، وتستظلُّ مر ذَرَاه بأضْفيٰ سُتور الكَّرَم، مع ٱرتفاعِ حَسَـبه، وٱشتهار نَسَبه، وعُلُوِّ قَدْره في مَنْصِبِه وحالِه وسَدِيه، وأنه بمن يُحْسِنُ أن يُحلُّ من المولىٰ عَلَّ والدِه، وأنْ يَتَجمَّل من ذُرِّيته بمن يكون في الملمَّات بَنَانًا ليَده وعَضُدا لساعده ؛ فإنَّ المرءَ كثيرٌ بأخيه ، و إذا أُطْلِق عليه بحكم الْحَبَاز لفظُ الْعُمُومة ، فإنَّ عمِّ الرجل صِنْوُ أَبِيــه ؛ وأنا أتوقُّع من المولىٰ الجوابَ بمـا يَجَعُ شَمْل التُّقيٰ ، ويُعْــلَّمُ به أنه تَخَيَّر من البِّر أفضلَ مأينتُقىٰ ؛ و يَتْحَقَّقُ بِفَعْلُهُ أَنَّ مِثْلَهُ لاَيُهِمِل واجِبًا؛ ولأمرِ مَّا قال الأحنُّفِ وقد وُصِف بالأناة: لكنِّي أَتعجُّلُ أَنْ لا أَردُّكُفُؤا خاطباً .

⁽١) الزيادة من ''حسن التوسل'' .

النـــوعُ التـاسعُ (في الآِسترضاء والآِستعطاف والاِعتِذار)

قال في "موادّ البيان": المكاتبةُ في اُستِعْطافِ الرُّؤساء ، ومُلاطَفة الكبراء ، تُعتاج إلى حُسْن تأتِّ : لما تشتمِلُ عليه من إيجاب حُقُوق الحدمة ، وما أسلَفُوه من مَرْعِيِّ الجُدَم ، وما يَتْبع هـذا من التنصَّل والاعتذار الذي يسُلُّ السخائم من القُلوب ، ويستنزِلُ الأَوْغار من الصَّدور ، ويُطْلِع الأُنْس وقد غَرَب ، ولها موقع في تأليف الكلام .

قال: وينبغى للكاتب أنْ يستعمل فيها فِكُو، ويُوفِيّها حقّها من جَوْدة التربيب، وأسيفاء المعانى، وأنْ يذهب إلى آستعال الألفاظ الجامعة لمعانى العُذْر، الملوّحة بالبَراءة مما قُرِف به ، ولا يُحْرِج لفظَه مُحْرَج من يُقيم الحجـة على براءة الساحة مما رُمِي به ، فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساء: لأنّ عادتهم جارية بيايثار آعتراف الحُدّام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض: ليكون لهم في العَفْو عند الإقرار عارفة توجبُ شكرا مستأنفا ، فأما إذا أقام التابع الحجة على براءته وسلامته مما رُفع عنه ، فلا يُوضَع الإحسان إلا إليه في إقراره على منزلته ، والرّضا عنه والا ستعطاف، بل ذلك واجبُ له ، في منعه منه ظُلم .

⁽١) في الاصلين «مما قرب منه» وهو تصحيف من الناسخ .

⁽٢) المراد أن إقراره والرضاعة ليس من الاحسان بل من الواجب تأمل •

وهذه نسخٌ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد:

فإن رأيتَ أن تنظرَ في أمرى نظرا يُشْبِهِ أخلاقك المرضِيَّة ويكونُ لحسن ظَنِّى بك مَصَدِّقًا، ولِعظيم أُمَلِي [فيك] محقِّقًا، ولِكَ لم تزل تَعِـدُنِيه مُنْجِزًا، ولحِقِّ حُرْمتِي بك وقديم ٱتَّصالى بأسبابك قاضِيًّا، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنـــه : لسليمانَ بنِ وَهْب .

مَنِ ٱنصَرَفَ فى الاحتجاج إلى الإقرار بما يَلْزَمه و إن لم يكن لازما، فقد لَطَّف الاَّستعْطاف، وآستوجب المسامحة والإنْصاف .

ومنه : وقد نالني من جَفْوة الأمير بعد الذي كُنْتُ أَتَعَرَّف من بِرِه وألطافه أَمْرُ أُحلِّي مَكَلَّ المُدْنِب في نَفْسي مع البراءة من الذَّنْب ، وألزمَنِي الإساءة مع الحُروج من التقصير ، وزاده عِنْدي عِظَا وشِدّة أني حاوَلْت الخُروج منه بالاعتذار ، فلم أَجِدُل إلى الأمير ذَنْبا أعتذر منه ، ولا على فيما ألزمني من مَعْتَبَته حجة أُحاوِلُ دَفْعها والتخلُّص منها ؛ فأصبحت أُعالج من ذلك داء قد خَفي دَواقُوه ، وأحاوِلُ صلاح أمر لم أَجْنِ فسادَه ؛ فإن رأيت أن تفعل كذا وكذا فتصل قديم مااصبَع عندي من معروفك بحديثه ، فليس عندي في مطالبة حجّة أنجَحُ من التوجّه إلى الأمير بنَفْسه ، والثقة عنده بفَضْله ، فإن كنتُ مُذْنِبا عَفاً ، وإن كنتُ بَرِيثًا راجع .

ومنه : لأبى على البصير .

وأنا أحدُ منْ أسكنته ظِلُّك، وأعلَقْتَ عَبْلك، وحبَوْتَه بلطيف بِرِّك، وخاصِّ عنايَتِك، وآنتصفَ بك من الزَّمان، وآستغنىٰ بإخائِك عن الإخوان؛ فهو لآيرْغَبُ

إلّا إليك ، ولا يعتمد إلّا عَلَيْك ، ولا يستَنجِح طَلَب الّا بك ، وقد كان فَرَط منى قولُ : إن تأوَّلته لِي ، أراك أوجُه عُذرى ، وقام عندك بحُجَّى ، فأغناني عن توكيد الأيمان على حُسن بيتى ، وإن تأوَّلته عَلَى ، أحاق بى لا مُمتك وحبسنى على [أسوا] طل عندك ، وقد أتيتُ ك معترفا بالزَّلة ، مستكينا للوَجدة ، عائدًا بالصَّفح والإقالة ، فإن رأيت أن تُقرَّ عينًا قرَّت بنعمتك عندى ، ولا تَسْلبني منها ما البَسْتنى ، وأن تقتصر من عقو بنى على المُكُروه الذى نالني بسَبَب عَتْبِك على ، وتأمُّر بتعريفي رأيك بما يُظامنُ هَلَعى ، وتسْكُن إليه نَفْسى ، ويَأْمَن به رُوعى ، فعلت ، إن شاء الله تعالى .

وَمُنَــه : لابى الحُسَين بن أبى البغل .

نُبُو الطَّرْف من الوزير دليلُ على تغيَّر الحال عِنْده، والحفاءُ ممن عَوَّد اللهُ البِرِّ منه شَديدٌ، وقد آستدللتُ بإزالة الوزيرِ إيَّامَ النَّمْلَ الذي كان نَحَلَنِيه بتطَوَّله، عَلَى ما سُؤْت له ظَنَّ ابَنْفسِي، وما أخافُ عَثْبا : لأنى لم أَجْنِ ذَنْبا ؛ فإن رأى الوزير أنْ يُقومني لنفسي، ويَدُلَّني على مايُريده منِّ، فعل؛ إن شاء الله تعالى .

ومنــــه : لأبى الرَّبيع .

أصدقُ المَقَال، ماحقَّقه الفَعَال، وأفضلُ الخَبَر، ماصدَّقه الأَثَر.

ومنه : لمولانا سِيرةً في الفضْل والإحْسان ما أمَّلها آمِل إلَّا جادَتْ وسَخَتْ ومَنحَتْ ، وعوائِدُ في العَفْو مارَجَاها راجٍ إلَّا صفَحَتْ وسَمَحَتْ ، وأحَقَّ مَنْ تَلَقَّاه عند العِثَار ، بالإقَالة والاَّغْتِفار، ووَقفَ به عندَ حدّ التقويم والإِصْلاح ، ولم يُعرِّضْه

⁽١) في الاصل "على ماأحاق" تأمل.

لنَقيصة الإقصاء والإطراح، مَنْ شَفَع المَفْوة بالاعتِذار، وخطب التغمَّد بلسان الإقرار؛ ودَلَّت التجارِبُ منه على حَسْم الأَضْرار؛ وكان له من سالف الحدَم وسائلُ وذَرائع، ومن صحيح الإخلاص ممهِّد وشافع ؛ فلا عَجَبَ أَنَّ المُلُوكَ يَهُو فيعْفُو، ويَظْلِم فيَكْظِم، ويجهَل فيَحْلُم، ويُحْطئ فيُصِيب، ويدْعُو متنصَّلا فيُجِيب؛ وقد جعلِ الله سَهْمَه المَعْلَى، ويَده الطُّولى، وأَطْمه التفضَّلَ بالإِنْعام، والتغميض عن زَلَّات الكرام؛ وقد حصل للملوكِ في هذه النَّبُوة من إزرائهِ على عقْله ، وتقييحه لفعْله ؛ الكرام؛ وقد حصل للملوكِ في هذه النَّبُوة من إزرائهِ على عقْله ، وتقييحه لفعْله ؛ أعظمُ تَجْرِبه ، وأكبرُ مَأْدَبه ؛ والمملوك يسالُ إحسانَ سيّدى أن يُعيده إلى رضاه ولطفه ، ويصَدِّق رجاءَه فيه ، ويُجْزِلَ وَابَّه عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : المملوك يخطب صَفْحَ سيّده و إقالتَه بلسان الاعتفار، ويستعيدُ ماعرَف من رضاه وعاطفتِه بوسائل الاعتذار: ليكونَ المتفضّلَ في كلِّ الحالات، والمنعمَ من كلِّ الجهات؛ وقد عرفَ السَّهُو والنِّسيان، المعْتَرضين للإنسان؛ وأنَّهما يحُولان بينهُ وبينَ قلْه، ويُزَوِّرانِ عليه خَطأه في صُورةِ صوابِه؛ فيتورَّطُ في السَّقَط غيرَ عامد، ويتهوَّرُ في العَلَط غيرَ قاصد، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يُوَاحِدُ كُمُ الله بِاللّهُ فِي اللّهُ وَاللّهُ مَا اللهُ بِاللّهُ وَلَكُنْ يُوَاحِدُ كُمُ الله بِاللّهُ على الله على الله بَعل الله بالله بيرهذه الرتبة في خدمته .

فصل : وقد آوى سيدى المملوك من ظله، وأَعْلَقَه من حَبْله، وأَسبغ عليه من خَبْله، وأسبغ عليه من فَضْله، مأأنْصفَه به من الزَّمان، وأغناه عن الإِخْوان، ووَقَف رَعَباتِه عليه، وصَرَف آمالُهُ إليه، ونَزَّله مَنْزِلةَ مَنْ لايشُكُّ فى اعتقاده، ولا يستَريبُ بوداده؛ وكان

المملوكُ أرسل لَفَظًا على سبيلِ الإشفاق ذَهَبَ به الحاسدُ إلى غير مَعْناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مَعْزاه ، وأحاله عن بِنْيته ، وعَرضه عليه على غَيْر صُورَته : ليُوحِشَ علَّ المُملوك المأنوسَ من رِعاَيتِه ، وينفِّر سِرْ به المطمئِنَّ بملاحظته وعنايتِه ، وقد أرسل المملوكُ هذه العُبوديَّة سائلا في عُو إظلام مَوْجِدته ، وأن يُعِيدَ المملوك إلى مَكانه من حَضْرته ، إن شاء الله تعالى .

+ +

لا أتوسَّلُ إلَيْك إلَّا بك، ولا آتِيكَ إلا مِنْ بابِك؛ ولا أستشْفِعُ إليك بسِوَاك، ولا أستشْفِعُ إليك بسِوَاك، ولا أَنتظِرُ إلَّا عَطْفَتَك التي لاتقُودُها زخارِفُ الأموال، ولا تُعيدُها شفاعاتُ الرجال:

إذا أنْتَ لم تَعْطِفْكَ إلَّاشفاعة ﴿ فلا خَيْرَ فَ وُدِّ يَكُونُ بَسَافِعِ

هَبْ نِي تَحَطَّيتُ إِلَىٰ زَلَّ * ولم أَكُنُ اذْنَبْتُ فَيَا مَضَى! أَلَيْسَ لِي مِنْ قَبْلِها خِدْمَةُ * تُوجِبُ لِي مِنْكَ سَبِيلَ الرِّضَى!

غـــيره:

وَحَقِّكَ مَا هَجْرُ تُكَ مِنْ مَلَالٍ * وَلَا أَعْرَضْتُ إِلَّا خَوْفَ مَقْتِ!

لِأَنَّ طَبَائِعَ الإِنْسَانِ لَيْسَتْ * على وَفْقِ الإِرادَة كُلَّ وَقْتِ!
اعتذار عن التأخر، من ترسل أبى الحسين بن سعد .
إِنْ لَمْ يَكُنْ فَى تَأْخَرِى عَنْكَ عُذْرٌ تَقْبَلُهُ ، فاجعَلْه ذَنْبا تَغْفَره .

على بن خلف :

الأعذارُ _ أطال الله بقاء سَيِّدى _ تَنْاىٰ على الآمِتناع ، وتَضيق على الآِتِساع ؛ وذَلك بحسَبِ مأتُصادِفُه من قَبُول ورَدْ، ومسامحة ونَقْد ؛ وأنا أحمدُ اللهَ علىٰ أن جعلَ عُذْرى إلىٰ من يتَمَصَّل العُذْر للمُعْتَذِر، ويصْفَح صَفْح المالك المقْتَدِر، كأنَّمَ المُثَرَّ بقول الشاعر :

إِذَا مَاأَتَتْ مِنْ صَاحِبِ لِكَ زَلَّةٌ * فَكُنْ أَنْتَ مُحَالًا لِزَلَّتِ عَدْرا

ولم يجعَلْه إلى من يُعَلِّب هاجِسَ الظُّنون ، على واضح الحُجَّة ، ومعتَلَّ الشكَّ على صحيح اليقِين ، ونُمِي إلى أنَّ غابطاً لمكانى من حَضْرته ، حسد في على عَلَى من مودّته ، وزور مايَنْكشِفُ عن الإفك والبُهْان ، ودَلَّس الكذب في صُورة البُرهان ، فلما جَلَّه في مَعارض زَخارِفه أظهر لسيدى عُوارَه ، وأبدى لطَّرفه شُواره ، فشَلَّ سمْعَه عن وَعْيِه ، وطَرف طَرْفه عن رَعْيه ، واستمَّ عَلائِمَ شَمِتِه ، في حُسْن الظنِّ باحبته ، فقدَّمتُ من الاعتذار ما يُقدِّمُه المذنبُ نُزُولا على طاعتِه ، وتأدُّباً في خِدْمته ، وشفعتُه من الدَّعته إحسانه ويوجبه .

أبو الفرج البيغاء :

أحقَّ المَعَاذِيرِ بالتَقَبَّلِ وأَوْلاها بِسَعَة القلُوبِ ماصدَرَ عن ٱستِكانةِ الأَقْدار ، ودَلَّ على حَسْم مواد الأَضْرار ، وصَفَا من كَدَر الاِحتِجاجات ، وتنزَهَّ عن تَمَتَّل الشُّبُهَات : لَيَخْلُص بِه مِلْكُ العفْو ، ونتكامَل نِعمةُ التَّجَاوُز ، ولستُ أكْرَه شَرَفَ تأديبه ، ونُبْلَ تثقيفه وتهذيبه ؛ مالم يتجاوَزْ في العـقُوبة والتقويم إلى مُؤْلِم الإعْراض، ومَضيض

⁽١) أى عيبه وشل سمعه أى طرده والمراد أنه لم يصغ اليه .

التنكُّرُ والآِ نُقِباض؛ ولا أخطُبُ الإقالةَ من تفضَّله إلَّا بلسانَ النَّفةِ وشافِعِ الخَدْمة، هاربًا إلى سَعَة كرمه مما دفعتْنِي الحَمَّةُ إليه، وأشفىٰ بى عدَمُ التوفيقِ عليه؛ فإنْ رأىٰ أنْ يكونَ عِنْدَ أحسنِ ظنِّى به فى الصَّفْح، كما هو عِنْد أصدقِ أملى فيه بالإنعام، فعَلَ .

وله في مشـــله :

ليس يَخُلُو الإغراق في التنصَّل والمبالغة في الاعتدار من إقامة لجُة، أو تمسَّك باعتراض شُبهة، وأنا أُجِلُ ما أخطبه من عظيم عَفْوه، وأ كَبِر ما أُحاوِلُه من نعمة بجَاوُزه؛ عن المقابلة بعين الاعتراف بالزَّل و بعد الا ستحقاق من الصَّفْح، مالم يُوجِب لى بسَعة تأوَّله، ويَعُد على فيه بعادات تفضَّله: لتصْفُو منه الأعضاء، وتلزَّمَني واجباتُ الشكر والتَّناء؛ غير ممتنع مع ذلك من التبرِّي إليه مما أَنكره من تَجاوُز السَّهُو واجباتُ الشكر والتَّناء؛ غير ممتنع مع ذلك من التبرِّي إليه مما أَنكره من تَجاوُز السَّهُو الله المعمل، والتوجَّه إلى مافرط بالاختيار والقصد اللذين يُعْفَر بتجنيه ما مذموم الأفعال، ويُتعَمَّدُ سَيِّ الأعمال؛ فإنْ رأى أن يحل أمري فيا قصدَ ثني الأيام بتوجه الظّنون فيه على غير النية لاظاهر الفعل، إذ كانت صفاتُ الإنسانِ بالأشهر من أخلاقه والأكثر من أفعاله، ولا صِفة لي أغرَف بها وأنسب إليها غير الإعتراف بإنعامه، والتَطاوُلِ من اصطناعه، آخذًا من كلِّ حال بالفَضْ ل، ومشفّعا بَسْطة الرياسة والنَّنُ .

وله فی مشــله :

لستُ أخلُو في المُدّة التي تجاوز الدهرُ لِي عَنْها في خِدْمتِه من توصَّلِ بفَرْط الاَجتهاد ، إلى ماوصَل من رَأَيُه إلى رُتْبة التقبُّل والإِحْماد ، وليس يَحْبَطُ ماأتَيْتُه من مرضى الخدمة بالنيَّة والعَمْد بما لعَلَّه فَرطَ من غير مُراد؛ إذ كان _ أيده الله بفائض

طَوْله ، ومأثُور فَضْله _ آخذًا من آدابِ الله بما أحاكمه منه : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِئَاتِ ﴾ . و [لو] لاإيثارى مفترض الطاعة واستكانة الاعتداد، وأن لاأخطب رضاه بلسان الاحتجاج، ولا أثنمس عفوه بو جُوب الاستحقاق : لتسلم له صفات التفضّل، ولى مَواتُ الاعتراف بسالف التطوّل؛ لبرهنت على سلامتي مما قُصر على بتوجّه الظّنون واعتراض الأوهام، ولا أقول بشعَث النيَّة وفساد الرأى، فإن رأى أن يحفظ ما ابتدأًه مُغُتارا من اصطناعي بما يصُونُه عن التنكُر، ويَصُونَ عادتي في شكر ذلك والاعتداد به عن الفُتُور والتغيَّر، فعل .

أجوبة الآسترضاء والآستعطاف

قال فى و موادّ البيان ": لا يخلُو المعتذّرُ إليه من أمرين : أحدُهما أن يقبل العذر، والآخرأن يستمرّ على المَوْجِدة و يرفُضَ ما يأتى به من حُجَّة ، فإن كان قد قبِل العُذْر ، وجب أن يبنى الجواب على وصول الكتاب ، والوَقُوف عليه ، والتقبّل لما تضمّنه ، وتبرئة المعتذر عن الحاجة إلى الإعتذار ، والانقياد إلى الاعتراف بالحُرْم والإقرار ، إكرامًا خُلَّت عن التُّهمة ، وللودّة عن الظّنّة : فإن الأمر الذى أوجب العُذر لو صدر منه ، لاقتضى وداده التأول له بأنّه ما صدر إلا عن باطن سليم ومصلحة أوجبته ، قال : وليس هذا المعنى هو الذى يُجاب به مَنْ قُبِل عُذْره فقط : لأنه يجوز أن يجيب بأنه قد قبِل العُذر ، وصفَح عن الحُرْم ، على أنْ لا يعود فقط : لأنه يجوز أن يجيب بأنه قد قبِل العُذر ، وصفَح عن الحُرْم ، على أنْ لا يعود بلك مثله ، وإن استمرّ على القصد ، بنى الجواب على إبطال العُذر ومعارضته بما

⁽١) كذا في الاصل ولعله « إليه » ·

⁽٢) فى الأصول «ولا اينادى على مفترض ألا أخطب الح» ·

 ⁽٣) أى قصد الصد و بنى على هجره ولم يقبل الاعتذار .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطإ المعتذر، وأنه مما لايسُوغُ الصفْحُ عنه، ولا يليق بالحَزْم إقالتُه .

قال : وهـــذانِ معنيانِ يَعْمِلان مر... العبارة مالا يكادُ ينْحَصر في قول مشرُوح مبسوط؛ فضلا عن قولِ مجمَلٍ مُوجَر، إلَّا أن المتدرّب بالصناعة إذا مَّرت به هذه الأصول أمكنه التفريعُ عليها .

النـــوع العـاشر (في الشكوئ ـ أعاذنا الله تعالىٰ منهــا)

قال في و مواد البيان ": رقاعُ الشَّكُوى - عصَمنا الله من مُوجِباتها - يجبُ أن تكون مبنيَّةً من صِفَة الحال المُشْكِية، على ما يُوجب المشاركة فيها ويقْضى بالمساعدة إن السَّدُعيتُ عليها، من غير إغراقٍ يُفْضى إلى تَظْلِيم الاقدار وإحباط الأَجْر، وشَّحُوى المبتلِي بالخير والشرِّ سبحانه وتعالى، ويدلُّ على التهالك بالجَزع، وضعف التماسُك وقُوة الهَلَع، باستيلاء القُنُوط والإياس، وأن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله سبحانه، والتسليم إليه، والرِّضا بأحكامه، وتوقَّع الفَرَج من عنده، وتلق اختباره بالصبر، كما نتلق نعمُه بالشكر، ونحو هذا عمى يليق به ويجرى بَعْراه، قال: وقد يكتُبُ الاتباعُ للرؤساء رقاعاً بشكاية الأحوال ومساعلة النظر، ثم ذكر أنَّ سبيل يكتُبُ الاتباعُ للرؤساء رقاعاً بشكاية الأحوال ومساعلة النظر، ثم ذكر أنَّ سبيل هذه الرِّقاع أن يُعمَدل بها عن التصريح بالشَّكوى إلى لَفْظ الشَّكر ومَعْناه، وطلب الزيادة والإلحاق بالنظراء في الإحسان: لما في إطلاق الشكاية، والتصريح بها من التعريض بإخلال الرئيس بما يلزمُه النظر فيه من أحوال خاصَّتهم وتعهد من الكفاية .

وهذه نسخُّ من ذلك :

رُقْعَــة شكوىٰ هُمُوم :

كتب المملوكُ هذا الكتابَ وهو رَهينُ فِكْرٍ وغَمَّ، وقَلَقٍ وهَمَّ، وَحَلِيفُ جَوَّى قد سَكَنَ القلب، وخوفِ قد أطار اللَّب، و باللهِ العِياذ، وهو المَلَاذ؛ وبيده نُحُلُّ المُقْده، وبأمره تَزُول الشِّده؛ وقد ألهم اللهُ سبحانه المملوكَ صَبْرا يَسَّر أَمْرَه، وأمَلَّا في الفَرَج خفَّف ضُرَّه؛ وليس بآئسٍ من عَطْفته، ولا قانيطٍ من نِعْمتِه.

كتب المملوكُ وهو شاك لتجاهُل الأيام، وقيدُ من مواقِع سِهامها الرَّغِيبة الكلام؛ مَنْهُومٌ بَهُمُوم تُضْعِف الجَلِيد، وتَسُوء الوَدِيد، وتَسُرُ الحُسُود، لاقِ من قَسْوة الدهر وفَظَاظته، ونَبْوة العَيْش ونُفْرته ؛ ما يردُّ الجفُونَ عن الهُجُوع ، ويُغْرق العيون بالدُّمُوع ، ولله تعالى في عباده أقضيةً يَقْضِيها ، وأقدارُ يُمُضِيها ؛ والله أسألُ حسن العاقبة والخام، وتمحيص الأو زارِ والآثام ،

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح، وقائب قريح، وجنانه سليم، وجنابه سليم، وجنابه سقيم : لما يتبادر إليه من نكايات تقدح وتقرّح، وحادثات تكليم وتَجْرَح، ونُوبٍ تَهُضّ، وتَهْرض، وخطوب ثُخاطِب شفاها، وتُوصِّل من اليد إلى اليد أذاها، إلّا أنّ الله يُهِبُ ربح المنح، وقد تداكت الحَينُ فينشفُها، ويشقُ عمودَ الفَرح، وقد آدلهمت فيكشفُها، ويشقُ عمودَ الفَرح، وقد آدلهمت فيكشفُها، وظنَّ المملوكِ بالله تعالى جميل، وله في صُنْعه ولُطَفه تأميل .

رقعة : ويُنْهِى أنه قد كتب هذه العبُوديَّة بيد قد أرعشَتْها الآلام، يُمْلى عليها قلْبُ قد قلبَته الأسْقام ؛ فِحسمُه ناحل ، وجَسَده بعد النَّضْرة قاحل ؛ وقُواهُ قد

وهَنَتْ، وَجَلَادُتُه قد وهَتْ، وصبْره قد تَخَلَّى وَآضْطَرب، وتَعَلَّه قد نَاىٰ وَآقَتَرَبْ، وهَنَاتُ مِسَعَرة لم تَنْصَرِم، أو وَلَجَ وَعاد شَبَحا من الأشباح، وهَباءً تَذْرُوه الرِّياح، فلو اعتلَق بشَعْرة لم تَنْصَرِم، أو وَلَجَ خَرْتَ إبرةِ خَيَّاط لم تَنْفَصِم، ولولا الثَّقةُ بالله وأنه يُتْبِع السُّقْمَ بالصِّحَة، ويَشْفَع الحِمْنة بالمِنْحة ، لذَهَب مابَقِيَّ من ذَمَائه ، وأطلَّ على شَفا شَقائه ، والمملوكُ يستشرف منه تعالىٰ لُطْفا يُعِيد الكَليل حَديدا، والْحُنْلِق جَديدا .

رقعة : ويُنْهِى أنه قد كتب هذه الرَّقْعة ، وقد ساءَ أثرُ الأيَّام عليه ، وقَبُح صُنْعُها لدَيْه ، وآبتلَتْه بَمُوْلِم البَلُوى ، وأنطقَتْه بلسان الشَّكُوى ، فهو محترقٌ بنارِ الْغَيْظ ، يدْعُو على نَفْسه بالفَيْظ ، إن لم يكن فرَجٌ يفرِّجُ بين الأَضْداد ، ولُطفُّ يُريح من هذا الحِهاد ، وكُمَّا طلبَ المُزايلة عَوَّق ، أو طلبَ الفِكاك آعتاقُ ، فهو قاطنٌ في صُدورة الظَّاعِن ، وحالٌ في حالِ الراحِل ، واللهُ يمنُّ بالخَوْرج ، وياتِي بالفَرَج .

رقعسة : وقد سَطَّر المملوك هذه العبُودِيَّة ، وقد آنجلَتْ هذه النَّبُوه ، عن البَلَاء والشَّقُوه ، وَنَفَادِ المَال ، وآستِحالة الحال ، وآستيلاء العدُق ، وآستِعلاء السَّو ، وكذا الدهر خدُوع غَرُور ، خَوُن غَدُور ؛ إنْ وهب آرتَجَع ، وإنْ ألبَس آتَرَع ؛ وإن أعطىٰ أعطىٰ قليلا وقلَع ؛ وإنْ أحلىٰ أمّر ، وإن نَفَع ضَرّ ؛ وإن أَبْرَم نقض ، وإن أعطىٰ أعطىٰ أعطىٰ قليلا وقلَع ؛ وإنْ أحلىٰ أمّر ، وإن نَفَع ضَرّ ؛ وإن أَبْرَم نقض ، وإن وعَد أمْرَض ؛ فنِعَمُه مقرونة بالزّوال ، ومِنحُه معرَّضة للإنتِقال ؛ وصفوه مَشُوبُ بالكَدر ، وعيشُه ممزُوجٌ بالغير ؛ ما أجنَّ الا أوجد خَلَل ، ولا أمَّن إلا أثبَع الأَمْن جَللا ؛ والمملوك يحدُ الله تعالىٰ علىٰ أن أوسَعه في حال الكبتلاء صَرْا .

أجوبةُ رقاع الشكوي

قال فى وموادّ البيان ": يجبُ أن تبنى أجوبةُ هذه الرِّقاع على الارتماض فى الحيال المُشْكِيةِ، والتوجُّع منها، وبَدْلِ الوُسْع فى المعُونة عليها، والمشاركةِ فيها، وما يجْرى هذا الْحَرْى مما يليقُ به .

النـــوع الحـادى عَشَر (في آستمـاحةِ الحــوائج)

قال فى " موادّ البيان " : ورقاعُ الاستماحةِ يُخْتار أن تكونَ مُودَعةً من الألفاظ ما يُحرِّك تُولِ السّماح ، ويبعثُ دَواعِى الارتياح ، ويُوجِب حُرمةَ الفضل المسَمِّلة بَذْلُ المال الصَّعْبِ بذْلُه ، إلَّا على من وَفَّر اللهُ مُروءَته ، وأرخص عليه أثمانَ المحامِد وإن غلَتْ .

قال: وينبغى للكاتب أن يتلطّف فيها التلطَّفَ الذى يُعود بَنَجَاح المَرَام، ويؤمِّنُ من الحصُول علىٰ إراقة [ماء] الوجه، والخيبة بالردّ عن البُغْية، ويعْدِلَ عن التثقيل والإلحافِ المُضْجريْن ولا يضَيِّق العُــدْر علىٰ السَّماح إلا أن يتمكَّن للثقة به، ويعْلَم المشاركة في الحال .

وهذه نسخُ من ذلك :

من كتاب [أبى] الحسين بن سعد .

أفضلُ القول أصدَّقُه ، وأهنىٰ المعروفِ أعجَلُه ، وأبلغُ الشُّكْرُ أَظهَرُه .

ومنه : إن حضَرَتُك نَيَّةً فىقضاء حاجةٍ فعجِّلُها، فإنَّ أهنىٰ المعروفِ ماعُجِّل، وأنْكَدَه ماتنازعته العلل، وآعترضتْه كثرةُ الاِقْتِضاء .

ومنه : أنت أعزَّك الله واجد السبيل إلى اصطناع المعروف واكتساب التواب، وأنت أعرَف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين، من وارد الأسر، وعرْصة الكُفْر، وانتياشه من الذَّلة والفاقة، والبَلاء والمشقّة، من جزيل ثواب الله وكريم جزايه [وأجلً] من أن تُحاطب في ذلك مخاطبة من يَحتاجُ إلى زيادة في بصيرته، وتقوية لنيَّه، وبالله توفيقُك وعَوْنُك .

على بن خلف :

قد تَمسَّكَ أَمَلِي بضَمَانك، وتطلَّع رجائِي إلىٰ إحسانِك، وَكَفَل لى النجاح مشُهُورُ كرمِك، ورَغْبَتُك فى رَبِّ نِعَمِك، ولِي من فضْلك نَسِيب أعتزِى إليه، ومن شُكْرى شفيع أعتمدُ عليه.

وله: المَوَاعِيدُ _أطال اللهُ بِقاءَ مولاى _ غُرُوس، حُلُو ثمرِها الإنجازُ والتعجيل، ومُرَّه المَطُلُ والتطويل؛ وقد شامَ أملى من سَحائبِ فضله، حقيقًا بأن ينهمِر ويَهْمِى، وآرتاد من روض نُبْله؛ جديرًا بأن يَزِيدَ ويَنْمِى، فإن كانتْ هذه المَخِيلة صادِقَه، فأتكُنْ منه هِمَّةً لِلرجاء محقِّقه، إن شاء الله تعالى .

وله: هَمَمَتُ أَنْ أَستَصْحِب إلى مولاى ذَريعةً تحجُبُ مَطْلَى، وَتَكُونُ حِجَاباً عَلَى وَجُحَاباً عَلَى وَجُحَاباً عَلَى وَجُعَاباً عَلَى وَجُعَاباً عَلَى وَجُعَاباً عَلَى وَجُعَاباً عَلَى وَجُعَاباً عَلَى وَلَمْ الله عَلَى وَلَمْ الله عَلَى وَحَقِّ مؤمِّله، أَخلاقِهِ آنبساطُ أَمَالَ تَجَعَّدى، ولسْتُ مع معرِفَتِه بحقِّ نعمة الله تعالى وحقِّ مؤمِّله، عَتاجًا عنده إلى ذَريعة ولا مفتقرًا إلى وَسيلة.

وله : ولا يحمِلُني مولاي على ظاهر تجمَّل ، وجميل توكَّل ، على حال قد أحالتها العُطْلة ، وتخلَّلتها الخَلَّة ، وإنما أُبقي بالتجمَّل على ديباجة هَّتى، وأصونُ بالتخفيف عن الصديق مُروَّتى ، ولولا أنَّ الشكوى تخفِّف متحمَّل البَاوى، لأضرَبْت عن مُساءلته ، وأمسكتُ عن تذكيره ، ولكنْ لابدَّ للوَصيب الشاكى، من ذِرُ حاله للطبيب الشافي ، وقد كان بَرق لى من سَعَاب وَعْده ما هو جَديرُ بالإنهمار ، وأورق من نمَائه ما هو حقيقُ بالإثمار ، فإن رأى أن يَسِمَ وجْهَ التأميل ، بعد الإنجاز والتعجيل ، فعل ،

وله : ما حامَتْ آمالِي _ أطال اللهُ بقاءه _ إلَّا وقعَتْ بَحَضْرته ، ولا صَعُبتْ علَى جوانِبُ الرَّجاء إلا سَهُلتْ من جِهَته ؛ ولا كَذَبَتْنِي الظُّنونُ إلَّا صدَقَها بعُلُوِّ همَّتِه ؛ فلذَلك أعْتلِقُ في الْمُهِمِّ بحْبلِه ، وأعتَصِم في الْمُلِمِّ بظِلَة ؛ وقد عَرَض لي كذا وعليه فيه المُعَوّلة وهوالمرُجُوَّ والمؤمَّل ؛ وما أولاه بالجَرْي على عادته في رَيْش جَنَاحى ، والمَعُونة على صَلاحى .

في طلب كسوة، من كلام المتأخرين:

أَلَا أَيْبَ المَوْلَىٰ الَّذِى نَهُرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِى أَمْرِهِ الدَّهْرَ يَنْقُص! إِلَيْكَ آشْتِكائِي مندِمَشْقَ وَبَرْدِهَا * وما أَنَا فِيهِ مِنْ أَمُّورِ تُنَغِّض! وإِلَيْكَ آشْتِكائِي مندِمَشْقَ وبَرْدِها * تُصَفِّقُ أَسْنانِي وقَلْبِي يَرْقُص! وإِلَيْ فَعُرْسٍ مِن البَرْدِ دائِم * تُصَفِّقُ أَسْنانِي وقَلْبِي يَرْقُص!

المملوكُ يُنْهِى بعد الآبْيهال إلى الله تعالى فى إدامة نعْمتِه ، وإدالة دَوْلَتِه ، وأنَّه مَا الله مَا أَلَف من إحسانِهِ إلا أنَّه يُضاعِفُ رَسْم الإنعام ، ويُواتُرُ إرْسالَهُ على مَمَرِّ الأيَّام والأعوام؛ وللملوكِ فى خِزَانته الشريفة فى كلِّ عام تشْرِيفُ يُفِيضه على جَسَده ،

⁽١) كذا في الأصول والظاهر ووبل أنا على " الخ •

ويُسُرِّ به قلوبَ أوليائه ويفُتُ أكبادَ حُسَّده، ويتَّتِي به سَوْرة الشَّنَاء وقُرَّه، ويجعله قُرَّة ويجعله قُرَة ويجعله عَلَى اللَّه ويقل من الدِّيوان المعمودِ آشُمُه، وهو يسألُ بُروزَ الأمر العالى بإجرائه على عادته المستمرّة، وقاعدته السالفة المستقرّة، بشريفه بأخذ التشريف ولُبسه : ليدْفَع بذلك شِدَّة البَرْد وأليم مَسِّه ، ويتذكّر بها في يومه مايُوجِب حمدَ المولى وذَمَّ أمْسِه ، ورأيه العالى .

وله في طلب ورق :

يا أَشْمَحَ النَّاسِ ويامَنْ غَدَا * جَبِينَهُ يُخْطِل ضَوْءَ الشَّفَق! جُودُك بِالوَرْق عمليَّم [فلمُ] * أَخَرْتَ يامَوْلاَى بَعْثَ الوَرَق؟ وله في طلب رَشم:

رَشْمِی یامَوْلای غَدَا * مُؤَمَّرًا ولو حَضَدُ!

ولَدُ أرادَ سیّدی * إحْضارَه، كانَ أَمَرُ!
فقَدْ مَضَى مُحَدِرَمٌ * وراحَتِی مِنْه صَفَرُ!
وكتب كاتبٌ إلىٰ عَلْدومه، وقد تأخر صرف معلومه:

وَتَعْسَلَمُ أَنِّى كَثِيرُ العيال * قَلِيكُ الِحَرايةِ وَالوَاجِبِ! فَلَسْتُ عَلَىٰ ظَمَ إِقَانِقًا * بِورْدٍ مِن الوَشَلِ الناضِبِ! ولا شَلْكُ فِي أَنَّنِي هَارِبٌ * [ف] قَدِّر لِنَفْسِكُ في كَاتِبِ!

⁽١) الورق مثلثة وككتف وجبل الدراهم المضروبة اه من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظّا لأمير المؤمنين المستعينِ بالله أبي الفضلُ العبَّاس : خليفة العَصْر ؛ أَسْتمِيحه حاجةً فى مُجلِس كان فيمه هو وولَدُه يحيىٰ وأخواه داودُ و يعقوبُ ماصورته :

إذا رُمْتَ أَن تَعْظَىٰ بَنَيْ لَ مَآرِبٍ * فبادِرْ إِلَىٰ الْعَبَّاسِ مِنْ آلِ عَبَّاسِ! المَامُ به تَغْدُ وَلِي الْحَدُونَ السِمُ * وعِن بِينُهَا يَسْمُو عَلَى قِبَّةَ الرَاسِ! أَبِى الفض لَ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْإَهْلِهِ * [دواما]وأنْيُدْعَىٰ أباالفَضْلُ في الناسِ! فللمستعين آقص دُ تَعِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حريص على المَعْرُوف بَرًا بإيناسِ! فيَحْيا له يَعْدِينِ آقص دُ تَعِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * ويعقوبُ أعضادًا وحصنًا من البَاسِ! فيَحْيا له يَعْدِينِ وداوُدُ صِدُوهُ * ويعقوبُ أعضادًا وحصنًا من البَاسِ!

وكتبت لقاضى القُضاة شيخ الإسلام جلالِ الدِّين عبد الرحمن آبن شيخ الإسلام عُمر البُلْقينيّ أستميحُه حاجة أيضا :

أَيَا شَيْخَ إِسْلامٍ وقاضِي قُضاتِهِ * وَمَنْ قَدَسَمَا فَهِ النَاسِ عِلْمَا وَمَنْصِبا ! لَقَدْ عَمَّ نَوْءً منكَ كُلَّ مُؤمِّلٍ * وحاشىٰ لَبْرْقِ شِمْتُ يظْهَرُ خُلَّبا ! لَقَدْ مَعُرُوفاً له كُنْتُ أَرْبَعِي * وَيَحْجُبُ ذُو بُعْدِ من القومِ أَقْرَ بَا ! أَأْحَرُمُ معُرُوفاً له كُنْتُ أَرْبَعِي * وَيَحْجُبُ ذُو بُعْدِ من القومِ أَقْرَ بَا ! وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فَي زَمانِك رِفْعةً * وَلَكِنْ جَوَادُ الْحَظِّ بِالبُعْدِ قَدْ كَبَا ! وَلَيْنَ جَوَادُ الْحَظِّ بِالبُعْدِ قَدْ كَبَا ! وَلَيْ يَسْعِيضَ الْحَفْضَ بِالرَّفْعِ ماجِدٌ * خُصوصًا ومَنْ أَخْرَتَ ما نَالَ مَطْلَبا ! وَلَيْنَ تَرَىٰ مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلةً * سِواكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلاك تَقَرَّباً ! وَلَسْتَ تَرَىٰ مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلةً * سِواكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلاك تَقَرَّباً !

(۱) وكتبت لقاضى القُضاة جمالِ الدين محمود القَيْسَرَاني ، وهو يومئذ قاضى قُضَاة الحنفية وناظِرُ الحيُوش المنصورة ؛ أذْكُرُ بِطَالةً عَرَضَتْ لى من وظيفةِ مباشرةٍ كانتُ سدى :

إلىٰ اللهِ أَشْكُو مِنْ زَمَانِي بَوَارَهُ * فَامسَيْتُ فِي الحِرْمَانِ بِي يُضْرَبُ المَثَلُ! تَمَادَيْتُ بَطَّالًا وأَعُوزْتُ حِيسَلةً * ولم يَبْرَج البَطَّالُ تُعْرَفُ له الحِيسَل؛ فلا مُلْتَجَىٰ جاه ولا عِنْ صاحبٍ * ولا مالكُ يَحْنُو في اقوْمِ ما العَمَلُ؟ ولا مُلْتَجَىٰ جاه ولا عِنْ صاحبٍ * ولا مالكُ يَحْنُو في اقوْمِ ما العَمَلُ؟ ولا مُلْتَجَىٰ جاه ولا عِنْ صاحبٍ * ومَنْ يَحَدُ العُقْبِي علىٰ القَصْدَقَدَ حَصَلُ!

وكتبت للقاضى شمسِ الدين العُمَرَى كاتب الدَّسْت الشريف فى حاجةٍ نَجَّزها :
إن لَّا أرى عُمَرًا حَتَى أُلِكَمَّ بِهِ * الفَيْتُ مِن نَسْلِهِ مَنْ كَانَ لِي عُمَرًا.
لم يَغْفُ عَن حَاجَتِي حَتَى أُنَبِّهَ * وكَيْفَ يَغْفُو وفى المَعْروفِ كُمْ سَهِرا؟
جَعْلتُهُ مَبَّدًا فى رَفْعِهِ خَبَرِى * وعادةُ المبتَّدَا أَنْ يَرْفَعَ الخَبَرَا!

أجوبة آستماحة الحوائج

قال في وموادّ البيان ": لا يخلُو المستاح والمكلَّف حاجةً من أن يُسْعِف أو يمنّع ، فإن أسعَفَ فقد غَنِي عن الجواب ، وربما أجاب المُسْعِفُ بجواب مبنيٍّ علىٰ حُسْن موقع آنيساطِ المستميح ، والاعتذار عن التقصيرِ في حَقِّه وإن كان قد بلَغَ به فوْق

⁽١) نسبة إلى قيسارية على غيرقياس .

ما يجِبُ له ـ تكُّما وتفضَّلا ، و إن منع فرَّبَا أجاب بعُذْر فى الوقت الحاضرِ أوعُذْر فى المستأْنف؛ وربما أخَلَّ بالجواب تغافُلًا .

*

وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصُود ، تُكتِب بها فى جوابٍ لكاتبِ السرِّ عن نائب الشام ، فى طَلَبِ إقطاع ، من إنشاء الشيخ جمالِ الدين بن نُباتة إجابةً للطلوب، وهى :

لازال قَلَمُهَا يَمُذُّ عَلَىٰ الإسلامِ ظِلَّا ظَلِيلا، ويستَجِدُّ صُنعا جِمِيلا، ويأْخُذُ بأمْرِ اللهَ أعداء دينه أُخْذًا وَبِيلا، ويقومُ باجتهادِه فى مَصَالحِ الْمُلْك النَّهارَكُلَّه واللَّيْلَ إلَّاقليلا؛ تقبيلً مُواظِبٍ عَلَىٰ ولاءٍ لا يجِدُ له تَبْدِيلا، وثناءٍ لو سَمِعَه الْحِبُّ فَشَافَهَ الأحبابَ إذًا لاتَّخَذُوه خَلِيلاً.

ويُنهِى ورُودَ مشرِّفة مولانا القديم فضَلُها؛ الكريم وصلُها وأصلها؛ فوقف المملوك عليها، وأصغى بجلته إليها؛ وعلم مارسَم به مولانا، وأشار إليه تبيانا؛ وكذلك بلّغه مملوكه الولد فلان المشافهة الكريمة فحبَّذا من صاحب السِّر إسرارا وإعلانا؛ وشكر لها مشرِّفة ومشافهة أوردا الإحسان مَثْنى مَثْنى، وسِرًا سمعه المملوك لفظا وآستهداه معنى ؛ فما منتهما في الإحسان إلّا زائده ، ولا في الصِّلات إلا عائده ؛ لا جَمَ أنَّ المملوك أقبل على قبيلهما بسمعه وناظره ، وقليه وخاطره ، وجُمُلته وسائره ، وآمتثل الإشارة العالية التي من حقها أن تُقدَّم على كلِّ مهم يرد عليه ، وأمْن يتَوجَّه إليه ، ويد الزمان مشكورة يأخُذها منه بكلتا يديه ، وعين المملوك لوقته الإقطاع المطلوب، وتقدّم بكابة مربَّعته حسب مارسَم مَنْ تجرى السعادة مِنْ سَطْره تحت مكتوب ، وجهزها قرينَ هذه الخدمة ومَنْ ذا يُقارنُ سَبْق ذلك البِّر المديد ، وكيف تُوازى وجهزها قرينَ هذه الخدمة ومَنْ ذا يُقارنُ سَبْق ذلك البِّر المديد ، وكيف تُوازى

المربَّعة كتابا هو بالإحسان للعُنتَى تقْلِيد؛ لابرِحتْ مراسِمُ مولانا معدودةً من رُسُوم نِعَمه، ومشرِّفاتُه محسوبةً من تشريفاتِهِ التي يَخْلَعُها علىٰ أبناءِ محبِّيه وخَدَمِه .

النـــوع الشانی عشر (فی الشــکر)

قال فى ومواد البيان ": رقاعُ الشَّكر يجبُ أن تكونَ مُودَعةً من الاعتراف باقدار المَوَاهب، وكِفاية الاستقلال بحُقُوق النعم، والاضطلاع بحملِ الأيادى ، والنَّهوض بأعباء الصنائع ، ما يَشْحَذ الهِمَ في الزيادة منها، ويُوثِّق المصطنع بإفاضة الصَّنع ، ويعربُ عن كريم سجيَّة المحسِن إليه ،

قال : وينبغى للكاتب أن يفتن فيها، ويقرب مَعانيها، وينتحل لها من ألفاظ الشكر أنوطها بالقلوب: لتستيقن نفس المتفضّل أنه قد آجتنى ثمرة تفضّله، وحصل من الشكر على أضعاف مابذله من ماله أوجاهه، إلّا أنّه ينبغى أنها إذا كانت صادرة من الأتباع إلى رُؤسائهم، ومَنْ يرجع إلى آختصاص وأثرة، أنْ لاتبنى على الإغراق في الشكر: لأن الإغراق في الشكر يحمل هذه الطبقة على التملّق الذي لايليق إلّا بالأباعد الذين يقصدُون الدّلالة على آستقلالهم بحقوق ما أسدى إليهم ، فأما من ضَفا عليه من النعم ما يدْفَع الشكّ في آعترافه بالذلّ لديه ، فإنه يَعْنى عن المبالغة في الشكر والإعتداد ، ثم قال : وإنما يجب أن يذهب فيا يكتب عن هؤلاء من هذا الفنّ مذهب الإختصار، والإتيان بالألفاظ الوجيزة الجامعة لمعانى الشكر، دون مَذْهَب المُنْ والإفراط، وذُو الطبع السليم، والفكر المستقيم ، يكتفى بيسير التمثيل .

وهذه نسخٌ من ذلك :

أبو الفرج الببغاء، في شكر تابع لمتبوع :

أنا فى شُكْرِه _ أيده الله ـ مُبَرِّهِنَّ عن مَواقِع إحسانِه إلى ، وتظَاهُم إنعامه عَلَى ، لامقـدَرُّ أنَّى مع المبالغة والإشهاب ، والإطالة والإطْناب ؛ أجازى عفْو تفشَّله ، ولا أجامِلُ أيسَر تطَوُّله ، وقد وسَمنى أيده الله من شَرَف آصْطناعه ، بما بَوَّ أنى به أرفَع منازِل خَدَمه وأثباعه ؛ وإلى الله أرغبُ فى توفيق من مقابلة ذلك بالاجتهاد فى خِدْمته ، والمبالغة فى طاعتِه _ لَى أكونُ به للزيد مستوْجِبا ، والمحفِظوة مستحِقًا ،

وله فی شکر قریب :

فرْضُ الشكر - أعزَّك الله - لايَسْقُط بقرب الأنساب، ولذلك لا أستجيزُ إغفالَ الواجبِ عَلَى منه، ولا أجدُ عُدُولا في التسامح فيه والإضرابِ عنه، و إن كنت غييًا عن الإفاضة فيما أعتقدُه من ذلك وأُضيره، وأُبديه وأُظهِره، بالمتعَالَم من خُلُوص النية وصحة الاعتقاد، فلا أُخلاك [الله] من جميل تُسْدِيه، وتفضَّل تُولِيه، يمترى لك المزيد من سوابِ النّع وفوائد الشكر،

وله : قد اَستنْفَد مادَّة شُكْرى ، ووُسْعَ اعتِدَادِى ونَشْرى ؛ نتابُع تفضَّلِك ، وتوالِي تَطوُّلِك ، ولستُ أقدِرُ على النَّهوض بشكر منَّة حتَّى تطرُقَنى منك منَّه ، ولا أُحاوِل مجازاة نِعمة حتَّى تَفَد عَلَى منْك نِعمه ، فبأى عَوارِفك أعترَف، أم بأى أياديك بالثَّناء أنتَصِف ، فقد فزعتُ إلى الإقرار بالعجزعَّ ايلزَم من فُروضك ، وواجباتِ حقوقك ، وانصرفتُ إلى سُؤال الله جلَّ اسمه بإيزاعى شُكْر ماوهب منك ، والتَّجاوُ زلاكارم والفضل عَنْك ،

وله : وقد شكرتُ بِرِكَ الحليلَ مُوقِّعه ، اللطِيفَ مُوضِّعه ، الحفيفَ تَحْمَـلُهُ ، العَـنْبَ مَنْهَلُهُ ، وشافهُتُكُ من ذلك بما ٱتَسعتُ له القُدْرةُ لا ما تقتضيه حَقُوقُ المَنْـة .

وله : أنا فى الشكر بين نعمة تُنطقني ، وعَجْن عما يجِبُ لك يُحْرِسُنى ، واستُ أَفْزَعُ إلىٰ غير تجاوُزك ، ولا أعتمِدُ على غير مساعتِك ، ولا أتطاولُ إلا بمكاني منك ، ولا أفاحِر إلا بمَوْقِعي من إيئارك ، فالحمدُ لله الذي جعلني بوَلَائك مشهُورا ، وفي شكرك مقصُورا ،

على بن خلف :

رقعة : وينهِى أنَّ الله تعالىٰ لَمَّ أَلْهُم مُولانا البِرَّ، أَلَمُم المُلُوكَ الشَّكْر؛ فهو لا يَزالُ يُوسِع في البِرِّو يَزِيد، والمملوكُ لا يَزالُ يُبْدى في الشكر ويُعِيد، ولكن شتَّانَ بين فاعلي وقائِل ، ومُعْط وقا بِل ، وواهب وسائِل ، ورافِد وحامِد ، وشاكر وشاكِد ؛ وآلمُلُوك يَحَدُ الله تعالىٰ إذ جعل يده الطُّولى، وحظّه الأعلىٰ .

رفعة : وصل ير مولانا وقد أحالت الخَلَّةُ من المملوك حالَه ، وأمالَتْ آمالَه ؟ فَلَاَّمَتْ ماصَدَعه الدهرُ من مَرْوَته ، وجدّدَتْ ما أخلقه من فَرْوته ، فكفَّ المملوك يديه [عن] آمتحان الحُلَّان ، وقبض لسانه عن شكاية الزَّمان ؛ وأقرَّ ماء وجهه في قرَارته ، وحفظ على جاهِه لِباسَ وَجَاهِتِه ، فيالَهُ من يرِّ وقع من الفقر ، مَوْقع القَطْر من القَفْر ، مَوْقع القَطْر من القَفْر ، مَوْقع وكلُّ مَعْروف وإن فاضتْ يناييعه ، وطالتْ فُروعه ، قاصرُ عن الأمل في كرمه ، وافحَ دُونَ غاياتِ هممه ، كما أنَّ الشكر ولو وَاكب النَّجْم ، وساكب السَّجْم ، قاصرُ عن مكافاة تفضّله ، ومُجازاة تطوّله ؛ والمملوك يسال الله تعماني الذي جعله قُدُوة عن مكافاة تفضَّل الذي جعله قُدُوة

الكرام، وحسنَةَ الأيَّام، ورَبَّ الإنعام، وواحدَ الأَنَام؛ أن يُلْهم المملوك من حَمْده، بقدر ما أسبغه عليه من رفْده .

رقعة شكر : عِنْد المملوك لسيِّدى أيادٍ وصلَتْ سابقة هَوَاديها ، وظلَّتْ لاحِقةً تَوَاليها ؛ فصارتْ صُدورُها نسبا أعتَرِى إليه ، وأعجازُها [سَبَبًا أَعَوَل في الملسَّات عليه] .

رقعه : لولا أنَّ الله تعالى جعل الشُّكر ثمرة البِّر، والحمد جزاء الرِّفد، وأراد إقرارَهُما على أهلِهما من الغابِرِين ، وأن يجعَلَ لهم مِنَّا لسانَ صِدْق في الآخِرِين ، لكان الذي عَمَر به مؤلانا من الإِنْعام ، يُتُحدَّثُ عنه تحدَّثُ الرِّياح بآثارِ الغَهَام ، ويُكفى المملوك بالإشاره ، مَثُونة العِباره ، والمملوك و إنْ رام تأدية ما يلزمه من شكره ، قاصرٌ عن غاية بِرِّه ، ولو استَخْدَم ألسنة الأقلام ، واستغرق أمدَي النّثار والنّظام ، ومولانا جديرٌ بقَبُول اليسير ، الذي لا تُمكن الرِّيادة عليه ، والصَّفْح عن التقصير، الذي تعالى .

رقعــة: لو أنَّ هذه العارفة بِكُر عَوارِفه ، و با كُورةُ لطائفه ، لعجَزْتُ عن شُرها ، فكيفَ وقد سَبَقَها قرائِنُ ونظائر ، وتقدّمها أترابُ وضرائر ، وقصَّرت عن نَشْرها ؛ فكيفَ وقد سَبَقَها قرائِنُ ونظائر ، وتقدّمها أترابُ وضرائر ، [مما] أثقلَ من المملوك كاهله ، و بَسَط به يَدْى أمله ، فما يَعْدَم شيئًا فيُرجِّيه ، ولا يَفْقده فيَرْغَب فيه ، والذي تُربُّه من المملوك جوارحُه ، وتحويه جوانحه ، علمه بأنه لا يُجارى أياديه ، ولا يُجازى مساعيه ، والله تعالى يخصُّه من الفضائل ، بمثل ما تبرع به من الفواضل .

رقعت : ومِثْلُ مَوْلانا من [ذوى الشَّرَف] والسُّودَد من حَسُن مَحْضَره، وطاب عَمْبَه، وكُرَم غيبه ومَشْهَده، وصَّ على تغاير الأحوال عَقَدُه ووُدَّه، وقد ٱتَّصل بالمملوك ماأعاره له مَوْلانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه، فطفق لفضله شاكرا، ولطَوْله ناشِرا، وأضاف ذلك إلى تَوالدِ إحسانِه، ونَظْمِه في عَقْد آمتِنانِه.

رقعة: قد طَوقَ مولانا [مملوكه] من فضله طَوقا كأطواق الحمائيم لا يُنزَع ، وألبسه بُردا من بِره لا يُخلَع ، وأولاه من مَزيده ما قَصَّرت الهِمَّة عن تمنيّه ، ولم تهتد القريحة إليه فتستَدْعيه ، ولو وجد المملوك جزاء على عارفته ، وكفّاء لمَثُوبته ، غير المقريحة ، الشيريحة ، وعَفْد الضائر على المودة الصحيحه ، واللهج بالشّكر ، في السّر والجهر ، لرمى من وراء عنايته ، ولا استَبْعدَ طُولَ شُقّته ، ولكن المملوك عادم الما يقضى به حَقَّ مَوْهِبتِه الزَّهْراء ، مالم يُحْسن كرمُه لما يقايل به يَدَه الغَرَاء ، عاجزُعمًا يقضى به حَقَّ مَوْهِبتِه الزَّهْراء ، مالم يُحْسن كرمُه أمر ، ويَقبَل منه على التقصير شُكرة ، ويُضِف ذلك إلى لطائفه ، وينظمه في سلك عَوارفه ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : وآجتهادُ المملوكِ في نَشْر أياديه وشُكْرِها ، كآجتهادِ مولانا في كُتمانها وَسَتْرِها ، فكُلَّما أبديتها بالثّناء أخفاها، أو نَشْرتُها بالإشادة طَوَاها ، وهيهاتَ أن يخفى عُرفُ كَمْرف المسْك نَشْرا ، ومَنْ كالروضة نَوْرا والغَزَالة نُورا ، ولو كان المملوك والعياذُ بالله ستَر هذا العُرف بكُفْر ، وآغتمصه مانعًا لشكْر ، لمَّ عليه حسنهُ نَمُومَ الصَّباح ، وتوقّد توقّد المصباح ، فكيفَ والمملوكِ مِقْوَل الايسامي [يعيجم سَواد] اللهالى بالإجماد ، ويَرْقُم صَفَحاتِ النهار بالاعتداد .

⁽١) بياض في الاصول والتصحيح من المقام .

 ⁽۲) فى الاصول « ولا يسامى الليالى » الخ و زدنا ما يقتضيه المقام و يتم الكلام تأمل .

الأجوبة عن رقاع الشـــكر

قال فى ووموادّ البيان ": [ان كانَتْ] هـذه الرِّقاع من المرعُوسين إلى الرُّؤساء فلا جوابَ لهـا، وإن كانتُ من النَّظير فالواجبُ أن يُسْتعمل فى أجو بتها مندُوبُ التناصُف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :

من ذلك، من إنشاء الشيخ حمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَّد اللهُ علىٰ المالك نِعَمَه، وعلىٰ الماليك دَيمَه؛ وحَرَّم ببقائه ذَمَّ الزمان وأوجَبَ ذَمَه، ولا بَرِح نحوُ المحامد يُنادِى يومَ الكَرم مُفْرَده ويومَ الهَيَاج عَلَمه ، تقبيلا يسحَبُ فى الفَخَار بُرودَه المُعْلَمه، ويتذكّر بالقرب فلايزال الشوقُ يُنْتِجه حيثُ كَلا النَّذْ كارِ والعهد مُقَدِّمه ،

وينهي ورُودَ المثال العالى بما مَلاَ القلبَ خيْرا واليَدَ بِرّا ، والسمْعَ بِشارةً والوجه بِشُرا ، حتى تنافسَتِ الأعضاءُ على تقبيله ، والجَوَارِحُ على تأميله ؛ فاليَدُ تسابق إلى مَننه بالامتِداد ، والقلبُ يسابِقُ إلى كَرَم عَهْده بالاعتداد ؛ والوجهُ يقلِّب ناظره في سماء مَوَاقِع القَلَم ، والسمعُ يَنْعَم بما تقُصَّ عليه المَسارُّ من أخبار جيرة العَلَم ؛ حتى كاد المملوك بحُو بالتقبيل أَسْطَرَه ، ويشتغلُ بذلك عن استجلاء ماذكره المُنعم لاعدم المملوك في مصر والشام تَكُرُّره ؛ وفهم ما أشار مولانا إليه من الفضل الذي مولانا أهلهُ ، وكرم العهد الذي لا يُنكرُ من مثلِه وأين مِثْلُه ؛ وقابل المملوك جميع ذلك بحَهْده من الأدْعيَة الصالحِه ، وبسَمَاحة الحمد المُتَقاوِحه ؛ والاعتداد بنعمة مولانا ألى لولا [مُوالاتُها] كلَّ وقتِ لقيلَ فيها «ما أشبَهَ الليلة بالبارِحه» وتَضاعَفَ التي لولا [مُوالاتُها] كلَّ وقتِ لقيلَ فيها «ما أشبَهَ الليلة بالبارِحه» وتَضاعَفَ

⁽١) بياض في الأصل والتصحيح من المقــام .

نَهُوضُ الْمُسلوك على قَدَم المُوالاة التي [يستشهد] في دَعُواها بشَهادة الخاطر الشريف ، ويتقدَّم بها تقدُّما تحتَ لواء الولاء وتأتي بقيَّة الأولياء في اللَّفيف ، والله تعالى يُوزِع المُلوك شُكَرَه هذه النَّمَ المتصلِ مَدَدُها ، والمنن التي لا يَعْدَمُها ولا يعدُّمها ولا يعدُّم وقره ولا يعدُّم ونرف دنيا وأجرى يهدم وقره ويتنيه ،

النوع الشالث عشر (العناب)

قال فى وموادّ البيان": المكاتبة بالمعاتبة على التحوّل عن المودّة والاستخفاف بحقُوق الحُلَّة من المكاتبات التى يجبُ أن تُستوفى شروطُهَا، وتكلَّ أقسامُها: لأن ترخيصَ الصَّديق لصَدِيقه في المقاطعة والمُصارَمة دالٌ على ضَعْف الاعتقاد، وآستحالة الودَاد.

من كلام المتقدّمين:

إنِّي ما أحدثتُ نَبُوه، إلَّا بعد أن أحدَثْتَ جَفُوه؛ ولا أبديثُ هَجْرًا، إلَّا بعدَ أن أبديثُ عَطْفًا إلى القَطيعة؛ أبديْتَ عَدْرًا؛ ولا لَوَيْتُ وَجْهَا عن الصِّلة، إلَّا بعد أن شَيْت عِطْفًا إلى القَطيعة؛ والأقلُ مِنَّا جان، والثانى حانٍ؛ والمتقدِّمُ مُؤْثِر، والمتأخِّر مُضْطَّرً؛ وكم بين فعل المختارِ والدُّرَه، والمبتدع والمتبع،

آخسر: إنْ أَمْسُكُتُ ياسيدى عن عِتَابِك ، مُرْخِيا من عِنَانَك ، كنتُ بين اقطع خَبْلك ، ورضًا بفِعْلك ، أو اقتصرتُ فيله على التَّلُويح به لم يُغْنِ ذاكَ مع كثرة بمُوحك ، وشدة جُنُوحك ، وما الرتكبَّنه من رائك ، واستخرجْتَه من جَفَائِك .

رَقعــــة عتاب : لمولانا لدى المملوك عَوارِفُ لا يهتدى إلى معرفتها فيُوفِّيها كُنْــةَ الْمُراد، وأيادِ لا يُبْلُغ ماتستحقَّه من الإحماد ؛ ولو عَضَّدتْه خُطباءُ إيَاد، أجلُّها في نَفْسه خَطَرًا، وأحسَنُها عليه أَثَرًا؛ ما يَفْرضُه له من بِرَّه و إكْرَامه، وتعهَّده وآهتهامه ؛ وقد غيَّر مولانا عادَتَه ، ونقَضَ شِيمَتِه ؛ وَبَدُّل الْمُــــلُوكَ مِن الْإِنْعُطَافِ بالإعراض، ومن الآيْنيساط بالآينقباض؛ وحَمَّــله من ذلك ما أوْهيٰ قُوىٰ صَبْره، وأَظَلَمَ بِصَائِرَ فَكُره ؛ فإنْ يُكُنُّ ذلك لَحَطَإِ واقَعَــه المُلُولُ سَاهِيَا ، وَجُرْم ٱجَتَرَمه لاهيًا ؛ فَمْدُلُ مُولانا لايُطالِب إلَّا بالقَصْد؛ ولا يُعاقب إلَّا علىٰ العَمْد؛ إذ كان المملوكُ لا يُعْضَم من زَلَلَ ، ولا يَشْـلُمَ من خَللَ؛ اللَّهُمَّ إلا أن يكونَ مولانا أرادَ من المملوك تَقْوِيمَهُ وَتَادِيبَهُ ، وَإِصلاحَهُ وَتَهَذِيبَهُ : لَيُحْسِنَ أَثْرَهَ فَي خِدْمَتُهُ ، ويَسْلُكَ السبيلَ الواضِّح في تِبَاعتِه، فلا أعدَمَ اللهُ الملوكَ تثقيفَه، ولاسلَبَه تبْصِيره وتعْرِيفَه؛ و إنْ كان ذٰلك لشَكُّ عَرضَ من المملوك في ودَاده، وآرتيابِ خامَرَ في حُسْن آعتقاده؛ فَأُعيذُه بالله من القَطْع بالشُّهُمات ، والعمــل بُمنْغُلِّل السِّعايات ؛ ومولانا خليقٌ بأن يُطْلِـع من أنْس المملوك ماغَرَب، ويُنْبِط من سُروره مانضَب؛ ويُعيــدَه لرِضاه، ويُجْريَهُ على ما أحمدُه منه وأرضاه .

رقعة : ليس المملوك يَرْفَع مَوْلانا في إعراضه، إلَّا إلىٰ فَضْله، ولا يُحاكِمُه علىٰ القياضه، إلَّا إلىٰ فَضْله، ولا يُحاكِمُه علىٰ آنقياضه، إلَّا إلىٰ عَدْله، ولا يستعينُ عليه إلَّا بما يستَمْليه من آدابه، ولا يناظِرُه إلا بما أخذه عنه من مُحافظته وإيجابه، إذ كان المملوكُ مُذْ وصلتْه السعادةُ بحِباله، ناسجًا علىٰ مِنْواله، متقبّلا شرائف خِلاله، وما عهدْتُهُ عَمَر اللهُ مَعَاهِدَه، وكبتَ

⁽١) لعــــله للولى -

⁽٢) يقال أنغلهم حديثًا سمعه تم إليهم به أنظر اللسان ج ١ ٤ ص ١٩٠٠

حاسده ؛ يغضّبُ تقليدًا قبل الآختبار ، و يُحُوج البرى الى مَوْقف الاعتدار ؛ ولا سبيّ إذا كان المظنُونُ به عاليً بشرُوط الكرم ، عارفاً بمواقع النّم ، لا يَنْسَخ الشكر ، بالكُفْر ، ولا يتعوَّضُ عن الحَمْد ، بالجَمْد ؛ وقد عرف مولانا ثناء المملوك على تَفْضاله ، ووقف على بَلائه لأعْماله ؛ وهو وفي بربّ عوارفه وصنائعه ، وتثمير مارهن لدّيه من وَدائعه ؛ وتنزيه سمّعه عن الإصغاء إلى ما يختلقُه حاسد ، و يصوغُه كائد ؛ وقد حَمَّ المملوك على نفسه نَقْد الذي لا يُبَهرَجُ عليه ولا يدلّس ، وكَشْفه الذي لا يُنعَلَى عليه ولا يُدلّس ، وكَشْفه الذي لا يُنعَلَى عليه ولا يُدلّس ، وكَشْفه في تأمّل مقاصده طَرْف فكرته ؛ فإنه ممن لا يُحيلُه الأحوال ولا تُحَوِّله ، ولا تُغيرة الغيرُ ولا تُبعَل ، ولا يُعَلِله ، ولا تُعَيِله الأحوال ولا تُحَوِّله ، ولا تُغيرة الغيرُ الغيرُ الغيرُ النه الله عالم الله عنا الله عن المنا الله عنا اله عنا الله ع

رقعة : أفعالُ شكر المملوكِ في الحِمْ والعَضَب، والرَّضا والسَّخَط، إذا لم يقتض الحزّمُ إيقاعها مَوْقِع الفضل، واقعة مُوقِع الإنصاف والعَدْل، ولا يُغلّب هواه على رَبَّيه على أناته ، وقد جانب مع المملوك عادَتَه ، وباين فيه شيمته ، ونالَهُ من إعراضه، وجَفَائِه وآنقباضه، وتغيَّر رأيه، ما وَسَمَ المملوك فيه بالذَّنْب ونالَهُ من إعراضه، وجَفَائِه وآنقباضه، وتغيَّر رأيه، ما وَسَمَ المملوك فيه بالذَّنْب ولم يُذُنِه ، وحمله على الحُرْم ولم يَحْتقبه ، وأوقفه لدَيْه مَوْقِفَ الإعتدار ، وأحوجه ولم يُذُنِه ، وحمله على الحُرْم ولم يَحْتقبه ، وأوقفه لدَيْه مَوْقِفَ الإعتدار ، وأحوجه إلى الاستقالة والاستغفار ، وليس المملوك يُحاكمه إلّا إليه ، ولا يُعول في الانتصاف إلّا عليه ، وما أولاه بأن يُعيد المملوك إلى محلّة من رضاه ، فإنه لم يُواقِعْ في خدْمته إلا ما يَرْضاه ، وحسبُه شاهدًا بذلك ما يعلَمُ من المملوك من سَلامة غَيْبه ، وطهارة جيبه ، وفَضْل وُده ، وحَقّة معتقده ، إن شاء الله تعالى .

⁽١) كذا فى غير أصل ولعله " أفعال شيم المولى " ليستقيم الكلام بعد .

رقعـــة بمعاتبة علىٰ

كُلُّ مانع مَالدَيْه مَنْ رَغِبه ، دافع عَمَّا عنده مَنْ طَلَبه ؛ فستغَى عنه إلَّا الله تعالىٰ المُبتددئ بالنّعم ، العَوَّادُ بالكَرَم ؛ ولو عَرف مَوْلانا بطَعْم شَجْرةِ المعْرُوف ، لأسرَعَ المُبتددئ بالنّعم ، العَوَّادُ بالكَرَم ؛ ولو عَرف ما الحُقُوق في ماله وجاهه ، لم يُقصّر عن أدائها ؛ غير أنه ظن أنَّ القوْز بالوُجْد ، غايةُ الحَبد ، وأنه إذا أَحْدَ النَّسَب غني عن الحَد ، وأن النعمة تُرتَبَطُ بالرَّبط عليها ، وتنصرف بالتَّصَرُف فيها ؛ وما ساء المملوك أن تنزَّه عن تقلَّد منه ليم ، وحُرِم مُحَدَة من كريم ؛ وهذا الحِرمانُ أحسَنُ والله في عين المملوك من النّوال ، وهذا الإكداء أبرَّلديْه من بلُوغ الآمال ؛ وسينشر المملوك مذهبه في كلّ ناد ، و يكفّ عنه أماني القصّاد ؛ و يكفيه مَثُونة الاعتذار ، و يصُونُه عن أن المملوك عن أن المملوك على منعه لم يُقصّر في بُلُوخ عن أن المملوك على منعه لم يُقصّر في بُلُوخ أوطاره ، والسّعي في إيثاره ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة في المعنى : مارد المملوكُ برَّ مولانا مستَثْرِرا لقليله ، ولا لائمًا لنفسه على تأميله ، لكنّه التَّجَعَه التِجاعَ من ظَنّه عارفًا بقَدْره ، راغبًا في شُكْره ، فلو أغضى المملوكُ منه على الاطراح لأمْرِه ، لاستدلّ منه على قصر الهمّة ، وظنّ أنه قوّمه بدُونِ القيمة ، لا سمّا وهو يَفْرض لمن لا يُجارِى المملوكَ في مضار ، ولا يُساوِيه في مقدار ، من غير قصد بتأميل ورَجَاء ، وتقديم ذريعة من تَقْريظ وثَنَاء ، ما تضيق عنه الهمّ الفساح ، ولا يُصِل إليه الإقتراح .

⁽١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » •

 ⁽۲) لعله « ثرة المعروف ... الى اجتنائها » تأمل ٠

رقعةً عِتاب، علىٰ تقصير في خطاب :

حُوشَى مولاَى أَن يُحُرُّ الدُّيلَ علىٰ آثار فَضْله ، ويُمِيتَ من غُرُوس إحسانه مَاهُو جَدَيُّرَأَنَ يَتِعَهَّدُهُ بَوْبُلُهُ ؛ وَيُعَفِّى مَنِّى رُسُومَ كَرَمَهُ، ويَصْدَعَ بمجانبة الإنصاف صَفاةً صِفاته وصِفَائه، ويُنْطِقَ الأَلْسُنَ بِعتابِه؛ ويُصْلِت سيفَ التَّاتيب من قرابِه؛ بما ٱستحسَنَه من مستقْبَح المُصارَمَة في المخاطبه، وآستَوْطاه مر. جامح التُّرْبيث في الْمُكَاتَبِهِ ؛ ولا سِيَّما وهو يعــَلُمُ أنَّ موْ قِع الإكرام من الكِرام ، ألطفُ من مَوْ قع الإِنْعَام ؛ وأَن مَحَلَّ القال، أفضلُ من محلِّ النَّوال، وأن تغيُّر العادة في البرِّ، مُقَوِّضَ لَمَعَاهِد الشُّكْر؛ ويسيح (؟) السنة في الإنْصاف، قاض بالإنْصراف بعد الإنْعطاف، وقد كان المملوكُ أَزْمَعَ أَن يَتَحَمَّل تقصيرَه به ، وأَن يُفُـلُّ من غَرْبه ، غير مطاوعٍ للحميَّه ، ولا مُنْقادِ لنفس العَصَبية ، ولا يَقْرَعَ سَمْعه بعتَاب ، ولا يُوردَ عليه مُمِضَّ خطاب ؛ ثم رأى المملوكُ أن يُرشدَه إلىٰ الأَّذْيَن ، ويبعَشَه على اعتاد الأحْسَن ؛ ويَحُضُّه علىٰ مُرَاجِعة الأفضل، ومُعاودة الأَجْمَــل: ليتحَفَّظ مع سِواه، ولا يَجْرِيَ عَجْراه ، فليس كُلُّ أحدٍ يَتَحَمَّله، ويرضىٰ رضَا المملوكِ بمــا يْفْعَلُه ، فمولانا حبَّب اللهُ إليه الرَّشَد، ووفَّقه إلى المَنْهَج الأسَّدّ؛ هل هو من شيءِ سوى بَشَر ؛ فمــا هذا التِّيهُ والبَطَر ؟ ولِمَ هــذا الأزْلُ والأُشَر ؟ وما فعــل الرئيس إلى مايضغُرعنــه قَدر ؛ ولا يَيْأُسَ من نَيْله عمر؛ ولا مضَتْ أقلامُك في الأقالم ، ولا أُشيرَ إليك بَبَنَان التعظيم ؛ ولا نُوِّضتْ إليك الوزارةُ والرِّدافَةُ ، ولا تأمَّرْتَ على الكافَة ؛ ولا طاوَلْتَ الأكفاءَ فطُلْت، ولا ناصَلْت القُرناءَ فنضَلْت؛ وإنمـا سَرَق إليك الحظُّ من ثمــَاده وَشَــلا مُصَرَّدًا ، وأَدَرَّ لك الدَّهْرُ من أخلافه نُجَدَّدًا، فافتتحتَ المعامَلَة بظُــلْم الإِخْوان، ونَسْخ شرائع الإِحْسان؛ كذَّبَنْكَ نَفْسُك، وغَرَّك حَدْسُك؛ كيف بك غدًا إذا ٱســتَردُّ الزَمَنُ ماخَوَلَك ، وٱســترجَعَ مانوَّاك ؛ وصَحَوْتَ بالعزْل من سَــكُرة

الولايه، وتقرقُرْتُ بعــد طَلَبَ الغايه؛ وعُدْتَ إلىٰ إخوانك فوجدْتَ أوطانَ أُنْسهم بك نابِيَه ، ونُفُوسَهم للإقبال عليك آبِيَه ؛ ولو كان الزمنُ أمكَنك من رَقَبتي، وطرَّقَ لك الطريقَ إلىٰ إيداع عُرْفك في جِهَتى ؛ لقَبُح بك أن تَطُول بطَوْلك ، وتَدُّعِى الفَصْلَ بَفَضْلُك، ولم يحسُنْ أَن تُبَدِّل الإِنْعام، وتَضِنَّ بالْأَلْتَزَام؛ فإن كنت تَفْخَر بَسَلَفك وأُبُوَّتك، وتُطاولُ بأوَّلَيْك وأُسْرِيك؛ فلوكان أبوك كِسْرى، لما جَبَرَ منك كَسْرًا ، ولوكان جَدُّك بُخْتَ نَصَّر، لما ٱنتفعت به فى مُظاهَرة ولا نَصَّر، فدَعْ أ كَثَرَ مافات ، ولا تُعَوِّلُ على العظَام الرُّفَات ؛ في آستندَ إليها إلَّا عار من الفضل عاطل من الحليٰ . علىٰ أنَّك لو فاخْرَتَنا بها لفَخَرْناك ، وتقدُّمْنا وأخَّرْناك ، و إن كنتَ تستَيْد إلىٰ دِيانَتِيك ، وتعتمدُ علىٰ نُسُكك وأمانَتِك ؛ فهـذه خالصُ حالِ لا تُخْلُص مرتَبَتُكَ ولا تتمُّ فضيلتُها إلا بٱستِشْعار التَّواضُع، والأخْذ بمكارم الأخلاق لدى التنازُع ؛ فارْجِعْ هِدْيَتُكْ إِلَىٰ الأَجَلُّ ، وٱعمَلْ بالأَفضَل ، وقفْ بحيثُ رُتْبَتك ؛ ولا تتشــقِفْ إلىٰ غير دَرَجَتِـك ؛ وإن أبيتَ ذاكَ فَأَقطَعِ المراسَــلَه ، وأُعْفِهــا من المواصَّله، والسلام.

رقعة عتاب على تأخر المكاتبة :

من حُمُم الوِدَاد _ أطال الله بقاء سيدى _ الزيارة عند المُقَاربة، والمكاتبة عند المُبَاعدة ، وإن كانت المودّة الصريحة لا يُغيِّرها آجيناب، إلا أنَّ الكُتُب أَلسُنُ البِعَاد ، وإن كانت المودّة الصريحة المُغيِّرها الجيناب، إلا أنَّ الكُتُب أَلسُنُ البِعاد ، والأعينُ التى تنظُر حقائق الوِدَاد ، ولها فى القُلُوب تأثير، وموقعها فيها أبير ، وحوشى مولانا أن أَهُنَّ أرْ يَحَيَّته لما يوَّكد الثقة بإخائه ، ويشهد بوفائه ، ولا سِمَّا وهو يَفْرضُ ذلك لأحِبَّته ، وقولُه واجبُّ فى شرع مَوَدّتِه ،

إن آبت دأ المملوك مولانا لم يُجِب ، وإنْ سأله الآبت داء لم يُوجِب ؛ فلا حَقَّ الإجابة تُؤدِّيه ، ولا ناجِرَ المسألة تَقْضيه ؛ فإنْ كان إذا شَخَصَ غابَتْ عن فِكُره أشخاصُ أحبَّيه، وإذا بَعُد عاملَهُم بَتَجَافِيه وجَفْوتِه ؛ فقد كان ينبغى أن يتكلَّف ويتجمَّل ، ويتصنَّع ويتعمَّل : فإنه لو علَّل مشوبا بالانتظار ، أو اعت ذر ممرِضًا بالاعتذار ؛ لاقمتُ ذلك مُقامَ المُكاتبه ، وصُنْته عن محض المُعاتبه ؛ لكنَّه مال مع المَكاتبه ، ودلَّ على أنه مستقلُّ بالإخوان ، متنقلُ مع المَكان ، ورضَى الاطراح والإهمال ؛ ودلَّ على أنه مستقلُّ بالإخوان ، متنقلُ مع الزمان ؛ وأرجو أن تَصْدُقَ المَخِيله ، ويَرْجعَ إلى العادة الجميله .

رقعة معاتبةِ رجل كريمِ الأصل لئيمِ الفِعل :

المعانبة من كلام المتأخرين :

الشيخُ شِهاب الدين محمود الجلمي :

يُقَبِّلُ الأرضَ ويُنْهِى أنه قد صاريَرىٰ قُرْبَه ٱزْوِرَارا، وطويلَسَلامِه ٱخْتِصارا؛ ويُغالِطُ فى ذٰلك حتَّى شاهده عِيَــانًا مِرَارا؛ هــذا و بِثْرَ الوَلَاء، صَقِيلةُ الْحِلْباب،

⁽١) جنث الانسان أصله • ووقع في الأصل "الحديث" وهو تصحيف •

وعَروسُ الثناء، جميلةُ البَّرة حسنَةُ الشَّباب، وهو لا يفتاً من المُوالاة في صَعَد وقَدْرُه في صَبَب ؛ فكُلَّم مَكِّن وَتَدَ الاِستَعْطاف يرجُو عدَم تخلُخُله فُصل با يُسَر سَبَب ؛ بحيثُ أطفأ الإهمالُ نارَ المُساعَفة والمُساعَده، وآنتقل تَوهُمُ عدم العناية إلى تيقَّن وجوده بالمشاهَده ؛ وقد كان يُرفَع قدرُه فخفض، وعُوض في الحال عن الرَّفْع بالاِبتداء، أنه مُفْرَد ويُنْصَب كالنكرة في النِّداء، وأهمل حتى صار كالحُروف لا تُسْنَد ولا يُسْنَد إليها ، وألغي حتى شابَه ظننْتُ إذا وقعت متاتِّمةً عن مفعوليها ؛ ومتى يَقْلَق لأمر، أنشد نفسه * ما في وُقُوفِكَ ساعةً من باسِ *

وكان يَغْشَىٰ مُجْلِسَه الكريمَ خِدَمةً وأَداءً للواجب، وطلبً لعادةٍ أكَّدُها إحسانُهِ حَتَى صارتُ ضربَةً لازِب؛ فلا يخلُو مجلِسٌ من إظهار تغيرُ عادةٍ وَطَّد الجُودُ أَسْرَاسَها، وانتقاض قاعدة أبْرَم الكَرَمُ أَسْرَاسَها؛ فينقطع سُلوكًا للأدَب وتخفيفًا عن الخَوَاطر، ويتلقى ما يصُدُر بقلب شاك ولسان شاكر؛ فإنْ كان قد عَزَم مولاه على طَرْده، وعوضه عن منحة القُرْب المحنة بعُده؛ فإنه يأبى ذلك جُودُه ولُطْفُه، ومعرفه يشكرو يزيدُ لا يمكنُ صَرْفُه؛ ولو جاز الصَّرفُ لمجرد العُبُودية لمنعه العدُل من سيده، والحِلمُ الذي عُرِف من كريم عَتِده؛ فكان المملوكُ يستحسن في حبره وسبره، ويعوض عن مقابلته بجبره ؛ فقد صار سمينُه غَنَّا وشحمُه ورَمَا، وحديثُه رَبًّا وسمِله عَلَما :

وعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخْطُ تُبْدِى المَسَاوِياً وما تَمَّ بحد الله ما يُوجِب ذلك ولا بعضه ، ولا يُحْدِثُ ذَمَّ المُلُوكِ وبُغْضَه ، ولو يَحْدِثُ ذَمَّ المُلُوكِ وبُغْضَه ، ولو بَدَا منه زَلَل ، أو لمَحَ منه خَطَل ، فمكارمُ مولانا أوسَعُ من إبقاء ذلك في صُدُور الصَّدور ، و [أحرى به] مَحْو آیاتِ السیّئات فإنه لمَنْ عَرْم الْأُمُور ،

⁽١) بياض بالأصل ولعله « لمحرد الشك بالعبودية » •

+*+

وله : يخْ دُم بُدعائه ، وصادِق وَلاَئه ، ويُنْهِى أنه آنكَسر خاطِرُه ، وأرق جَفْنه وناظِرُه ، وتضاعف بَلْباله ، وتزايدَتْ فى النَّقْص أحواله ، منذ تأخّرت الأمثلة الكرام ، وآنقطعَتْ عنه بانقطاعها المننُ الحِسام ، وهو يسال العفْوَ عن ذَنْبٍ وَقَع ، وتشريفه بمثال يَرْفَع من قَدْره ما وَضَع ، واستعالَ الصَّفْح عنه كسائر عاداته ، وإجراء على اللَّطف الذي ألفه من تفضَّلاته ، فقد ضَعف صبرُ المملوك وجَنانُه ، وتفرق للفراق جَفْنه و إنسانُه ، وصَغر قدره ، وأهمل جانبُه ومَّن أمر بإهانته نَفْره ، ولهذا ضاقتُ عليه المَسَالك ، وكان لسانُ حاله [ينشد] في ذلك :

وأَهْنَتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ عَامِدًا * مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مَّنْ يُكُرُّمُ!

والمملوك معترفٌ بأنه مازال يجهلُ ما يجب عليه من الحدّم، ومُقِرّ بتقصيره عن القيام بحَلْ ما يُواصَلُ به من النّعم، لكنّه ألف من مولانا أن يقابِل إساءته بالإحسان، وجَهْله بصَفْح لا يقُومُ بشُكره اللّسان، بل جميعُ الجُهْان؛ فإن كان ذَنْب من المملوك هو الذي أوجَبَ الطّراحه، وأوجَد أسفَه وأذهب أفراحه؛ وكان أيسَرَ مما تقدّمه من جَهْله وإساءته، فحالمُك جديرً أن يُلحِقه بإخوته؛ وإنْ كان قد تزايد مقداره، فالمولى قد تضاعف على العَفْو اقتداره، وإذا كبرت الحطيئة كَ كَثُر أَجُر غُفْرانها، وعلى على العَفْو اقتداره، وإذا كبرت الحطيئة كَ المَعْفرة بكلّ فراتها، طريق، وأنْ يُقابَل رجاوًه بالتحقيق، وأمله بالتصديق .

+ +

وله : ويُنْهِى أنه ما زالَ يشلُوآياتِ عَاسِنِه وحُمْدِه ، ويرفَعُ راياتِ إحسانِه وَجَرِيل وَيَتُولُاه ولا يَتُولَى عَنْ عَجَبَّه ، ويُكْثِرُ الثناءَ عِلىٰ أَلْمِي فِطْنَتُه وَجَرِيل

مُرُوءِيه ؛ وقد صار يُشَاهد من المُولى مَلاً لا وصُدُودا ، وإعراضًا يَغيظ به صديقًا ويَسُرُّ به حَسُودا ؛ والطّراحا أوْهَمه أنه ألِف وَصْلٍ دُرِجتْ ، أو لفظةُ هُمْ لفظت ؛ ولا يُعرف له ذَنْبا يُوجِب إبعاده ، ولا جُرما يستوجبُ به أن ينقض حبلَ وَصْله ويرْفُض وِدَاده ؛ ولا يعلمُ سَبَبا يُوجِب سَبَّه ، ولا شَيْئا يُحُدِث عَتْبه ؛ مع أنَّ الملوك أحق أن يَبْدأ بالإعراض ، ويرْفُل من إغفال مَودته في التَّوب الفَضْفاض ؛ فإتَّ المولى آلمَت بالقول مرارا ، وجعل سَعابة حَيْفه تَهْمِي عليه مِدرادا ؛ وهو يحتمل الأَدى ، ويغضي على القدين ؛ ولا يُظهر إلا عبَّة ، ولا يُبْطِن له إلا مَودّة ؛ فإن شاهد المولى بعد إعراضه إعراضا فليكُم نفسه ، أو أحرقه لهَبُ نار الجَفاء فلا يشكو مسلم ورأيه العالى ،

شـــعر في العتاب :

مَوْلاَىَ قَدْ طَالَ النَّبَاعُدُ بَيْنَنَا ﴿ أَوْمَا سَمِّتَ قَطِيعتِي وَمَـالَالِي!

إِنْ لَمْ تَرِقً لِحِالَتِي ياهَاجِرِي * مَوْلاي قُلْ لِي مَنْ يَرِقُ لِحَالِي!

غـــيره:

يُباعِدُنِي عَرْبِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْحِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا

غنيره:

إِنْ كَانَ هِمْرَانَنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ للوَصْل عَنْدَنَا ثَمَنُ

غـــيره:

شَمَّتَّ بِي الأَعْداءَ حينَ هَجْرُ تَنِي * والمَوْتُ دُونَ شَمَاتَةِ الأَعْداء!

غـــيره:

تَنَامُ عَيْناكَ وَتَشْكُو الْهُوَىٰ * لَوْكُنتَ صَبًّا لَم تَكُنْ ناعِمًا!

ولبعضهم : سيدى باداً في بلطف من غير خِبْره ، وأعَقَبني جَفاءً من غير ذَنْب ، فأطْمَعني أَوْلُه في إخائه ، وآيسَني آخِرُه من وَفَائه ، فسُبْحانَ من لو شاءَ لكَشَف بإيضاج المُبْهَم عن عَزيمة الرأى فيه ، والملوك يقول :

عَجِبْتُ لَقَلْبِكَ كَيْفَ ٱنقَلَبْ ﴿ وَصَـفْوِ وِدَادِكَ أَنَى ذَهَبْ وَصَـفْوِ وِدَادِكَ أَنَى ذَهَبْ وَأَعْجَبُ مِنْ أَرْضَا فَى الغَضَبْ

أجوبة رقاع العتاب

قال فى و موادّ البيان ": حكم أجوبة هـذه الرِّقاع حكمُ رِقاع أجوبةِ الاعتذار إلَّا أنها لا تخلُومن الإجابة بالإعتاب أو الإصرار على العِتَاب . قال : ويجبُ أن يَسْلُك فيها المجيبُ مذْهَبَ المجيبِ عن رقاع الاِعتذار .

زهر الآداب:

فى جواب العَتْب علىٰ تأثُّر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشارَ به من العَتْب بسبب تأثّر خدّمه عن جَنَابه ، وما توهّمَ من آشتغالِ المملوكِ بأهله وأصحابِه ، وحاشاه أن يتوهّم في المملوك غير الوَلاء، والمُلازمة على الحمدِ والثّناء ، فهو لا يعتمدُ ذلك إلّا تخفيفًا عن خاطره ، ووُثُوقا بما يتحقّقُه المولى من خالص مودّتِه في باطنِه وظاهِره ، حرسهُ الله ووفقه ، وفتَح له بابَ السعادة ولا أغلقه ، بمنة وكرمه .

⁽١) ضمنه جواب عبد الله بن معاوية في العتاب .

زهر الربيع :

جواب عتَاب :

زاد الله جنابه حنانا، وأسبع عليه إنعامًا و إحسانا، وخلّد له على كلّ عدوِّ سلطاناً و ولا زالت هَّمتُه سماءً لَمنا كِ الكَوَاكِ، وأيادِيه تُفيضُ على الأولياءِ غَراشِبَ الرَّغاشِب؛ ولا بَرِحَتْ سحائِبُ إنعامه هاميه، وقُطوفُ إحسانِه دائمة دائية؛ وشرائعُ مياه جُوده تُجَفِّف جُفُونا من الفاقة دَاميه .

المملوك يجدّدُ خِدْمته، ويُواتِرُللولى أَدْعِيَتَه، ويعتَرِف بمِننِه التي أَقرَتْ بها أَلسِنةٌ جوارِحِه فلا يَستطِيعُ أَن يُنْكِرَها ، ويغتَرِفُ بيد تضرَّعه من بِحار جُوده التي تَثْعَبُ الوَلِى من سَحَابُها إلىٰ كل وَلِي وتَقْذِف له جَواهِرَها .

وينهي وُرود المكاتبة والعُلمَ بمضْمُونها ، والآختواء على سائر مَعانِي فُنُونها ؛ وما أشار إليه من العَتْب الذي يرجُو به بَقاء الوِداد ، واستِصحاب حالِ التَّواصُل من غير نَفَاد ؛ والمملوك فلا يُنكُر ذَنْه ، ولا يتنَصَّل ولا يتوَصَّل بل يعتَرفُ بجُرْمه وقلة خدمه ؛ ويَستُمسِك بالعُرْوة الوُثْق من إحسانه وحِلْمه ، ويسألُ مَكارمَه إجراء على عادته بالصَّفْح عنه ورَسْمِه ؛ وهو يرجُو أنَّ أمَّ هذه الهَفُوة لاتلد لها أختا ، وأنه لا يعتمِدُ إلا ما يَزيدُه إلى المَوْلى مقةً ويُزيل مَقْتا ؛ فإنَّ معاتبَة مولانا قد وعَتْها أذُنَ واعيه ، ومَراضِيه لا تَحْفَى على المُملوك بعد ذلك منها خافيه ؛ إن شاء الله تعالى .

آخــر: أسعدَ اللهُ الحُبلِسَ وعَطَف الأوْلياءِ قَلْبَه ، ونَصَرَ الْبَه وأَنفَذَكُتْبه ؛ وأَلْهَمَ حَبَّـة قلب الزمان حُبَّه ؛ وأَلْهُمَ حَبَّـة قلب الزمان حُبَّه ؛ وأَقْدَره على الحِلْم الزائد حتى يغفرَ به لكلِّ مُذْنِب ذَنْبه .

[وينهى] وُرُودَ الحَمَّابِ الذي أعدَّنه يدُ مُولانا فصارَكَرِيما ، وكسَنه عبارتُه ثَوْبَ بَرَاعِتِه فأصبَحَ مَنْظُرُه وَسِيما ، وآستنشق عَرْف نَسِيمه المباركِ فطاب شَمِيما ، وعلم المملوكُ منه شِدَة عَنْبه ، ومُرَّ التَجَنِّي الذي ظَهَر من حُلُو لفُظه وعَذْبه ، ولم يَعْرف لعَنْبه مُوجِبا ، ولا لتَغَيَّر مَوَدّته سَببًا ، فإنه ماحاد عن طريق وَلائه ولا حال ، ولا زَلّت قدَمُه عنه ولا زال ، ولا ماد عن مَنْهَج المودّة ولا مال ، وما فَتِيَّ لمحاسنه ناشرا ، ولإحسائه شاكرا ، فإن كان قد نقل عنه إلى مولانا شيَّ أزْعَجه ، وأخرجه عن عادة حِلْمه وأحرَجه ، فإن الوُشاةَ قد آختَلَقُوا قوْلَم ونَقْلهم ، وقصَدُوا تشتيت الله شَمَّلهم :

وقد نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفَهُ بِهِ * وَمَا آفَةُ الأَّخْبَارِ إِلَّا رُواتُهَا!

آخسر: وردت المشرِّفة العاليـة أعلىٰ الله تَجْمَ مُرْسِلها؛ وأسبِغ أيادِية وشكر جسيم تفشَّلها؛ فابتهجتِ الأنفُس بُحُلُولها وحُلل جَمَالها، وعُوملتُ بما يَجِب من إكرامها وإجلالها، وفُضَّ ختامُها ففاح منها أرَجُ العبير والعَنْبر، وتُليتُ ألفاظها التي هي أبهي من الرِّياضِ وأحلىٰ من السُّكر؛ فأغنت كُثُوسُ فَصَاحتِها عن المُدَام، وأزال ماؤُها الزَّلالُ الباردُ حَرَّ الأُوَام؛ وأعربَ مُنْشِيها عمَّا في ضيره من العَتْب، والضيقِ الذي حَصَل في ذلك الصَّدر الرَّحب؛ وهو يُقْسِم بنعمته، وبصادقِ محبِّته؛ والضيقِ الذي حَصَل في ذلك الصَّدر الرَّحب؛ وهو يُقْسِم بنعمته، وبصادقِ محبِّته؛ أنه لم يَبْدُ منه مايُوجب عليه عَتْبا، ولا آنتَنيٰ عن النَّناء علىٰ [تَعَاسِنه] التي شعَفَته أنه لم يَبْدُ منه مايُوجب عليه عَتْبا، ولا آنتَنيٰ عن النَّناء علىٰ [تَعاسِنه] التي شعَفَته وَبَا ؛ فإن كان المُولىٰ قد توهم شيئا أحرجه وأقلقه، وإلىٰ ألم العَتْب شَوَّقه ؛ وأن كان الوهم من خاطرِه، وليَقِق بما تحقق من مُوالاته في باطِنه وظاهرِه؛ ورأيه العالى .

⁽١) بياض في الأصل والتصحيح من المقام .

ذنبه وإساءته :

آخــر: أعزَّ الله عَزَماته، وشكَرَجسِيمَ تفضُّلاته .

ولا زالتُ نِعمتُه باقيه ، وقدَّمُه إلى دَرَج المَعَالى راقيه ، وهِمَّتُه إلى السُّمُوِّ على الكَواكِ سامِيه ، وسماء جُوده على العُفَاة هامية ، وعَنْ متُه لنُغُور الإسلام حامية ، عبْدُ نِعمه ، وغَرْس كَرَمه ، يُعلمُه بصِدْق وُده ، والمداومة على شُكُره وَحُده ، وأنه وقف على مُشَرِّفه وفهمه ، وشاهد منه عَتْبه وعَلمَه ، وهو لا يشكُو من المولى جَفَاءً ولا يَعيب ، و [عن] طريق المُصافاة والمُخالَصة فلا يغيب ، بل يقول :

أَنْتَ البَرِيءُ مِنَ الإِسَاءةِ كُلِّها * ولَكَ الرِّضَا وأَنا الْمُسِيءُ الْمُذْنِبُ واللهِ والله

· فَانْتَ الَّذِي تُرْجِىٰ لَتَخْفِيفِ زَلَّتِي * وَتَحْقِيق آمالِي وَنَيْلُ مَا رِبِي! وَقُرْبُك مُقْصُودِي وَبَابُكَ كَعْبَتِي * وَرُوْ يَاكَ ياسُـوُلِي أَعَزُ مَطَالِبِي!

قلت : وكتبتُ إلى المولى شِهاب الدين الدُّنَيْسِرِيّ وقد بلغَنِي عنه مُساعدةُ بعضِ الجُمَّال على في بعض الأمور :

عَهِدْتُ شِهَابَ الفَصْلَ يَرْمِي بِسَهْمِهِ * شَيَاطِينَ جَهْلِ أَنْ تُدانِي جَنَابَه ! فَمَا بِالُ مُولانَا عِلَىٰ فَرْطَ فَضْلِه * يُعرِّفُ شَيطانَ الْجَهَالَة بَابَهُ ؟

النـــوع الرابع عشر (العِيادةُ والسُّؤال عن حالِ المريض)

رُقْعــة عيادة :

ويُنْهِى أنه أتّصل بالمملوك مِنْ أَلَمَ مَوْلانا ــ أطال الله بقاء ، وحرس حَوْباء هـ ما أهمى مَدَامِعه ، وأهمى أضالِعه ، ومَنَّق جِلْده ، وحَرَّق خَلَده ؛ وأطار الوَسَن عن عَيْنه ، وَنَقَّر الهُدُوءَ عن مَضْجَعه ؛ حتى تدارك الله تعالى بكتابه الناطق بإقلاع المُلمِّ ، المعرب عن دفاع المُهِم ، فرقاً من دُمُوعى ما آرفَض ، وجَبرَ من ضُلُوع المملوك المعرب عن والتأم من جِلْده ما تفطر، و بَرُد من خَلَده ما توقد، وجَثم ماطار من وسنه ما آرفَض ، والتأم من جِلْده ما تفطر، و بَرُد من خَلَده ما توقد، و برزَت ثمار الأماني وآنس من الهُدُوء ما نفر عنه ، والتأمت الآمال بعد آثالامها ، و برزَت ثمار الأماني من أكمامها ، وطَلَع من الرجاء آفله ، وروى من السَّرور ماحِله ، وتجدّد من السَّود من أكمامها ، وضَحِك من الزمان عالِسُه ، والله تعالى يغض طَرْفَ الحَدَثان ، عن مُهجّته ، ويَصْرف صُروف الزمان ، عن ساحته ، ويهنيه بما أعاده إليه من الإبلال ، ويُملّيه ويَصْرف صُروف الزمان ، عن ساحته ، ويهنيه بما أعاده إليه من الإبلال ، ويُملّيه بما أفاضه عليه من الاستقلال ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : ويُنْهِى أن ماخامَر، من قَلَق وجَزَع، وفَرَقِ وهَلَع، بسبَب مابلَغه من شَكُوى مولانا لاَتَحْصُره الأوْهام، ولا تُسَطِّره الأقلام، ولولا ثقة المملوك بالله تعالى لوَهَتْ عُقد صَبْره، ولَا نُخلع فَوَادُه من صَدْره ؛ وقد علم الله تعالى أنَّ هذا الأَلَم لو نُقِل إلى المملوك لَمَا ثقل عليه، وكيف يستَثقل ما يخفف عن مولانا وصبه ويُحسِمُه ، ويُعَمِّف له سِلْكَ الشَّفاء ويَنْظمُه ؛ والله تعالى يجعَلُه في أمانٍ من كفايته، وضمان من حياطته ؛ إن شاء الله تعالى .

⁽١) فى الاصل "توفر" بالفاء والراء وهو لايناسب المعنى .

أجوبة كتب الشفاعات والعِنايات

قال فى و موادّ البيان ": هذه الكتُبُ إذا أُجِيب الملتمِسُ إلى حاجت فينبغى أن تُنبَىٰ أجو بتُهَا على شُكْر مَقْصد الشافع ، والإدلالِ والاسترسالِ وإنالةِ المشفوع له وَطَرَه إيجابا لحقّ الشافع ، وإن وقع الامتناعُ والتوقّف عن الإجابة إلى الملتمس فالواجب أن تُبنىٰ على إقامة العُذُر لاغيرُ .

زهر الربيع :

جوابُ شفاعةٍ في حقِّ كاتب :

جدّدَ الله [له] السعادةَ وخَلَّدها، وأصارها له شِعارًا وأبَّدها، ووطَّد به المَــالكَ ومَهَّدَها، وعضَّد به طائفةَ الإسلام وأيَّدها؛ وشكَرله صنائعَ يُعُدُّ منها وَلِيُّ ولاكُلُّ يستطيعُ أن يَعَدِّدها.

المملوك يقبّل السدّ الشريفة أداءً للفرض اللازِم، وشُكُوا لما أوْلتُه من الأيادِي والمَكَارم؛ وحمّدًا لألطافِهِ التي أطمعَتْه بالتمييز فأصبَحَ بَرْفْع قدرِه كالجازِم.

وينهى ورُودَ المشرِّف الذى نَزَّه ناظِرَه ، وجَبر قلْبَ بحُسْن ألفاظه وخاطرَه ، والعلْمَ بما أمَّر به ، وشَفع إلى المملوك بسَبَه ، وهو الكاتب الذى أشار إليه ، وقد رَكَن إلى ما شكرَه به الموْلي وأثنى به عليه ، واعتقد يُمْنَ إغارة الشافع فعقد على المشفوع فيه خنصره ، وتقدّم بترتيبه في ديوان إنشائه ، وجعله من جُمُّلة خواصّه وخلصائه ، وفعل ذلك كلَّه آتباعًا لإشارته ، وقَبُولا لشَفَاعته ، فالمولى يواصل بمراسِمه وأمثلته ، فإنَّها تَرِدُ على مُرْتَيم ممتثل ،

⁽١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع فهي مؤخرة من تقديم فتنبه

⁽٢) لعله إشارة الشافع •

ومنه : جواب شفاعة في آستخدام جُنْدى :

ضاعفَ اللهُ تعالىٰ نِعَمَه ، وأرْهفَ فى نُصْرة الإسلام سَيْفه وقَلَمه ، ولا بَرِحتْ أَلْسِنةُ الأنام ناطقةً بوَلَائه ، وأيدى ذَوِى الرجاء مملوءةً من فَوَاضل نَعْمائه .

المملوك يُواصل بأدْعيَتهِ الصالحه ، ويستَنْشِق رُوحانِيَّ رِيحِكم فيسْكُن منه بلَدِيد تلكَ الرائحـه ؛ ويشكُرُله مامنَحه من المكارم ، ويباهى بعَزَماته اللَّيوتَ الضَّرَاغم ؛ فلا يجد مُضاهيًا لتلكَ العَزَائم .

وينهى ورُودَ المِشَال الذى أشرقَتِ الوجُوه بنوره، وآبتهجت الأنفُس ببلاغة مُنشِيه ووَشِي سُطُوره، وعلم إشارة المولى فى معنى فلان : أدام الله سعدَه، وأعذَبَ مَنْهَلَه وورْدَه، والتوصِية بأمرِه، وما أبداه من حَمْده وشُكْرِه، وأن يُقْطع إقطاعًا يليق بأمثاله، ويتفيّا من خراجها ضافى ظلاله، وغند مثول مثاله العالى آمتيل وآلتيم، بأمثاله، ويتفيّا من خراجها ضافى ظلاله، وغند مثول مثاله العالى آمتيل وآلتيم، وآستخدَم المشار إليه لإشارته وخَدَم، وهذا بعض مايجب من قبول أمره، وتعظيم كتابه وتَبْجيل قَدْرِه، فيواصل بمراسِمهِ فإنها تُقابَل بالآرتِسَام، ومشرِّفاتِهِ فإنها تُعامَلُ بوافِر الإكرام،

جوابُ شــفاعة في الجمــلة :

قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنَّنِي لَكَ طَائِعٌ * مَأَنْتَ عِنْدَى شَافِعٌ بِل آمِرُ!

جعله الله لكلِّ خيرٍ سَبَبًا ، وحقَّق به لأوليائهِ ظُنُونا وحَصَّل أَرَبا ، ووَفَّر له من أَجرشفاعتِه الحسّنةِ نَصِيبًا، وأدامه عن كلِّ شرِّ بعيدًا و إلىٰ كلِّ خيرٍ قريبًا .

المملوكُ ينهِى تألَّمَه لِفِراقه ، وما يجِدُه من صَبَاتِه وشِدّةِ أَشُواقه ؛ ويُعانِيه من جَنينه وأَثُواقه ، وأنه ورَد عليه كتابُه فاستلَمه وَلَثَمه ، وَبَجَّله وَعَظَمه ؛ وعلم ما أشار

إليه، وأخَذَ أَمْرَ المشفُوع فيه بكلتا يدَيْه ، وجعل قضاء أرَبِهِ أَمَّرًا لازِما ، وما فَتَيُّ على ساقِ الاَجتهادِ قائمًا ، إلى أنْ حصَّلَ غَرَضَه ، وأدّى من حُسن القيام بأمره ما أوجبه مُشَرِّفُه العالى وأفتَرضَه ، والمَوْلىٰ آمِرُ غيرُ شَفِيع ، ومَهْما ورَدَ من جِهَتِه على المُلُوك فواردُ على سَمِيع مُطِيع ، فيواصل من مَراسِمه بما سَنَح ، ومن أخباره بما تأرَّج طِيبُ عَرْفه ونَقَح ، ورأيهُ فى ذلك العالى .

آخــر: شَكَّرَ اللهُ عَوَارَفَها، وتالدُّ جُودِها وطارِفَهَا، ووا فِرَ ظَلَالهـا ووارِفَهَا؛ وينهى ثناءًه علىٰ مَعَاليه، وملازَمتَه ومُداومتَه علىٰ بَثِّ محـاسنه ونَثِّ أياديه؛ وحمـــد عواقب إحسانه ومَبَاديه، وشــدّةَ أشواقه إلى جَنَّابه، ولذيذِ مشاهدتِه وخطابِه؛ وما يُعانيه من غَرامٍ لازَمه مُلازمةَ الغَرِيم، وداءِ صبابةِ يُضَاعِفُ شَوْقَه إلىٰ رؤية وْجِهِهِ الْوَسِيمِ ؛ وَمُداومَتَهُ عَلَىٰ التعوُّض بَشُّكُر محاسِنِهِ عَنَ الْمُدَامَةِ وَالنَّـدِيمِ ؛ ونَظُم جواهر مَدْحه لِحدِدُ جُوده، وحْمــدِ المولىٰ علىٰ ذٰلك التنظيم؛ وأنه ورد عليه مشرِّفُه العالى فَقَبَّله، ودعا لُمُرْسِله دُعاءً يرجُو من الله تعالىٰ أن يستجيَّبه ويتقَبَّله؛ وحصَل له بوصو لهِ ٱبتهاجٌ عظيم، وقال لمن حضر وُرودَه ﴿ يَأْيُّهَا الْمَلَّأُ إِنِّى أُلْثِيَ إِلَى ۚ كَتَابٌ كَرِيم ﴾ وَفَهِم مَضَمُونَهَ وَفَوَّاه، وعلم معْناه وما أظهره فيــه وأبْداه : من الوصيَّة بفلان وما يُؤثره من تسهيل مَطَالبِه، وتيسيرِ مآربِه ؛ ووصل المشارُ إليه وحصَلَ الأُنْس برُوِّ يته ، وتمتَّعت النَّواظِرُ والمَسامِعُ بمشاهَدته ومشافهَتِه ؛ وقام المملوكُ في أمْره قيامًا تامًا، وجعــل عينَ آجتهادِه في مصلَحته متيَقِّظةً لاتعْرف مَناَما ؛ وشَمَّر عر. ساق الاجتهاد، في تحصيلِ المَرَام والمُراد، إلىٰ أنْ حصَل له الفُوْزُ بنَيْل أُمَلِه، وعاد راتِّها من العَيْش في أَخْضَره وأَخْضَله ؛ رافلًا من السُّرور في أَبْهَىٰ حُلَله ، فيُحيط علمُه بذلك، والله تعالىٰ يعضِّدُ به الدُّولَ والمالك؛ إن شاء الله تعالىٰ .

آخسر: جعله الله مِفْتاحا لكلِّ بابٍ مُرْتَجْ، وصَدَّق به [أملَ] كلِّ آمل وحقَّق رجاءَ كلِّ مُرْتَجْ، والوَّلَى ماطرةً وحقَّق رجاءَ كلِّ مُرْتَجْ، ولا زالتُ سحائبُ جُودِه هاميـةً بالوَسْمِى والوَّلَى ، ماطرةً بوَ بُلها وطَلِّها علىٰ الوَلَى .

المملوكُ يخدُم بتحيَّة أرَقَّ من النَّسيم ، وسلامٍ أطْبِبَ عَرْفا من بانِ النَّقَا إذا تَحَلَّتُ عَرْفَه رِيحُ الصَّرِيمِ .

وينهى إلىٰ علمه الكريم ورُودَ مشرِّفته وأنه أحاطَ بمضَّمُونها علما، وشاهدَ منها في حال طَيِّهَا مَكَارِمَ أَصَارَتْ تفضيلَه على حاتم الطائيِّ حَيًّا؛ ووقَفَ منها علىٰ دُرِّ لفْظ قَذَفَه بحرُ خاطِرِه نَثْرًا وَنَظُما ؛ و براعة عبارة زادتْ قَلْبَ مُواليه غَرَاما وأَنْفَ مُناويه رَعْمَا؛ وفصاحةٍ عرَّفته قولَه صلَّى الله عليه وسلم « إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وِإنَّ من الشِّعر لَحُكَّماً » وفَهم عنايتَه بفلان نفَع اللهُ بعلمه وعَمَله ، وقرَّب له من الخـير مالا يُطْمِعُه به بعيدُ أَمَله ؛ وإشارتَه بسبَب التنبيه والإرشاد علىٰ جُمَل فضائله، ومفَصَّل مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاح كفايته في وَجيز تلك الفُصُول الصِّحاح الإسناد، فَى لَ تُدومِ المذكورِ وحُلُوله ، وُورود مشَرِّفه وُوصُولِه ؛ أنهىٰ المملوكُ أمْرَه إلىٰ مخُدُومه ، وطالع به شريفَ عُلُومه ؛ ولا زال يُحْسن سعْيَه ، ويَعتمدُ على مشيئة الله ولا يُتُرك حُرْصَه ومَشْيه؛ إلىٰ أَنْ حَقَّق قصــدَه بقضاء شُغُله، وقرَّب له أَمَدَ أَمله، وكتبَ توقِيعَــه ولم يُرد الله تَعْويقه، ونَجَع طعمُ قصده وأثْجَحَ اللهُ طريقَه ؛وقد عاد مصحُوبًا بالسَّلامه، معروفًا بتحصيل هذا القَصْد بأنه (طَلَّاع الثَّنَايا) من غيرٍ وضْع الِعَامِه، حسَّبَ إشارةِ المولىٰ وأمْرِه، والله تعالىٰ يُمِدُّه بصوْنِه ونَصْره .

 ⁽١) الولى المطر الذي يأتى بعد الوسميّ ووقع في الأصول "الو بلي" وهو تحريف واضم .

 ⁽۲) هو بضم الحاء وسكون الكاف العلم والفقه أى إن فىالشعركلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه.....
 و يروى إن من الشعر لحكمة وهو بمعنى الحكم ٠ انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠٠ ٠

آخــر: في ٱستخلاص حقّ .

شكرَ الله إحسانَه وإنعامَه، وحَصَّل به لكل وَلِيَّ مَرَامه، وَحَمِدَ تطوُّلَه وَتَفَضَّله، وأنال به لكل آمِلٍ أمله، وخلَّد دولتَه، وأدام نِعْمتَه، وأنفذ كابته، ولا زال فضلُه كاملا، وإحسانُه إلى الأولياء واصِلًا؛ ونوالُه لبني الآمالِ شامِلاً.

المملوك يخدُمُ بدعاء أحسنَ من نَوْر الرَّبا، وثناء الطفَ من ربح الصَّبَا؛ وسلامٍ أطيبَ بمُروره من تذَّرُ أيَّام الصِّبا .

وينهى وُرُودَ الكتاب الذي طابَ بالمُولى عَمْتُدُه ونِجَارُه، وزاد على كتائب الكُتُب خَكَارُه ، وأنه وقَف عليــه وُقُوفَ مشتاق إلىٰ مُرْسله ، شاكرِ أَنْعُمَ فضــله وجسيمَ تَفَضُّله ؛ فأسكرتُه تلكَ الفَصاحةُ بشَذَاها الأَرجْ، ونزَّهتْ لَحْظَه في دُرِّ لفظها البَهج؛ فظنَّهَا كَنَّ ٱستنْشَق رائحتَهَا راحًا قَرْقَفَا ، وكَنَّ أَبْهِجَه لفظُها بألفاظ تُرْهِي على الرِّياض رَوْصَةً أَنْفَا؛ وعلمَ الإشارةَ الكريمةَ في معنىٰ فلان والوصيَّةَ بخِدْمته، وما أمَّرَ به من مُساعدته ومُساعَفَته ؛ وعند وُصُول مشرِّف المولى وقَبْ ل وَضْعه من يَده ، نوى المملوكُ مساعدةَ المذكور على مَقْصَده ، فتقدّم بإحضار غريمه فوجده عن البــلد غائبًا، فانتظَره إلى أن عادَ آئبًا ؛ فعند وصوله طَلَبَـه وأحضَرَه، وسأله عمَّا يدَّعيه عليه خصْمُه فأنْكَرَه ؛ وطلب الحضُورَ إلىٰ القاضى، وحَثَّ علىٰ ذٰلك حتَّى أَوْهَمَ أَنه الْمُتَقَاضَى ؛ فَلَمَّا رأى المملوكُ أنَّ حُجَّة المشْفُوع فيه لاتقُوم بصدْق دعواه وحُجِج، ولا يظهَر بها علىٰ غريمه إلا من طريق حَرِج؛ بذَلَ فى مُصالحتهما جُهْدَ الاِجتهاد، وَمَا زَالَ يُرشِيدُهُمَا إِلَىٰ طَرِيقِ الرَّشَادِ ؛ ويُدُّلُّهَا عَلَىٰ سبيل السَّدَادِ ، ويعرِّفهُما أن التضارُرضَيْر، وأنَّ الصَّلْح خَيْر؛ فكل منهما يَهِم في وادْ، ويسْلُق خصْمَه بالسَّنَةِ حداد؛ إلىٰ أرثُ تراضَياَ وتوافَقاً ، وسلَكَا طريقَ الرِّفق وتَرافَقاً ؛ وصــدُّق الخصمُ

خَصْمَه فَتَصادَقًا ، وآنفصلًا وكلُّ منهما قد أَرْضيٰ خِدْنه ، وعن المحاكمة والمحاققـة أغْضيٰ جَفْنه .

آخــر: أيد الله سعد المولى وأبده، وأثّل مَمْده وَجَدّه، وأعانه على إسداء العوارف وعَضَّده، وأمده من المسَرَّات بما يُزيل عن الأيام أبده، وأناله سَعدا لاتبلُغ الأنامُ أمدَه، ولا زال بُرْدُ جَدِّه من السعادة جَدِيدا، ونَجْمُ عَدُوِّه آفلًا ونَجُمه سَعِيدا.

الذي نُحِيط به عُلْمَه الكريم أنَّ كتابه ورد فسَرَّى هَمَّ الأنفُس وسَرَّها ، وضاعفَ بما ضاعَ من نَشْره بشْرَها؛ وفاحَ منه شَذًا عند إقْباله ، فقيل : قد هبَّت القَبُول، ورَبُّح الأولياءَ، فقيل : قد هَبَّتْ رَبُّحُ الشَّمال وأُديرت الرَّاحُ الشَّمُول ؛ وأنَّ المملوكَ وقَفَ منه علىٰ ألفاظ سقَتْه كُتُوسَ سُرُورِ لا كُتوسَ مُدَام ، و روَتْ له أخبارَ حلمُ لو أُسندَتْ إلىٰ سواه لتُوهِّمتْ أضـاغَاتَ أحْلام؛ وروّتْ أكبادًا أضَرّ بها لغَيْبتِه حَرُّ ظَمَإِ وَأَوَامٍ؛ وبيَّنِتْ شِحْرَ الْبَيَانِ ، وأَعْرَبَتْ بلسان حُسْنَهَا عُمَّا لْمُنشيها بل مُوَشِّيها من الإحسان ، وأغربَتْ في الفَصَاحة فَلْنَا كُلُّ كَامَة تَنْطُقُ عِن سَعْبَانَ بِلِسَانِ، وزَهَتْ بيانِم ثِمَار فَضْلِها فَنزَّهتْ كُلُّ عِينَ فَي بُسْتَانَ ؛ وعلم إشارةَ المولىٰ في مَعنيٰ فلان ، وما أبداه من العِنَاية في حقِّه ، والإيشار لصِلة رِزْقه ؛ وأنه من الألزام ؛ والذين تَجِب معاملتُهُم بالإكرام والأحترام التام ؛ وعنــد ماشاهدَ المملوكُ كتابَ من شَرَّفه ، وسَمِع الفاظه التي بُلُطْفها أتحفَه؛ بل بردائها على البَّرْد ألحفه، تقدّم بإجابةٍ سُؤاله، وترتيبِه في جهة تليق بأمثالِهِ ؛ وقمُّصه من العناية قميصًا لايَبْلَىٰ، وجمع لخاطرِه والدُّعة شَمْلا؛ وهذا حسَب إشارةِ المولىٰ التي لائْخَالف، وأمرِه الذي يقفُ كُلُّ أحدِ عنده ولا يسَتُوْفُ ولا يُواقِف .

⁽١) أي غضبه فهو مصدر أبد عليه كفرح أذا غضب •

 ⁽٢) هذا آخر ماحقه التقديم بعد النوع الرابع وقبل الخامس فتنبه .

كتاب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين:

حَاشَىٰ مِنَ اجَكَ مِنْ أَذًى * وَكِيمَ جِسْمِكَ مَن وَصَبْ!

يَا غَايَةً الْمَـ أُمُ وَلِ وَالْ * مَنْ بَعْدِ الْحَلَ الطَّلَبْ!

مُذُ غِبْتَ عَـ فَى لَمْ أَنَلْ * مِنْ بَعْدِ الْعَدْكَ في نَصَبْ!

جَفْنِي غَرِيقٌ بِالدُّمُ و * عِ وماءُ صَبْرِي قد نَضَبْ!

والله مالى في البقا * عِ وأنْتَ ناءٍ مِنْ أَرَبْ!

والله مالى في البقا * عِ وأنْتَ ناءٍ مِنْ أَرَبْ!

فـ تُرَى أَبَشُرُ سيدى * أَنَّ اللِّقَاءَ قَد آقْتَرَبْ!

حرسَ اللهُ مِزَاجَ المُولىٰ! وأصار العافِية له شِعَارا؛ والصِّحَّة له دِثَارا؛ ولا زالَتْ ساكنةً في جَوَانِحه، مقيمةً حَشْوَ أعضائِه المبارَكةِ وجَوَارِحه .

⁽١) مراده فتي أبشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

 ⁽۲) نقل هــذا الفعل الفارابي وتبعه الجوهري واستعمله كاتب هذه الرسالة وأنكره بعض الحذاق وقال
 الصواب هؤشت .

في معناه :

يَامَنْ شَكَا فَشَكَا فُؤَادِي حُرْقَةً * لا تَنْطَفِي وصَـبَابَةً لا تَبْرَحُ!

وغَدًا سَقِيمَ الحِسْمِ يَوْمًا واحِدًا * فَنَرَحْتُ دَمْعًا لِلْدَامِعِ يَحْرَحُ!

وَٱزْدَادَ شَوْقَ نَحْوَ طَلَعْتِ لَلَّتِي * أَبَدًا بُيمْنِ بَهَامُهَا أَسْتَنْجِعِ!

لا زِلْتَ في عِزَّ وسَعْدٍ دائمٍ * أيَّا مُنا ببَقَائِهِ نَتَبَجَّع !

وَبَقِيتَ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا ﴿ تُمْسِى قَرِيرَ العَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحِ !

كَمَّلَ اللهُ عَافِيــةَ المَوْلَىٰ وَحَرَسَــه ، ولا سَلَبه ثَوبَ الصِّحَّة بل قَمَّمَه إيَّاه وألْبَسه ، وأخدَمَه الأيَّامَ فلا تستَطِيعُ مخالَفــةَ أَمْره ولا الخُروجَ عن حُكُمه ، ورزَقَه أن يُملِكَ الدُّنيا بحذَافيرِها وهذا يحصُلُ بعافِيَة جسْمه .

المملوكُ ينهِى أنه آتَصل به تألمُّهُ فشَقَّ ذلك عليه، ووصلَ من القَلَق إلى حَدَّ لم يَصِلِ المَوْلى والحمدُ لله إليه؛ وآبتهلَ إلى الله في مُعافاة جَسَده، وأن يُعضَّدَه بَبقاء والده وولَده؛ ويُضاعفَ تسميلَ مآرِيه ومَقاصِده، و يرفَعَ كلمتَه وقدْرَه على رَغْم مَعْطِس شانيه الأبْتر وحاسده؛ إن شاء الله تعالى .

جوابُ إلىٰ من قَنطره فرسُه :

تَبَّت اللهُ قواعِدَ مَجْدِه، وبلَّغه سَـعْدا لاتبْلُغه الآمالُ لبُعْـده؛ وأهمىٰ علىٰ محبِّيه سِعائبَ جُوده ورَفْده.

⁽١) جارئ في هذا الفعل اللغة العامية والصواب قطره قال الشاعر :

قد علمت سلمي وجاراتها ﴿ ماقطر الفارس الا أنا

أنظراللسان ج ٣ ص ٤١٨ .

المُلوكُ يُخْدُم بِتَحَيَّة أَرقَ مِن النَّسِـمِ، و يَشْكُر مَواهبَه التي مازالتْ تَحنُوعليه حُنُوًّ الْمُرْضِعات علىٰ الفَطِيم .

ويُنهِي ورُودَ الخبر بأنه كَبَايِه جوادُه عند مازَلَّت قوائمُه، وأَثقَلَتُه فضائلُ المولى ومكارِمُه، فآنْزَعَج لذلك وتألَّم، وكاد قلبُ لولا المبَشِّر بسلَامتِه أَنْ يَتَكلِّم، وجَوادُ المَوْلى لاسبِيلَ إلىٰ ذَمِّه، فإنه أشمحُ جَواد، ولا آتَّمامِه بالعَجْز، فإنَّه عُرِفَ بإنهام وإنجاد:

لَكِنَّهُ نَظَرَ الأَفلاكَ سَاجِدةً * إِلَىٰ عُلَاكِ فَلَمْ تَنْبُتْ قُوائِمِهِ!

والمؤلى أولى مَنْ قابل عُذْر طِرْفه بطَرْف القَبُول ، وآعتمد عليه دُونَ سائرِ النَّكِيُول : فإنَّ المولى ولله الحمدُ في صحة دائمه ، وسلامة ملازمه ، وهذا هو القَصْدُ والمُواد ، والاستبشارُ الذي تفترُّله تُغورُ التَّغور وتعْمُر به البِلاد ، جعله الله في سعدٍ ماله فرائحٌ ولا نفاد ، ورزقه مادعا به العادُ الفاضل والفاضِلُ العاد ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة كُتُب العيادة

قال فى "مواد البيات": يجب أن تبنى هذه الأجوبة على وُصُول الرَّقعة، وما صادفت المريض عليه من المَرض، وأنها أهدَتْ رَوْحَ الهُدُوء، وأركدت رِيَاحَ السَّوء، وأقبلتْ بنسيم الإبلال، وتضوّعتْ بأرَج الاِستقْلال، وبَشَرت بالعافية والسَّلامه، وآذنَتْ بالصَّلاح والاستِقَامه، وأشباه هذا .

إِبْنُ نَبَاتَةُ الْمِصْرَى :

شَكَر اللهُ ٱفتِقَادَها وأُنْسَها ، وقلَمَها وطِرْسَها ، وحمى مِنْ عارض الخَطْبِ لامِنْ عارض الخَطْبِ لامِنْ عارض الخصب تَثْمَسَها ؛ ولا أعدمَ الأولياءَ قصْدَها الجميل، ووُدَّها الجليل، وإحسانَ

رسائِلها التي كُرَمَتْ ف صَوْبُ الغَام له رَسِيل ؛ وأَمْتِع الهالكَ بُيمْنِها التي صَّت بتدبيره فليس غَيْرَ النَّسِيم عَلِيل .

و يُنْهَى ورُودَ المشرِّف الكريم فتلقَّاه المملوكُ حَبِيبا واردًا، وطبِيبًا بإحسانِه وللجسيد عائدًا ؛ وفَهم المملوك ما ٱنْطوىٰ عليــه من الصَّدَقات التي ما زالَتْ في فَهْمه ، والمحبةِ الصادقة التي ما عَزَبتْ عن علمه ؛ وما تضَمَّن من فصول كانَّتْ أَنفَعَ من فُصُول أَيِّقُراط لمعالجة جسَّمه؛ وأينَ أيْقُراطُ من بركاتِ كتابِ مولانا الذي طالَعَ منه كتابَ الشُّمه على الحقيقه، والنَّجاة من عُرْوة البأس الوَثيقه؛ وأدْني وَرَقَته الحمراءَ لرأسه تَبرُّكَا و إكْرَاما وقال : نِعْمَ الْجُلَّنارَةُ الْمُعَوِّذَةُ من الشَّقِيقه ، وٱستطَّبُّ حُروفَها فإنها عن أَيْدى الكريم والكَرَامات، ولَهُم العلامةَ وتمسَّك بالسُّطور فإنها من أسباب الصَّحَّة والعَسَلَامات؛ ووافقتْ عيادةُ مولانا مبادى العافيــة وآذنَتْ بالزِّياده ، وصلَح خطُّه الكريمُ عائدًا وما كلُّ خطِّ يصــلُحُ للعِيَاده ؛ وما تِلكَ الجارحةُ المتألِّمةُ إلا يَدُّ أَثقَلَتُها مِنَنُ مُولَانًا فَأَعْيَتْ وَتَأَلَّت؛ ثم أَعَانَتُها بَرَكْتُه هي والقَدَّمُ بالحمل العظيم وتقدَّمَتْ؛ وما بِقِيَّة الْجَوَارِحِ إِلَّا عِيونٌ كَانتْ تَنْتِظْرُ لُطْفَ الله تَعَالَىٰ وَ بَرَكَتُهُ وَقَدْ قَدِمَتْ، فَشُكْرًا لِهَا من بركاتٍ تَنْغَمُ بها قبـلَ الْجُسُومِ أرواحُها ، وأَدْويةٍ قليِيَّة تُعالِحُ بها ذواتُ النُّفُوسُ فكيف أشباحُها؛ لا بَرِح جوْهَرُ كلماتِ مولانا يُؤذِن بالشِّفاء من العَرَض، وسِمام أقلامه إذاكتَبَتْ عائدةً أو جائدةً أصابت الغَرَضَ وفُوْقَ الغَرَضِ .

وله : تقبّلَ الله منه وفيه صالح الأدْعيه ، وملاً بَحَاسِن ذكره وبِره الآفاقَ والأَنْديه ، وشكر هِبَاتِه و بركاتِه التي تَنْزِل بعارضِ الغيثِ قبل الاِستمطار وترفَعُ عارضَ الأَنْديه ، وشكر هِبَاتِه و بركاتِه التي تَنْزِل بعارضِ الغيثِ قبل الاِستمطار وترفَعُ عارضَ الأَلْمَ قبلَ الأَدْويه ، تقبيلَ معترفٍ بسابق النّعم ، مقيمٍ على صحّة العُبُودية والولاء في حالتَى الصّحة والسّقمَ ،

وينهى وُرُودَ مشرِف مولانا الكريم على يد فلان عائدًا من جِهة العياده ، وعائدًا من جِهة الصلت المعتاده ؛ ومُفْتقِدًا لاعَدِم الأولياءُ في الشَّدَة والرَّخاء آفتقاده ، ما كان إلَّا رَيْمَا نَشقَ العليلُ نَسَهاتِه الصحيحه ، وتناوَلَ كأسَ ألفاظه الصريحه ؛ وإذا بقانُون المزَاج قد همَّ باعتداله ، وكتابِ الشفاء والنجاة قد تسنَّت فوائد إقباله ؛ فتميز حال الصحة من المَرض ؛ واستعمل جَوْهَرَ الألفاظ فعَزَم على زَواله العَرض ؛ وبلّغ الولد فلان المشافهة وكلَّ مَقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلَّ أجو بته مُنوَّلةُ منوَّعة ؛ شكر الله عوارِف مولانا المتَّصِلة ، ورُسلَ آفتقاده التي منها العائدُ ومنها الصَّلة .

وله : فى جواب كتاب عيادة وارد فى يوم عيد على يد من آسمه جمال الدين محمود. شكر الله مِنَهَا التى إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ؛ وإذا كُررت الإنتقاد حَلا وإذا تصدّب لمودات القلوب صادّت ؛ تقبيل مخلص فى وكائه وآبتهاله ، مُقيم على صحة العهد والحمد فى صحّته وآعتلاله .

وينهِى ورُودَ مشرِّفة مولانا الكريمة على يد الولد جمال الدين مجود متفقدا على العاده، مكِّرا لعيادة الإحساب وإحسان العياده؛ فقابل المملوك بالحمد واردها، وبعوائد الاعتداد عائدها؛ وفهم ماتضمَّنته من تألمُّ قلب المالك على ضَعْف المملوك، وقَلَق خاطره على بَدن كبيت العروض مَنْهُوك؛ وأنه كان آبتدا ضَعْفُ المملوكِ فتالم، ثم تَلا خبرُ الصحة فتسلا: ولكنَّ الله سَلم ، ثم بلغه أنَّ آلامًا تراجعت ، وموادً واصلَّت بعد ما قاطعت ؛ فحملته خواطر الإشفاق على على تكرير العياده، وارتقاب فعلات الشفاء المستجاده؛ جاريًا من إحسانه وافتقاده على أجمل معهُود، باعثا مشرِّفته

⁽١) مراده وناول أى أوصل الملوك الخ تأمل .

⁽٢) في الأصول " كثيب" وهو تصحيف من الناسخ .

وحامِلَها وكلاهُما حسنُ الحال مُحُود ؛ فعند ماوصَلاَ أوصَلاَ كَالَ العافيه ، وحقّقتُ أَخْيِلَةَ النّهِ الشافيه ؛ وماكان المشكُو إلا مادّة يسيرةً وزالتْ، وبقيّة ضَعْف تولّت بحد الله و بركة مولانا وما توالَتْ ؛ وما عيّد المملوكُ إلا وشفاء الجسد في آذدياد ، والنفس بالوقت و بالمشرّفة في عيدَيْن قائميْنِ بأعياد ؛ لازالتْ مِنَنُ مولانا إزاءَ اللّهظ حيثُ دار، ووُدَّه وحمّاه جامعين فَصْلَ الجار والدَّار .

زهم الربيع:

لازالَ محروسَ الشِّيمِ، هاطِلةً سحائبُه بالدِّيمِ، مشكورًا بلسانَى الإنسانِ والقَلَم .

المملوك يقبِّل يَدَه الشريفَةَ مُؤَدِّيا للواجب ، ويواصِلُ بدعاءٍ صايح أصاره إنعامُه ضَرْبَةَ لازب .

وينهى إلى كريم علمه ورُود مشرِّفه الذي أبهج الأنفس وضاعف الصَّبَابه ، وأنى الصَّبْرَ عن مُعيَّاه و إنْ كان ماأفناه أيْسَرَ صُبَابه ، وأنَّه عَلِم منه إنعامه وتشوَّفه إلى المملوك و إلى سَمَاع أخباره ، وما أبداه من شفقة ألفت من إحسانه وعُرفت من كريم نجاره ، وتُحُقِّقتُ من شيمة على من يَنْاى عن بابه العالى وداره ، فالله يحرُس من كريم نجاره ، وتُحُقِّقتُ من شيمة على من يَنْاى عن بابه العالى وداره ، فالله يحرُس هذه الأخلاق التي هي أرق من الماء الزُّلال ، والشمائل التي تفعل بلطفها فعل الحديد المخديل ، والمملوك فوالله لايُحْصى شوْقه إلى الحدمة العاليمة ولا يَحْصُره ، ولا يَقْدِر على وصف مأسِرَّه من الأَنواق ويُظهره ، إنما الاعتاد في ذلك على شاهدَى عدل من خاطره وقلبه ، وهما يُغنيان المملوك عن شرح وَلاَئه بالسنة أقلامه ووُجُوه كُتبه ، وأما السؤال عن أخبار مِنَاج المملوك فإنه كان في ألم دائم ، وسُقْم مُلازِم : لشستة وأما السؤال عن أخبار مِنَاج المملوك فإنه كان في ألم دائم ، وسُقْم مُلازِم : لشستة المرض ، الذي كاد يحتوى على جَوْهر جسمه والعرض ؛ فُدْ ورَدَ كَابُ المولى انتعشَتْ قُوته ، وآشتت مُنتَه ، وصدقت في طلب تناؤل الغذاء شَهُوتُه ، وترجى

الشفاء بعد أن كان على شَفَا التَّلَف ، وكان له كالطبيب الآسِي في إزالة مَرَضِ الأَسَا والأَسَف ، وقد حصلت للملوك مَسَرَّتان بكتاب المولى وعافِيته ، وفَرْحتانِ بما أهداه إليه من عَهْو إنعامه وَعُو أثر الألم وتعْفِيته ، وكلُّ ذٰلكَ بسعادتِه .

ومنه : ورد المُشَرِّفُ العالى لا زَال قَدْرُ مُرْسِله شريفا ، وشَرَفُه الباذِخُ يَعمل كلَّ شريف مشرُوفا ، وسعائبُ جُوده تُهْدى إلى الأولياء من مكارمه تليدا وطَرِيفا ، وقواضبُه تَرُد [طَرْف] حوادث الأيام عنه مَطْرُوفا ، وأياديه تبعث لحبيه تُحَفا ، وهيبته تُهْدى إلى الأعداء خَوْفا ، والدهر بخدمة جَنَابه العالى مشغُوفا ، فوقف عليه وقوف مشتاق إلى مُسَطِّره ، متنزّة في ربيع ألفاظه وحُسْن أسطُره ، وعَرف منه إحسانًا مافتي يعرفه ، وتفضّلا مازال المولى بمشله يُتْعِفُه ، وما أشار إليه من شدة إيشاره ، لرُوية المملوك وسماع أخباره ، والذي يُنهيه أن جسده كان قد تضاعف إيثاره ، لرُوية المملوك وسماع أخباره ، والذي يُنهيه أن جسده كان قد تضاعف الوشي المنشم ، وألف ظ هي الرَّحيق المُخَمَّ بل الدُّرُ المنظم ، وسعر هو محلل وكل سعر الوشي المنسم ، وأخذ قسمه من السَّفم والوَصب ، فسقاه مشرِّفُه الصحة في كاس ، وأخذ قسمه من العافية أخر لباس ،

آخــر:

وَرَدَ الكِتَابُ فَعَمَّتِ الأَفْراحُ * وأَضَاءَ فَى لَيْلُ الأَسَا الإِصْباحُ! وَافْسَاتُ نَعْرُ للزَّمانِ بفَرْحةٍ * ولِلفظه طَرِبَتْ رُبِّى وبطاحُ! وتَصَوَّعَتْ أَرْواحُ طِيبٍ عَرْفُها * تَحْيا بِهِ الأَجْسامُ والأَرْواحُ! وسَقَىٰ شُكَلَفَ فَصَاحةٍ و بَلَاغَةٍ * ما ٱلمَسْكُ عَنْدَ شَمِيمِهَا ما ٱلرَّاحُ!

شكراللهُ مِننه ، وأخدمه زَمَنه ، ومنحَه من العَيْش أَعَضَّه واحْسَنه ، وشَرَّف ببقائه الدهْرَ وشنَّف بَمَدُحه أَذُنه .

المملوك يُنْمِى إلى علمه وصول مشرّفه الذى تنزّهت الأعينُ فى حُسْن مَنظَره ، ويانع ثمار لفظه البديع ووشي أسطره ، وأنه استَنشق من ريحه أطيب نَفْحه ، وتقمّص منه تَوْبَى دَعة وصّه ، فشفى داء شفّ منه جِسْمُه ، وزاد لوروده سروره وزال همّه ، وعلم إنعام المولى الذى لا يشُكُ فيه ، وإحسانه الذى لا يحْصُره لسانُ مادح ولا يُحْصِيه ، وما ذكره من الألم المُلمِّ به والشنال خاطره الكريم لما ألمً مادح ولا يُحْصِيه ، وما ذكره من الألم المُلمِّ به واشتعال خاطره الكريم لما ألمَّ بعيسمه ، والمرضُ بسعادة المَوْلى قد بَيّ منه قُلُه ، وتقلّص بعد ما المتد ظلّه ، والعافية نتجًل إن شاء الله تعالى برُوْية محيًّاه الكريم ومشاهدية ، والمُثول بين يديه العاليتين في خدّمته .

النـــوع الحــامس عشر (في الذَّمّ)

ذُّمُّ بخيل: لأحمد بن يوسف:

كَأَنَّ الْبُخْلَ والشَّوْم صارا معًا في سَهْمه، وكانا قبْلَ ذلك في قِسْمه، فحَازَهُما بالوِرَاثه، وآستحَقَّ ما آسْتَمْلك منهما بالشَّفْعة، وأشهَدَ على حيازتهما أهلَ الدِّينِ والأمانة، حتى خَلَصا له من كلِّ مانع، وسَلِما له من تَبِعة كلِّ مُنَازع؛ فهو لا يُصيب إلَّا تُخطيا، ولا يُخْطيا، ولا يُخْطيا في الله عنه ولا يُخْطيا في الله عنه ولا يُخْطيا في الله عنه والله عنه والله عنه والله والله عنه والله عنه والله والله يُخْطيا في الله عنه والله والل

وفى مشله : وصلَ كَابُك فرأيْسَاك قد حَلَّيته بَرَخَارف أَوْصَافك ، وأَخْلَيْتُهُ من حَقَائِقِ إِنْصَافِك ، وأَكْثَرْتَ فيه الدَّعَاوي على خَصْمك ، من غير بُرْهَانِ أَتَيْتَ به على دَعُواك وزَعْمك ،

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاقِ السَّنِيَّه، الشريفةِ الهَنيَّه، لاَستَوْحَش فى سُبُلها، ووقع فى مَضَّة منها، ولن يجِدَ مر. ِ سَلَفِه ولا نَفْسه دليلًا عليها، ولا هاديًا إليها.

ومنه : لأبى العَيْناء :

أما بعدُ ، فلا أعْلَمُ للعروف طريقاً أحْذَرَ ولا أَوْعَرَ من طَرِيقه إليك ، ولا مستَوْدَعا أقلَّ زكاءً ولا أبعَدَ ثمرة خيْرٍ من مكانِه عندك : لأنه يحصُلُ منك في حَسبِ دَنِي ، ولسان بَذِي ، ونَسَبٍ قَصِي ، وجهْلٍ قد مَلَكَ طِبَاعَك ، فالمعروفُ لدَيْك ضائِع ، والشَّكْرِ عِنْدك مَهْجور ، وإنما غايتُك في المعروف [أن] تُحْرزه ، وفي وَلِيّه أن تَكْفُرَ به .

ومنـــه : لمحمد بن الليث :

بَكُمْ عَلَنَ الظُّــلُمُ، وظهَرتِ البِدَع، وآنْدَفَنَ الحَقَّ، وعَنَّ الفاجِر، وظَهَر الكافِر، وفَشَتِ الآثَام، ونُقِضَت الأحْكام، وآثَخِذ عبــادُ الله خَوَلا، وأمُوالُه دُوَلا، ودينُه دَخَلا.

ومنه : لأب على البصير :

عَدُوَّكُ مُنْعِزِلُ عَنْكَ، وصديقُك على وَجَل منك؛ إن شاهدْتَه عاقَّك، وإن غِبتَ عنه حاقَّك؛ تسألُه فوق الطاقه، وتَرْهَقُه عند الفاقه؛ وإن اعتذَرَ إليكَ لم تَعْذَرْه، وإن استنْصَرَك لم تَنْصُره؛ وإنْ أنعَمَ عليك لم تَشْكُره؛ ولا يزيدُك السِّنُ إلا نَقْصا، ولا يُفيدك الغني الاحْرصا؛ تسمُو إلى الكبير، بقَدْر الصغير؛ وتشفُّ للتَطْفيف لالتَخْفيف، تعترض الناس بالسُّؤال، غير مُعْتَشم من الإمْلال، ولا كاره لأن يُنظَر اليك بعين الاستقلال؛ حتى لقد أخرجت الأضْغان، وقَبَّحْتَ الإحْسان، وزهَّدتَ المُحْسان، وقَبَّحْتَ الإحْسان، وقَبَّحْتَ الإحْسان، وزهَّدتَ

فى آصطِناعِ المعرُوف، و إغاثةِ المُلْهُوف، والنـاسُ منك بينَ أسرارٍ تُفْشىٰ، وبوَائِقَ تُخْشىٰ، وشناعاتٍ وارِدَه، ونَوادِرَ بارِدَه؛ وُدُّك تَخَلَّق، وشَكْرُك تَمَلُّق.

ومنه : 'لسعيد بن حميد :

رجلٌ يَعْنَفُ بِالنَّمَ عُنْفَ مِن قد ساءَتْه بُجَاوَرَتها، ويستَخِفُ بحقها السيخفاف من لا يَحَفَّ عليه مُحَلَها؛ ويُقصِّر في شُكُرها تقصير مَنْ لا يعلَمُ أنَّ الشكرير تبِطُها؛ ومن كانتُ هذه حالَهُ في الختيارِه لنَفْسه، فكيف أرجو حُسْنَ اختيارِه لى ؟ ومَنْ كان في مُدّة من التلاء الله بعيدة ما بين الطَّرَفَيْن لا أدرى أينفُ لُه بي الأجلُ إلى أقصاها؛ أم يُقصِّر بي في أَدْناها؛ فكيف يتَسع الصدر للصبر عليه ، إنَّ الله لا يَخافُ الفوت فهو يُمهِله ، وإنه إنْ ماتَ لم يخرُجُ من سلطان الله جلّ وعن إلى سلطان غيره فيعاجلُه ؛ وأنا على خوف من إعجال المدى عن بلُوغ [مناى فأذهب] حرِجًا صدرى، وعلى ثقة من الشَّغُلُ في الآخرة بنَفْسي عن التَّشْفي من أهل عداوتي وترتي ؛ وأحمدُ الله على الله على المَّذي ويُسحة العافية ،

النــــوع الســادس عشر • (في الأخبـــار).

قال فى ومواد البيان " : كُتُب الأخبار وإن كانت من الكُتُب الكثيرة الدوران فى الاستعال فليسَتْ مما يُمكِن تمثيلُه ، ولا حضر المعانى الوامقة فيه بُرسُوم تشتمل عليها ، نعم ولا أن نقدِّم له مقدّمة تكون توطئة لما بعدها ، كما يجرى الأمن في سائر فُنُون المكاتبات الأُخرالتي لاتخلُو من مقدّمات تحلُّ منها محلِّ الأَسَاس من البُنْيان ،

⁽١) هذه الزيادة يقتضيها المقام ٠

⁽٢) مراذه الواقعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل ٠

والرأس من الْجُمُّان ؛ لكن المقدِّماتُ التي تُوضَيَّعُ في الكتب من شَرْطها أن تكون مشتقَّةً من نفس معنىٰ الكتاب، ومُنهِّى الحبر لايمكنه أن يَسْتنبط من كل خبر ينهيه مقدّمةً تكون بساطا له ؛ و إنما يقول : كتبت من موضع كذا يومَ كذا، والذى أنهيه كذا؛ بل الذي يلزمه أن يتحدّاه بطاقَتِه، ويتحرَّاه بجهده، أن يبيِّنَ مايطالــُعُ به من الأخبار؛ ويكشفَه ويوَضِّحَه ويُفْصح عنــه ، ولا يقِفَ منه إلَّا عنــد الشفاء وَالإِقْنَاعُ لِتَتَقَرُّرُ صُورَتُهُ فَى نَفْسَ مِن يُنْهَيْهِ إِلَيْهِ ﴾ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدبُ العُدولَ عن لفظه الخاصِّ به، والإخبارَ عنه بألفاظ تؤدِّي معناه، ولا يهجُم على الْحُبْرَ بما يُسُوء سماعُه ، كأن يكون خبرا يرَفَعُه إلىٰ سلطان عن عبد له قد أَطْلَق فيه ما يَضَع منه ويُسْقِط مَهَابته ، أو نحو من ذلك مما يثْقُل على السلطان المنغص منه، فإنه ينبغي أنْ يُعدَل فيهذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض، ومن التصحيح إلى التَّمْريض، وعن المكاشَفَة إلى التَّوْرِية، وأن يَا تِيَ بَالفاظ تُدُلُّ على معانِي ما يُرُوم إبداءه، ويخرِص [على] صورة منزلة السلطان وتوقيره عن قَرْع سمعه بمــا يكرِّهه ولا تجوزُ مقابَلتُه به ؛ وأن يقصــد إلى آستعال الإيجاز والإطنــاب في المواضع التي تحتمل كُّلا منهما، فهذا ما يمكن أِن يُتعرَّف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نَفَذ فهمُــه وخاطرُه فى الصناعة وتدرَّب فيهـا ، يكتفِى بهده اللَّمْعة ولا يَحتاج إلىٰ زيادةٍ عليها .

فى الإخبار بُوتُوع مطر وسَيْل

من ترشُّل أبى الحسين بن سعد :

فالماءُ منه يَفيضُ على العُمْران، بعد أنْ ضاقَتْ به المَغَايِصُ والغُدْران، فأَتَىٰ على كثير من التَّلال والرَّوابِي، فضلا عن الرَّساتيقِ والقُرَىٰ ؛ وصار الوادى على ٱلنِّساع

عَرْضه، وآمندادِ طُولِه، وَسَعة مَصَبَّه، وفُسْحة مَغِيضه، لاَيْفِي بهَضْمه، ولا يَقُوم بَحَله؛ ففاضَ منه ماعَطَّل العُمْران ونَسَـف الدُّورِ وَتَحَق الزَّرُوع، فعَظُم به البَلاء، وكَثُرله الجَلَاء، وشمِل الفَسَاد، وعَظُم الخَراب .

صدركتاب بإخبـارِ عن الخليفة :

كتبت، ومولانا أمير المؤمنين في توطّد من خِلافته، وتمهّد من دَوْلته، وعُلُوِّ من رَأَيه، وعُلُوِّ من رَأَيه، ونَفَاذٍ من كلمته، وعِنِّ من سلطانه، وآرتفاع مِنْ شَانه، ونِعَم سابغة عليه وعلى أهل طاعته ، قالصة عن أعدائه وأهل مخالفته، وآستقامة من أطرافه وتُغُوره، وآستتبابٍ من أحواله وأموره ؛ والحمدُ لله على إحسانه حدًّا لايقف دُونَ رضاه، ولا يُحيط بمقداره سواه .

صدر بإخبار عن الوزير:

كتبت، وحضرة الوزارة السامية في نعم مُخْصِبة الأَكْناف ، بَعِيدة الأطراف، سادِرة الوَيْل ، ساحِبة الدَّيْل ، وما أَنظُرُ فيه من أمر دَوْلته منتظم، وأراعِيه من أحوال رَعَيته مُلتم ، وقد وَطَّا الله له أوْعار السِّياسة والتَّدْبير، ووَقفه على جَوادِّ المصلحة في التقديم والتأخير ، والحمدُ لله حمدًا يستقِلُ بحقه فيقضيه، وبواجيه المصلحة في التقديم والتأخير ، والحمدُ لله حمدًا يستقِلُ بحقه فيقضيه، وبواجيه فيؤدِّيه، ويَنتْهِي إليه عنَّ سلطانه فيُرْضيه .

صدر بإخبار عن أمير:

كتبت، والأمير في عُلُوَّ من سلطانه، وآرتفاع من شانه، وظَفَرٍ يُواكِبُ ألوِيَتَه، ونَصْرِ يُصاحِب دَوْلتَه ، ووافئ علَّ من ظِلَّه ، وشَمِلنى من فَضْله ، ماسَبغ لباسُه ، وطابت أغْراسُه ، والحمد لله آعترافًا بنعمتِه ، حمدًا يُوجِب شُمُولَ منَّته ، ويستدعى الشكرَ عليها ، ويقضى بمَزيد منها .

صدر باخب إرعن عافيةِ المكتوب عنه :

كتبتُ، وأنا صالحُ الحال، وقد مَن اللهُ تعالى بالعافية والإنعاش، والإقالة والا (١) (١) اش، وأعاد إلى الصحة بعد نَبْوِها وذَهَابها، والسلامة بعد نَبْوها وإغْرابها، وأسبَلَ النّعمة بعد الإندار، والتحذير من الإغْترار، محصًّا بما ألمَّ من الآلام عصب الأيَّام؛ والحمدُ لله أولى مأتليتُ به النّعم، وطُرِّز به المفْتتَح والمختَمَ، حمدًا يؤمِّن من التغيير والتبديل، ويُعِيذ من الانتقال والتَّحويل.

آبن أبى الخصال، فى الإخبار عن زَلْزَلَة عظيمة وقعَتْ بمدينة قُرْطُبة من الأنْدَلُس، الشيخُ الأجَلّ، الوليُّ الأكرمُ الأفضل؛ أبو فلان، الذى أطرفهُ اللهُ تعالى بعجائِب الأخبار، وأذْهَب به فى مَسْلَك الاَّ تِعاظ ومَنْهَج الاَّدِكار؛ أبقاه الله آخذًا في سَنَن الاَّنزِعاج وَنَهْج الاَرْدِجار، المخلص له المحض الناصِع من الوَلاء، ومَعْرفة غَيْب الآثار وعجيب الأَنْباء؛ فلان ،

سلامً عليكم ورحمةُ الله و بركاتُه .

أمَّا بعد حمد الله الذي جعل عبرَه أنواعا متلوّنة وصُنوا ، وأرسلَ الآياتِ وما نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفا ﴾ . والصلاة على سيدنا عبد المصطفى صلاة طيّبة تعبق تأريبًا وتضُوعُ تعريفا ؛ وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين حَضرُوا حُرو با وشَهِدُوا زُحُوفا ؛ والدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنيين في نَصْرِ عزيزٍ يُونِّس مَذْعو را ويُومِّن مَخُوفا ، فإني كتبتُه _ كتبَ اللهُ لكم دَعة حافظة وأمانا ، وتصديقًا بآياتِ الله البيّنة وبُرُهانا _ من موضع كذا ، عنْدَ ماطرًا علينا ما كمل العيون بقذاها ، ومَنعها لذيذ كراها ، وأخفق الضَّاوع الحانية وأقلق مَصارِين حَشَاها : وهو أنّ الله عنْ وجلً

⁽١) بيض في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَّر عباده إنْ نفَعت الذُّكْرَىٰ، ونَبَّهم إنْ تَنَبَّوُا ولم يَأْمَنُوا منه كَيْدًا مُبِيرا ولا مُكْرا؛ وَذَٰلُكَ بَرْلَزَالَ قَضَىٰ بِهِ عَلَىٰ قُرْطُبَةَ وَبِعِضِ أَعْمَالُهَا ، وَمَلاَّ نُفُوسَ سَاكِنِيهَا مَن رَوْعَاتُهَا وأَوْجِالِهَا؛ وحالَتْ لذلك في الخَوْفُ والارتِفاعِ أَقْبَحِ حالِمًا؛ حتَّى نَحَوَّا إِلَىٰ الاِسْتِكَانَةِ والضَّرَاعه ، وأطاعَ اللهَ مَنْ لم يَكُنْ له قَبْلَ ذٰلك طاعَهْ ؛ وخَشُوا بل كَانُوا يُوقِيُنُون أنَّهَا زَلزَلَةُ الساعه . وَكَانَ مَن عظيم آثارِها، وكرِّيهِ إيرادِها و إصْدارِها، ٱنْهِدامُ الْقُبَّة العُظْمَىٰ فِالمُسجِد الجامع صانَّهُ الله ، وكَانَتْ قُبَّةً أُسِّس علىٰ التَّقُوىٰ بِناؤُها ، وذَهبَ في المَشارق والمَغارب ذِكْرِها العاطرُ وتَسْاؤُها ؛ وتهدّمَتْ بسبّب ذٰلك الهَــدْم ديارٌ كثيره، وحدَثَ به حوادثُ مُبيره. وأما تلوكة من أعمالها، وكان فيها مَبْنَى من مَبَانِي الرُّوم، فإنه غادَرَها قاعًا صَفْصَفا، وقَرًّا نَفْنَفا؛ وٱضْطَرَّ ذٰلك الخَطبُ الفادِح، والرِّيحُ القادح؛ إلىٰ أَنْ خرج السيِّدُ أبو إسحاقَ وكافَّةُ أهل قُرطُبةَ من دِيَارهم، وفَرُّوا من الموت بأقُواتِهم وأصحابِهم ؛ ثم إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ تَداركَ بالرُّحْمَىٰ ، وَكَشَفَ تِلكَ النُّمْنَى، جعل الله ذٰلِك صَقْلا لُقُلُوبِنا ، وتَو بةً عما سَبَقَ من ذُنُوبِنا ؛ وعَصَمنا من جُرْمنا الْمُوبِقِ وحُوبِنا ، وأَوْلانا و إيَّا كم أمْن من الغير، وآزْدجاراً بمـا ظَهر من العسَبرُ؛ وجعل كَلَانًا جميلَ الحوادث طيِّبَ الحَبْرِ، بَمَنَّه؛ والسلامُ الطيبُ المبارَك ورحمةُ الله و بركاتُه .

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدوم نائبٍ إلى نيابةٍ .

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل المَالك الإسلامية تُعْبِرًا له بُوصُوله إلى دِمَشْق، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَاتة . وهو بعد الألقاب :

⁽١) لعله في الخفض .

⁽٢) جرى الكاتب فى كلا على لغة من يعربها اعراب المقصورعلى حد قوله :

نعم الفتى عمدت إليه مطيتى * في حين جدّ بنا المسيركلانا شرح الأشموني

لازالت آفاقُ المَاك مُضِيَّةً بأنوار شَمْسه، هَنيَّةً بأنس سعادته وسَعادة أنسه ؛ سَنِيَّةَ المَقَاصِدُ التي قام في كَفَالتِهَا بنَفَاسَة نَفْسَه ؛ ولا بَرِح يَستَثْمِر من خَيْر الدُّنيا والآخرة ماقَدُّم صُـنْعُه الجميلَ من غَرْسه . تقبيلًا يُشافه به القلُّمُ القَرْطاس ، ويَودّ المُلُوكَ لَوْ شَافَهُ بِهِ الْحِدَمُ سَاعِيًّا سَعْىَ الْقَلَمُ عَلَىٰ الرَّاسُ . ويُنهَى قيامَهُ بوظائِفِ دُعاء يُنسير الحَلَك، ووَلَاءِ يُدُورُ بِكُواكِب الإِخْلاص إدارةَ الفَلَك؛ وحُسد تَذْهب به صَفَحاتُ الصُّحُف حيثُ ذَهَب وتَسْلُك عُتُودُ الأفلاك حيث سَلَك ، وأنَّه خدم بهــذه الْعُبُوديَّة عند وُرُوده إلى دمَشْق المحروسة لنيابة كانتْ عنــايةُ مولانا ســفيرةَ أُمْرِها ، ومُمِّزَةَ بِرِّها، يوم كذا؛ وسعادةُ مولانا السلطان _ خلَّد اللهُ مُلْكَهَ _ تُعلِّمه وتُعْلَمه ، والغيثُ ببركات الدولة القــاهـرة يُسايره ويَقْدُمه ؛ وتَغْرُ المطريسابِقُ ثغرَ المملوك إلى مشافَهــة التَّري وَيَشْمُه ؛ والرعيَّة منه آمنــةٌ في سُربهــا ، وادعةٌ بظلال الأبواب الشريفة مع بُعْدها دَعةَ الصَّوارم في قُرِّبِها ، وباكر الملوكُ يومَ الآثنين الذي بُورِك فيه: في الخَميسيْنِ من يوم وجَيْش ، وٱنتصب لُهِـمَّاتِ على مثلها في الحدُّمة يَطِيب أن يَرْفُعُ لِينُ العَيْشِ ؛ عِتَهِدا فيما هو بصَدَدِه، مستمِدًّا من رَبِّه عن وجل وسعادة سلطانه بَرشَده،معتَدًّا نِعَمَ مولانا فيما يأتِي[ف] ذلك من أوفى وأوفَرِ عُدَده ومَدَدِه، والله تعالى يُعين الهـ لوكَ على شُكْر مِنَن مولانا الباطنــة والظاهره، والغائبة والحاضره، والمُقيمة والمسافره، ويصلُ نَفْع المملوك بوَلَايُّه فيالدنيا والآخِره؛ ويُقِيمِ الرَّعايا بالأمْن في كَفَالْته التي مابَرِحتْ بُعُيُون الأعداء فإذَاهُمْ بالسَّاهـر. •

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال فى "موادّ البيان": الأخبارُ على أكثر الأحوال لاأجْوِبةً لها، وإنما هى مُطالَعاتُ بأمور يُنْهِيها الحُـدُّام، وأصحابُ البُرُد إلى السلاطين، مما تخرُّج أوامرُهم

إلى الوُلاة بما تضمَّنته: مما يقتضيه كلَّ خبرينهى من سياسة عامَّة ، أو مصلحة تامّة ، قال : فأما ما يستعْمِله الإخوانُ فى المكاتبة بالأخبار التى يكلُ بعضُهم إلى بعض الإخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجوابَ ، ومنها ما لا يقتضيه ، قال : وأجو بةُ ما يقتضى الجوابَ منها تُفتَنُ بحسبِ آفتنان الأخبار والأغراض التى يحبب الحجيبُ ما يقتضى الجوابَ منها تُفتَنُ بحسبِ آفتنان الأخبار والأغراض التى يحبب الحجيبُ بها، وهو أيضا مما لا يعبَّر عنه بقوي جامع ولا بَرْسُم رَسْم كُلِّى ، و إنما يرجَعُ فيله إلى الأمور التى يبتدأ بها و يُجابُ عنها ،

النــــوع السابع عشر (المُدَاعبــةُ)

قال في ومواد البيان : ومعاني المُدَاعبَاتِ التي يستعْملها الإخوانُ غيرُ مُتناهيه، والأغراضُ التي ينتظمها المِزَاح وتُعدَّ من طَلَاقة النفس لا تقف عند قاصيه : لأنها مستملاةً من أحوا متباينه ؛ ومأخوذَةً من أمور غير معينه ، وحصرُها في رُسوم جامعة يستحيل، وتمثيلها غير مُفيد : لأنه لا تعلَّق لبعضها ببعض ؛ ولا نيسبة بين الواحد والآخر ؛ ثم قال : والأحسنُ بأهل الوداد والصَّفاء ، والأليقُ بذوي بين الواحد والآخر ؛ ثم قال : والأحسنُ بأهل الوداد والصَّفاء ، والأليقُ بذوي المخالصة والوقاء ؛ أن يتنزَّهوا في المُداعبة الدائرة بينهُم عن بَذي اللفظ ومُقْحشه ، ويكفُّوا اللسان واليد عن الإنطلاق بما يدُل على خفَّة ومؤ لم الحلام ، والرضا بالرَّذ ل من الكلام اللائق بسَفهاء العوام ، ويتعرَّجُوا من إرسالِ قول يَبْق وَصْمةً على إمدى الزيَّام] إذ لافرق بين جَرْح اللسانِ وجَرْح اليد، وقد نطق قول يَبْق وَصْمةً على إمدى الترفع عن دَنايا الأمُور التي لا يتناذَلُ إليها الكُرماء ، والتَّذَه عن المَساقط التي لا يستعْملُه الأَدبَاء ؛ وصيانة المُروءة عما يَشينها و يَغْدشُها ، وتَوْقيرها عن المَسَاقط التي لا يستعْملُه الأَدبَاء ؛ وصيانة المُروءة عما يَشينها و يَغْدشُها ، وتَوْقيرها عن المَسَاقط التي لا يستعْملُه الأَدبَاء ؛ وصيانة المُروءة عما يَشينها و يَغْدشُها ، وتَوْقيرها عن المَسَاقط التي لا يستعْملُه الأَدبَاء ؛ وصيانة المُروءة عما يَشينها و يَغْدشُها ، وتَوْقيرها

عما يَنْقُصها ، والأَمْنِ من الجواب الذي رُبِّما قَدَح في النفس وأثَّر، وأَحمَىٰ الصدْرَ وأُوغَىٰ ، وأَوْغَىٰ ، وتَقَلَ عن التَّوادُد إلى التَّضادُد، وعن التَّدانِي إلىٰ التَّبَاعُد؛ وقد أشارَ إلىٰ ذلك أميرُ المؤمنين على كرَّم اللهُ وجْهَه بقوله من أبياته المنسوبة إليه :

فَـرُبُّ كَلَامٍ يُمِضُّ الحَشَــا * وَفِيهِ من الضَّحْك ما يُستَطابُ

مع مُراعاةِ السلامةِ من المُداخَلةِ المُنطويةِ على الغلّ ، والمُراآةِ المبنيَّة على المَكْر ؛ إذا لم يكن القابلةِ على الاَبت داء المُمضّ بالجواب المريض، وغير ذلك مما الاتُومَن عاقبتَه ، ولا تَحْسُن عائدتُه ، قال : ويكون المستعمل في هذا الفَنِّ ماخَفَّ مَوْقِعُه ؛ ولَطُف مَوْضِعُه ، وهَشَّ له سامِعُه ، وتلقّاه الواردُ عليه مستَحْليا اليماره ، مستَلْعياً المُنظاره ، ولا يُعدَل به عن سَمْت الصَّدْق ، وطريق الحَق ، ومَدْهب التحرَّز من المَنْق ، ويُقتصر فيه على النادرة المستَظرَفه ، والنَّكتة المُستَظرَفه ، واللَّعة المستحسنة ، والفقرة المستغربة ، دُونَ الإطالة المُملَّة ، ولا يجعل المَنْح غالبًا على الكلام ، مُداخِلًا لجميع الأقسام : فإنَّ ذلك يُفسد معاني المكاتب ، ويُحيل نظام المخاطب ، ويضع من مَعْناها وإن كان لَطِيفا ، ويَذْهَب بجِـدُها في مَدْهب المَنْل ويُميله عن القصْد ؛ وإلى ذلك يُشير بعضُهم بقوله :

أَفِدْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ بالِحَدِّ راحةً * بَلَهُو وَعَلَّلُهُ بِشَيْءٍ مَنِ المَزْجِ! ولكنْ إذا أعْطَيْتَهُ المَزْحَ فليكُنْ * بِمِقْدارِ مَا يُعْطِىٰ الطَّعَامُ مِن المِلْجِ!

وأَنْ يَقْتَصِد مع ذلك ، ثم قال : وينبغى أن يَقْصد إلى آستِعْال الدَّعَابةِ في المواضِع اللائقة بها ، "والأحوالِ المشابِهةِ لها ؛ ولا يُودِعَ باباً من الأبواب ، مالا يحتَمِلُه من الطائقة بها ، "والأحوالِ المشابِهةِ لها ؛ ولا يُودِعَ باباً من الأبواب ، مالا يحتَمِلُه من الحطاب : فإنَّ القصْد في هذا النَّوْع من المكاتبات إنما هو الإعراب عن الظَّرْف والبَرَاعة ، والإبانَةُ عن طَلَاقة النَّفْس ؛ والا نسلاخُ من تعبيس الفَدامة

والجَهَامة؛ ثم عَقَّب ذلك بأن قال: ومَنْ وَقَف من ذلك عند الحدّ الكافي، ولَزِم فيسه الأدَبَ اللائق بأهلِ النَّصافي، دلَّ على ما ذكرناه، وشهد لمستعمله بإحراز ما وصَفْناه؛ ومَنْ تعدّىٰ ذلك عُدّ من الْمُجُون والْمُلاعبة، وحُسِب من رَذَالة الطبع ونَذَالة الخيم وسَفَه اللسان، وغير ذلك من الأمور التي لاتليق بالكاتبين الكرام، الذين هم خيار الأَنَام، ووُلاة النقض والإبرام، وخستم ذلك بأن قال: والكاتب إذا كان مهيًّا الطبع للإنطب عبرسوم الصّناعة ومُناسبة أوضاعها، أغناه الوتُوفُ على هذا القول المجمّل في آستعال ما يقع في هذا البابِ عن تمثيل مفصًل، ولم يذكر له مشالا.

إبن أبي الخصال :

سيّدى وواحدى الذى أجمّل ذكره ، وأوالي شُكْره ؛ لا زال مَغْناك رَحيب ، وَزَمَانُك خَصِيبا ، ولا زِلْتَ تَأْخُذ لِأُخْراك نصيبا ، عبدُك فلان مؤدّيها ينتجع الجيرام ، ويُبارى فى جَرْيها الأيَّام : فتارة يجمّع ، وأخرى يفرّق ، وطورًا يُغرّب ، وطورًا يُشَرّق ، وأمّ الحضرة - وصل الله حراستها ، وأدام بهجتها ونفاستها - والملك بها غَضَّ الشّباب، أخضر الحلباب، وإحسانك إحسانك، ومكانك من المُروءة مكأنك ، فأوسعه قرى ، وآما عينيه على الشّبع كرى ، أستغفر الله ، بل أعجده تبنا وعلفا ، وأركبه حَرْنا من الأرض ظلفا ، ودُونَكه لم يقلّب أرضه بيطار ، ولا لحناية به جَبّار ، وجُرْحُه جُبَار ، وعنده كما علمت دعاءً مُبَاح ، وثناءً فى الشكر مَساءً وصَباح ، والسلام .

⁽١) الظلف بالتحريك ماغلظ من الارض فلم يؤد [أى لم يظهـ ر] أثراً . انظر اللــان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضُهم إلى كمال الدِّينَ بنِ الأثير ، وقد جاء إليه فى بُستانه فلم يجِدْه ولا وجد مَنْ أَنْصِفَه .

حضر المملوكُ البُسْتان، مستَدْنِياً قُطوفَ الْإِنعامِ والإِحْسان؛ وٱسْتَمْطُر سِحَائبَ فضله، وهَنَّ إليه بجِدْع نَخْله؛ فلم تَتَساقَطْ عليه رُطَبًا جَنِيًا، فعلِم أنه قد جاءَ شَيْئًا فَريّا؛ فثبَّت نَفْسَه مع تَصاعُد الأنفاس، والطمعُ ينشده:

* مافى وُقُوفك ساعةً من باس *

فانطلق حتى أنى القرية مستطّعا أهلَها فأبوا أن يُضَيِّفُوه، مستعطفا حاشيَته الرقيقة المناوا حاشيته أن يستعطفُوه؛ وقال كلَّ منهم: تُطالِبُ بالقِرى كما تُطالِبُ بدينك! والحيث حيث شِئْت هذا فراق بَيني و بَيْنك! وعلم أنه لو أقام بها جدارا لَلَ أُعطى عليه أجرا؛ ولو حاول قرَّى لسَمِع من التوبيخ مالم يَسْتَطِعْ عليه صَبْرا؛ فرجع بُحُنَّى عنيه بعد مَشَاقٌ جَرَّعتْ كاساتِ الحَيْن؛ فأينَ هذه المعاملة مما نُشيعه عنه من كريم الجلال، وكيف تَشْكُو نَقْصَ حَظِّ وله كال الإحسان و إحسانُ الكَمَال.

الأجوبةُ عن رِقاَع الْدَاعبــــة

قال في وموادّ البيان": ينبغي المُجيب عن المُدَاعبة أن يشتق من نفس الابتداء جوابًا مناسبًا لها ، وأن يَبْنِيهَ متى أحبّ الأخذ بالفضل على المُسامحة ، واطّراح المناقشة ، والإغضاء عمّ يُمِضُ إبقاءً على المودة ، وتحسينًا لقُبْح الصَّديق ، وتعودًا لعادة الحلم والاَحتال ، وأن يُهبَ في الجواب مَذْهبَ الاِختصار ، وإيرادِ النَّكت الرائعة كما في الاَبتداء ، على ما تقدم ،

⁽١) كذا فى النسخ وهو على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة -

الفصل الشامن (في إخفاء ما في الكُتُب من السِّرِّ)

وهو مما تَمَسُّ الحاجةُ إليه عند آعتراض معترض من عدة ونحوه يحُولُ بين المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه : من مَلِكين أو غيرهما حيث لم تُفِد الملطّفات لضرو الرَّصْد وزيادة الفَحْص عن الكُتُب الواردةِ من الجانبيّن، وهو على نوعين :

النـــوع الأوّل (ما يتعَلَّق بالكتابة ، وهُو على ضربين)

الضــــرب الأوّل (ما يتعـــلَّق بالمكتـــوب به)

وذلك بأنْ يُكتَب بشيء لايظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعل فيه فعل المكتاب بشيء، فيعلا يكونُ مقرَّرا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مَسْحه بشيء، أو عَرْضه على النار ونحو ذلك .

وقد ذكروا لذلك طُرُقا :

منها — أن يُكْتَب في الوَرَق بلَبَنٍ حليبٍ قد خُلِط به ُنوشَادِر فإنه لاُتَرَىٰ فيــه صورةُ الكتابة، فإذا تُوِّب من النار ظهَرت الكتابةُ .

ومنها – أن يُكتَب في الورق أيضا بماءِ البَصَل المُعْتَصِر منه فلا تُرى الكتابةُ فإذا قُرِّب من النار أيضا ظَهَرت الكتابةُ .

⁽۱) أى من الباب الثانى من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهى ثمانية لاستة وتقدم فى ج ٦ ص ٥٣٥ أنها ستة موافقة الا صول فتنيه .

ومنها — انه يَكتُب فيما أراد من وَرَق او غيره بماء قد خُلِط فيه زاجٌ، فلا تظْهَر الكتّابةُ، فإذا مُسِح بماء قد خُلِط فيه العَفْص المدقُوق، ظهرتِ الكتّابةُ .

ومنها - أَن يَكْتُب في الورق غيرِ المُنَشَّى بالشَّبِّ المحلُول بماء المطر؛ ثم يُلْقيه في الماء أُو يَمْسَحُه به، فإنه إذا جَفَّ ظهرتْ فيه الكتَّابةُ .

ومنها ــ أن يكتُبَ بَمَرَارة السَّلَحْفاة فإنَّ الكتابة بهــا تُرَىٰ في الليــل ولا تُرَىٰ في النهــار .

ومنها - أن تأخذ الليمون الأسود وعُروق الحَنظل المقلُوَّة بزيت الزيتون جوْأَين مُساوِيَيْنِ وَتَسْحَقَهما ناعِمًا، ثم تُضيفَ إليهما دُهْنَ صَفَار البَيْض وَتكتُبَ به على جسد من شئت، فإنه يَنبُت الشَّعرُ مكانَ الكتابة، وهو من الأسرار العجيبة، فإذا أريد إرسالُ شخص بكتابٍ إلى مكانٍ بعيدٍ، فُعِل به ذلك، فإنه إذا نبتَ الشَّعر قُرئت الكتابة .

الضرب الث نى (ما يتعلق بالخَطِّ المُكتُوب)

بأن تكون الكتابةُ بقَلَم آصطَلَح عليه المُرْسِلُ والمُرْسَلِ إليه لا يعرِفُه غيرُهما ممن لعلّه يقف عليه ، ويستَّى التعمية ، وأهلُ زماننا يعبِّرون عنه بحَلِّ المتَّرْجَم ، وفيه نظر : فإنَّ الترجمة عبارةً عن كَشْف المُعَثَى، ومنه سُمِّى المعبِّر لغيره عن لُغة لا يعرِفُها بلغة يَعْرِفُها بالتَّرْجُمان ، وإليه يَغْعَلُ لفظُ الحلِّ أيضا ، إذ المرادُ من الحلِّ إذالة العقَّد فيصيرُ المرادُ بحلِّ المتَرْجَم ترجمة المتَرْجَم أو حَلَّ الحل ، ولو عُبِّر عنه بكشف المُعَثَى لكان أوفَق للغرض المطلوب .

ثم مبنىٰ ذلك علىٰ قاعدتين :

القاعدةُ الأُولىٰ _كيفية التعمية .

إعلَم أنَّ التعمية بالنِّسبة إلى كلِّ واحد من الناس باعتبار ما يجهَلُه من الخُطُوط، فيعَمَّى على العربيِّ في اللغية العربيَّة بالخُطُوط غير العربية، كالرَّوميَّة والعِبْرانِيَّة ويحوهما، إذا كانت حروف تلك اللغة تُوافِقُ لغة العرب، أو بقلَم مصطلَح عليه على وَعُوه من يجهلُ وَقَق حُروف العربية ، وكذلك يعمَّى على غير العربيِّ من الرَّومي ونحوه ممن يجهلُ الحربيِّ بالقلم العربيّ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مَذْهبانِ :

الْمُذَهَبُ الأَوْلُ لِ أَن يُكتَبَ بالأَقلام القديمة التي ليستُ بمتدَاوَلة بين النـاسُ مِل المُذَهِبُ الأَوْل مما لايغرِفُه إلَّا الآحادُ، إذا وافق ذلك القلَمُ اللغةَ التي تُريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدر يهم أنَّ أقلَّ اللغات المُعْل وهو سبعة عشرَ حوا ، وأطولهَ الأرمنيُّ ، وهو ستة وثلاثور حوا ، ثم قال : والترك عشرون حوا ، وكذلك الفارسيّ إلا أنَّ في الفارسيّ ثلاثة أحرف ليستْ في التركي، وهي الهاء والفاء والدال ، وفي التركيّ ثلاثة ليست في الفارسي : وهي الصاد والطاء المهملتان والقاف، والعبرانيّ وفي التركيّ ثلاثة ليست في الفارسي : وهي الصاد والطاء المهملتان والقاف، والعبرانيّ والسّريانيّ آثنان وعشرون حوفا [من أول أبجد إلى آخر قرَشَتُ ، واليُونانيُّ والروميّ والسّريانيّ أربعة وعشرون حوفا ولم قلم آخر ثلاثون حرفا ؛ والقبطيُّ آثنان وثلاثون حرفا ؛ وفي المناف وثلاثون حرفا ؛ والقبطيُّ آثنان وثلاثون حرفا ؛ والمُعْلَى العربيّ والمُغلَى وذكر أنَّ جميع الأقلام مقطّعة الحروف على أصطلاح أبجد ، خلا العربيّ والمُغلَى

⁽١) في هذا الحصر مخالفة لما تقدّم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه وحرر .

⁽٢) قد تقدّم أنه من أربعة وعشرين الى ستة وعشرين حرفا فننبه .

⁽٣) زائد في بعض النسخ .

والسَّرياني فإنَّ حروفها تُوصَل وتُقطَع، وقطع السرياني كالعربي، وأقلامُ المتقدّمين المُقرّرة : كالرُّومي والفَرَنْجي وغيرهما معلومةٌ لاحاجة إلى التمثيل بشيء منها.

المذهب الثانى – أرث يَصْطَلِح الإنسانُ مع نَفْسه علىٰ قسلم يُبْتَكِره وحُروف يُصَوّرها؛ وقد ذكر آبن الدَّريمِ أنَّ الناس آختلفَتْ مقاصِدُهم في ذلك :

فنهم — من يصطلح على إبدال حرف معين بحرف آخَرَمعين حيثُ وقع فى القلم المعروف بالقُمِّى، وهو أنهم جعلُوا مكان كلِّ حرف من حروف العربية حرفًا آخر من حروفها؛ فجعلُوا الكاف ميما و بالعكس، والألف واوًا و بالعكس، والدَّال المهملة راءً مهملة و بالعكس، والفاء ياءً مثناة تحتيةً و بالعكس، والفاء ياءً مثناة تحتيةً و بالعكس، فيكتب محمد «كطكر» وعلى «سهف» ومسعود «كعسار» وعلى ذلك، وقد نظم بعضهم ذلك فى بيتٍ واحد ذكر فيه كلَّ حرف تلو مايُبدَل به، وهو:

كُمْ أَوْ حَطٍ صِلًا لَهُ دَرْ سَعُ * في بَرْ خَشٍ غَضٍّ ثَج تَدَفق

قال : ومنهم ــ مَنْ يعكِسُ حروفَ الكلمة فيكتُب محمد «دمجم» وعلى «يلع» ·

ومنهم _ من يُبدِل الحرف الأول من الكلمة بنانيهِ مُطْلَقًا في سائر الكلام فيكتب محد أخو على «حمدم خا عويل» إلى غير ذلك من التمييزات .

ومنهم سمن يُسْدِل الحروف بأعدادها في الجُسَّل ؛ فيكُتب مجمد أربعون، وثمانية، وأربعون، وأربعة، وتعمل التعميةُ صفة محاسَبة .

ومنهم سم من يكتُب عوضَ عدد الحرف حُرُوفا وهو ابلغُ في التعمية؛ فيكتب محمد «لى بو لى اج » لأنَّ اللام والياء بأربعين وهي عدد مالليم الأولى، والباء

والواو بثمانية وهي عدد ما للحاء، واللام والياء أيضا بأربعين وهي عدد ما لليم الثانية، والألف والحيم بأربعة وهي عدد ماللدال، فكأنه قال : م ع م د ، و إن شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهــم ــــ من يجعَلُ لكلِّ حرفٍ آسمَ رجل أو غيره .

ومنهم – من يَضَع الحروفَ علىٰ منازل القمر الثمانيــة والعشرين علىٰ ترتيبهــا على حروف أبجد : فيجعل الألف للشَّرَطين ، والباء للبَطِين، والجيم للثُّرَيَّا ، وهكذا إلىٰ آخرِها ، فيكون بطنُ الحوت للغين من ضـظغ . وربمــا ٱصطُلِح علىٰ الترتيب علىٰ أسماء البُلْداري أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صُورَ الطير وغيره من الحيوانات، إلى غير ذلك من ضروب التَّعامِي التي لا يأخُذُها حَصْر. وأكثَرُ أهل هذا الفنّ علىٰ أن يُرْسُم الحروفَ أشكالا يختَرِعها قَلَمَا له مقطَّعـة علىٰ ترتيب حروف المعجم . والطريق في ذلك أن يُثبِت حروف المعجم ثم يُرتِّب تحتَ كل واحد شَكْلا لايماثِلُ الآخَرَ، فكلما جاءه في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لايقَعُ عليه غلطٌ؛ ثم يفصل بين كلِّ كلمتين : إما بخط أو بنقط أو ببياض أو دائرة أوغير ذلك؛ وأكثَرُ المتقدِّمين يجعلون الحرفَ المشدّدَ بحرفين ، والمتأخرون يجعلونه حْرْفًا واحدا ، وهذه صور حروفٍ مترَّجُم كان قد وصل إلى الأبوابِ السلطانية من مُناصحينَ في بغداد يُقَاس عليه اب ت ث ج ح خ د د د ر ر س ه ف ف کا س کا ر ا ن ک لے م ن ہ و لای سجد سی لا ح مد لے لد ہ خ

القاعدة الثانية ــ حلُّ المعمِّى، وهو مقصودُ الباب ونتيجتُه .

ويحتاج المتصدِّى لذلك مع جَوْدة الحَدْس وذَكَاء الفطرة أن يعرفَ اللغـة التي يروم حلَّ متَرْجَعِها ممـا وَقَع به التعميةُ فيها، ومقدارَ عدد حُروفِها؛ ولا خفَاءَ في أن حروفَ العربية ثمـانيةٌ وعِشْرون حرفًا، ويجب أنْ يعرِفَ الحروفَ التي تدخُل كلَّ لغة والحُروفَ الممتنعة الوتُوعِ فيها كما تقدّم.

ثم المَعَوَّل عليه، والمنصَّبُ القول إليه، فيا هو متَعَارَف في هذه المملكة لغــةُ العرب التي [هي] أشرفُ اللغات وأبْذَخُها .

والناظِرُ في حَلِّ مترجَمِها يحتاجُ إلى أصلين :

الأصلُ الأوّلُ _ معرفة الأُسِّ الذي يترتَّب عليه الحَلَّ ؛ والذي تَمَسُّ إليــه الحَاجُةُ من ذلك سبعةُ أَمُور :

أحدها _ أن يعرف مَقَادير الحروفِ التي تتركّب منها الكلمة .

وآعكم أن كلام العرب منه ما يُبنى على حوف واحد مسل «ق» من الامر بالوَقاية، و «ع» من الأمر بالوَعْي؛ ومنه ما يبنى على حوفين من الأفعال مثل «قُمْ» في الأمر بالأَكل ؛ ومن الحروف نحو : مِنْ فِي رُبًّ في الأمر بالأَكل ؛ ومن الحروف نحو : مِنْ فِي رُبًّ هَلْ بَلْ وَمَا الحروف نحو : مِنْ فِي رُبًّ هَلْ بَلْ وَمَا أَسْبِه ذَلْك ؛ ومن الأسماء المبنيَّة نحو : ذِي ذَا مَنْ كُمْ ؛ ومن الضمير مع حروف الجرّنحو : بِكَ لَهُ ؛ ومنه ما يُبنى على ثلاثة أحرف وأربعية وتحسية في الحروف والأفصال والأسماء ، ثم تدُّخُل فيه أحرف الزيادة العشرة ، وهي «هَوِيت السَّمانَ » وثلاثة أحرف أنحر، وهي الفاء وباء الجرّ وكاف التشبيه وهي «هَوِيت السَّمانَ » وثلاثة أحرف أنتر، وهي الفاء وباء الجرّ وكاف التشبيه

وكافُ الحطاب إلى أنْ تبلُغَ الكلمةُ على آصطِلاحِ الكُتَّابِ [أربعة] عشَرَحَهٰا ، كَقُولك مخاطبًا لرجلين [أنْشَآ] جُنينةً : أَفَلَمُ سُتَنَّها يَكُمَا أعدد تماها ،

قال آبن الدَّرَيْهِم: وليس فى كلام العربِ كلمةُ رُبَاعِيَّة الأصل أو ُمَاسيَّةُ الأصل ليس فيها حَرْف من الحُرُوف الذَّلَقِيَّة كاللام والنون والواو، والشَّفَوِية كالفاءِ والميم والباء إلا ماشَذَّ مثل «عَسْجَد» من أسماء الذَّهَب.

قال: ونهايةُ الأسماءِ العربيَّة قبل الزِّيادة خمسةٌ ، وشَدَّ (؟) مثلُ عَنْدَلِيب ، والأفعالِ قبل الزيادةِ أربعةٌ ، وليس في القرءان كلمة نُمَاسِيَّةُ الأصل سِوى الأسماءِ الأنجَمِيَّة مثل الرَاهِيم ، ولا يمكنُ أن يتكَرَّر حرَّف [ف] كلمةٍ واحدةٍ أكثرَ من خمسة كقول القائل مثل الراهِيم ، ولا يمكنُ أن يتكَرَّر حرَّف [ف] كلمةٍ واحدةٍ أكثرَ من خمسة كقول القائل مثل الراهِيم ، ولا يمكنُ أن يتكرَّر حرَّف إفي المحمد وهو المركب الكبير مثل عُكَّة وعُكك ، وأدبع كافات في قولك وكلم من وكلم علم كله .

الثانى – أن يعرِفَ الحروفَ التي لا يُقاربُ بعضُها بعضا بمعنى أنها لا تجتمع في كلمة واحسدة .

وآعلم أنَّ فى الأحرف مالا يُقارب بعضُه بعضا مطلقا بتقْدِيم ولا تأخير كالشاء المثلَّقة ، فإنها لاتقارِب الذالَ المعجمة والزاى المعجمة والسين والصاد المهملتين والضاد المعجمة، وكذلك الحيم لاتُقارب الطاء المهملة ولا الظاء المعجمة ولا الغين

⁽۱) بيض له فى الاصول وقد صححناه من المقام ، ولكن لم نعثر على هـــذا البنا. فى كتب اللغــة ولعله عامى تأمـــــل .

⁽٢) بياض في الاصل .

المعجمةَ ولا القافَ ولا الكافَ، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نُنْجَة و رَجْجَق وجُرْمُوق وجَوْلَق وجُلَاهِق ومَنْجَنيق وجَوْقة وجَوْسَق وصَنْجَق وسَنْجَق وجَرْدَق ونحو ذلك فليست عربيـة : لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة واحدة ؛ وكذلك الدال المهـملةُ لا تقارنُ الظـاءَ المعجمة والذالُ المعجمة لا تُقارن الزاى المعجّمةَ والصادَ والضادَ والطاءَ والظاءَ ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس بعربي"، مثل طبرزذ فارسي" والزُّطُّ نبطى" ، ولا تقارن السينُ المهملةُ الصادَ المهملةَ والضادَ المعجمةَ والظاء المعجمةَ ؛ ولا تقارن الصادُ المهملة الضادَ المعجمةَ ولا الظاء المعجمةَ ؛ ولا تقارن الضادُ المعجمةُ الشـينَ والظاء المعجمتين؛ ولا تقارن الطــاءَ المهملةُ الظاء المعجمةَ ؛ ولا تقارن القاف الغين المعجمةَ ولا الكافَ في كلمةِ أصلية ، وشــــدُّ نَغق الغُرابُ وناقة نَغيق ؛ ولا تقارن الكافُ الخاءَ المعجمةَ في كلمة أصلية ، ولا تقارن الميمُ البــاءَ الموحَّدة والفاءَ في كلمة أصليَّة إلا في فَم وأصــله فَوَه، وأما بَمُّ لأحد أوتار العُود فليس بعر بي ؛ والحروفُ الحَلْقيَّة لا يُقارن بعضُها بعضًا خَلاَ الهاءَ فإنها تَعْقُبها زائدة ، كهاءِ الضمير وهاء التأنيث، وتعقب العيْنَ أصليةً كالعَهْد والعَهْر وعَهِر؛ وليس في كلمة أصملية حرفانِ حلْقيَّان سِوىٰ ما تقدّم من الهاء، وقد تعقُب بواسطة كغَيْهَب وعَبْهر؛ أما حَيْهل فمرَّبة، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة : وهي الهاءُ والطاءُ المهملة (؟) والعينُ والغينُ والخاء المعجمةُ في أقِل كلمة سوى ماذكر، ولا في أثناء الكلمة إلَّا الهاء مع العين كهَلعَ والهاء مع الغين كأُهْيَعَ، والخاء مع الغين كَأْخْيَغ، والهاء مع الحاء المعجمة فى كلمة واحدة وهي هَبَيَّخَة ؛ ولا تجتمع الهـاءُ

⁽۱) فى الأصول العين المهملة وهوغير مستقيم · وفى كتب اللغة ناقة نغيق «أى باعجام الغين » اذا كانت تبغم مرة بعد مرة ·

⁽٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصليةُ مع الخاءِ المعجمةِ ، ولا الحاءُ المهملةُ والعينُ المهملةُ إلا أن تكون مركّبة مثل هرقصع (؟) والحَيْعَلة .

الشالث – أن يعرِف الحُروفَ التي لا تُقارن بعضَ الحروف في الكلمات الله قليلا، كمقارنة السِّين المهملة للشِّين المعجمة في شِسْع والشين مع الزاى كشَرْر والراء مع اللام كورك .

[واَعلم] أَنَّ الحرفَ الواحدَ يتكرر فى الكلمة الواحدة كثيرًا مثل دَهْدَه وتَهْنَهُ ونَهْنَهُ وَخَهْدَع وَحَشْحَص وَحَبْحَب وَحَمْحَم وجَلْجَل وخَلْخَال وشَــعْشَعة وزَعْزَع ودَغْدَغ وبَغْبَغ ونَعْنَع وعَسْعَس وزُعَازع وغَوْغاء وضَعْضاح وخَوْخ وما أشبه ذلك .

الرابع — أن يعرف ما يجوز تقديمُه على غيره من الحروف وما يمتنيع ، فالشاء لا نتقدم الشّين المعجمة ، والدالُ المهملة لا تتقدّم على زاى ولا صاد مهملة ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عَرَّبوا مُهنَدْن ، أبدلوا الزاى سينا فقالوا مُهنَدْس وهَندَسة ، والذالُ المعجمة لا تتقدّم الجيم ولا السّين المهملة ولا الشين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا كَاعربوا الفالوذَج من الفارسي قالوا فالوذق ، والشين المعجمة لا تتقدّم الزاك المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ، والطاء المهملة لا تتقدّم الزاك المعجمة أصلية ، والسين المهملة الا تتقدّم الكاف في كلمة أصلية ، والسين المهملة الا المهملة إلا قليلا كقولك الأمر ذُدِ الغَنم ،

⁽١) فى الأصل " على نون " وهو غير مستقيم كما لايخنى .

 ⁽٢) أورده القاموس بالذال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال و يوجد فى بعض كتب النبات بالدال المهملة .

الخامس — أن يَعْرِف ما لايقَع فى أوّل الكلمات من الحروف كالجيم لا تقع بعدها الناء المثناةُ فوق ولا الصادُ المهملة ولا الضادُ المعجمةُ ولا الغين المعجمةُ؟ أما الحِصَّ فمعَرَّب .

السادس – أن يعرِفَ أنه لايتكرَّر حرفُ فى أوّل كلمة إلاَّ من هذه العَشْرة الأحرفِ وهى: الكافُ واللامُ والمديمُ والنونُ والتاءُ المثناة فوقُ والألفُ والباءُ الموحَّدة والواوُ والقافُ والياءُ المثناة تحتُ ويجمعها قولك «كلُّ مَنْ تابَ وُقِي » وأقلها وقوعا كذلك الياءُ .

السابع ــ أن يعرِف أكثَرَ الحروف دَورَانا في اللُّغة، ثم الذي يليه من الحُروف في الكَثْرة إلىٰ أقلُّها دَورَانا .

وآعلم أنَّ كلامَ العرب أكثرُ ما يقع فيه على ما دلَّ عليه استقراء القرءان الكريم الألقُ ثم اللامُ ثم الميم ثم المياء المثناة تحتُ ثم الواو ثم النون ثم الهاء ثم اللام ألف المهملة ثم الذال المعجمة ثم اللام ألف ثم الحاء المهملة ثم الخاء المهملة ثم الخاء المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الشين المعجمة ثم الضاد المعجمة ثم النائ المعجمة ثم الناء المعجمة ثم المعجمة ثم الناء المعجمة ثم الناء المعجمة ثم الناء المعجمة ثم الناء المعجمة ثم المعجمة ثم

⁽١) تأمل هذا المثال وما بعده وحررهما .

قال آبن الدُّرَيْهِم : وقد يقع في لَفُظ غير القُرءان على خلاف ذلك كما يتعمَّدُون النَّظْم والنثر بغير ألف أو بغير نقط أو بغير عاطل الحروف أو ألفاظ قليلة ، وقد يكون الكلام ألفاظا قلائل لاتستوعب الحروف .

الأصل الشاني _ كيفيةُ التوصُّل بالحَدْس إلى حَلِّ المَرُّجَمِ:

قال آبن الدُّرَيْهِم : إذا أردْتَ حلَّ مأتُرْجِم لك، فآبداً أوْلا بعدد الحروف، وَكُمْ تَكَّرُّرُكُلُّ شَكُلِ مِنهَا مِنَّةً فَاثْبِتُهُ أَوْلَا فَاوْلاً . قال : وأوْلُ ماتستخرج الفاصلَةُ إن كان الذي عمَّى قد بالغ في التعميَّة، يعني بإخفاء الفاصلة في ضمَّن الحروف؛ وذلك أنك تأخذ حرفا فتظُنُّ أنَّ الفاصلةَ تكون الشاني فتُجْريه على ماتقرر من الكلمات مر ِ المِقاديرعليٰ ماتقدّم؛ فإنْ وافق و إلا أخذتَ الثالثَ ، فإن وافَقَ و إلَّا الرابع وهكذا حتى يصعُّ لك انفصالُ الكلمات، ثم تنظر أكثَرَ الحروف دَورَانا في الكلام فتُقاربُهُ مِن الترتيب المتقدّم في أكثر الحُرُوف دَوَرانا علىٰ ماتقدّم، فإذا رأيت حرَّفًا قد وقع فىالكلام أكثَرَ من سائر الحروف فنظنُّ أنه الألف؛ ثم الأكثر وُقُوعا بعده فَتَظُنُّ أَنَّهُ اللَّامِ ؛ ويؤيد صحةَ ظنك أن اللَّام يُدَار في أكثر آستعالاته تابعًا للالفٍ ؛ ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفسرد فنظن أنه اللام ألف؛ ثم أوّل ماتلَفَّق من الكلام الثنائيةَ بتقريب حُرُوفها حتَّى يصحُّ معك شيُّ منها فتنظر أشكالَها وترقُمُ عليها، وتُجْرِى الكلامَ في الثَّلاثيَّات حتَّى يصحَّ معك شيءٌ منها فترقُم نظائره؛ ثم مجرى الكلام في الرُّباعيَّات والحُمَاسيَّات على الوزن المتقدّم؛ وكلُّ ما آشتبه فاحتمل آحتمالين أو ثلاثةً أو أكثر تُثْبَتُ إلى حين يتعيَّن من كلمةٍ أخرى ؛ فما آنتظم لك من ذلك فَتُثْبِت الباقِيَ عليه؛ وإذا رأيت حرفًا قد تقدّم الألف واللام في أوّل الكلمة فتظن أنه إما باء واحدة وإما فاء وإما كاف غالبا .

قال : وينبغى أن يكتب للبتدئ أقلاكل كلمة على حدتها منفصلة ، وأن يكتب له الشّعر دُون النثر؛ فإنّ الوزن يساعده على ظُهور بعض الحُروف، كهاء التأنيث وتاء التأنيث الساكنة وتاء المتكلّم والساكن الذى لايمكن أن يكونَ إلا أحد حروف العلة الدائرة في الكلام وأمشال ذلك ؛ ثم ضرب لذلك مثلا بأنك إذا رأيت هذه الأسطر مكتو بة بهذا القلم

قال : فينبغى قبلَ كلِّ شيء أن يبدأ فيرقُمُ تحت كلِّ شكلٍ من هذه الأشكال كم تكرر مرَّة أُولًا فأولًا علىٰ هذا الْمثَال

فيجد قد تكرَّر معه هذا الشكل ﴿ أَكثر من كلِّ الأشكال بكثيرٍ، فيعلم أنَّه الألفُ فيرْقُم عليه في مواضعه، ثم المكرِّر بعده أكثَرَ من باقى الأشكال هــذا الشكل 3 فيظُنُّ أنه اللامُ ويحقِّق ظنَّه كونُه تابعًا للألف في سبعةٍ مواضِعَ من الكلام؛ ثم ينظُر فيجدُ فيــه حرفًا واحدا كلمةً فيظُنُّ أنهـا اللامُ ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثــةَ ثُنائيَّة ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه : بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا غلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل 🗿 الذي مع اللام ألف قد ورد مكررا في أوَّل كاســـة آمتنع أن يكون جما أو حاء أو خاء أو سينا أو عينا أو غينا أوهاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا ؛ ثم يجد الكلمةَ الخامسةَ ثُنَائيَّة ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه با جا دا ذا سا شا ضا فا ما نا يا، ثم يترجِّح أنهـا ما أو يا لأن هذا الشكل 🏒 قد تكرر أكثر من باقى الحروف فيكون إمَّا الميمَ أو الياء وإن قاربهما النون لكِنْ ما ويا أكثر وَقُعا في الكلام من نا فإنها غريبةُ الوقوع ، ثم رأينا هــذا الشكلَ المتقدّم قد تلا الشكلَ الذي مع اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هــذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثيــة المكرد أوّلها 🗢 🗖 🏂 بنا الحروف مع المسيم فظهر منها لفظة «ففي» لاغير؛ ثمنظرنا هذا الحرف 👝 فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام لاغير، فقلنا إنه الفاءُ: لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثَرَ من ذلك غالبا، فصَحَّ معنا أربِّ الكلمة الثالثـةَ «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرفَ المفرد «لا» والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدُنا الكلمةَ الحاديةَ عشرةَ قد تكرر [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يُمكن أن يتكَّرر حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جَرَّ بته على جميع الحروف، فقلنا : المَمَــات

المَــَاح المَــَـار المَــَاس المَــَاع؛ ورأينا هذا الشكل 🕇 الذي هو آخر الكلمة قد تكرر أكثَرَ من باقى الحروف بعد الألف واللام والباء ، فبتى أن تكون هــــذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنــا ولم يكن النونَ فعلَّمنا على الميم في مواضــعه؛ ونظرنا فرأينا هـِـذا الشكل ٢ أولَ الكلمة الرابعــة الثَّلاثيَّة وقد صح ثانيها اللام وثالثها الميم فيـرَّ بناها على هذه الحروف فسقطتِ الراءُ وبني أحد هذه : سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للمات الهاع الهاس ، فرأينا قبل الألف واللام حرفا يكون أحد هذه ب ل و : لأن الفاء علَّمناها ؛ ونظرنا هذا الحرف 🖍 قد تبع الألف واللام قبل الياء، ووجدناه بين البين في كلمة ثلاثية تكون إحدى هــذه أبا أذا أسا أنا ، فِحرَّ بن الكلمة على الباء والدال والسين والنون على أن يكون العين فحصل منه بعدَ الحوف الأوّل البياع ؛ ثم على أن تكون تاء فحصل منه الثبات السيات فسقط وبتي أبا أسا أنا ؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهي ثلاثية أوَّلُهَا اللامُ وثانيها هــذا الحرف 🧥 الذي قبل الياء وثالثها هذا 🕇 الدائر بين العين والتاء قلنا يقوم منها « لست » وسقط الباء والنون ، وإنَّمَا لم يقم منه « كسع » لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصح أن تلك « السيئات » ونظيرها « المــات » والثلاثية « تلم » وســقط علم ، فرقمنا علىٰ التاء في مواضعها وعلىٰ السين في مواضعها ، فصارت الثلاثية « أسا » فقد صح معنا من الكلمات : « فلا تَلُمُ يا لسُّتُ الممـات لا أَسَا ففي» وبِقَى الحرف الذي قبلَ السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة الثَّلاثية فيها ت ى فحرَّ بناها على الحروف فظهر منها « حتَّى » لايشارِّكها شيء فعلَّمنا على الحاء في مواضعها ؛ ثم نظرنا كلمـة خماسيةً قد بتي منهـا الحرفُ

الوسط، فِحَرَّبناها علىٰ الحروف فقام من ذلك : « حَسَرات حسكات حَسَنات » فعلمنا أنه حسنات : لأن هــذا الشكل ك تكرر أكثَرَ من باقى الحروف بعــد الألفِ واللام والياء والتاء، وقد صَعَّ الميم فأثبتنا النُّون في موضعها؛ ثم نظرنا هذا ً الشكل 1/ في أوّل كلمتين ثُلاثيّتين وقد صح من إحداهما ن ي ومن الأُنْحريٰ ل ي، فحرَّبنا الحرف فوجدناه إمَّا عينا أو واوا، فيقوم منهمًا عني على و بي ولي فتعين أن يكون عينا لقلة الحرف عن مرتبة الواو ؛ ثم نظرنا كلمة سُباعيَّة قد بق منها حرف مجهول، جَرَّبناها على الحروف فصحت «البّيانُ» لايشاركها لفظة أنرى، وللحرف هذا الشكل 🦳 الذي قبلَ السيِّئات فتعيَّنت الباء في مواضعها؛ ثم نظرنا كلمةً سُداسيَّة ثالثُها حرفٌ مجهول ، فحرَّ بناها فظهر منها «الكتاب»؛ ثم نظرنا كلمة نُهُماسيَّة قبل التي قبل «هذه» قد بقيَ حرفُ الوَسَط [منها] مجهولا، فحرَّ بناها على الحروف فقام لحيف لمدنف لمصنف فتعينت « لمصنف » بسبب سياق الكلام بلفظ « الكتَّاب » ورقمنا علىٰ الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقَّ منها رابعُها مجهولا، فِحْرَبِنَاهَا عَلَىٰ الْحَرُوفَ فَصَحَّت «الْمَوْصِل» وصحَّت الكلمة التي بعد لست أنها «أسلو» فرقمنا علىٰ الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولىٰ وهي ثنائيــة أقلها ص فجربناها فصحت صَدَّ، و إنما كناأخَّرناها لقلَّة وَقْع حروفها، ثم علَّمنا على الدال فوجدناكامةً ثنائية آخرها «د» فِحَّر بناها علىٰ باقى الحروف التي لم تظهر، فقام منها جد حد قد هد؛ ثم نظرنا كلمة ثلاثية فصح أقِلها ت وآخرها ل وسطها هذا الحرف 🛨 الذي قبل الدال في الثَّنائيــة، فحرَّبناها على الجيم والخاء والقاف والهاء، فسقطت الهــاء وبتي تجل تقل تخل؛ ونظرنا فرأيناً سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية « تَقُلْ » فَانتظم الكلام « لا تَقُلْ قَدْ أَسًا » ثم نظرنا الكلمة السادسة قد يق منها

ثانيها مجهُولا ، فحربناها على باقى الحروف فصحت « عَذُولى » ، فرقمنا على الذال في مواضعه ، ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين «لمصنف» وبين «الكتاب» أقلها هذا الشكل على وقد صح منها «ذا» فعلمنا أنّها «هذا» ورقمنا على الهاء ، ثم نظرنا الكلمة المنكل على وبين «منه» قد بقى رابعها ، فحرّ بناها على باقى الحروف فصحت «الوجه» ، ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بنى منها رابعها مجهولًا ، فحرّ بناها فظهر منها الدَّر ثيهم ، فتكل الحلّ وظهر الكلام :

صُدِّ عَنِّى فلا تَدُمُ يا عَذُولِى * لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَات لا تَقُلْ قَدْ أَسَا فَفِى الوَجْهِ منه * حَسَناتُ يَدْهَبْنَ بالسَّيِّئَات هذا البيانُ لمَصَنِّف هذا الكتاب، عَلِى بن الدَّرَيْهِم المَوْصِلي .

وعلى مثل هـ ذا المنوال يَعْرِى الحلّ ؛ ثم آنظر إلى حروف هـ ذا الكلام كيف جاءت أحدًا وعِشْرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم تُوجَد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قرّرت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت فى الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هى آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شىء بتقديم أو تأخير، وهـ ذا آتفاق : لأنه قد يَقَع الحرف قريبا من رُثبته كما تقدّم ؛ وكما تقدّمت الياء على الميم فى هـ ذا الكلام، والفاء على الميم والنّون، وتقدّمت الهاء على الميم أيضا ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقارَبة ما دَلّ عليه سِياقُ الكلام ،

ولْنَصْرِب مثالا آخَرَ : لتتضِحَ أنواعُ الحَلِّ .

وهذا مثال آخر أورده آبن الدُّرَيْهِم، وهو :

·HRXISERACIONIO ·HRXISTARIO ·HRXISTARI

فتعدّد المكررات من الأشكال كم مرّ وترقمها على هذه الصفة .

فتنظر فإذا أكثرها وقعا كلا ثم فحرر ثم كمل ثم هـــذين كل كما ثم هـــذين كل كل شم هـــذه مرحم كم فتظن أن ثم هـــذا الشكل كل الألف، وهـــذا وفح اللام: لكونهـــما أكثر وقعا

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرر أن اللام تكون تابعـــة للألف في أكثر المواضع ولم نجده تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هــــذا ﴿ هُو الْأَلْفُ وهــــذا 🅿 هو اللام ، ورقمنا عليهـــما في مواضعهـــما فإذا الكلمة الثانيــة الثَّلاثية فيها لامان، بني حرف آخرَها مجهول؛ فحرَّ بناها على الحروف فظهرت الهاء لايمكر. غيرها، فعلمنا أنها « لله » ورقَمَنا على الهاء في مواضعها، ثم وجدنا الكلمة أَنْجُمَاسَيَّةً قَدْ بَنِّي رَابُعُهَا مُجَهُولًا ﴾ فحرَّ بناها فظهر الهما ألهجا ألهما الهنا ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كلِّ الحروف بعدُ الألفُ واللام ؛ فظننا أنه الميُّم، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء وألحيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبــل الألف؛ فعلمنا أنها « ما » فرقمنا على الميم في مواضعها ، ثم رأين الميم قد تبعه في الثَّنَائيَّاتَ حرف يحتمل أن يكون مد من مس مض مط مع من ، ورأينًا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررتُ ثلاث لفظات؛ فعلمن أنها « من » ورقمنا على النون في مواضعه، ثم زأينا هذا الشكل 🔼 أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلن إنه الواو، ثم رأينا آخركاسة قد بقي منها رابعها مجهولاً ، فحرَّبُ اها فظهر والبهم والتهم والحهم والدهم والسهم والشهم والفهم واليهم ؛ ثم وجدنا هـــذا الحرف من الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثَّنائيَّات وَذَٰلُكَ أَكْثُرُ مَا وَقِع بِعَـٰدَ الْأَلْفِ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُ السَّاء ، ووجدنا قد بني من كلمة هذا الحرف فصَّحَّ أن يكون النَّهَىٰ وأُخرىٰ أُولِي ، فعلْمِنا أنها الياء ، فِربْتُ الحَرْفُ معها؛ فظهر بي ني، ووجدنا كلمة نُعماسيَّة هـــذا الحرف 🗙 وابعُها وبعَدُ حرِّفُ آخر، جَربناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبس اللبط اللبط اللبك اللفت اللفج اللفح اللفظ اللفق؛ ثم وجدنا هذا الحرف الآخر لذ أقل , كلمة بعده لامان وهاء؛ فحرَّبناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولًا ، جُرَّبناها ظهر

التَّمَام الحَمَام الذِّمام الشمام الغَمَام الكمام؛ فرأينا سياق الكلام يدُلُّ علىٰ أنه «ظَلُّل الغَمَام» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الفَهْم والثنائيــة، فرقمنا علىٰ الفــاء؛ ثم رأينا الكلمة الثالثة الثَّلاثيَّة ثانيها لام وآخُرها ياءً و بعدها «ما أنْهَمَا» فدل سياقُ الكلام على أنها «علىٰ» فرقمنا علىٰ العين، فرأينا الَّرباعيَّة التي بعـــد «وآله» قد بقي ثالثُها مجهولا؛ فِرَّ بناها فظهرتْ مَعْجِن مَعْدن فتعين مَعْدن والثنائية التي بعدها؛ وقيل «علم كل» فرقمنا على الدال في مواضعه ورأينا الكلمة الأولىٰ قد بيّ وسطها مجهُولا؛ فحرَّ بناها وظهرت الثمد الحمد الصمد، فدلَّ سياقُ الكلام أنها الحمدُ: لأن بعدها «لله على ما ألها » فرقمنا علىٰ الحاء في مواضعها، ورأينا الثالث مر. ِ الرَّباعيَّة التي بين علىٰ وظَلَّلَه ، فحرَّ بناها فظهرت « الذي » ورأينا الكلمة الخُماسيَّة التي بعد «مُحَدِّ» قد بقى رابعها [مجهولا] ، فحرَّ بناها فظهرت «النبي» فرقمناعلي الياء في مواضعها ورأينا قَد بِقِي ثَالَثُ السُّداسيَّة التي بعد «من» هـذا الشكل ن وهو ثالثُ رُباعيَّة أَوْلَهُ الْأَلْفُ وَثَانِيهَا فَاءَ وَآخِرِهَا حَاءً، وَثَانِي خَمَاسَيَّةً أَوْلُمُا وَاوَ وَثَالَتُهَا حَاءُ وَرَابِعُهَا بَاء وخامسها هاء؛ فتعينت الصاد، فالأولى « الصَّواب » والأُخْرَىٰ «أنصح» والأخرىٰ وكلما تمرّن الإنسان في ذلك ظهر له أُسْرَع بكثرة المباشرة ، ثم تعين رابع السُّداسِيّة التي بعد أفصح مَنْ أنه الضاد، وتَعين بسياق الكلام أن بعد بالضاد « في اللَّفظ نَطَق » فرقمنا علىٰ القاف فرأينا مجاريها الثلاثية من رأس المصراع « خَلَق » فرقمنا علىٰ الحاء، وتعينت الكلمة التي قبــل « مَنْ خُلق » أنها « خير » فتكلت الأبيات ْ وظهر أنها: الحَمْ لَهُ عِلَى مَا أَلْمَ مَا * مِنَ الصَّوابِ وعلى مَا عَلَّمَا * مِنَ الصَّوابِ وعلى مَا عَلَّما ثُمَّ صلاة اللهِ والسَّلامُ * على الَّذِي ظَلَّم اللهَامُ على اللهِ على اللهِ على الله اللهَامُ على الله على الله على الله على الله على الله على الله الله على الله على على على الله على الله على الله على والله على الله على ال

الكتابة : أنَّ بعض الملوك أمر كاتب أن يكتُب عنه كتابًا إلى بعض أثباعه يُطَمِّنه فيه لَيَقْبِضَ عليه عند ٱنتهاز ُوْرصةِ له في ذلك ؛ وكان بينَ الكاتب والمكتوب إليه صَداقةً فكتب الكتابَ على ما أَمَر به من غير خُروج عن شَيَّء من رَسْمه، إلا أنه المكتوبُ إليه، عَرَف أنَّ ذلك لم يكن سُدَّى من الكاتب فأخذ في التأويل والحَدْس فوقع فى ذِهْنه أنه يُشِير بذٰلك إلى قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ • فأخذ حِذْره، وآحترز علىٰ نَفْسه، و بلغ الملِكَ ٱحترازُه علىٰ نَفُسه فاتَّهم الكاتبَ فى أنه أَلْحَقَ فِي الْكِتَابِ شَيْئًا نَبُّه بِهِ عَلَىٰ قَصْدِ اللَّكِ ، فأحضره وسأله عن ذلك، وأمره بأن يكتُب الكتابَ علىٰ صُـورة ماكتَبَ به من غير نُحروج عــ شيء منــه ، فكتبه ولم يغـيِّر شيئا من رَسْمه حتَّى إنه أثبتَ صُورةَ الشدّة علىٰ اَلنُّون ؛ فلمــا قِرأه أُردت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَأُ يَأْتَمَرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأُعْجِب بذلك وعفا عنـــه

النوع الثاني

(الرُّموزُ والإشاراتُ التي لاتعلُّق لها بالخِطِّ والكتابة)

وهي التي يعبِّر عنها أهلُ المَعَاني والبيان بالآستعارة بالكِنايَةِ «بالنون بعد الكاف» وقد يعبِّر عنها بالوعي والإشارة .

ومن غريبٍ ما وقع في ذلك ما حكاه العَسْكريّ في ووالصناعتين": أنَّ رجلا من بَنِي العَنْبر أُسِرَ في بَنِي حَنْظلةً، وفَهِم عنهم أنهم يَقْصِدون الغارةَ علىٰ قومه بَني العَنْبرِ، فقال لبني حنظلةَ : إنَّ لى حاجةً عنــد أَهلي وأريد رسولًا من قومكم أرْسِــله فيها ، فأجابُوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجت بحُضُورهم ؛ فأحضروا له رجُلا فى الليل وقدْ أُوقَدتِ العربُ نِيرانَهـا ، فأقبل على الذى أتَوْه به وقال له : أتَعْقِل ؟ قال : إنِّى لعاقلُ . فقــال : آنظُر إلىٰ السهاء ونجومِها ، فَنَظَر ؛ ثم قال : آنظُرْ إلىٰ نيرانِ العرب ، فنظر ؛ فقال له : ماأكْثَرُ ؟ نجومُ السماء أو نيران العرب؟ فقال : إِنَّ كَلًّا منها لكثير ؛ قال : إنك إذًا لعاقل ، ثم دفع إليه حنظلةً وصُرّةً فيها رَمْل وصُرَّةً فيها شَــوْك ، وقال آذهبْ إلى قومى فادفَعُ إليهم هـــذه الحنظلةَ وهاتَيْنِ الصُّرَّتَيْنِ ، وقُلْ لهم يُعْرُوا ناقتي الحَمْراء، ويُرْحِلُوا جَمَلي الأوْرَق ، وسَلُوا أخى الأعور يُغْبِرُكُمُ الْخَبَر . فقال الحاضرون : ليس في هــذا ما يُنْكُر، آذَهَبُ في حاجته؛ فذهب إلىٰ بنى العَنْبرودفع إليهم ذٰلك وقَصَّ عليهم القصَّــةَ ورجع ، فبعث القومُ إلىٰ أخيه الأُعُورِ فَحْضرٍ ، فأخبروه الخَبَر . فقال إنه يقول : أَتَاكُمْ بِنُو حَنظَلَةَ في عَدَّ الشَّوْك والرَّمْل، و إنَّ نِيرانَ العرب تُعادُّ نُجُومَ السهاء، و يأمُرُكُم أن تَرْحَلُوا عن الدَّهْناء وانزلُوا مكانكذا؛ ففعلوا ورحَلُوا لوقتهم فصَبَّحهم بُنُو حنظلَةَ فلم يُدْركوا منهم أحدا . وفى معنىٰ ذلك ماحكاه المَقَــتر الشّهابى بنُ فضــل الله فى كتابه " التعريف " : فى الكلام على المكاتبة إلى الأدفونش مَلِك الفَرَنج بِطُلَيْطُلة من بلاد الأنْدَلُس؛ كان خبيتَ النيه ، سَيّى المفاصد لأهل الإسلام ، وأنه أرسل مَرَّة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية هــدية فيها سَيْفٌ وثوبٌ بنُدْقِيُّ وطارقة مستَطِيلة تُشْيِه النَّعش كأنه يقول : أقتُلُك بهذا السَّيف، وأكفّنك فى هذا الثوب، وأحمِلُك على هذا النَّعش ، قال : وكان الجواب أنْ أرسل إليه حَبْلا أسود وحَجَرا، أى إنه كلب يُرمىٰ بهذا الجَر أو يُربَط فى هذا الحبل ،

قلت: ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهريّة «بَرقوق» وتمرلنك يومئذ ببلاد العراق يُغاوِر الممالك الشامية لقصد الإستيلاء عليها ورد عليه كتابٌ من المملكة الحليية فيه : أنه وقع بتلك البلاد سَيْلُ عظيم ساق جملة من الأُسْد والنموّرة والحَيَّات، وأنه دَفَع حيّة عظيمة سَعة رأسها بقدر قوس، وقرئ الكتاب بحضرة السلطان، وحملُوا ذلك على ظاهره: من أنّ المراد حقيقة السيل، وأنه لقوّته ساق تلك الحيّة والسّباع وغيرها، وشاع ذلك بين الكافّة من الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعيّسة، ومضى الأمر على ذلك ؛ ثم ظهر أنّ المقصود بذلك السيل وما فيه هو تُمُرلَنك وعساكره ؛ وأنه كُنِي بالحيه العظيمة عنه نَفْسِه، وبالسّباع والحيّات عن عساكره ،

ومن لطيف ماوقع في ذلك أنه ورد على السلطان الملكِ الناصر «فَرَج بن بَرْقُوق» في أواخر دولته كتابٌ عن صاحب تُونُس من بلاد المغرب في آخره خطابا للسلطان (وعلى إحسانِكم المُعَوّل ، و بيتُ الطُّغرائيِّ في لامِيَّة العجم لايُتأوّل) فسألنى بعضُ أعيان ديوان الإنشاء عن المراد من ذلك ولم يكن الكتاب متضمنًا لغير الوصية

على يُحِمَّاج المَغَاربة ، وكان رَكب المغاربة قبلَ تلك الحَجَّة قد عرضَ لهم عارضٌ من عَرَب دَرْب الحجاز آجتاحُوهم فيه ، وقتلوا منهم خَلْقًا كثيرًا ، ونهبُوا منهم أموالا جَمَّةً ، فعرضتُ ذلك على أبيات اللامية ، فلاح لى أنه يُشِير إلى قوله فيها :

فَقُلْتُ أَرْجُوكَ لِلْجُلِّي لَتَنْصُرَ بِي ﴿ وَأَنتَ تَخَذُّكُنِي فِي الحَادِثِ الْجَلَلَ

والحُلْي بضم الجيم هي الأمر الجليل العظيم، والجلل بفتح الجيم في اللُّغة من أسماء الأضداد، يقع على الشيء الجليل وعلى الشيء الحقير، كأنه يقول: أنا كنت أرجُوك للأمور العظام لتنصرني فيها فخذَلْتني في هذا الأمر الحسيس، وهو الأخذُ بثأر حُجَّاج بِلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك: فاب ظني فياكنت أرجُوه فيك، وأؤمّله منك، وأشار بقوله لايتاقل إلى أنه لا يعل الحلل في قول الطّغرائي على الشيء الجليل كما قال الصّلاحُ الصفديُّ في شرح اللامية، بل على الأمر الحسيس: لأنه هو اللائق بالمتهام.

وآعلم أنَّ مثل هذه الأمورِ تحتاجُ إلى قوّة ذكاء وآحتدام قريحة من الذي يَقَع يسلم الرَّمُ، وإلى قوّة حَدْس من الذي يحاوِلُ إدراكَ المَقْصَد من تلك [المَعَامِي] كما يقع في الألغاز والأحاجِى لللْغِز، والمتصدّى لحَلِّ ألغازه والجواب عنه، والله تعالىٰ هو الهادى إلىٰ سبيل الصَّواب .

المقالة الخامسة (١) في الوِلَايات، وفيها [أربعة] أبوابٍ اللوول الباب الاول

في بيان طَبَقاتها وما يقعُ به التفاوُتُ ، وفيــه ثلاثةُ فصول

الفص___ل الاول

فى بيان طَبَقَات الولَا يات، وهي على ثلاثِ طَبَقَات

الطبقةُ الأُولىٰ _ الخِلَافة ؛ ولِمَا يكتب فى وِلَايتُها طريقان : إمَّا عهدُ من الخليفة الأُول ، وإما بَيْعَةُ من أَهْل الحَلِّ والعَقْد إن لم يُوجَدُ عهدُ من الخليفة قَبْلَه علىٰ ماسيأتى بيانُه إن شاء الله تعالىٰ .

الطبقة الثانية — السَّلْطنة ؛ ولِّ يكتَبُ فى ولايتها طريقان : أحدُهما العهْدُ من الخليفة، والثانى العهْدُ من السلطان قَبْلَه ، قال فى و التعريف " : أمَّا مَنْ قام من المُلُوك بغيْر عهْد، فلم تجر العادةُ أن تُكتَبَ له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والمُلُوك وما يُكتَبُ عن السلطان بالديار المصريَّة فى أقطار المملكة بمصر والشام والحِجازِ : مما يكتَبُ من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

⁽١) بياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف ٠

النـــوع الأوّلُ

(ولاياتُ أربابِ السُّيوف ؛ وهم علىٰ ثلاثة أصناف)

الصِّنف الأول – النُّواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالبُ مَنْ يَكتَب له منهم بالبلاد الشاميسة ومُضافاتها ، كنُوابِ السلطنة بدَمشُق وحَلَب وطرابُلُس وحَماة وصَفد والكرك ، ومُقدَّمى العسكر بعَزَّة وسِيسَ ، ونُوابِ القلاع بللدُن العظام ذوات القلاع الرفيعة القَدْر : كالنائب بقلعة دِمشْق ، والنائب بقلعة حَلَّت ، والنائب بقلعة حَمشْق ، والنائب بقلعة حَلَّب ، والنائب بقلعة صفد ، أمَّا طرابُلُسُ وحَماة ، فليس بهما قلعة ، وكذلك النيابات الصِّغار المُضافة إلى القواعد الكِبَار : كالقُدْس الشريف وحْمَ ومِصْياف من مُضافات دَمشْق ، وقلعة المسلمين والرَّحبة والبِيرة والرَّها وشَيْزَر وعَيْنتاب من مُضافات حلب ، واللَّذقية وطَرسُوسَ من مضافات حلب ، واللَّذقية وجَمَّد ، في من مضافات على ما سياتى بيانه وحِصْن عَكَّار من مضافات طرابُلُس وما يجرى عَرى ذلك ، على ما سياتى بيانه وحِصْن عَكَّار من مضافات طرابُلُس وما يجرى عَرى ذلك ، على ما سياتى بيانه مفصلا في مواضعه ، إن شاء الله تعالى .

أمًّا مأدُونَهَا من الِّنيابات فإنَّ نُوَابَ السلطنة بالمملكة يستقِلُّون بالتولية فيها .

قلت: والضايط فى ذلك أن كلّ نيابة كان نائبُها تَقْدِمةَ أَلْف فولايتُها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية؛ وكلّ ولاية كان نائبُها جُنْديًّا أو مقدًّم حُلْقة فولايتها عن نائب السلطنة بالملكة التي هي مُضافةً إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكلّ نيابة كان نائبُها أميرَ طَبْلخاناه أو عشرة رجًّا وَتَى فيها نائبُ السلطنة ، إلا أنّ تولية السلطان لنُواب رجًّا وَلَى فيها نائبُ السلطنة ، إلا أنّ تولية السلطان لنُواب الطبلخاناه أغلَبُ .

أمّا الديارُ المصريةُ فإنه كان يُكتَبُ فيها أوّلًا لوُلاة الوجهين : القبلِ والبَحْريّة جَرْيا على ما كان الأمر عليه في زمّن الحُلفاء الفاطميّين، وكذلك والى الإسكندريّة قبل أن تستقر نيابةً ، وواليا الوُلاة بالوجهين قبل أن يستقرا نيابتَيْن ، في جماعة أَخْرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الحُيُوش كإستادار وأميراخُور ومقدّم الماليك وواليّ مصر والقاهرة ؛ ثم صارت الكتابةُ لذوى الوظائف من أرباب السّيوف قاصرةً على النائب الكافل إذا كان موجُودا والنّواب المستجدين بالإسكندرية والوجهين : القبل والبحري ، وبطل ماعدا ذلك مماكان يُكتب ، وكأن المعنى فيه القُربُ من مَقرة السلطان ، والكتابة إنما تقع في الغالب مع البعد : لتكون حجمة للولى على بعد المدى ، ولا ينتقضُ ذلك بما يُكتب للخلفاء والملوك في الخضرة ، فإنّ ذلك من الأمور العامّة التي يُخافُ انتقاضها أو بمُحودُها ، إذ مشلُ ذلك لا يحوز في الولايات عن السلطان : لأنه من شاء عزَلَ مَنْ وَلّاه .

الصِّنف الشانى – ولاية أُمَراء العُرْبان، وهٰؤُلاء لاحظً لهم فى الكتابة بالولاية بالديار المصريَّة الآنَ، وربَّما يُكتب لأمرائهم بالملكة الشاميَّة : كأمير آلِ فَضْل، وأمير آلِ علِيّ، ومُقَدَّم جَرْم، وكذلك أميرُ مكة المشرَّفة، وأميرُ المدينة النبويَّة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، والنائبُ باليَنبُع من البلاد الحجازيَّة، والمعنى فى آختصاص مَنْ بَعُد منهم ماتقدّم في الكلام على أرباب السَّيوف مع ضَعْف شأن عَرَب الديار المصريَّة وعدم الإهمام بأمرهم،

الصنف الثالث – ولاية المُقدَّمين على الطَّوائف: كَقدَّمَى التَّرْكُان، والأكراد، والجَبلِيَّة بالبلاد الشامية، وأتابكِ طائفةِ الإسماعيلية بقِلاع الدَّعْوة، وحاكم البُنْدُق

ونحوهم؛ وهذه الطوائفُ ممن يكتَبُله إلى الآن؛ أما حاكم البُندُق، فإنه لم يُعهَدله كتابةً من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أنَّ المقرّ الشهابى بنَ فضل الله قد ذكر وصيَّته في و التعريف " ولعلَّه ممن كان يكتَب [له] في زمانه أو قبْلَه مم تُرك، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البُندُق وعدمِه كما في لباس الفُتوَّة، وأنه رُبَّما اعتنى به بعضُ الملوك فكتب له هم تُرك .

النـــوع الثانى (ولايةُ أرباب الأقلام ، وهم صنفات)

الصِّــنف الأوّل (أربابُ الوظائف الدينيَّـة، وهم علىٰ ثمـانيةِ أَضْرُب)

الضرب الأول – أكاير القُضاة بأقطار الملكة : كَفُضَاة القُضَاة بلَخَشْرة السلطانية بالدِّيار المصرية وتَغْر الإسكَندرية ، وكذلك قُضاة القُضاة بدَمَشْقَ وحَلَبَ وطراً بلُسَ وَحَمَاة وصَفَد والحَصَرك ، وقُضاة العَسْكر بالديار المُصْرية ، أما القُضَاة بالنِّيابات الصِّغار المضافاتِ إلى دمشْق وحلَبَ ونحوهما فولايتُهم إلى قُضاة القُضاة بها ، وقُضاة العسكر بدِمَشْق وحلَبَ ومافى معناهما إلى النَّواب بتلك الممالك .

الضرب الشانى – المُفْتُون بدار العَدْل بالديار المصرية؛ أما المُفْتُون بدار العدل بالمَالك الشاميَّة فولا يَتُهم إلى نائبها .

الضرب الشالث – أكابِرُ المحتسِبين : كمحتسِبَىْ مصر والقاهرةِ ؛ أما المالك الشاميَّةُ فلا يُولِّى فيها إلا نُوَابُها .

الضرب الرابع – أكابر المدرّسين في عامّة العُلُوم بأماكنَ مخصوصة : كالزّاويَة الخَمَّابِيَّة بالجامع العَتِيق بمصر، والمدرسة الصَّلَاحية بتُرْبة الإمام الشافعيّ بالقَرافة، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مُدَرِّسي الفِقْه والحديثِ والتفسيرِ وغير ذلك من العلوم الدِّننَّابة .

الضرب الخامس – أكابرُ الخُطَب، بجوامِعَ مخصوصةٍ بأقطار المملكة : كَمَامِعِ الضرب الخامس – أكابرُ الخُطَب، والجامِع الأُمَوى بالشام ونحوِهما .

الضرب السادس _ وُكَلاءً بيتِ المال بالدِّيار المِصرية وغيرها .

الضرب السابع — المتحدَّثُون على الوظائف المعتَبَرة : كنِقَابة الأشراف، ومَشْيَخة الشَّـيوخ، فماكان بالدِّيار المِصربة فولايتُه من السلطان، وتوقيعُه من ديوان الإنشاء، وماكان منها بالممالك الشاميَّة فولايتُها إلى نُوّاب السَّلْطنة بها .

الضرب الشامن _ المتحدَّ أُون على جِهات البِرِّ العامَّة المصلحة : كنظر الأُحباس وأنظار البِيارسْتَانات ونحوها : فما كان منها بالدِّيار المصريَّة : كَنظَر الأُحباس والبيارسْتانِ المنصوري وما أشبه ذلك فتوليتُه إلى تُوابها ، مالم يكن لها ناظر خاصُّ فيكون ذلك مختصًا به .

⁽١) لعله فتوليته منالسلطان، وتوقيعه مر. ديوان الانشاء، وماكان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ كما لايخفي تأمل .

الصـــنف الشاني (أرباب الوظائف الدِّيوانيـــة)

وَدُواوِ يُنْهَا عَلَىٰ ثلاثَةَ أَضْـــرُب :

الضرب الأقول - دواوينُ المال؛ وأربابُ الخِدَم بها ممن تُكتَب وِلاياتُهم من ديوان الإنشاء: إمَّا ناظِر، أو وَزِير، أو صاحبُ ديوان، أو شهادةً، أو آستيفاءً؛ فأمَّا الوِزارة فلا يُصَرِّح بها إلَّا للوزير بالأبواب السُّلطانية، وربما صُرِّح بها لوّزير دمشْقَ إذا ولِيهَا من آرتفعَتْ مرتبتُه، و إلَّا عُبِرَّعنه بناظِيرِ المُلكة.

وأما النّظر، فكنظر الدّواوين المعبّر عنه بنظر الدّولة، ونظر الخياص، ونظر الخوانة الكُرى، ونظر البيّوت « الحاشية » ونظر بيْتِ المال، ونظر الإصْطَبْلات السلطانية، ونظر دار الضّيافة والأَسُواق، ونظر خَرائن السّيلاح، ونظر البّهار والكارمية، ونظر الأهْراء، ونظر المواريث الحَشريّة، ونظر تغر الإسسكندريّة المحروس، وغير ذلك من وظائف الأنظار بالديار المصرية، وكذلك نظر المملكة بطمّرة أبلك، بدمَشْقَ إذا لم يُصَرِّح لمتوليّه بالوزارة، ونظر المملكة بحلّب، ونظر المملكة بطرابلكس، ونظر المملكة بعماة، ونظر المملكة بعنوة، ونظر المملكة بالكرّك .

وأمًّا صَحَابَةُ الدِّيوان، فڪصَعَابة دِيوان الجَيْش وصَحَابة ديوان الخاصِّ، ونحو ذلك .

وأمَّا الشَّهادة ، فكشَهادَة الحَزَانة الكُّبرى، وشهادة خِزانة الخاصِّ ونجوهما .

وأمَّا الاِستيفاء ، فكاسْتيفاء الصَّحْبة ، واَستيفاء الدَّوْلة ، واَستيفاء الخاصّ ، ونحو ذلك ، ولاحظ لغير النَّظَّار من دَواوين الأموال بالمالك الشاميَّة : من صاحب ديوان ولا شاهد ولا مستَوْف ، في الكتابة بالولاية من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ، بل ولايتُها من نُوّاب المالك الشامية بتواقِيعَ من دَواوين الإنشاء بها ،

الضرب الشانى – دَواويرُ الجُيوش بالديار المصرية وغيرِها من الممالك الشاميَّة. وأربابُ الحِدَم بها لايخُرُجُون عن ناظرٍ، وصاحبِ ديوانٍ، وشاهدٍ، ومستَوْفٍ .

والذين يُولُونَ عن السلطان منهم [و] تُكْتَبُ تَوَاقِيعُهم من ديوان الإنشاء الشريف ناظر الحيش بالأبواب السلطانية، وناظر الجيش بدمشق، وناظر الجيش بصفد، علب ، وناظر الجيش بطرابُلُس، وناظر الجيش بعساة، وناظر الجيش بالكرك، وصاحب وناظر الجيش بغزّة ، وناظر الجيش بسيس، وناظر الجيش بالكرك، وصاحب ديوان الجيش بالأبواب السلطانية، والشّهود، والمستوفون بها؛ أمّّا مَنْ عدا هولاء: من نُظّار الجيش وأصحاب الدواوين والشّهود بالهاك الشامية، فولايتهم إلى نواب السلطانة بها .

الضرب الثالثُ _ دَواوينُ الإنشاء ؛ وأربابُ الخِدَم بها لايخرُجُون عن كاتبِ سِرِّ، وكاتب دَسْتٍ ، وكاتبِ دَرْج .

والذين يُوَلَّوْن عن السلطان من كتَّاب هذه الدَّواوين وتكْتَب تواقيعُهم من ديوان الإنشاء السلطانية، وصاحبُ ديوان الإنشاء بالأبوابِ السلطانية، وصاحبُ ديوان المكاتبات بحلَبَ ، وصاحبُ ديوان المكاتبات بحلَبَ ، وصاحبُ ديوان المكاتبات

بطرأبُلُسَ ، وصاحب ديوان المكاتبات بحماة ، وصاحبُ ديوان المكاتبات بصفَد ، وكاتبُ الدَّرْج بِالكَرَك ، بصَفَد ، وكاتبُ الدَّرْج بِسِيسَ ، وكاتبُ الدَّرْج بِعَزَّة ، وكاتبُ الدَّرْج بالأبواب السلطانية ، وكاتبُ الدَّرْج بالإبواب السلطانية ، وكتَّاب الدرج بالإبواب السلطانية ، أما تُكَّاب الدَّرْج بالمَالُك الشامية فإلى نُوابها بتواقِيعَ من دَواوين الإنشاء بها .

النوع الشاك النائب الوظائف الصّاعيّة)

كَالْأُطِبَّاء، والكَحَّالين، والحَرائِحِيَّة، ومَنْ جرى مَجْراهم من سائر أربابِ الوظائف التي هي من تَتِمَّة نظام المُلُك، فما كان منها بالأبوابِ السلطانية فولايته عن السلطان بتَوْفِيع من ديوان الإنشاءِ السلطاني، وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى نُواب السلطنة بها .

النـــوع الرابع (ولاياتُ زُعَمَاء أهل الذِّمَّة . وهي ضربان)

الضرب الأوَّلُ _ وِلايةُ بِطَارِكة النَّصارىٰ من اليَعاقِبة والمَلِكانِيَّة .

الضرب الشاني - وِلايةُ رئيسِ اليهُود الحاكم على طوائِفِهم .

⁽١) لم ينص على من له توليتهما .

النـــوع الخامس (ما لا يختَصُّ بطائفة ولا يندرج تحت نَوْع)

كَلِّ فَرْدٍ فَرْد : إما آبتداءً ، وإما بالحملُ على ما يَبِده من ولاية سابقة : مر نائب أو قاضٍ أو ناظر وقْف أو غير ذلك ؛ مما لا ينحصرُ كثرةً .

قلت : وربَّ وَلَّ السلطان في بعض الوظائف بالمالك الشاميَّة مما تختصُّ توليَّته بُنُوّاب السلطنة إذا كانتِ الوظيفةُ وضيعةَ المُنْزِلة وأدركتِ المُولِّ عِنَايَتَهُ، وربَّ وليَّ بعضُ نُوّابِ السلطنة ما تَختصُ توليتُه بالسلطان إذا عظمتُ رتبةُ النائب وآرتفعتْ منزلتُه ، خصوصًا إذا كان نظامُ الملكة محلُولا وأمُرها مضْطَرِ با .

الفص__ل الثاني

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ماتجبُ على الكاتب مراعاتُه في كتابة الوِلايات على سييل الإِجمال)

قال الشيخ شِهابُ الدين محمودُ الحلبيّ رحمه الله في ووُحُسْن التوسلَّ: يجبُ على الكاتب أن يُراعيَ في ذلك أمورًا .

منها — بَرَاعَةُ الاَسِتَهلال بذكر الرَّبَّنِة، أو الحالِ، أو قدرِ النَّعمة، أو لَقَبَ صاحب الولاية، أو أشيه ، بحيثُ لا يكونُ المطَّلِع أجنبيًّا من هذه الأحوال، ولا بعيدًا منها، ولا مباينًا لها ، ثم يستصحِبُ ما يناسب الغرضَ و يوافق القصد من أول الحُطْبة إلى آخرها .

ومنها — أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يُعْطِى أحدا فوق حَقّه، ولا يَصْفُه بأكَثَرَ مما يُراد من مثله؛ ويراعى أيضا مقدار النعمة والزَّتبة فيكون وصْفُ المنَّة بها على مقدار ذلك .

ومنها – أن لا يصفَ المتولِّى بما [يكون] فيمه تعريضُ بذَمِّ المعْزُول (١) ومنها – أن لا يصفَ المتولِّى بما [يكون] فيمه تعريضُ بذَمِّ المعْزُول (وَتَقْيِصُ له] ؛ فإنّ ذلك مما يُوغِ الصَّدور، ويُورِث الضَّغائن في القلوب، ويدلُّ على ضَعْف الآراء في آختيار الأقل ، مع إمكانِ وصْف الثاني بما يحصُل به المقصُود من غير تعريض بالأقل ،

ومنها — أن يتخبَّر الكلامَ والمعانِىَ فإنه مما يَشِيع ويَذِيع ، ولا يُعْـذَر المقصِّر في ذُلك بَعَجَلة ولا ضِيقِ وقت ، فإنَّ عَجَال الكلام متَّسع ، والبلاغة تظهَر في القليل والكثير .

⁽١) الزيادة مِن "حسن التوسل" ص ١١٠ .

قلت : ومنها أن يَحْرِص الكاتبُ على أن تكون نهايةُ السجعة الأُولى في السَّطر الأوّل أو الثانى ولا يُؤخِّرها عن ذلك ، ومماكان يراعى في ذلك أن تكون الخطبةُ من أوّلها إلى آخرها على رَوى واحد في السَّجْع، وكذلك الدعاء في أوّل صِغَار التواقيع والمَراسِم المبتدأة بلفظ « رُسِم » بخلاف مابعد ذلك إلى آخر ما يكتب، فإنه يتّفق فيه روى السجعتين والنّلاثِ فما حوْلها ، ثم يخالفُ رويّها إلى غيره ، ولا يكلّف فيه روى السجعتين والنّلاثِ فما حوْلها ، ثم يخالفُ رويّها إلى غيره ، ولا يكلّف الكاتبُ الإتيانَ بجيعها على روى واحد ، وعلى ذلك كانت طريقة خُول الكُتّاب بالدولة التركية، كالقاضي محيى الدّين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهابِ الدين محمود الحليى ، والمقر الشهابي بن فضل الله ، ومَنْ عاصرهم إلّا في القليل النادر ، فإنه رُبّا الحليى ، والمقر الشهائي بن فضل الله ، وإلى هذا قد جنَع غالب كُتّاب ديوان الإنشاء وقع لبعضهم مخالفة رَوِى الحطبة ، وإلى هذا قد جنَع غالب كُتّاب ديوان الإنشاء في زماننا ومالُوا إليه : لما في الترام الرّويّ الواحد في جميع الخُطبة من التكلّف وعُشر التلفيق على مَنْ يتعاناه ،

ثُمُّ الكلامُ فيا يُكتب في الولاية قد يكون جميعُه بلفُظ الغَيْبة ، مثل أن يقال : عهد إليه بكذا ، أو قَلَده كذا ، أو فَوضَ إليه كذا ، أو أنْ يستقر في كذا ، وبحو ذلك ، ثم يقال : وأمّره بكذا ، أو ونحن نُوصِيه بكذا ، أو فعليه بكذا ، وما أشبه ذلك ، وقد يكون جميعُه بلفظ الخطاب، مشل أن يقال : وقد عهد إليك بكذا ، أو قلدك كذا ، أو فقليك بكذا ، أو قلدك كذا ، أو فقليك بكذا ، ونحن نُوصيك بكذا ، أو فعليك بكذا ، ونحوه ، وقد يُصَدر بلفظ ونحوه ، وقد يُصَدر بلفظ الخيبة ثم يُلتفت منها إلى الخطاب ، وقد يُصَدر بلفظ الخطاب ثم يلتفتُ مما الخطاب ، وقد يُصَدر بلفظ الخطاب ثم يلتفتُ مما الله الخطاب ، وقد يُصَدر بلفظ ستقفُ على تنويعه في خلال كلامهم في أصناف الولايات الآتية في هذا الكتاب ، وقد تعالى .

القصيل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة (في بيان مايقَعُ به التفاوُتُ في رُتَب الولايات، وذلك من سبعة أوجُه)

الوجــــه الأوّل (الألقــابُ، وهي عــــليٰ ثلاثة أنواع)

> النــــوع الأوّل (ألقابُ الْحُلَفَــاء)

وسبيلُها الآختصار دُونَ البَسْط، آكتفاءً بما هو ظاهِرٌ من أُبَّة الخلافة، وعُلُق مَقَام الإمامة، إذ هي الزَّعامة العُظْميٰ، والرتبةُ التي هي أعلىٰ الرَّتَب وأشمىٰ .

وهي صنفاري :

الصنفُ الأول – ألقابُ الحلفاء أنفسهم، وغايةُ ماينعَتُ به الإمام وأميرُ المؤمنين. الصنف الثاني – ألقابُ أولياءِ العَهْد بالخلافة، وألقابُهم نحو السيِّد الجليل وذَخيرة الدِّين، ونحو ذلك على ماسياتي بيانُه في عهُود الحلفاء عن الحُلفاء.

النـــوع الثانى (ألقابُ الْمُلُوك، وهي صنفان أيضا)

الصنفُ الأوّلُ – ألقابُ السلطان نفْسه، والكُمَّابُ تارة يبتدئُونَهَا بالسلطان، وتارة يبتدئُونها بالسلطان، وتارة يبتدئُونها بالمَقَام، ولكلَّ منهما نعوتُ تَخصُه، وسيأتى الكلامُ على خُهُود الملوك عن الخلفاء، إن شاء الله تعالىٰ .

الصنف الثانى ــ ألقابُ أولياء العهد بالمُلك ، والملوكِ المنفَردين بولاية صِناً البُلدان عن السلطان الأعظم، وهي لأَتُفْتَتَح إلَّا بالمَقَام ليس إلَّا ، ولها نعوتُ تخصُّها يأتى الكلامُ عليها في الكلامُ على عهُودهم أيضاً .

النـــوع الشاكث (ألقابُ ذَوى الولاياتِ الصادرات عن السلطان : من أرباب الوظائفِ الواقعةِ في هــذه المملكة)

وقد تقدَّمَ في الكلام غلي الألفاب في مقدّمة الكتاب أنَّ أصولَ الألقاب المستعملةِ في ذلك خِمسةُ ألقاب علىٰ الترتيب : وهي المَقَرَّ، ثم الْجَاب، ثم الْجَلِس، ثم مُجلس مضافا : كمجلس الأمير، ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس الصَّدْر، ثم الآقتصارُ على المضاف إليه وحذفُ المضاف : كالأميرِ والقاضي والشيخ والصَّــدْر ؛ ويلتحق بذلك لأهل الِّذَّمَّة الحَضْرة ، وحَضْرة الشــيخ، والشيخ مجرِّدًا عن حَضْرة، وتقدُّم في الفصل الأوِّل من هــذا الباب أنَّ أربابَ الولايات خمسةُ أنواع : أربابُ السُّيُوف، وأربابُ الأقلام، وأربابُ الوظائف الصِّناعية، وزُعَمَاء أهل الذمَّة ، ومَنْ لايختص بطائفة لِصِغَرهم . وجميعُ هــذه الأنواع على آختلاف أصنافهم لا يخُرُجُون عن الألقاب المتقدّمة ؛ وقد تقدّم الكلامُ على هـذه الألقاب وُنعوتِها لمن يُكاتَب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف مستوفى في المكاتبَات، إلَّا أنه قد يُولِّي عن السلطان مَنْ لم يؤَّهُل للكاتبة عنه ، كأكثر أرباب الوظائف من حَمَلة الأقلام وغيرهم ، فاحْتِيج إلىٰ تعريف مراتبِ الألقاب لكلِّ نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السَّيوف، فأعلىٰ ألقابِهم المَقَرَ، وأدناها مجلِسُ الأمير، ثم الأمير مجرّدا عن مجلس .

وأمَّا أرباب الوظائف الصِّناعيَّة، فأعلىٰ ألقابِهم المجلسُ وأدناها مجلِسُ الصَّـدْر، ثم الصَّدرُ مجرَّدا عن مجلس .

وأما من لايختص بطائفة لصغره، فيقتَصَر فيه على لقبالتعريف وهو فلانُ الدِّين إن عُظِّم و إلَّا ٱقتُصر علىٰ ٱسمه خاصَّة .

وأما زعماء أهل الذِّمَّة، فأعلىٰ ألقابهم الحَضْرة، ثم حَضْرة الشيخ،ثم الشيخ مجرِّدًا عن حَضْرة .

وآعلم أنَّ كلَّ مَنْ كانت له مكاتبةً عن الأبواب السلطانية من أرباب السَّيوف والأقلام وغيرهم ، فلقبُ ولايته ونُعوتُه كما في مكاتبته ، غير أنه يُزادُ في آخر النَّعوت المرجَّسة ذكر آسمِه العلم ، ونسبتُه إلى السلطان : كالناصِري ، والظاهِري ، ونحوهما إن كان ممن يَنتسب إليه بنيابة ونحوها ، ثم إن كانت مكاتبتُه تُفْتتَع بالدعاء نُقِل ذلك الدعاء من أقل المكاتبة إلى مابعد آسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية ، كما إذا كانت مكاتبتُه : أعَنَّ الله تعالى أنصار المَقر الكريم ، فإنه يُدْعى له عقيبَ آسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية ، كما النسبة إلى السلطان في الولوق .

و إن كانت مكاتبته تُفتتح بغير الدعاء: كصدرتُ هذه المكاتبةُ وتحوذلك ، فإنه يدعى له في الولاية عقب الآسم والنسبة إلى السلطان _ إن كانت _ بما يُدْعى له في مكاتبته في آخِر الأنقاب، كما إذا كان من أرباب السَّيوف ومكاتبتُه صدرتُ هذه المكاتبة إلى المجلس العالى أو المجلس السامى بالياء فإنه يُدْعى له بمثل: أدام الله سعادتَه، وأدام الله رفعتَه، ونحو ذلك، وإن لم تكن له مكاتبةٌ عن الأبواب السَّلطانية

كُتِب له فى الولاية مائيناسِبُه من اللّقب والنّعوت، ثم يذكر آسمُه والدعاء له إنكان مستحِقًا للدعاء ؛ وسيأتى لقبُ كلّ ذِى وِلاية من الأنواع الخمسة المتقدّمة الذّكر ونعوتُهُ عند ذكر ولَايته فيما بعدُ، إن شاء الله تعالى .

ثم للألقاب في الولايات مَحَلَّان :

أحدهما — الطُّرَّة ، ويُقتَصَر فيها على اللَّقب: من المَقرَّ أو الجَناب أو المَجلِس أو مَجلِس مضافا وما بعده من النعوت إلى اللَّقب المُميِّر للوظيفة كالأَميري والقَضَائي ونحوهما ، ثم يُذكر لَقَبُ الحَاصُ به وهو الفُلاني أو فُلان الدين ، ثم يذكر آسمُه وآنتسابُه إلى السلطان إن كان ، على ماسيأتي بيانُه مفصَّلا، إن شاء الله تعالى .

الثانى — فى أثناء الوِلَاية ، وهُناك تستوفى النَّعوتُ ويُؤْتَىٰ بِمَا فَى الطُّرَّة فَى ضَمْنه إلا أَنه يُجعَلُ لقبُ التعريف _ وهو الفلانيُّ أو فلائُ الدِّين _ بين النعوت المفردة والمرَكَّبة فاصلا بينهما ،

الوجـــه الثاني

(ألفاظ إسناد الوِلَاية إلى صاحب الوظيفة؛ ولها سِتُّ مراتِبَ)

الأولىٰ ــ لفظُ العَهْد، مشل أن يقال: أنْ يُعْهَد اليه، وهي خاصَّـةُ بالحلفاء والمُــلُوك .

الثانية _ لفظ التَّقْليد، مثل أن يقال: أن يُقلَّد كذا، ويكون مع المَقَرّ الكريم والحَناب الكريم .

الثالثة ــ لفظ التَّفُويض، مثل أن يُقَال : أنْ يفوَّض إليه كذا، ويختصُّ بالجناب لأرباب السيوف، وكذلك الجنابُ والمجلسُ العالى لأرباب الأقلام.

قلت : وَكُمَّابُ زَمَانِنَا يَسْتَعْمِلُونِهَا مِعَ الْمَقَرَ أَيْضًا ، ولا يَسْتَعْمِلُون لَفْظُ يُقَلَّد فَ التقالِيد لتوهَّمهم الآكتفاء بلفظ تقليد عنها، ولم يعْلَمُوا أَنَّ يقلَّد فوق يُفَوض كما تقدّم ، على أَنَّ الْمَقرَ الشهابي بنَ فضل الله قد صرَّح بذلك في والتعريف "كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

الرابعة - لفظ الاستقرار والاستمرار، مثل أن يقال أن يستقر في كذا، أو يستمر في كذا، ولفظ يستمر في كذا، ولفظ يستمر في المستقر، ولفظ يستمر في المستقر، ولفظ يستمر في السيوف ويكونان مع المجلس السامي بالياء، والمجلس السامي بغيرياء لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم ؛ أما المجلس العالى فإن كانت مكاتبته تُفتتح بالدعاء، مثل: أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى كنائب السلطنة بالكرك، فإنه يقال فيه أن يُفوض إليه، وإن كانت مكاتبته تُفتتح بصدرت هذه المكاتبة كنائب القُدْس ونحوه، فإنه يقال فيه أن يستقر .

السادسة ــ لفظ التقدّم ، مثـل أن يقال أن يُقدَّم فلانٌ على الطائفة الفلانِيَّة ونحو ذلك .

قلت : وهاتان المرتبتان أعني السادسة والخامسة قد ذكرهما المقرَّ الشهابيُّ بن فصل الله في و التعريف " فقال : وقد يقال أن يُرتَّب وأنْ يُقدَّم . وهما موجودان في كتابة مُعاصِريه بمصر والشام ؛ أمَّا كُتَّاب زمانِك فقد رفضُوهُم جملةً وأضْربُوا عن آستعالها بكلِّ حال ، وآكتفَوْا عنهما بالمَرْتبة الرابعة وهي لفظُ الإستِقْرار ،

⁽١) أى لفظة '' يفوض '' .

والواجب إثباتُهُما لتفاُوتِ ما بين المَرَاتِ ، علىٰ أَنَّ آستعال لفظ يُرتَّب موجودً في كلامهم بكَثْرة ، ولفظ يُقدّم لم يستعمِلوه إلا في النَّزْر اليسير، والله أعلم ، وهذه الألفاظُ تقع في الطَّرَّة وفي أثناء الكلام علىٰ حدّ واحدٍ ،

الوجـــه الشالث (الإفتِتاحاتُ ، وهي راجعةً إلىٰ أربع مراتِبَ)

المرتبة الأُولى — الافتتاحُ بلفظ: هذه بَيْعة، أو هذا ما عَهِد، ونحو ذلك في البَيْعات والعُهُود على المذهب القديم؛ أو بالحمدُ لله، ويقعُ الابتداء به في العُهُود والبَيْعات إذا آبتُدِئ العهدُ أو البيعةُ بِخُطْبة على ما عليه استعالُ أهل زماننا؛ وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأقلام، والمراسيم المكبَّرة لأرباب السيوف؛ والتواقيع البَجَار لأرباب الأقلام،

المرتبة الثانية – الافتتاحُ بأمًّا بعدَ حمد الله ، ويقَعُ الاَبتداءُ به فى المَرْتبة الثانية من أرباب التَّواقيع من أرباب التَّواقيع من أرباب التَّواقيع من أصحاب السَّيوف؛ والمرتبةِ الثانية من أرباب التَّواقيع من أصحابِ الأقلام .

المرتبة الشالثة – الافتتاحُ بُرسِمَ بالأمرِ الشريفِ، ويقع الافتتاحُ به فى المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة _ ماكان يُستغمَلُ من الآفتتاح بأما بعدُ فإنَّ كذا . أومَنْ حَسُنَتْ طَرائقُه ، وحُمِدت خَلائِقُه ، فإنه احَقَّ ، وما أشبهَ ذلك ؛ كما أشار إليه في والتعريف " إذ كانَ الآنَ قد رُفض وتُرك على ما سيأتى بيانُه في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وقد كان ذلك يُستَعْمَل فيما تقدّم لأرباب السَّيوف والأقلام جميعاً .

الوجــــه الرابع (تعدُّدُ التحميد في الخُطْبة أو في أثناء الكلام وآتحادُه)

فقد قال فى و التعريف " فى الكلام على عُهُود المُلُوك للمُلُوك : وكُلَّمَا كَثُرَت التحميداتُ فى الخُطَب، كان أكبَرَ: لأنها تدلُّ على عِظَم قَدْر النَّعمة ؛ وذكر فى الكلام على عُهود الخلفاء عن الخُلفاء أنه يُنتهى فى التحميد إلى سَبْعة .

الوجـــه الخــامس (الدعاءُ . وله ثلاثة مواضــع)

الموضع الأقلُ – فى طُرَّة الولَاية بعد ذكر ما يُكْتَب فى الطُّرَّة من ألقابه ، ولا يُزاد فيه علىٰ دَعْوة واحدة تناسبه .

الموضع الشانى — فى أثناءِ الولايةِ بعد آستيفاء الألقابِ وذكرِ الآسمِ ؛ وهو ما في الطَّرة من الدعوة المناسبة له بغير زائدِ علىٰ ذلك .

الموضع الثالث — [ف] آخِر الولاية بالإعانة ونحوها . قال في التثقيف ": وأقلُّها دعوتان، وأكثرُها أربعُ . قال في "التعريف" : ومَن ٱستُصْفِر من المُولَيْن لايُدْعئ له في آخِر ولايته .

ثم قد تقدّم في المكاتبات أنَّ الدعاءَ مع تنزيه الله تعالىٰ : كأعَنَّ الله تعالىٰ أنصارَ اللهُ على من حدُّفه ؛ كأدام المقرّ، وضاعف الله [تعالىٰ] نعمة الجناب ونحو ذلك أعلىٰ من حدُّفه ؛ كأدام اللهُ سعدَه، وأعزَّه الله ونحو ذلك؛ ولا شكَّ أنه في الولايات كذلك .

⁽١) أى حذف التنزيه وفي الأصل حذفها أى جملة التنزيه .

الوج___ه السادس (طُولُ الكلام وقِصرُه ، فكُمَّنا عظمت الوظيفةُ وآرتفعَ قدْرُ صاحبها كان الكلام فيها أبسَط)

قال في وو حُسن التوسل ": ويحسن أنْ يكونَ الكلامُ في التقاليد منقسا أربعة أقسام متقارِبة المَقادير؛ فالرَّبعُ الأقل في الخُطْبة؛ والرَّبعُ الثاني في ذكر مَوْقِع الإنعام في حق المَقَلَّد، وذكر الرتبة وتَفْخيم أمرها؛ والربعُ الشالثُ في أوصاف المُولَى، وذكرِ ما يناسبُ تلك الرتبة ويُناسبُ حالَه من عَدْل وسياسة ومَهَابة وبُعْد صيت وسُمْعة وشجاعة إن كان نائبا؛ ووصف الرأى والعدل وحُسن التدبير والمعرفة بوجُوه الأموال، وعمارة البلاد، وصَلاح الأحوال، وما يناسبُ ذلك إنْ كان وزيرا؛ وكذلك في كلَّ رتبة بحسبِها؛ والربع الرابع في الوَصاياً .

قال في و التعريف " : والذي أختاره آختصارُ مِقْدار التحميدة [التي] في الحُطْبة والحُطَب مطلقا وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطنابُ في الوصايا [اللهم] إلا لمن جَلَّ قدُره [وعظم أمره] فإن الأولى الاقتصارُ في الوصايا على أهم الجُمُليَّات، ويعتذرُ في الإقتصار بما يُعْرَف من فضله، ويُعْلَم من علمه، ويُوثَق به من تَجُربته ومن هذا ومثله، قال : والكاتب في هذا [كله] بحسب ما يراه، ولكلِّ واقعة مقال يليق بها، ولملبس كلِّ رجل قدرُ معروف لا يليق به غيره ؛ وفي هذا غيني لمن عَرف ، وكفاية لمن علم ؛ على أن المقر الشهابي تابع في ذلك القاضي « محيي الدين عَرف ، وخفاية لمن علم ؛ على أن المقر الشهابي تابع في ذلك القاضي « محيي الدين ابن عبد الظاهر» رحمه الله، فإنك إذا تأملت تقاليده وتواقيعه ، وجدتها كلها

⁽١) في حسن التوسل ص ١١٠ «المقلد» وهي بمعناها •

⁽٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨٠

كذلك ، ولكلِّ وجهُ ظاهر ، فإنَّ المطوّل للخطبة لا يُخْلِيها من بَراعةِ الاِستهلال ، المناسبةِ للحال ، والمقَصِّر لها مُراع لزيادة الإطناب في الوَصْف .

قلت : ولا يخفىٰ أن ما ذكراه فى التقاليد يجىءُ مثلُه فى العُهُود لحرْيها على مُوجِبها من مُولِّ ومُولِّى .

أما إذا كانت الولاية بَيْعة فإنه يجعَلُ موضِعَ الوَصَايا ذَكُرَ ٱلترام الخليفة البِّ والإحسان للخلق، ووَعْدَ النظر في أمُور الرعية، وصلاح أحوالهم، وذكر التحليف للخليفة، أوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البَيْعسة له على الوَفَاء بالعَهْد والدَّخُول تحت الطاعة، قال في ووحسن التوسسل": والأمْرُ الحارى في ذلك على العادة معروفُ لكنه قد تَقَع أشياءُ خارجةٌ عن العادة فيحتاجُ الكاتبُ فيها إلى حُسْن التصرُّف على ما ما ما في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجـــــه الســابع (قطــع الورق)

وَاعِلْمُ أَنَّ الولاياتِ من ديوان الإنشاءِ بالأبواب السلطانية بجلتها يَغْصِر قَطْعُ الورَق فيها في خمسة مَقاديرَ لا يتعَدَّاها :

أحدها ــ قَطْع البغــداديِّ الكاملِ ؛ وهو مختصٌ بالبَيْعات والعُهُود مُطْلقا علىٰ أيِّ الافتتاحات كان . الشانى – قَطْع الثلثَيْن من المنصورى، وهو لأجل الولاياتِ السُّلطانياتِ لأربابِ السُّيوف و بعض أرباب الأقلام، ولا يْفْتَتَح فيها إلَّا بالحمد .

الثالث _ قطع النّصف منه، وهو لما دُونَ ذلك، ولا يفتتَح فيه إلّا بالحمد أيضا: الرابع _ قطع الثّلُث منه، وهو لما دُونَ ذلك .

واعلم أنه إذا وُلِّي صاحبُ وظيفة تستحقَّ قطعَ النصف وظيفة أُخرى تستحق قطع العادة ، فإنه يُراعى مقدارُ صاحبها ويُزادُ على مقدار العادة ، إلا أنه لا يَبلُغ مَبلَغَ رتبة وظيفَته العُلْيا ، بل ينبغي أن يتُوسَّط بينهما ، فيكتب له في قطع الثلث لتكون رتبة بين رُبْتين فتحصُل مراعاة تعظيمه من حيث الزيادة على قطع العادة ، ومراعاة قدر الوظيفة من حيث إنها لم تَبْلُغ شَأْوَ وظيفتِه العُلْيا ، أما إذا وُلِّي منحَطُّ القدر وظيفة تستحق القطع الكبير ، فإنه يكتبُ له فيه ، وتكون توليتُه لها رَفْعًا الله درجَها ،

الخامس — قطعُ العادة، وهو أصغَرُها؛ والأصلُ أن يفتتَح فيه بلفظ «رُسِم بالأمر الشريف» وربحا علت رتبة صاحب الولاية ولم يؤهّ للكتابة في قطع الثلث فيُكْتَب له فيه: أما بعد حمد الله، وهو قليلُ الاستعال، فإن السّعُمِل أما بعدُ فإنّ كذا ، أو إنّ أوْلَىٰ ، أو إن أحقّ ونحو ذلك تُكتِب في قطع العادة أيضا .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

البيعات جمع بيعة، وهي مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة ، ومعناها المعاقدة والمُعاهدة ، وهي مُصدر بايع الحقيق . قال أبو السّعادات بن الأثير في نهايته في غريب الحديث : كأن كل واحد منهما باع ماعنده من صاحبه وأعطاه خالصة فقسه وطاعته ودَخِيلة أمْرِه ، ويقال : بايعة ، وأعطاه صَفْقة يده ، والأصل في ذلك أنه كان من عادة العرب أنه إذا تبايع آثنان صَفَق أحدُهما بيده على يد صاحبه .

وقد عَظَّم الله تعالىٰ شأَنَ البيعة وحَدَّر من نَكْثِها بقوله خطاباً للنبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ النَّهِ يَهُ اللهِ فَوْق أَيْدِيهِمْ هَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَ وَسلم : ﴿ إِنَّ النَّهِ يَهُ اللهَ فَسَيُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيما ﴾ . وأمر بمبايعة يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيما ﴾ . وأمر بمبايعة المُومنات في قوله تعالىٰ : ﴿ يِسَانِيمُ النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لاَيُشْرِكُنَ اللهُ مِنْاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لاَيُشْرِكُنَ إِللهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرِئنَ وَلَا يَشْرِينَ وَلَا يَوْمِينَكَ في مَعْرُوفِ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغَفْرْ لَمُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلَيْهِ وَسلم الصحابة رضوانُ الله عليهم بَيْعَتَيْنٍ . وَهُورً رَحِيمٌ ﴾ . وبايع النبيُّ صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوانُ الله عليهم بَيْعَتَيْنٍ .

⁽١) ليس مراده المصدرالصناعى كما لايخنى والأوضح "وهي آسم مصدرلبايع" الخ تأمل ٠

النوع الأول (بَيْعاتُ الْحُلَفَاء، وفيها سبعة مقاصِدً)

المقصــــد الأول (في أصل مشروعيتها)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما تَبَت في الصحيحين من حَديثِ عائشة رضى الله عنها و أنّه لما تُوفّى رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلم، اجتمعت الأنصار إلى سَعْد بن عَبَادَة في سَقيقة بني ساعدة، فقالُوا : منّا أميرٌ ومِنكُمْ أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكر وعُمَرُ وعُمَرُ وأبو عَبَيدة بنُ الحَرَّاح، فذهب عُمرُ يتَكَلَّمُ فأسْكَته أبو بكرٍ ، وكان عُمرُ يقُول : وأبو عَبيدة بنُ الحَرَّاح، فذهب عُمرُ يتكلَّم فأسْكَته أبو بكرٍ ، وكان عُمرُ يقُول : ما أرَدْتُ بذلك إلّا أنّى قد هَيَّاتُ كلامًا أعْبَني خَشِيتُ أن لاّيبَلغُه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس ، فقال في كلامه : نَعْن الأُمراء وأنتُم الورزواء، فقال أبو بكر : من المُمرَاء وأنتُم الورزواء، فقال الحبيب بنُ المُنذر : لا والله لانفعل ! منا أميرٌ ومنكُمْ أمير، فقال أبو بكر : لا ولله لانفعل ! منا أميرٌ ومنكُمْ أمير، فقال الو بكر : بن نُبايعُك فقال الحَبنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عُمرُ بيده فبايعه وباعَ الناسُ "،

وهـذه أوّلُ بيعة الخلافة كانتْ في الإسلام؛ ولكن لم يُنْقَل أنه رضى الله عنه كُتِبَ له مبايعة للله ، والعلَّ ذلك لأنَّ الصحابة رضوانُ الله عليهم كانوا إذا بايعُوا لاَيَحْحَدُونِ البَيْعَة بعد صُدُورِها، بخلاف مابعد ذلك .

المقصـــد الثانى (فى بيانِ أسبابِ البيْعة المُوجبة لأخْذها على الرَّعِيَّة) وهي خمســة أسباب :

السببُ الأقل – موتُ الحليفة المنتصبِ من غير عَهْد بالحلافة لأحد بعده ، كا فى قِصَّة الصَّدِيق المتقدِّمة بعد وَفَاة النبي صلَّى الله عليه وسلم ، أو بَتْر كها شُورى فى ستة : فى جماعة معيَّنة ، كما فعل عمر رضى الله عنه عند وَفَاته حيث تركها شُورى فى ستة : على بن أبى طالب، والزُّبير بن العوَّام ، وعُثَانَ بنِ عَفَّان ، وعبدِ الرحمٰن بنِ عَوْف ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم .

السبب الشانى – خَلْع الخليفةِ المنتصبِ لمُوجِب يقتضِى الخَلْع، فتحتاجُ الأملةُ [المُلاً] مبايعةِ إمام يقُوم بأمورها، ويتحمَّل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوَهم الحليفةُ نُروجَ ناحيةٍ من النَّواحِي عن الطاعة فيُوجِّهُ إليهم من يأخُذ البيعةَ له عايهم : لينقادُوا لِإمْرِه، ويدخُلوا تحتَ طاعتِه .

السبب الرابع – أن تُؤْخَذَ البيعةُ للخليفة المعهودِ إليه بعدَ وَفَاهَ العاهد ، كما كانتِ الخَلفاءُ الفاطميُّون تفعَلُ في خِلَافتهم بمصر، وكانوا يُسَمُّون البيعة سِجِيَّلًا كما كانوا يُسَمُّون غَيْرَها بذلك .

السبب الخامس – أن يأخُذَ الخليفةُ المنتصبُ البيعةَ على الناس لولي عهده بالخلافة بأن يكونخليفةً بعدَه إمضاءً لعَهْده، كما فعل معاويةُ رضى الله عنه في أخذه البيعة لولده يَزيد .

المقصيد الشاكث

(في بيان ما يجبُ علىٰ الكاتب مراعاتُه في كتابة البَيْعة)

وآعلم أنه يجبُ علىٰ الكاتب أن يُراعِيَ في كتابة البّيعة أمورا:

منها _ أن ياتي فى بَرَاعة الاستهلال بما يتهيّا له من آسم الحليفة أو لَقَبه: كفلانِ الدِّين، أولقَبِ الحلافة: كالمتوكّل أو المستَخْفِي، أومقتضىٰ الحال المُوجِب للبَيْعة من موتٍ أو خَلْع ونحوهما، أو غير ذلك مما يجرى هذا المَجْرَىٰ .

ومنها _ أن يَدَبِّه علىٰ شَرَف رُبُّبة الخلافة وعُلُو قدْرها و رِنْمة شأنها ، وأنها الغايةُ التي لاَفُوقَها، والدرجةُ التي لاَبعْدَها ، وأن كلَّ رُبُّبة دُونَ رُبُّبتها ، وكلَّ مَنْصِب فرعُ عن مَنْصِبها .

ومنها — أن ينَبِّ علىٰ مَسِيس الحاجةِ إلىٰ الإمام ، ودِعايَة الضَّرورةِ إليه ، وأنه لايستقيمُ أمْرُ الوجود وحالُ الرعِيَّة إلَّا به ، ضرورةَ وُجوبِ نصبِ الإمام بالإجماع، و إن شدَّ عنه الأصمُّ فخالف ذٰلك .

ومنها _ أَنْ يُشِيرَ إِلَىٰ أَنَّ صَاحَبَ البَيْعَةُ ٱستوعَبَ شُرُوطَ الإِمامَةِ وَآجَتَمَعَتْ فَيْدَ، ويَتُمَّدُّ بِحَصُولَه : كَالْحِلْمُ وَالشَّجَاعَةُ وَالرَّأَى فَيْدَ، ويُتَمَّدُّ بِحَصُولَه : كَالْحِلْمُ وَالشَّجَاعَةُ وَالرَّأَى وَالسَّجَاعَةُ وَالرَّأَى وَالسَّجَاعَةُ وَالرَّأَى وَالسَّعَ وَالْمَالِيَّةُ وَجُودُهُ وَلا يُتَمَدَّحُ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَرُوطُ : كَالْحُرِّيَةُ وَالدَّكُورَةُ وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ وَنِحُو ذَٰكَ ، وَإِنَّ الوصف بذَٰلَكَ لا وَجُهَ لَه .

ومنها _ أن ينَبِّه على أفضلية صاحبِ البَيْعة وتقدَّمه فى الفضل وآستيفاءِ الشَّروط على غيره : ليخْرُج من الخلاف في جَواز تولِيةِ المفضُّول مع وجُود الفاضل .

ومنها — أن يَنبِّ علىٰ أنَّ المختارين لصاحب البَيْعة عمن يُعْتَبَرَ آختيارُه من أهل الحَلِّ والعَقْد : من العلماء والرُّؤساء ووجُوه الناس الذين يتيسَّر حضُورُهم علىٰ الوجه المعتَبَر .

ومنها - أن يَنبِّه على تعيين المختارين للبَيْمة، إن كان الإمامُ الأوّلُ نصَّ عليهم ؛ إذ لا يصحُّ الاختيار [من] غير من نَصَّ عليه، كما لا يصحُّ إلا تقليدُ من عَهِد إليه .

ومنها - أن ينَبِّ على جَرَيان عَقْد البَيْعةِ من المختارين، ضرورةَ أنه إن آتفردَ شَخْصُ بشروط الإمامة في وَقْته لم يَصرْ إماما بجَرَد ذلك .

ومنها — أن يَنبّه على سبب خَلْع الخليفة الأقلِ إن كانت البيعةُ مترتّبة على خَلْع، إذ لايصج خَلْع الإمام القائم بلا سبّب .

ومنها – أن ينبِّه على قَبُول صاحب البيعةِ العقدَ و إجابته إليه إذ لاُبَدِّ من قَبُولِه .

ومنها — أن ينبِّه على أنَّ القَبُول وتع منه بالآختار: لأنه لايصِتُّ الإجبارُ علىٰ قَبُولها؛ أللهم إلَّا إن كان بحيثُ لايصلُح للإمامة غيْرُه فإنه يجبَرُ عليها بلا خِلَاف.

ومنها — أن ينبِّه على وُقُوع الشهادة على البَيْعة، خروجًا من الخلاف فى أنه هل يُشتَرَط الإشهادُ على البيعة أم لا ؟ .

ومنها — أن ينبّه على أنها لم تقترن ببَيْعةٍ فى الحالِ ولا مسبُوقة بأُنْعرى، إذ لا يجوز نَصْبُ إماميْن فى وقت واحدٍ وإنْ تباعَدَ إقْليهاهُمَا ، خلانا للأُستاذ أبى إسحاقَ الأَسْفَرا يبني حيثُ جوّز نُصْبَ إمامين فى إقليمَيْن .

ومنها – أن ينبِّــة على أنه بجرد البَيْعــة تجبُ الطاعةُ والاَنقيادُ إليــه، ويجب على كافَّة الأمة تفويضُ الأمور العامَّة إليــه، وطاعتُــه فيما وافَقَ حكمَ الشرع وإنْ كانــــ جائِرًا.

ومنها _ أن يعزَّى فى الخليفة الميت ويُرَنَّى بالمستَقِرُ إن كانت البيعةُ مبنيَّةً علىٰ موتِ خلينةٍ علىٰ موتِ خلينةٍ ، وأن يبيِّن سبب خلع الخليفة الأؤل إن كانت مرتَّبةً علىٰ خَلْع .

أما التَّعزيَةُ والتهنشةُ بموت الأوّل، فعليه جرى عامَّة الكُمَّاب؛ إلَّا أنه يختصُّ في عُرْفهم بما إذا كان الخليفةُ الأوّلُ شديدَ القُرْب من الثانى؛ كأبيه وأخيه وآن عَمِّه .

وكان الأقِلُونَ يتعَانُون ذلك فى خطاب الخلَفاء بالتهنئة بالخلافة بعدَ أقارِبهم ، وقد رُوِى أنَّ عطاءَ بنَ أبى صَــْفِيّ دخل علىٰ يَزِيدَ بن معاويةَ فَهَنَّاه بالخلافة وعَزَّاه فى أبيه فقال :

رُزِنْتَ بأمير المؤمنين خليفة الله، وأُعْطِيتَ خلافة الله؛ قضى معاوية نَحْبَه، فغفرَ الله دَنْبه؛ ووُلِّيت الرِّياسه، وكنتَ أحقَّ بالسِّياسه؛ فآحتَسِبْ عندَ اللهِ جليلَ الرَّزِيَّه، وآشكُرْه على جَزِيل العطِيَّه، وعَظَم الله في معاوية أَجْرَك، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك.

وتعرَّضَتْ أعرابيَّة للنصور في طريق مكَّة بعد وَفَاة أبي العَبَّاس السَّفَّاح، فقالت: يأميرَ المؤمنينِ آحتَسب الصَّبر، وقدِّم الشُّكُر؛ فقد أجزلَ اللهُ لك النَّواب في الحالين، وأعظَمَ عليك المِنَّة في الحادثين؛ سلَبَكَ خليفة الله، وأفادكَ خلافة الله؛ في الحادثين وضارَ لكَ فيا فَسَلِّم فيا سَلَبك ، وآشكر فيا مَنَحك ؛ وتجاوزَ الله عن أمير المؤمنين ، وخارَ لكَ فيا ملَّكك من أمر الدُّنيا والدِّين ،

(١) وأما التعريف بسبب الحَلْع ، فلاَّنه لا يَصِحُّ خُلْعُ الإِمام بغير مُوجِب للخَلْع .

ومنها _ أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبَيْعة إن كان القائمُ بها سلطاناً علىٰ ما آسُ قرت عليه قاعدةُ الكُتَّابِ في ذلك .

⁽١) سبق التنبيه على هذا في الصفحة قبل ٠

ومنها — أن ينبِّه على أنَّ من آستُحْلِف فى البَيْعة من وُجُوه الدولة وأعيان المملكة إن جرى حَلِثُ، ويذكر صفة حلفِهم وما الترمُوه من الأيْمان المؤكَّدة، والمَوَاثيق المغلَّظـة.

المقصدد الرابع

(فى بيان مواضع الخلافة التى يستَدْعِى الحالُ كتابةَ المبايَعَات فيها)

وَهِي أَرْبِعِــة أمـــور :

أحدها _ موتُ الخليفة المتقدّم عن غير عهد لخليفة بعده ، وهو موضوعها الأصليّ الذي عليه بُنِيتْ .

الشانى – أن يَعْهَد الخليفةُ إلى خليفة بعدَه ، ثم يموت العاهد ويستقر المَعْهود إليه بالخلافة بالعَهْد بعده ، فتؤخَذَله البَيْعةُ العامَّة على الرَّعية ، إظهارًا لوقُوع الإجماع على خلافته ، والاَيِّفاق على إمامتِه .

الثالث – أن تؤخَّذ البيعةُ للخليفة بحضرة وِلَايته ، ثم تُنَفَّذ الكتُبُ إلى الأعمال لأخْذ البَيْعة على أهالها ، فيأخذُ كلُّ صاحب عملٍ له البيعةَ على أهل عَمَله .

الرابع — أَن يَعْرِض لِخليفة خَلَلٌ في حال خلافته : من ظهور مخالِف أو خُرُوج خارجي، فيحتاج إلى تجديد البَيْعة له حيثُ وَقَع الحلافُ .

ولكلِّ من هذه الأحوال صَرْبٌ من الكتابة يُحتاجُ فيه إلىٰ بيان السبَب الموجب لأخْذ تلك البيعة .

المقصيد الحامس المقصيد في المعتمد الحامس (في بيان صورة مأيُّكتَب في بَيْعات الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب)

المسذهب الأول (أن تُفتتح المبايعةُ بلفظ «تُبَايع فلانا أسيرَ المؤمنين » خطابًا لمن تُوْخَذ عليه البَيْعة)

ويذكر ما يقَعُ عليه عقدُ المُبايعة ، ويأتى بما سَنَج من أمر البَيْعة ، ثم يذكر الحافَ عليما ؛ وعلىٰ ذلك جرىٰ مصحَلَح كُتَّاب خلفاء بنى أُميَّة ، ثم خلفاء بنى العَبَّاس بعدهم ببغدَاد .

واعلمُ أنه قد تَقَدَم في المَقْصد الأوّل من هدذا الفصل أنه لم يُنْقَل أنه كُتِب الصدّيق رضى الله عنه ولا ان وَلِي الخلافة بعده من الصّحابة من غير عهد بيعةً. ولما كانت خلافة بني أُميَّة ، وآل الأمْرُ إلى عَبْد الملكِ بنِ مَرْوان ، وأقام الجَمَّاجَ ابن يوسُفَ على إمَارة العراق ، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق ، رَبَّب أيمانا مغلَّظة تشتمل على الحَلف بالله تعالى والطّلاق والعَناق والأيمان المُحْرِجات يُحلف بها على البيعة ، وأصّرد أمْرُها في الدولة العبّاسيّة على البيعة ، وأشتررت بين الفُقهاء بأيمان البيعة ، وأطّرد أمْرُها في الدولة العبّاسيّة بعد ذلك ، وجرى مصطلَحُهم في ذلك على هذا الأسلوب ،

وهـذه نسخةُ مبايعــةٍ ، ذكرها أبو الحُسيْنِ بن إسحــاقَ الصــابِي في كتابه وهــذه البَلَاغة " وهي :

تُبَايع عبدَ الله أمير المؤمنين فلانا بَيعةَ طَوْع وآخْتِيار ، وتَبَرُّع و إيثار ؛ و إعلانٍ و إسْرار، و إظْهارٍ و إضْمار ؛ وجِّعة من نَفَل، وسلامة من غير دَغَل؛ وثباتٍ من غير

تبديل؛ ووَقَار مرب غيرتَأُو يل؛ وآعترافِ بما فيها من آجتاع الشَّمْل، وٱتَّصال الحبْـل؛ وآنتظام الأُمور، وصَـلَاح الجُمْهُور؛ وحَقْن الدِّماء، وسُكُون الدَّهْب، ؛ وسعادة الخاصَّة والعامَّه، وحُسْن العائدة على أهل الملَّة والذِّمَّة _ على أنَّ عبدَالله فلانا أمير المؤمنين عبدُ الله، الذي آصطفاه؛ وخليفتُه الذي جعــل طاعتَه جاريةً بالحق، ومُوجَبَـةً علىٰ الخَلْق؛ ومُورِدةً لهم مَوَارِدَ الأَمْن؛ وعاقدةً لهم مَعاقِدَ النُّمِنْ؛ ووِلايَتَـه مُؤْذِنَةً لِهُم بجمِيلِ الصُّنْعِ، ومؤدِّيةً بهم إلى جزيلِ النَّفْعِ؛ وإمامتَه الإمامةُ التي آقتَرَنَ بها الخيرُ والبّرَكه، والمصلحةُ العامّةُ المشتَرَكه؛ وأمَّل فيها قمعَ المُلْحدِ الجاحد،وردُّ الجائرِ الحائِد؛ ووَقْم العاصي الحالِع، وعَطَنْتَ الغازي المُنازِع ــ وعلىٰ أنَّك وليُّ أوليائه، وعُدُوُّ أعدائه : من كلِّ داخلٍ في الجُمْله ، وخارجٍ عن الملَّه ، وحائدٍ عن الدَّعُوه . ومَقَسَّكُّ بما يدليه ، عن إخلاص من رأيك ، وحقيقة من وَفَائك ؛ لا تنقُضُ ولا تَنْكُث ولا تُخْلِف ولا تُوارى ولا تُخادِع، ولا تُدَاحِى ولا تُخاتِل؛ علانيتُك مثل وشرائطها علىٰ مَرِّ الأيام وتَطَّاوُلها ، وتغَيُّر الأحوال وتنقُّلها ، وآختــــلافِ الأزمانِ وتقلُّبها _ على أنَّك في كلِّ ذلك من أهل الملَّة الإسسلامية ودُعاتِها، وأعوانِ الدولة العبَّاسِيَّة ورُعاتِها؛ لا يُداخِل قولكَ مُواربَةٌ ولا مُداهَنــه ، ولا تعتَرضُــه مغالطَةٌ ولا تتعَقَّبُه مخانفه، ولا تَخييس به أمانه، ولا تَغُلُّه خيَانه؛ حتَّى ليمني الله تعالىٰ مقنمًا على أمْرِك ، وَفِيًّا بَعَهْدك ؛ إذكان مُبايُّعُو وُلاة الأمور وخلفاء الله تعالىٰ في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِنُوكَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفِي بما عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُوتِيهِ أَجْرًا عَظَمَا ﴾ .

على بهذه البيعة _ التي أعطَيْت بها صَفْقة يَرك ، وأَصْفَيْتَ فيها سَرِيرةَ قلْبك ، وآلترمتَ القيامَ بها ماطالَ مُمرُك، وآمتد أَجَلُك _ عهدُ الله إنَّ عهدَ الله كانَ

مسْتُولا؛ وما أخذه على أنبيائه ورُسُله وملائكته وحَمَلة عَرْشه من أيمان مَغَلَّظة وعُهُودِ مؤَكَّده، ومَواثيقَ مشَــدَّده ، على أنك تسْمَع وتُصْغِى، وتُطيع ولا تَعْصى؛ وَبِعِتَدِلُ وَلا تَمِيل، وتســـتَقِيم ولا تَعِيد؛ وتَفِى ولا تَغْدِر، وتثبُتُ ولا نُتغَيِّر؛ فمتىٰ زِلْتَ عن هذه الْحَجَّة حاقرا لأمَانيك، ورافعًا لدِيانَيك؛ فِحدْتَ اللهَ تعالىٰ رُبُوبِيَّته، وأنكَرْتُهَ وَمْدانِيَّته ؛ وقطعْتَ عصْمةَ مجدِ صـثى الله عليه وســلم وجذَذْتها، ورميْتَ طاعَتَــه وراءَ ظهرك ونَبَذْتَها ؛ وَلَقيتَ اللهَ يومَ الحشر إليه؛ والعَرْض عليــه، مُخالِفًا لأمْره، وخائنًا لعَهْده؛ ومقياً علىٰ الإنكارِله؛ ومُصِّرا علىٰ الإشراكِ به؛ وَكُلُّ ماحلُّه الله لك محرِّمٌ عليــك، وكُلُّ ما تملكه يومَ رُجُوعك عن بَذْلك، وآرتجاعكَ ما أعطَيْتُه في قولك : من مالي موجود ومَذْخُور ، ومَصْدوغ ومَضْروب ، وسارج ومَرْبوط، وسائم ومعقُول ؛ وأرضٍ وضَـــيْعه، وعَقَار وعُقْــده، ومملوكِ وأَمَه، صــدقةٌ علىٰ المَسَاكين ، محرَّمةُ على مرّ السِّنين ؛ وكلُّ آمرأة لك تملكُ شَعَرها وبَشَرها ، وأُحْرىٰ تَنْزَوْجُهَا بعدها، طَالَقُ ثلاثًا بتاتًا ، طلاقَ الحَرَجِ والسُّنَّة لارجْعةَ فيمه ولا مَثْنِويَّة ؛ وعليك الحجُّ إلى بيتِ الله الحرامِ الذي بمكَّةَ ثلاثين دَفْعــة حاسِّرًا حافِيا ، راجلًا ماشـــيا ؛ نَذُوا لازما ، ووَعْدا صادقا ؛ لا يَرَّتُك منها إلا القضاء لهــا ، والوفاء بها ؛ ولا قَبَلَ انْهُ مَنك تَوْ بِهَّ ولا رَجْعةً ؛ وخذَلَك يومَ الاستنصار بحَوْله ، وأسلَمَك عنـــد الاعتصام بحبَّله ؟ وهذه اليمينُ قولُك قلتَهَا قَوْلا فَصِيحًا ، وسَرَدْتَهَا سَرْدا صحيحًا ؛ وأخلصْتَ فيها سرَّك إخلاصًا مُبينا ، وصدَقْتَ فيها عَنْ مَك صدْقا يَقينا ؛ والنيةُ فيها نيةُ فلان أمير المؤمنين دُونَ نيَّتك، والطُّويَّةُ [فيها طويَّتُه] دُونَ طويَّك؛ وأشهدتَ اللهَ عَلَىٰ نَفْسَكَ بِذَلِكَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُكُلُّ نَفْسَ عَلِيهَا حَافظًا ورَقِيبًا .

+ + +

وهِــذه نسخةُ بَيْعةٍ أَخْرَىٰ من هذا الأُسْلوب ، أوردها آبنُ حَمْدُونَ فى تَذْكِرَته ، وربَّمــا وافقَ فيها بعضَ ألفاظ البيعة السابقةِ، وهى :

تُبايعُ الإمامَ أميرَ المؤمنين فلانا بيعةَ طَوْع و إيثار ، وآعتِقادٍ و إضار ، و إعلان وإسرار؛ وإخلاصٍ من طويَّتك، وصِـدْقِ من نِيَّتك؛ وٱنشراحِ صـدرك وصَّة عزيمتِك؛ طائعًا غير مُكَّره، ومُنقادا غير مُجْبَرَ؛ مُقرًّا بفضلها، مُذْعنا بحقِّها؛ معتَرفا ببركتها، ومعتــدًا بُحُسن عائدتها؛ وعالمًا بما فيها وفي تَوْكيدهامن صَلَاحِ الكَافَّه، وآجتماع الكلمـــة [من] الخـــاصَّة والعامَّه؛ وَلَمَّ الشَّعَث، وأَمْن العَواقِب؛ وسُكُون الدُّهُماء، وعِرِّ الأولياء، وقَمْعِ الأعداء ـ على أنَّ فلانا عبدُ الله وخليفتُه، المفترَضُ طاعتُه، والواجبُ على الأمة إقامتُه وولايتُه، اللازمُ لهم القيامُ بحقِّه، والوناءُ بعهْده؛ لاَتَشُكُّ فيه ، ولا ترتابُ به ، ولا تُدَاهِن فى أمره ولا تَميل . وأنك وَلِيُّ ولِيِّه ، وعُدُوُّ عدَّةٍ: من خاصٌّ وعامٍّ، وقريبٍ و بعيدٍ، وحاضرٍ وغائِب؛ متمسِّكُ في بَيْعته بَوَفَاء العَهْد، وذِمَّة العَقْد؛ سريرتُك مشـلُ علا يَنك، وظاهرُك فيه وَفْقُ باطنِك ــ عَلَىٰ أَنْ أَعطيتَ اللَّهَ هــذه البَّيعةَ من نَفْســك ، وتوكيدكَ إيَّاها في عُنْقُــك ، لفلان أمير المؤمنين عن سلامة من قُلْبك ، وٱسمينقامة من عَزْمك ؛ وٱستمرار من هَوَاك ورَأْيك _ علىٰ أن لانتأوَّلَ عليــه فيها ، ولا تَسْــعیٰ فی نتَّضِ شيءِ منها ؛ ولا تقـُـعدَ تلقىٰ الله مُؤِّذِنا بها ، مُؤدِّيا للأمانة فيها ؛ إذكان الذين يُبايعونَ وُلاةَ الأمر ، وخلفاءَ الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبِيايِمُ وَنَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِ مْ فَمْنَ نَكَثَ فَإَنَّنا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسه ﴾ . .

عليْـكَ بهذه البيعــة _ التي طَوَنْتَهَا مُنْقَك ، وبَسَطْتَ لهــا يَدَك، وأعطيْتَ فها صَفْقتك ؛ وما شُرط عليكَ فيها : من وفاء ومُوالاة ، ونُصْح ومشايَعَه ، وطاعة وموانقــة وآجتهاد ومتابعه _ عهــدُ الله إنَّ عهــدَ الله كان مَسْتُـولا . وما أخذ اللهُ تعالىٰ علىٰ أنبيائه ورُسُدله عليهم السلام، وعلىٰ مَنْ أَخَذَ من عباده، وَكيدات مَوَاثيقه ومُحْكَمَات عُهُوده؛ وعلىٰ أن نتمَسَّكَ بها ولا تُتبَدِّل، وتسنَقيمَ ولا تَعيل؛ وإن نَكَثْتَ هــذه البيعةَ أو بَّدلت شَرْطا من شُرُوطها ، أو عَفَّيْت رسما من رُسُومها ، أُو غَيِّرت حُكُما من أحكامها ؛ معْلِنًا أو مُسِرًّا أو مُحتالا أو مُتاوِّلًا ؛ أو زغْتَ عن السبيل التي يُسْلُكُها من لايُحقِّر الأمانه، ولا يستحلُّ الغَدْر والِحانه، ولا يستجيزُ حَلَّ العقود ، فكلُّ ماتملِكُه من عينِ أو وَرق أو آنيه ، أو عَقَار أو ساءُة ، أو زَرْع، أو ضَرْع.؛ أوغير ذلك من صُنُوف الأملاك المعتدَّه، والأموال المُدّخره؛ صدقةً علىٰ المساكين، عرَّمٌ عليك أن ترجع من ذلك إلى شيء من مالك بحيلة من الحِيَل، على أ وَجْه من الوجوه، وسبي من الأسباب، أو تَخْرَج من تَخَارِج الأَيمَـان ؛ وكلُّ ماتعتده في بقيَّــة عمرك من مالِ يقلُّ خَطَرُه أو يَجِــلُّ فتلك ســـبيلُه إلىٰ أن نتوفَّاك مَنَّيْتُك أو يأتيك أَجَلُك؛ وكلُّ آمرأةِ لُكِّ اليومَ : وأخرىٰ تتزوّجها بعدها مدّةَ بقــائِك طَالَقُ ثلاثًا بتاً ا ، طلاقَ الحَرَجِ والسُّنَّة لاَمْشُوِيَّةَ فيه ولا رجْعَـة ؛ وعليك المشيُّ إلىٰ بيتِ الله الحرام ثلاثين حَجَّة حافيا، حاسرًا راجلا؛ لاَيْرْضَىٰ اللهُ منك إلَّا بالوفاء بها ، ولا يَقْبِـلُ اللهُ منــك صَرْفا ولا عَدْلا ؛ وخَذَلك يوم تحتاجُ إليــه ؛ وَبَرَّاك من حَوْلِه وَقُوَّته ، وأَلِحَاكَ إلى حَوْلك وقُوتك ، والله عنَّ وجل بذلك شهيدً، وكفىٰ به شَهِيدا .

⁽١) في الأصول "وهل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى مدة " الخ وهو غيرمناسب كما لايخفي •



وهـذه نسخة أُخْرَىٰ من هـذا الأُسْــلوب، أوردها أبو الحسير الصابى في وه غُرَر البَلَاغة "وهي :

تُبايِعُ أميرَ المؤمنين بُقُوةٍ من بَصِيرتك، وصِّحة من سَرِيرتِك؛ وصَفاءِ من عَقيدتيك، وصدْق من عَن يمتك؛ علىٰ الرِّضا [به] والوَفاء له، والإخلاص في طاعتِه؛ والإجتمادِ في مُناصحِتِه، وعَقْد النيَّة علىٰ مُوالاته، وبَذْل القُدْرة في ممالاته؛ وأن تكونَ لأنصاره عَوْنا، ولأوْليائه حزْبا، ولأعدائه حَرْبا؛ عارفينَ بمـا في ذلك من الحَظِّ، ومعتَرفين بما يَلْزَمُ فيه من الحقّ ؛ ومحافظين على ماحَرَس الملَّة الإسلاميَّة ، والدولةَ العبَّاسيه ؛ ثُبَّت الله قواعدَها، وأحكم مَعاقدَها؛ وزادها ٱستْمرارا علىٰ مَنِّ الدُّهور، وٱســـتقْرارًا علىٰ كُرِّ العُصُور؛ وعزًّا علىٰ تنقُّل الأمور، وآشتدادا علىٰ تغلُّب المَقْدور؛ فإن خالفْتُ ذٰلك مُسرًّا أو مُعْلِنًا، وُحُلْتُ عنه مُظْهِرا أو مُبْطنًا، وحَلَلْتُ عَقُودَه نَاكًّا أو نَاقضًا؛ وتأوَّلتُ فيه مُحاولًا للخُرُوجِ منه، وٱستثنيْتُ عليه طالبًا للرِّجوع عنه ؛ فبرَّأْنِي اللَّهُ من حوله وتُقوَّته، وسلَّبني ماوَهبَ من فضَّله ونِعمته؛ ومنعني ماوعدَ من رأفتِه ورحمتِه؛ وَخَلَّانِي مِن يَدَيْهُ ، يُومَ الفَزَعِ الأكبر لدَّيْهِ ، وحنث كلُّ يَهِن حَلَفُهَا المُسَلَّمُون على قديم الأيَّام وحديثِما، والنَّناهي في تأكيدها وتشديدها؛ وأعْرَوْها من لباس الشُّبهه؛ وأُخْلُوْهَا مر . وَواعِي الْمَاتَلَه ؛ وهذه اليمينُ يميني : أوردتُها على صدْق من نيَّتي، وصِّمةٍ من عزيمتي، وأتَّفاقِ من سرِّى وَعَلَا بِيَّتِي ؛ وسرَّدْتُها سرْدا منتابِعا من غير فَصْـل، وتلفظت بَهَا تلفُّظا من غير قطع؛ والنيُّة فيها نيُّةُ فلان : على حُضُور منــه وغَيْبٍ ، وَبُعْد وقُرْب ؛ وأَشْهِد الله تعالىٰ بمـا عقدْتُه علىٰ نفسي منها ، وكفيٰ بالله شهيدًا علىٰ من أشْهده، وحسيبًا علىٰ من آجترأ علىٰ إخفار عهْده، ونقض عقده .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعة آثنين ، أتي في المبايعة بصيغة التثنية ، أو ثلاثة فأكثر، أتى بصيغة الجمع ، ولم أقف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانتُ تكتب على الصورة المنقدمة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصُدُورها عنهم ، كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالمملكة المصرية والهالك الشامية ، أو يُشْهَد عليهم في آخر البيعة بمعاقدتهم عليها ورضاهُم بها ونحو ذلك .

أن تُفْتت المبايعة بلفظ «من عبد الله ووليّه فلان أبي فلان الإمام الفُلاني » إلى أهل دَوْلته، ونحو ذلك بالسَّلام عليهم، ويُؤتى بما سَنَح من الكلام؛ ثم يُقال: أمَّا بعد، فالحمدُ لله ؛ ويؤتى على وصفيه بشريف المَناقب، واستحقاقه للخِلافة، واستخاعه لشُرُوطها، وما يَجْرِي هذا الحَبْريٰ؛ ثم يَخْرِطُ في سِلْك البيعة، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سُلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك؛ ويذكر من أمْر ولاية الخليفة ما فيه استجلاب قلوب الرعية والأخذ بخواطرهم وما يَنْخسرط في هذا السَّلُك.

وهذه نسخةُ بَيْعةٍ من هذا الأُسْلوب ، لوليِّ عهد بعد موْتِ العاهد ، كُتِب بها لبعض خُلَفاء الفاطمين ، ليس فيها تعرُّض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

⁽١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل •

من عبد الله ووليه «أبى فلان فلان بن فلان» الإمام الفلانى، بأمر الله تعمالى أمير المله وليه المر المؤمنين، إلى من يضُمّه نطاق الدولة العلوية : من أُمَراتُها وأعيانها، وكُبَراتُها وأوليائها على النّساع شُعُوبهم ، وعساكرها على الختلاف ضُرُوبهم ، وقبائل عَرَبها الفيسيّة وايمنيّة ، وكافّة من تشمله فطارها من أجناس الرعيّة : الأمير منهم والمأمُور، والأضغر والأكبر، وفقهم الله وبارك فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإنَّ أميرَ المؤمنسين يَحَدُ إليكُمُ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هو ، ويسألُهُ أن يُصَلِّى علىٰ عهدٍ خاتَمِ النبِيِّين ، وسيِّدِ المرسَايِين ، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آله الطاهِرِين ، الأئمة المَهْديِّين ، وسلَّم تسلما .

أما بعدُ، فالحمدُ لله مُولِى المَنَّ الجَسِم، ومُبدِى الطَّوْل العَمِم، ومانِح جزيل الأَجْر بالصَّبْ العظم، ومُفيدِ النعم المتشَعِّبة النَّهُون، ومُدْنِى المُهَج المتعالية لتناولِ المَنُون، ومُدِي المُهَج المتعالية لتناولِ المَنُون، ومُبيدِ الأعمارِ ومُفنيها، وناشر الأَواتِ ومُحْيِها، والفاتح إذا السَّغْلَقتِ الأَبُواب، والقائلِ : (لَكُلِّ أَجَلِ كَتَاب) الذي لايغيِّر مُلْكَه مُرورُ الغير، ولا يَصْرف سلطانَهُ تَصَرَّفُ القَدر، ولا يُدْرَك قِدَمُه وأزليَّته، ولا يَنْفَد رُبقاؤُه وسَرْمديَّتُه، مُسْلِم الأَنام للْهَام، ومُصْمِى الأَنفُس بسِمامِ الآخِرَام؛ ومُورِدِ البشر من المنيَّة مَنْها ما بَرِحُوا في رَنْق م يكرَعُون، ولمُرد المُشرق يتَّجَرَعُون؛ ومعزز ذلك بقوله : (كُلُّ نَفْسِ ذائقةُ في رَنْق م يكرَعُون، ولمُرد المُشرق يتَّجَرَعُون؛ ومعزز ذلك بقوله : (كُلُّ نَفْسِ ذائقةُ المُوتِ وَنَهُوكُمْ بالشَّرِ والحَيْرِ فِئنةً و إلَيْنا تُرْجَعُونَ ﴾ .

والحمدُ لله الذي نَصَب الأنبياءَ لمَرَاشِده أعلاما، وحَفِظ ببَعْثِهم من الحقّ والهُدئ نِظَاما، وجعل نُبَوّةَ جَدِّنا مجدٍ صلّى الله عليه وسلم لنُبَوّاتِهِم خِتَاما، وعَضَّد بَوصِيِّه أبينا

امير المؤمنين على بن أبي طالب كَالا للدِّين و إثماما ، والسخلَص من ذُرِيتهما أعمة هادينَ إثفاناً لصَنعتِه و إحكاما ، وأنامَ الحُبِّة على الأُمَم بأنْ أقامَ لكلِّ زمان منهم إمامًا ، وعاقب بين أنوار الإمامة فإذا آنقبض نُورٌ آنبَسط نُور ، وتابع ظُهور بُدُوره ليُشرِق طائع إثر غارب يغور ، رحمة شاملة للعالمين ، وحكة تامَّة حتى يَرِثَ اللهُ للأرضَ ومَن عليها وهو خير الوارثين ، ولم يُخل نَبيًا مع ما شرَّفه [به] من تناقل وحيه وتلقيّه ، ولا عَصم إماما مع اختصاصه بفُروع مَنْصب الإمامة وترقيه ، من لقاء المنيّه ، ووداع الأمنية ، بل أجَّل لكلَّ منهم أجلًا مكتُوبا ، وفسَّح له أمدًا محصورا محسوبا ، لا يَصْرِفه عن وصوله نضيله ، ولا يَصل إلى تَجَاوُ زِه بقُوة ولا حيله ؛ قُدْرةً عسوبا ، لا يَصْرِفه عن وصوله نضيله ، ولا يَصل إلى تَجَاوُ زِه بقُوة ولا حيله ؛ قُدْرةً عكمة الأسباب ، وعبرة واضحة لأولى الألباب ، وقضية أوضَحها فرقائه الذي أقل علمة باعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطبا لنبيه : ﴿ وما جَعَلنا لِبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الحُلُد أَفَانَ مِنْ مَنْها المُونَ ﴾ .

والحمــدُ لله الذي مَنَــج أميرَ المؤمنين من خَصائِص الإمامةِ وأنوارِها ، وحازَ له من ذَخائِرِها وأودَعَه من أَسْرارِها ، ماخوَلَهُ فاخِرَ تُراثِها ، وأصار له شَرفَ مِيراثِها ، وجعله القائم بحقِّه ، والمرشِدَ لخلُقِه ، والماحِيّ بُهدَاه ليْلًا من الضَّلال بهيا ، والحاوِيّ بخلافته مجدًا لا يزالُ ثناوً ، عظيا : ﴿ ذَلْكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلَيما ﴾ .

يحدُه أميرُ المؤمنين على أنْ أوضَح بآبائه الأثمة سُبَلَ الحقائق، فأصبحُوا خلفاء الخالِق وأثمَّة الخلَوّق، وخوّلهُ ما آختصَّهم به من الإمامه، ورفَعَه بها إلى أشْمَخ منازِلِ العُلَا وأرفَع مَواطِن الكَرَامه، ويستمِدُّه شُكْرًا يُوازِي النّعمَ التي أثبتَتْ [له] على سرير الخلافة وسِرِّها فَدَما، وصَبْرا يُوازِنُ الفجيعةَ التي قَلَّ لها فيضُ المَّدامع دَمَا .

ويسأله أن يصلّ على جدّه عد الذى فَضَّ بجِهاده جُوعَ الإلحَاد، وحصد باجتهاده مَنْ مال عن المُدى وَحَاد ، وصَدَع بما أُمِر به حتّى عَم التوحيد ، ودانت لمُعجِزَاته الأمم وقد دَعَاها وهو المُقْردُ الوحيد، ولم يزلُ مبالِعًا في مَرْضاة ربّه ، حريصًا على إظهار دينه بيده ولسانه وقليه ، حتى آستأثر به وقبضه ، وبدّله من الدنيا شرفَ جِوَاره وعوضه ، وأصاره إليه أفضل نبى بصّر وبَشّر، وأحيا دين الله وأنشَر ، وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب إمام الأمّه ، وأبي الأئمّه ، وقدوة السعداء ، وسيّد الشّهداء ، وعاضد الدّين بذى الفقار ، ومَنْ لم يزل الحقّ إلى ذبّه شديد الإفتقار ، صلّى الله عليه وعلى آبائه والأثمة من ذرّيتهما الذين بنما المنشوا الله عليه عليه وعلى آبائه والأثمة من ذرّيتهما الذين بنمجيدهم الألسنة ،

وإنَّ الإمام الفلائي لدين الله أمير المؤمنين كان وليَّ اللهِ شرَّفه الله واستخلصه ، وأفرده بإمامة عَصْره وخَصَّصه ، وفوض إليه أمْر خلافته ، وأحله محلاً تقع مَطارح الهَم دُونَ علَوه وإنافيه ، نقام بحق الله ونهَض ، وعمل بأمره فيما سَنَّ وفَرَض ، وقهرَ الهُم دُونَ علَوه وإنافيه ، نقام بحق الله ورَبَازِمَّة التدبير وخَرَاعمه ، وبالغ في الدَّب الأعداء بسَطُواته وعَزاعمه ، وصَرَف الأمور بأزِمَّة التدبير وخَرَاعمه ، وبالغ في الدَّب عن أشياع المله ، واجتهد في جهاد أعداء القبله ، ووقف على مصلحة العباد والبلاد أمله ، ووقر على مأيعظى عند الله قولة وعمله ، ولم يُترك في مَرْضاة خالقه مشقة الا احتملها ، ولارويَّة إلا صَرفها في إرشاد خلقه وأعملها ، حتى بلغ الغاية المحدُوده ، واستكل الأنفاس المعدُودة ، وأحسن الله له الإختيار ، وآثر له النَّقلة من هذه الدار والنَّفي بسُدَى دار القرار ، والفوز بمصاحبة الأنبياء الأبرار ، والمُلُول في حظائر والرَّفي بسُدى دار القرار ، والفوز بمصاحبة الأنبياء الأبرار ، والمُلُول في حظائر مستوجبًا بسَعيه أفضل رضوانه ، مهمِّدا بالتقوى لتَدْييره أكناف جنانه .

وأمير المؤمنين [يحتسب] عند الله هذه الرزيّة التي عظم بها المُصاب، وعظم عند تُجرّعها الصَّاب، وعظم عند تُجرّعها الصَّاب، وأضرَمت القلوب نارا، وأجرت الآماق دُمّا مُمَارا، وأطاشت بَوْ لها الأكادُ بالحَرق، وكَمَا تا الأجفان بالأَرق، وكادت لهُجُومها الصدورُ تَقْذِف أَفْتَكَتَها، والدنيا تَنْزع نَضْرتها و بهجتها ، وقواعدُ الملة تضْعُف وتهيى، والخطوبُ الكارثة تُصرولا تَنتَهى، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون! التسليم الأمره الذي الأيصد والا يُمنّع، وإذعانًا لقضائه الذي الأيصد والا يُمنّع،

وكان الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين عند نُقلته جعل لي عَقْدَ الحلافه ، ونصَّ على بارتقاء مَنْصِبها المخصوص بالإنافه ، وأفضى إلى بسِرها المكنون ، وأودعني غامض علمها المصون ، وعهد إلى أن أشمَلكم بالعَدْلُ والإحسان ، والعَطْف والحَنان ، والرحمة والغُفْران ، والمن الرائق الذي لا يكذّره امتنان ، وأن أكون لأعلام المُدى ناشرا ، و بما أرضى الله مُحماهم ، ولأحزاب القبلة مُظافرا مُظاهرا ، ولأعداء الملة مُرْغما قاهرا ، ولمنار التوحيد رافعا ، وعن حَوْزة الإسلام بغاية الإمكان دافعا ، مع علمه بما خصصت به من كرّم الشّيم ، وفُطرت عليه من الخلال القاضية مصالح الأمم ، وأو تيته من استحقاق الإمامة وآسيجاب ، ومُنحته من الخصائص المُرْمة لأسبابها .

فَتَعَزَّوْا جَمِيعَ الأولياء، وكافَّةَ الأُمَراء؛ وجميعَ الأجناد، والحاضِر من الرَّعايا والْباد؛ عن إمامِكم المنتَّول الذي أورثه الله مَقَامَه؛ عن إمامِكم المنتَّول الذي أورثه الله مَقَامَه؛ والدُخُلُوا في بَيْعته بصُدُورِ مشروحة نَقيَّه، وقلوبٍ على مُحض الطاعة مَطُويَّه، ونيَّات

⁽١) مار الدم سال وأماره أساله ، انظر القاموس ،

 ⁽٢) أى تدوم من قولهم أصرعلى الأمر داوم عليه .

في الوَلاَء والمشابِعة مَرْضِيَّه ، وبصائر لا تَزالَ بنُور الحَدَى والإستيْضار مُضِيَّه ؛ وأميرُ المؤمنين يَسالُ الله أن يجعل إمامَته محظُوظةً بالإقبال، دائمة الكال ؛ صافية من الأكدار، معضُودة بمُواتاة الأقدار ؛ ويوالي حُدّه على مامَنَحه من الإصطفاء الذي جعله لأمور الدِّين والدنيا قواما ، وأقامه للبريَّة سيِّدا وإماماً ؛ فأعلمُوا هذا وأعملُوا به ، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ،

وكتب في يوم كذا من شهركذا سنة كذا ،

وهذه نسخة بيعة : كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطميّ بعدّ وفاةٍ آبن عمه الآمرِ بأحكام الله ، قام بعَـقُدها الوزيرُ أبو الفتح يانسُ الحافظي ؛ آقتَصَر فيها على تعميدة واحدة ، وعَنْى بالخليفة الميّت ؛ ثم انتقل إلى مقصّود البيّعـة ، وهي :

من عبد الله ووليّه عبد المجيد أبى الميْمُون ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى كافّه أهـل الدولة شريفِهِم ومشرُوفِهم ، وأميرِهم ، ومأمُورِهم ، وكبيرِهم وصغيرِهم ؛ وأحمَرِهم وأسْوَدِهم، وفّقهم الله و باركَ فيهم .

سَــُلامُ عَلَيْكُم ، فَإِنَّ أَمَيْرِ المؤمنين يَحَمد إليكم الله الذي لا إله إلَّا هو ، ويسألهُ أن يَصَلَى عَلَى جَدّه عَدْ خَاتَمَ النَّبِينِ وَسَيِّدَ المُرْسَلِينِ ، صَلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأثمة المُهْدِيِّين ؛ وسَلَّم تَسْلَيَا كَثَيْراً .

أَمَا بَعَدَ، فَالْحَمْدُ لِلهِ اللطيفَ بعبادِهِ و بَرِيَّتُهُ ، الرَّوْفَ في أقدارِه وأقضِيَتِهِ، اللهَيْمِيْ فلا يخرج شيءً عن إرادتهِ ومَشيئته ؛ ذي النِّع الفائضة الغامرَه ، والمِننَ المتتابِعة المتظاهِرَهُ؛ والآلاءِ المتواليةِ المُتاصِرَه ، القائل في محمّم كتابه : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ النَّابِتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرَهُ ﴾ . مدّبِّرِ أرضه بُحُلفائه ، الذين هم زينةٌ للدنيا وبَهْجَه ، وهادى خَلْقِه بأوليائه ، لئلا يكونَ للنَّاسِ على الله حُجَّه ؛ فسُبْحانَ الذي هو للدم مُسْبِع و بالكرم جَدِير، و ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وهُو عَلَىٰ كُلِّ الله عَدِيرٍ ﴾ . شَيْءٍ قَدِيرٍ ﴾ .

يَحَدُّهُ أَمِيرُ المؤمنين أَنْ جَعَلَهُ خليفةً دُونَ أَهِل زَمانِهِ ، وأُوجَبَ ثُوابَ المُستَجِيبينَ له بَكَفَالتُ وضَمَانه ، وجعلهم يوم الفَزَع الأكبرِ مكْنُوفِينَ بِحِفْظه مشمُولِينَ بأَمَانه ، وأَوْزَعَه الشَّكْرَ على ما آسترعاه إيّاه من أمر هذِه الأُمَّة ، ونَقَله إليه من تُرَاث آبائه المُداة الأبُمَّة ، وكشفه بإمامته من أَفِح نائبة وأفظع مُلبَّه .

وح ألى الله على جدّنا عدر رسوله الذى أخبر الأنبياء المرسَلُون بصفتِه وتَعْته ، وَدَكُوه فيما أَتُوا به من كُلِّ كتاب أوحاه الله وأنزَله ، وآعترفوا بأنه أفضلُ من كلِّ من نباه الله وأرْسَله ، فيسَّر الله سبحانه أوحاه الله وأنزَله ، وآعترفوا بأنه أفضلُ من كلِّ من نباه الله وأرْسَله ، فيسَّر الله سبحانه ماكان مُرْتقبًا من ظُهُوره ، وأذِن في إشراقِ الأرض بمَا آنتَشر في آفاقِها من نوره ، وبعثه _ جلّت قدرته _ إلى الأمَّة بأشرها قاطبه ، وجعل ألسِنة الاغماد مجادلة لمن خالف شَرْعَه مناطبه ، فكان لآية الكُفْر ماحيا ، وفي مصالح البريَّة ساعيا ، وإلى سبيل ربّه بالحِثمة والمَوْعظة الحسنة داعيا ، إلى أن لمَعَتْ آياتُ الحقّ وسطعت ، وأخسمت مادَّة الباطل وآنقطعت ، وظهر من آياته ماكبَّر له المُخْتِون ، وآستهر من وآخيم به المنعَتُ ون الله فيما أنزلَ عليه بقوله : ﴿ إِنّكَ مَيْتُ وَالَّهُ مُنْتُون ﴾ . فينئذ نقلهُ الله الله فيما أنزلَ عليه بقوله : ﴿ إِنّكَ مَيْتُ وَالَّهُمْ مُنْتُون ﴾ . فينئذ نقلهُ الله ألله ماأعد له من جَنّاته ، وخصّه بشرف الشّفاعة وإنّهُمْ ميْتُون ﴾ . فينئذ نقلهُ الله ألله ماأعد له من جَنّاته ، وخصّه بشرف الشّفاعة وإنّهُمْ ميْتُون ﴾ . فينئذ نقلهُ الله ألله ماأعد له من جَنّاته ، وخصّه بشرف الشّفاعة وإنّهُمْ ميْتُون ﴾ . فينئذ نقلهُ الله ألله ماأعد له من جَنّاته ، وخصّه بشرف الشّفاعة

فى يوم مُجازاتِه ، وصدَقَه وعْدَه فيا بَوَّاه من النعيم الْمُقِيم : ﴿ ذَٰلِكَ فَضَـٰلُ اللهِ يُوْتَيه مَنْ يشاءُ واللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم ﴾ .

وعلى أبينا أمير المؤمنين على بن أبي طالب أولى الناس بالنّبي ، وأول من أتّبعسه من ذَوى قرابة وأجنبي ، وأبن عمّ الذي أختصه بُوَّاخاته ، وجعله خليفة على كافّة الناس بعد وَفَاته ، وتحمّل بأمر الله ، فيا وَلاه ، وخطب الناس في حجّة الوداع فقال : «من كُنْتُ مَوْلاه فَعلَى مَوْلاه » وعلى آلها الكرّام الأبرار ، وعيرتهما المصطفين فقال : «من كُنْتُ مَوْلاه فَعلَى مَوْلاه » وعلى آلها الكرّام الأبرار ، وعيرتهما المصطفين الأخيار ، وهداة المسلمين وفُدوتهم ، وأمراء المؤمنين وأثمّهم ، الذين حَكُوا فأفسطوا وما قَسَطُوا ، وسلك الحضرون منهم سَنَ أسلافهم الذين فَرطُوا ، واقتفوا آنارهم في السّياسة في قصّروا ولا فَرطُوا ، ولم يزل كلّ منهم عاملًا من ذلك بما حسن أيامَه ، فاعلًا في أمر الدّين مارفَع مناره ونشر أعلامه ، حتى آختار الله له ماعنده فنصّ على مَنْ أقامه الإستحقاق مُقامه ، وسَدلًا عليهم أجمعين سلامًا لا آنقضاء لأمَده ، ولا آنه طاع لمدَده ، فنيل المطالب بكرمه ومَلكُوت كل شيء بيده .

وإنَّ الحَقَ إِن خَفِيَ حِينًا فلا بُدَّ لِهِلاَله من الإِبْدار وآنبِساطِ النَّور، وإِن الشمسَ إِن الحَوارِث الحِجابِ فما أَوْشَكَ ءَوْدَتَهَا إِلَى البُزُوغِ والظَّهور ؛ و إِنَّ حسنَ الصبر إلى أَن يبلُغَ الكِتَابُ أَجله يُؤمِّن من تَدْلِيَـة الشيطانِ بالغُرور ، قال اللهُ عنَّ وجلَّ في كتابه، الذي هَدَانَا به ، : ﴿ و إِنْ تَصْبِرُوا وَنَتَّقُوا فإِنَّ ذٰلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُور ﴾ .

وإنَّ الله تعالىٰ لرَّأْفِتِه بَن أَبْدَعَهُ مِن خَلْقه وأنْشاه ، ولسابِق عِلْمه في عِمَارة هـذه الدار على ماأرادَه عزَّ وجَلَّ وَشَاه ، لا يُخلِي الأرضَ مر نُور يستَضِيء به السارى في الليلِ البَهِمِيم ، ولا يَدَّعُ الأمَّة بلا إمام بَهْدِى إلىٰ الحَقِّ وإلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيم ، فهو جَلَّ وعَلَا أَعَدُلُ مِن أَن يجعَل جِيـدَ الإيمانِ مِن حِلىٰ الإمامة عاطلا، أو يَثْرُكَ

الْجِلْقُ هَمَــِلَّا وَقَدْ قَالَ ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْنَـا السَّــمُواْتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما بالْجِلَا ﴾ ف بل يقْطُعُ أعذارَ العبَاد فيما خَلَقهم له ووقفَهم، ويَهْديهم بالأَنْمَة إَلَىٰ التَّوفُّر عَلَىٰ عَمَـــُلْ مِأْلُومِهِمْ وَكُلُّفُهُمْ ﴾ فالأمور محروسةُ الترتيب محفُوظةُ النِّظام، والأرضُ إذا أظلمَتْ لْفَقْد إمامٍ ، أَضَاءتُ وأَشْرَقتُ لَقِيام إمام . وقد علمَ الكَافَّةُ أَنَّ حَجَّةَ الله في أَرضه ، والمُجتَلَبَ مَن الأعمال مالم يُرضه، والمحسنَ إلى البريَّة ببعثه على المصالح وحَضَّه؛ الإمامَ الآمر بأحكام الله أميرَ المؤمنين الذي آتاه اللهُ الحُكُم صبيًّا، ورَفَعه من إرْث النبُّوة مَكَانًا عِلْيَّا ﴾ وآستَخْلفه على خلقه فكان للفضل باسطًا ولراية العَـدْل ناشرا ، وجَعْلِه لشَمْلِ المحاسن جامعًا ولا ثُمَّة الخُلْفَاء الراشدين عاشرًا؛ لم يزلُ ناظرًا في البعيد والقَريب ، عاملًا في سياسة الأمَّة عمل المجتهد المُصيب ، مستقصياً حُرِصَه في المجافظة على إعزاز المله ، مستنفداً جُهده في الجهاد فيمن خالف أهل القبله ، باذلًا من جريل العَطَاء وكثيرِه ما لا يُعرَفُ معه أحدُّ من خاصَّته بالفَقْر ولا يُنسَب معه إلى القلَّة ؛ حتَّى ٱستوفى مُدَّتَهُ المَوْهُو به ، وٱستوعَبَ غايَّتُ المَكَّتُو به ؛ وثاله من القَضَاء مَا أُخْرِجِه من الدُّنيا سَعِيدًا، وأقدَمَه عِلىٰ الله شَهِيدًا، وأصارَهُ إلىٰ مأأعدٌ لَهُ مَن نَعِيمُ لا يُرِيدُ بِهِ بَدِيلًا ولا يُطلُب عليه مَزِيدًا ؛ وَكَانِ ٱنتِقَالُهُ إِلَىٰ جِوَار ربَّهُ تَبَاركَ وتعالى ، كَأَنْتَقَالَ أَبِيهِ أَمْدِي المؤمنين على بن أبي طالب بَغْيًا من الكافرين وآغْتِيالا . وَقَدْ كَانَ يَذْكُرُ مَا يُعْلَمُهُ مَنْ حَتِّي أَمِيرُ المؤمنين تارةً مُجَاهِرًا وِتَارَة مُحَافِتًا ، إلى أنُ صار على بَسْط القول في ذلك وتبيينه مُثايرا مُتهافتًا؛ وأفصحَ بما كان مسْتَبهُما مستَعْجًا، وصَّرَّح بما لم يزَلُ في كَشْفه مرَّضًا وعن إفصاحه مُحجا، وذلك لِمَّا ألفاه أشرف فَرْعِ مَنْ سِنْخَ النَّبَوْهِ، وَرَآهَ أَكُرَمَ فِي فِخَارَةَ الْأَبُوَّهُ ؛ وَعَلَمَهُ مِن أَبَاهُ الْأَمِيرُ ۚ أَنَا القِاسمَ

⁽١) المراد به الحاحظ لدين الله صاحب هذه البيعة ﴿

[﴿] ٢) لَجَرَىٰ ٱلْكَاتِبِ عَلَىٰ لَقَةَ الْقِصِرِ فَ * ثُ ﴿ وَالْكَاتِبِ عَلَىٰ لَقَةَ الْقِصِرِ فَ

عَمِّهِ سَلامُ الله عليه الذي هو سَلِيلُ الإمامة القِليلُ المثلِ، ونجلُ الخلافة المخصوصُ مَنَ الفَخْرِ بِأَجْرَلِ حَظِّ وَأُوْفَرَ كَفْلٍ ؛ كَانَ المُستنصرُ بِاللهُ أَمْيِرُ المؤمنينَ سَمَّاهُ وَلَيَّ عِهْدٍ المسلمين، وتضمَّن ذلك ما حرجَتْ به توقيعاتُه وتسو يَغاتُه إلى الدواوين؛ وِثُبِّت في طُرُز الأبْنيه ، وَكُتب الابتياعات والأَشْريَه ، وعَلمته الكَافَّةُ عِلمًا يقينا ظلتُّ فيه غَيْرَ مُرْبَابِةٍ ولا مِمَتَرِيَهَ ، وفي ضمن ذلك باطنُّ لايعَقلُهُ إلا العالمُونِ، ولا يُنكَّرُه إلا من قَالَ فِيهِم : ﴿ وَمَا يَخْجَدُ بِآيَاتَنَا إِلَّا الظَّالُونِ ﴾ . وذلك أنَّ أميرَ المؤمنين الغرضُ وَالْمَقْصَدَ، وَالْبَغِيةُ وَالْمُطْلَبُ ؛ وله عَهْد بالتَّلْوِيخُ وَالْإِشَارَه، وَ إِلَيْهُ أُوحِى بالنَّصِّ وَ إِن لم يُفْصِح فيه بالعبارة ؛ وكان والده الأميرُ أبو القاسم _ قدَّس الله زُوحَه ﴿ عَبْرَلَة الأشجار التي يُتأنَّى بها إلى أنْ يَظْهِر زَهَرُهَا ، والأكهام التي يُنْتَظَربها إلى أن يخرج تُمرُها ﴾ والزَّرَجُونة التي نَقَلَت المهاءَ إلى العُنْقود، والسَّحابة التي حَمِلتِ الغَيثَ فعْمْ نفُعُه أَهْلَ السَّمُولِ والنُّجُودِ؛ وَمُمَا يَبِّن ذِلك وَيُوضِّعه، ويحقِّقه ويصَحِّمه؛ وتَثْلَجَ به للؤمنين صُدُورٍ وَتَقُوىٰ أَفْسِدُهِ ﴾ وَتَشْهِد البصَّائُرُ إِنَّ النَّعْمَةَ بِه عِلىٰ الإسلام متتابِعِةً مِتجَدِّدَهِ ، أَنَّ الْأَمَرَيْنِ إِذَا تَشَابَهَا مَنَ كُلِّ الجَهَاتِ ، وَكَانَتْ بِينهما مُدَد مُتطاولاتُ متباعدَات؟ فالسابق منهما يُمَمَّد للسالي، والأوَّلُ أبدًا رمْنُ على الثاني؛ ولإ خِلاَفٍ بين كَافَّة المسلمين في أنَّ اللهَ تعـالي أمر جدَّنَا عِدًّا صلَّى الله عليه وسيلم بَعَقْد ولايةٍ أَمِيرِ المؤمنين على بنِ أبي طالب صلَّى اللهُ عليه فعَقَدها له يومَ غَديرِخُمْ ﴾ وأميرالمؤمنين على ابنُ عَمِّمه وكان له حينئذ عَمٌّ حاضر، وأمضى ما أمر به والإسلامُ يومئذ غَضَّ وَيُودُه ناضِر ؛ وَكُذَلَك أَنَّ أمير المؤمنين ، هو آبنُ عمِّ الإمام الآمِرِ بأحكام الله أميرِ المؤمنين ؛ وقدِ نصَّ مع حضور عُمُومته عليــه، وفعل مافَعَل جِدُّه رِســولُ الله ٱقِتِدَاءً به واتنهاءً إليه؛ وكان أبو على المنصورُ الإمامُ الحياجُمُ بامْر الله أميرُ المؤمنينِ صْلُواتُ الله عليه ، جعلُ أبنَه عبدَ الرَّجِيمِ إلياسَ ولِيَّ عهدَ المسلمين ، ومَيَّزَة بذلك

على كَافَّة الناس أجمعين؛ ونقَشَ اسمَه في السِّكَّه، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمَكَّه؛ وأَلْبَسَهُ شَدَّةَ الوَقَارِ المرصَّعةَ بالجوهر، وآسْتنابَهُ عنه إمامَ الأعياد في الصلاة وفي رُقَّ المُنْبِرَ ﴾ وأقامه مُتَامَ نَفْسه في الاستغفار ان يُتوفُّى من خواصٌّ أوليائه، وفي الشَّفاعة لهم بَمَقَبِّلِ مُناجاتِه وَمَسْمُوع دُعائِه ، مع عِلْمِـه أنه لاَيَالُ رُتبـةَ الخلافه ، ولا يبلغ درجةَ الإمامه ؛ وأن الإمام الظاهرَ لإعزاز دينِ الله _ صلى الله عليــه _ هو الذي خُلِقَ لِمَا ؛ وحينَ خُمِّل أعباءَها أقلَّها وما آستثقلَها ؛ وإنمـا تحتَ ذٰلك معنَّى لطيفُ غامض، وسرَّ عن بُمْهور الناس مسترُّ وبرقُه لأُولى البصائر وامض: وهو أنَّ مكْنُون الحِمْه، ومكتُومَ علْم الأمه؛ يُدَّلَّان علىٰ أنَّ الإمامَ المنصورَ أبا على، سيَفْعل فيمن يستخلِّفُه بعده مثلَ فِعْلِ النبيِّ ؛ وقد علم الإمام الحاكم _ عليه السلام _ أنَّ المرادّ بذلك مَنْ ياتى بعده ممن أولده أو أنْسَله ، لأنَّ ولَدَه حاضٌّ والمقصُودُ مَنْ لاوَلَدَ له ؛ فِعل ولايةً عبد الرحيم العهْدَ تأسيسًا لما سيكون ، ونَتْلا للنُّقُوس من الْإنزعاج إلى أن تشمَلَها الطُّمأ نينة والسُّكُون ؛ فلمَّا أفضىٰ اللهُ إلى الإمام المنصور أبي على الإمام الآمري بأحكام اللهِ أمير المؤمنين بالخلافة التي جعلها واجِبًا له حقًّا، ووافقَ جَدُّهُ ـ عليه السلام ـ وكان لقَبُه من لقَبِه مشتَقًا، ظهر المنكريم، ووَضَع المستَتر؛ وعاد التعريضُ تَصْريحًا، والتمريضُ تَصْحيحًا؛ والرَّمْنُ إِبَّانَهُ، والنصُّ على أمير المؤمنين مع حُضُور نُمُومته ، وَفَعَــل في ذلك فَعْلَنَه وجرى على قضيَّتِه ؛ وَكَشَف عَمَّا أَبُهْمُهُ الإمامُ الحاكُم بأمر الله قَدَّس الله لطيفَتَه فتَساوى الخاصُّ والعامُّ في معْرفته؛ ثم حَلَّه أُميرُ المؤمنين عمَّل نفسه في الجُلُوس على الَّاسْمطه ، وعَمــل لأوليائه ورعَّيته في ذلك بِالْفَضَايا الْحَيطه؛ ونصَّبه مَنْصبَه في الصلاة على مَنْ جرتْ عادتُه بالصلاة على مِثْله ؟ وجمع في اعتماد ذٰلك بيْنَ إحسانه وفَضْــله و بينَ امتنانه وعَدْله ؛ و إذ قد تبيَّن هــذا

الأمرُ الواضُّحُ الحَــَليُّ ، وتساوىٰ في علمـــه الشانيُّ والوَلِى ؛ وعلم هو ماخَصُّ الله به أميرَ المؤمنين من الإمامه ، وأزاله عن العُقُول من ضَبابٍ متكاثِفٍ وغَمَامه ، وشَمِله به من فَضْله ورافته، ونصَـبَه فيه من مَنْصب خلافته؛ التي أيَّدُها بوليِّه ووزيره ، وعضَّدها بصفيَّه وظهيره ، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظيّ الذي جعله الله علىٰ آعتنائه بَدُولة أمير المؤمنين من أوضَّع الشواهد والدلائل، وصَرَف به عن مملكته عَــُدُورَ الصُّروف والغَوَائل ؛ وأقام منه لمُنــاصحة الخلافة تُحاْصا جمعَ فيه أســبابَ المَسَاقب والفَضائل؛ وأيده بالتوفيق في قوله وفعْسله فأر بي على الأُواخِروالأُوائِل؛ ودلَّت سيرتُه الفاضلةُ علىٰ أنه قد عَمَر مابينَ الله وبيُّنه؛ وحكمتْ سُنَّته العادلةُ أن كِلُّ مدْح لا يبلُغ شاءَه وكلُّ وصف لا يقعَ إلَّا دُونه ؛ والله يضاعف بَعَمه عنده ولدَّيه، ويفتَحُ لأميرالمؤمنين مشارِقَ الأرض ومَغارِبَها علىٰ يدَّيْه؛ وهـــذا يحقِّق أنَّ الإسلام قد أحدثَ له قُوَّةً وتمكينا، وأن ذَوِى الإيمان قد آزدادُوا إيمانا واستِبْصارا ويقينا؛ فيجُبُّ عليكم لأمير المؤمنين أن تدخُلوا في بَيْعته مُنشرحةً صُدُوركم ، طيِّبة نفوسُكم ؛ مجتهدين له في خدْمة تُقابلون بها إحسانَه ، متقرّبين إليه بمناصَحة تُحْظيكم عندَ الله سبحانَه؛ عاملين بشرائط البُّيعة المأخُوذةِ على أمثالكم الذين يُتَّبَعُون في فعلهم، ويقَعُ الإجماع بَيْنُلهم؛ ولكم علىٰ أمير المؤمنين أن يكون بكم رَحياً ، وعن الصغائر مُتجاوزًا كريمًا، وبالكافَّة رُءُونا رِفِيقا؛ وعلى الرَّعايا عَطُوفا شفيقا، وأن يصفح عن المسيء مالم يأتِ كبيره، ويُبالغَ في الإحسان إلىٰ مَنْ أحسن السِّيرِه ؛ ويُوليَ من الإفضال مايستخلِصُ الضائر، ويُسبِغَ من الإنعام مايقتضي نَقاءَ السرائر؛ وأمير المؤمنين يَسْأَلُ اللَّهَ أَن يُعرِّفُكُم بَرَكَةَ إمامته، ويُمنَ خلافته؛ وأن يجعلها ضامنةً بلُوغَ المطالِب، كَافَلَةً لَكَافَّتُكُم بِسَعَادَةَ المَبَادِيُّ والعَوَاقب؛ والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

⁽١) هذا متعلق إذ قد تبين كما لايخفى .

المسلمة التالث

(أن تُفْتَتِح البيعةُ بعدَ البسملة بخُطبة مفتَتَحة بالحمدُ لله) ثم يؤتى بالبعديَّة ويُتَخلَّص إلى المقصُود ؛ وقد يُذْكَر السلطان القائمُ بها وقد لايُذْكَر . وعلى ذلك كانت تكتَبُ بيعاتُ خُلفاء بنى أُميَّة بالائدُلُس ، ومن ٱدَّعىٰ الحلافة ببلاد المَغْرب)

وهذه نسخة بيعة كتب بها طاهر الأندلسي، في أخذ البيعة على أهل دانيّة من الأندلس، للرشيد بن المأمون الأموى"، وهو منتصب في الحلافة: عَلَّمُ من الأندلس، للرشيد بن المأمون الأموى"، وهو منتصب في العرض لسلطان قائم توهمه من الرعية ، اقتصر فيها على تعيدة واحدة ، وليس فيها تعرض لسلطان قائم بعقدها، وهي :

الحمدُ لله الذي أسبَعَ إنعامَه باطنًا وظاهر، وسوَّعَ إفضاله هاملًا وهامر، وأعجزً عن وصف إحسانه ناظا وناثرا، وقَهَر الحلق ناهيًا وآمرا، وتعالى جَدَّه فلا ترى له مُضاهيًا ولا مُظاهِرًا، ولا مُوازيا ولا مُوازيا، ونصر الحقَّ وكفى به وليَّا وكفى به فاصرا، وجعل جدّ المطيع صاعدًا وجدّ العصى عاثرا، وحدّر مرف الحلاف باديًا وخاضِرا، وماضيًا وغايرًا ،

بنمدُه سبحانه على نِعمه حمد من أصبح لعُلَق الحمد ذاخِرا ، ونشكُره على مِنَنَه وان يُعْدِم المزيد منه شاكرا ، وتَضَرَع إليه أن يجعل حظّنا من بركة الاعتصام وأفرا ، ووجه نيّتنا في الانتظام سافرا ، وأن يمنَع أولياء ه النصر ظاهراً والفتح باهرا ، وأعداء ه الرُّعْب شاحِيًا والرُّمْ شاحِرا ، ونشهَدُ أنْ لا إله إلا الله شهادة من أقوله بالوَحْدأنيَّة صاغرا ، وأضَى لأوامره ممتثلًا ولنواهيه مُحاذرا ، ونساله أن يجعل حرْب الإيمان ظافِرا ۚ وَكُمِيَّاهُ مَنْصُرِهُ طَالِيًّا لِلنَّارِ ثَائِرًا ؛ وصِلَّى الله على سيدنا عِنْ رسولهِ الذِي ٱلتخبه من صَفْوة الصَّفُوة كابرًا فِكابِرًا ، وجعله بالفضيلة أوَّلًا وبالرِّسالة آخرًا ؛ فأيقَظ بالدِّعاية ساهيًا وناسحيًا وسَكَّن بعد الإبانة مُنافيا ومنافرا، وأذهب بنُوره ليـلَّا من الحَهَالة سَاتِراً ﴾ وقام بجهَاد الكَفَرةَ لَيْثا خادرا ، وباشر بنَّفْسه المكارة دارعاً وحاسراً ؛ وشهد بَدْرا مِبادِرا ، وَحَنَيْناً مُنْدُرًا بالحبر ناذِرا ؛ وَظَهَرَ عليهم في كلِّ الْمَشَاهد غَالْبا وما ظَهَرُوا نَادَرًا؛ وعَلَىٰ آلِه وأضحابِهِ الذينَ منهم صاحبُهِ وخليفتُه ، المعلومةُ رأفته ، أبو بكر الذي ٱقْتَحَمَ لَمُوْلَ الرِّدَّةُ مَصَابِرا ، وسُلُّ في قتال الرُّومَ أهلِ الجَلَد والشَّدَّةُ سُيْفًا باتِرا ، ومنهم الْقَوِيُّ فَي ذَاتُ اللَّهَ عَمَرُ الذِّي أَصْبَحَ بِهِ رَبُّعُ الإِسْلامُ عَامَرًا، وَلَمْ يَخَشَّ فَي اللّه عاذلاً وَلَمْ يَوْجُ غَادُوْا ، ومنهم الأَصْدَقُ حَياءً عَثَمَانَ مُلاقِي البلوي صَابِرا ، وَالْخَفْرُ الذِّي لَمْ يُرّ للأَذِمَّة خافراً ؛ وَمَنْهُمُ أَقْضَاهُمُ عَلَى ۖ الذِّي قاتِل باغيَّا وَكَافِرًا ، وَباتَ لْخُوفُ اللَّهِ سَاهِس أَهُ وَرَضَى اللَّهُ عَنِ الإِمام المهديّ الذي أطلعه نُورا باهر أ ، و بحرًّا للعلم زاخرا ، وأتى به والضَّالِأُلُ يَجْرُ رَسَى مُعْسَادِرا ، والبَّاطلُ يُثَيِّتُ ويَنْفِي وارِدا وصادِرا ، فِقد رسم الحِقّ وكان دارا، وقام آرائه عَلَما هاديا وقُرْما هاديا ؛ وعن الخلفاء الراشدين المُرْشِدِينَ مِنْ أَصِبِحِي عَائدًا عَنَ الْحِقِّ جَائِراتُ الْمُجَاهِدِينَ خَاتِلًا بِالْعَهْدِ خَاتِرا فَ ع

الألتِبَاسُ ونِعمَهُ ، بَهَا نَتَهَ سَبَحَانَهُ جَعَلَ الإِمَامَةَ النَّاسُ عَضَمَهُ ، وَمَنْجَاةً مِن رَبِّ الأَلْتِبَاسُ ونِعمَهُ ، بَهَا نَتَهَدُّ مِمَارَةُ الأَرْضُ ، و يَعْجَدُ صَلاحُ النَّكُلُ والبغض ، ولولاها ظَهُو الْفَلْلُ ، والبغض ، والمَتَهِ فَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهُ ، والسَتُعِينُ مَ المَقْلَمُ الطَّلُومُ الطَلْمُ عَلَيْكُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللللللللللللللللللللللل

⁽۱) أَى لَمْ يَخِفُ وَ فَى بِمِضَ النَّسِخَ «وَلَا يَبْرِح غَادَرًا» وَهُو غَيْرِ مِنَاسِبُ •

في ذات الله والتَّقَاطُع فقَطَعوا في ذات الله ووصَّلُوا ؛ وعدَّلُوا بين أهْلِيهم وأقْرَ بِيهم فيها وُلُّوا، ونَهَضُوا بأعباء الكِفايةِ والحماية وٱســتقَلُّوا؛ وألزمهم الاِتِّفاقَ والإنقياد، وحظَر عليهم الآنشِناق والعِنَاد ؛ فمَلَكُو بأزمَّة العقل قِيادَ الأُمُورِ ، وأشرقَتْ بسِيرتهم المباركة أقاصي المعمُّور؛ وشاهد الناسُ فواضلَ إمامهم ، وتبيَّنُوا من سيبتهم العادلة عُلُو مِلَّهُم في الخلائِف ومَقَامهم ؛ ولم يُطْرَقُ في مُدِّتهم للإسلامِ جَنَابٍ ، ولا ٱقْتُحِم له باب ؛ وأنَّى وسُيُوفُهم تقْطُر من دِمَاء الأعداء ، و بلادُهُم ساكنةُ الدُّهْبَ ، والكَفَرُهُ بِالرُّعْبِ الْمُخامِرِ والداءِ العَيَاء؛ وأهلُ الإيمان، يَجَرُّون ذُيولَ العَزَائم، وعَبدةُ الصَّلْبان، يُعْرُرُون فيذَيْل الهَوَان الدائم؛ إلى أنْ عَدمت الأرضُ منهم بحارَها الزَّواخر، وأنوارَها البَوَاهِم، ورأتْ بعــدَهم العُيونَ الفواقُّ والمُتُونَ الفواقِر؛ وٱكْفَهَرُّ وجهُ اللَّهُواء، وتفرّقت النرقُ بحسَب الأَّهُواء؛ وسُفكت الدِّماء، ورُكبت المَضَلَّةُ العَمْياء؛ وآحتُقبتِ الحَوائِرِ ، وأَهْمِل الشُّرِّئُ والشَّعائرِ ؛ ثم إنَّ الله تعالىٰ أَذَنَ في كَشْف الكُرَب ، وأطلَع بالغَرْب نُورا مَلَا ُ الدُّنْوَ إلىٰ عَقْمَه الكَّرَب ؛ وهو النُّور الذي أضاء للبَصَائر والأَبْصار، وطلع على الآفاق طُلُوعَ النَّهـار، وذُخِرتْ أيَّامُه السـعيدةُ لدَرْك الثار؛ وَكَافَتْ بِهِ الخلافةُ وطال بِما كَافَهُ ، وقام بالإمامة مثـلَ ما قام بها الخلفاء الراشدون سَلَفُه ؛ وذٰلك هو الخليفةُ الإمامُ أمير المؤمنين الرشيدُ بالله آبُ الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين ، وخَلَّد في عَقِبهم الإمامةَ إلىٰ يومِ الدِّين؛ وهو الأَسَدُ الْهَصُورِ، وَمَنْ أَبُوهِ الْمَأْمُونُ وجدَّتِهِ الْمُنْصُورِ؟ العريقُ في الخَلَافِه، والحقيقُ بالإمامــة والإنافه؛ فِحْمَع ما ٱفتَرَق ، ونَظَّم الأمورَ ونَسَّــق ؛ ومنَّع الحَوْزةَ أَن نُطُرق والملة أن تُفترق أو تُفَرَّق .

+++

وهذه نسخةُ بيعةٍ كتب بها أبو المطرّف بنُ عُمَيرةَ الأندَلُسيّ بأخْذ البيعة على أهل شاطِبةَ من الأندَلُس لأبى جعفر المستَنْصِر بالله العبّاسِيّ ، قام بعَقْدها أَبُو عبدِ الله محمد بنُ يوسفَ بنِ هُودٍ صاحبُ الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفْسه ، وأن يكون آبنُه ولى عهده بعدّه، وهي :

الحمدُ لله الذي جَعَلَ الأرضَ قَرارا، وأرسلَ السَّماء مِدْرَارا، وسَخَّر لَيْلا ونهَارا، وقَدَّر آجاًلا وأغمارا، وخَلَق الخَلْق أطوارا، وجعل لهم إرادةً وآختِيارا، وأوجَدَ لهم تفَكُّرا واعتبارا، وتعاهَدَهم برحمتِه صِغَارا وكِبَارا.

أما بعدد، فإنَّ المستَأْثِرِ بالدَّوام، اللَّطيفَ بالْآنَام؛ أَنشَأَهُمْ على التغاير والتبايُن، وآضطِرهم إلى التَّجاوُرِ والتعاوُن؛ وجعل لهم مصلَحةَ الإِشتراك، ومنفعةَ الإِلتحام

 ⁽۱) لعله ° الذي رفع الله به من " الخ • تأمل •

والاِشتباك؛ طريقًا إلى الأفضل في حَيَاتِهم، والأسعَد لغايَاتِهم؛ وبعثَ النبيّين مُرَغِّبِين وعدِّرِين، ومبَشِّرين ومُنْدرين، فادُّوا عنه ماحَّل، وبيُّنُوا ماحَّم وحلَّل؛ وكان أعَّمهم دَعُوه ، وأُوثَقَهم عُرُوه ؛ وأعلاهم في المُنزِلة عِنْدَه ذِرُوه ، وأعطَّفَهم للقلوب وهي كالجَارة أو أَشَدُّ قَسُوه ؛ المخصوصُ بالمقام المحمُود، والحـوض المَوْرُود؛ وَشَفَاعَةُ اليومِ المُشْهُود، ولواءِ الحمد المُعْقُود؛ صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وسِلم أَفْضَل صلاة تُقْضَى إلى الظلِّ المُدُود، وتبلغُنا من شفاعته أَفْضَلَ مُوْعُود ؛ بعثه الله الدُّحْرَ والأَسْود، والأدنى والأبْعَد؛ فصدَع بأمره وظلامُ الليل غيرُ مُنْجاب، والَّدَاعِي إِلَىٰ اللَّهِ غَيْرُ مُجَابٍ ؛ وأَهُلُ الْجَاهِلِّيةَ كَثَيْرَ عَدَّدُهُم ، شَدْيَدٌ جَلَدُهُم ، بعيدُ في الصَّدلة والعَوَاية أمَّدُهم؛ فسَلَك من هِدايتهم سبيلا ، وصبَرَ لهم صُـ بُرًّا جِيلا ، يُحِبُّ صَــلاحَهُمْ وهم العَدُق؛ ويَلين لهم إذا جَدَّ بهم العُتُوَّ، ويَجْهَدُ في إظهار دينِــه ولدير الله الظهُورُ والعُلُو ؛ حتى آنقادُوا بينَ سابق سبقَتْ له السَّعاده؛ ولاحق تداركَتْه المشيئة والإرادَهُ؛ ولما رُفعتْ رايةُ الإسلام، وشفعَتْ حُجَّةَ الكتاب حَّجَّةُ الإسلام؛ ودُعِيَ الناس إلى الترام الأحْكام، ونُهُوا عن الاِستقسام بالأزْلَام، أُخَبُّوا إلى الربِّ المعبُود، وأشفقُوا من تَعَدِّى الحدُود، ووُعظوا في الأيمان والعُمُود؛ فَأَتَّمَرُوا للشرع حينَ أَمَرُ، وخافُوا وَخامَة مَنْ إذا عَاهِـ د غَدَر ؛ فكان الرجلُ يدَّعُ الخوضَ فيما لا يُعْلَمُه ، و يَتركُ حقَّه لأجل يمين تأزَّمَه ، وشُرعت الأيمانُ في كلِّ فنَّ بحسَب المحلوف عليه، وعلى قدر الحاجة إليه؛ فواحدُّهُ في المال لحقَّ الأداء، وأربُّم عُمَّسَةً عند مُلاعَنةِ النِّساء، وخمسونُ ٱلنُّهِيَ إليها في أحكام الدِّماء ، فُتُوبِّق للحدُودِ علىٰ مَقَادَيْرِهَا ﴾ وجرَتْ أَمُور العباداتِ والمعاملاتِ على أفضل تقديرِها ؛ وقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدلُ قائم ، والشرعُ على القوى والضعيف ما كم، والربُّ

⁽١) لعل المراد بالأول الدين وبالثاني الانقياد إن لم يكن مصحفًا عن الاستشلام - •

جُلُّ جُلالَةٌ أَيْمًا تُخَفِّى الصَّلَادُورُ عَالَمْ ؛ وقام بعُده الخلَفاءُ ٱلأَوْبِعُنَّةَ أَرْكَانُ الدِّينَ ﴿ وأعضادُ الحقِّ المبِينَ ﴾ يجلُونَ الناسَ على سَنَيْهُ الواضح ؛ وينقِّلُونَ أمورَ المَصَالح ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الأَحْكَامُ وُقُوفًا مِعِ الظاهرِ وترجيحًا للراجِحِ ؛ وَكَامُوا يَتُوقَّفُونَ فَي بَمض الأحيان، ويطلُبُون الشُّسَبَه وجْهَ البَيَان، ويستظهرون على تحقيق كثيرٍ من الوقائع بالأيمان؛ حتَّى كان علُّ كرم الله وجهَه يستثبِتُ في الدِّرايه، ويستخلِّفُ الراوِيَ على الرَّوايه؛ وما أنكر ذلك أحدًا؛ ولا أعْوزَه من الشرع مستَّغَذ؛ رضي الله عنهم أعُّةً بالعَدُل قَضَوا ، وعلى سبيله مَضَوا ، والسِّيرَةَ الحليلةَ تَخيُّرُوا وآرتضَوا ، وعن سبيد الأَيَّامَ ، ومستنزل دَرّ العَهَم، عم نبيّيا عليه أفضل الصلاة والسلام ، الحامي الحدب، والْمُقِل الأَشِيب؛ والغيث الهامل المُشكِب، أبي الفضل العبَّاس بن عبد المطَّلب؛ وعن الفائزين بالرُّبَّة الكريمه، والصَّحْبة القديمي، والمَّناقب العظيمه، بُدُور الظَّالام وبُجُورَ الحِكُمُ ، وصُـدُورَ أَنْديَة الفضل وَالكُّرَم ، وَسَائَرُ صِحَابِهِ عَلَيْهُم السَّلامُ الذَّينَ أسلموا علىٰ عُمْزُه، وأسلفُوا جدًّا في نَصْره، وأدرُّكوا من برَّكة عيانه وزمانه مالامُدْرَكَ لحصره ؛ كُرِّم الله مآبَهُم، وأجرَل ثَوابَهُم، وشكر لهم صَبْرهم وآحتِسابَهم ؛ فلقد عَقَدُوا نيَّةَ الضَّدق عند قيامهم لأداء فريضة الإطاقَهْ ، وٱستباحُوا صلاةً الشكر حينَ رفَعُوا حَدَثَ الرِّدَّة وأراقُوا سُؤْر الشَّرك وقد ٱستحَقَّ بنجاسَتِهِ الإِراقَهُ، وٱبْتَزُوا كُسْرَىٰ زيْنَتَهُ فأبرزُ وها على سُراقه؛ فرَّأُوا عِيانًا ما أخبر به ســيُدُ المرسَلينِ، ومَلَكُوا مَأْزُوَى له مِنها فَاطُّلُعُ عَلَيْهُ مِعَةً اللِّينِ ؛ وذهبُوا فأظلَمَت الأرضِ مِن يَعْدِهِمْ ، وتنكرَّت الْمَارِثِي لْهَقْدُهُمْ ، وَآخَتُلُطُ الْهُمَلُ وَالْمُرْعِيِّ ، وتَشَابَهُ الصَّرِيحُ وَالدَّعِيِّ ؛ وَثَارَتِ الفَتَنُ مَن كُلّ جَانِبٍ ، وصارت الحقوقُ نُهْبُـةَ [كل] ناهِب ؛ وَلَمَّا بَرِحْتِ الْعَهود ، وتُعِدِّيثِ

⁽١) مراده على عهد النبي وفي زمنه ٠

⁽٢) لعله ولما تركت المهود و تأمل .

الحُدُود؛ بِلَنَ الوقتُ المحدُود، وطلعتْ بِياضِ العَدْل الراياتُ السُّود؛ تحْتَهَا ساداتُ النَّاس، وذَادَةُ مَوْقِف الْباس، وشُهُبُ اليوم العَمَاس، ونُجُبُ البيت الكريم من بن العَبَّاس؛ فأعادُوا إلى الأمر رؤنقه، ونقوا عن الصَّفُو رَنَقه، وحَوَّا حُمَ المسلمين، وأحْيَوْا سُنَّة آبن عَمِّهم سيِّد المرسلين؛ فأصبحتِ الأمُورُ مِضْبُوطه، والتُّنُور مَحُوطه، والسُّبُل آمنه، والرعيَّةُ في ظلِّ العَدْل والأمْن ساكنة، وكان الناسُ وَالتَّنُور مَحُوطه، والسَّبُل آمنه، والرعيَّة في ظلِّ العَدْل والأمْن ساكنة، وكان الناسُ وَالتَّنُور مَحُوطه، والسَّبُل آمنه، والرعيَّة في ظلِّ العَدْل والأمْن الكنة، وكان الناسُ والتَّنُور مَحُوطه، والسَّبُل آمنه، والدَّلُول، والمتطوا الحَرْنَ والسَّبُول؛ فَوْتِقُوا منهم بطاعتهم، والدَّلُوهم على بيَعاتِهم، ذلك بأنهم ألزمُوهم منها واجباً على القطع، لازماً بإلزام الشَّرع، ووَجُدُوا لمُصلَحة الارتباط بالأَيْمان شواهد من الآثار المقوله، والأُصُول المقبول بومَنْ أعطى من نَفْسه كلَّ ما عليها، و راعى جملة المصالح وكلَّ ما تطرق الناباء فكف لا يكونُ في سَعة من هذا التكليف المستَنِد إلى الآثار الشرعية، الداخل في أقسام المصالح المرْعيَّة ، كا سلَف من الأئمة المُهتَدِين؛ آباء أمير المؤمنين وخليفة ربِّ العالمين، آبن عم سيِّدنا وسيِّد المرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين وخليفة ربِّ العالمين، آبن عم سيِّدنا وسيِّد المرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين وخليفة ربِّ العالمين، آبن عم سيِّدنا وسيِّد المرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين وخليفة وربُ العالمين، آبن عم سيِّدنا وسيِّد المرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين وخليفة وربُّ العالمين، آبن عم سيِّدنا وسيِّد المرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين وخليفة وربُّ العالمين المُعَلِق المُعْلِق المُ

لَنّ دعا الناسَ بالمملكة الفُلانية حماها الله إلى مُجّبتهم القويّة، وإمْرتهم الهاشميّة ؛ مجاهدُ الدين، بسيف أمير المؤمنين، جمالُ الإسلام، مجدُ الأَنَام، تاجُ خَواصّ الإمام؛ فَخْرُ مُلُوكه، شرفُ أَمْرائه؛ المتوكّلُ على الله تعالى أميرُ المسلمين أبوعبد الله مجدُ بنُ يوسُفَ بن هود ، أسعد الله أيّامه، ونصرَ أعلامه؛ وقام لذلك متوحّدا المَقام الكريم، مشمّرا عن ساعد التّصْميم؛ ماضيًا على الحَوْل مَضَاءَ الحُسَام القاضب، غاضبًا لأمر الله ورضاه على غاية هذا الغاضب؛ مالت إليه الأجياد، وأننالت عليه البِلاد؛ فانتظَمها مَدينة مَدينه، وجعل التوكّلُ على الله سبحانه شريعة منيعة وذريعة مُعينه؛ وتقدّم أيده الله بأخذ البيعة على نَفْسه وعلى أهدل الملة قاطبة للقائم بأمْر الله سيّدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أبي جَعْفر

أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الخُلَفاء الراشَدين؛ وكان له في ذٰلك المَرامُ السَّعيد، والمَقامُ الحميد، والقُدُّمُ الذي رضيَ إبْداءَه وإعادَتَه المُبْدئُ المُعيد؛ وخاطب الدِّيوانَ العزيز النبويُّ ــخلَّد الله شَرَفهــ متضرِّعا لوسائِل خِدْمته، متعرَّضا لعواطف رْحَمْتِـه ؛ وبعثَ رُسُولَه على أَصْـدق رجاء في القَبُول ، وأثبت أمَل في الإسْـعاف بالمَّامُول ؛ وأَشْاءَ هــــذه الإرادة القويمه، والسَّــعادةِ الكرِيمه ؛ تفاوضَ أهـــلُ البِلاد فى توثيق عَقْدهم للسلطان فلان المشار إليه الذى هو حُكْم من أحكام الإِجْماع المنعَقِد ، وأصلُ أفضىٰ إليه نظَرُ الناظِيرِ وآجتهادُ المجتَهِد ؛ إذ أجالُوا الأمْرَ فيما يَزيدهُ وَثَاقَهُ، ويُكْسُو وجْهَه علىٰ الأيَّام بشرا وطَلاَقه ؛ ويجعــل القلوبَ مطمئنَّةً بُرُسُوحه في الأعقاب، وتُشُوتِه علىٰ الأَحْقاب؛ فلم يَرَوْا رأَيا أَسَدٌ، ولا عَمَلًا أَحْصَفَ وأشَدَ؛ من أن يُطْلُبُوه بعقْد البيعة لِلاَبْنِه الواثِقِ بالله المعتبيم به أبي بَكْرُمجيد بنِ مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين ، على أن يكونَ ولِّي عهــدِهم مُدَّةَ والِده مَدّ اللَّهُ في حَيَاتِه، وأميرَهُم عند الأَجَل الذي لأبَّدُّ من مُوافاتِه ؛ فأمضىٰ لهم ذٰلك من ٱتِّفاقِهم ، وأَثْبِتُوا الْمَــَالَك؛ ومعــه الكتابُ الذي هو نصُّ أغنيٰ عن القيــاس، بل هو نورُّ يَمشي به في الناس ؛ وأدَّىٰ إلىٰ السلطان فلان المشارِ إليه من تشريف الدِّيوان العزيز النبويِّ مَاوَسَمَه مِن الفَخَارِ بِأَجَلِّ وَشُمِه، وقلَّده السَّيْفَ الصارمَ وَسَّمَّاه بِٱسْمِه، فَتلاقى السَّيْفان المَضْرُوبُ والضارِب ، وآشْتَبه الوَصْفَانِ المَاضَى والقاضِبْ ، و برزَتْ تلكَ الْخَلَحُ فابْيضٌ وجُهُ الإسلام من سَوَادها، ووُصِع الكَتَابُ فكادت المَنابِرُ تَشْعَىٰ إليه شوْقًا من أعوادها ؛ وقُوِيْت وَصَايَا الإِمام ، على الأَنَام ؛ فعلمُوا أنهـا من تُرَاثِ الرِّساله ،

 ⁽١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تأمل .

وَقَالُوا : كَافِلُ الإسلام جَدَّدُ له بهـ ذَا الصَّقْعَ الغربِيِّ حُكُمُ الكَّفَاله ؛ وسَمِعُوا مِن التقدُّمْ بإنصافهمْ، والتهمُّم بمواسطهم وأطرافهم ؟ جُمَّلًا عَفَّرُوا لَفَ الحَبَّاهَ يُجُودًا بالجهد، وسَجَدُوا للشُّكُرُ والحمد؛ فأدركُوا من بركة المَشَاهِد أَثْبَتَ شَرْفِ وأَبْقًاهُ ، ورأَوْا حقيقةَ ما كادتِ الأوْهامُ تُزُولُ عن مَرْقاه ؛ وآزْدادوا يقينًا بفضل ماصارُوا إليه، ورأَوْا عِيَانًا يُمْنَى مابايَعُوا عليه، فتوافَتْ طوائِفُهم المتبُوعه، وجماهيرُهُم المجمُّوعه؛ بَدَارًا إلىٰ المَرَاضِي الشَّيرِيفه، وبناءً علىٰ وَصايَا عَهْدِ الْحَلِيفِه، أَن يُجَدِّدُوا الَبَيْعَةَ لِمُجاهِدِ الدِّينِ ، سيف أميرِ المؤمنينِ ، توتَّى الله عَضْدَه ، ولا بنه الواثق بالله المعتصم به أنْهضه اللهُ بإمْرتهِ بعْدَه؛ ولم تَعْدُ أن تكونَ الزِّيادةُ الطارئةُ شَرْطا فى تقْرير الإِمْرَة المؤدَّاة و إثباتِها ، أو جاريةً مَعْرَىٰ السُّنَنِ التي يُؤْمَرُ الْمَصَلِّي بالإعادة عِنْد فَوَاتُهَا ؛ فأعادوا بَيْعته أداءً للفَرِيضة ورجاءً للفَضِيله ؛ وٱستَنَدُوا إلىٰ الإشارات الجليسله ، بعْدَ الاِستِخارات الطويله ؛ ورأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ البَيْعَاتِ العَبَّاسَيَّة ، و اتجاذُ حُكُم الأصل طرِيقُ الإِلْحَاقات القِياسِيَّه؛ فبايَعُوا علىٰ تذَكُّرِ بيعــةً أكَّدوها بِالْعُهُودِ المُستَحْفَظَهِ ، وَوَتَّقُوهَا بِالأيمانِ المَغَلَّظَةُ ؛ و بِادَرُوا بِهَا نِدَاءَ مُنادِيهم ، وأعطَوْا على الإصفاق بها صَفْقة أيديهم .

ولَّ النَّهَ عَمَّنُ ذَلِكَ إِلَىٰ اللَّلَا مِن أَهِلَ فَلانَةً وَجِهَاتِهَا، رَأُواْ أَن يَحْلِفَ مِن سَبَق ، ويَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَىٰ مَاصَرِّح بِهِ العَهْدُ الشريف وَنَطَق ، فَضر منهم العلماءُ والصَّلحاء ، والأجنادُ والوُزَراءُ والفُقهاء ، والْكاقةُ عَلَىٰ مَا اللّه عَلَىٰ اللّه العلماءُ والصَّلحاء ، والأجنادُ والوُزَراءُ والفُقهاء ، والْكاقةُ عَلَى تَمَايُنِهم فَى المَوَاسِ ، وتَفَاويهم فى المَوَاطن والمُكَاسِب ، وتَفَاويهم فى المَوَاطن والمُكَاسِب ، فَامْضَوْها بيعة كريمة المَقاصِد ، سليمة المَعَاقِد ، عَهْدُها مُحْمَم ، وعَقْدُها مُعْبَم ، ومُوجَبُها طاعة وسَمْع ، والتَقبَّد بها سُسنة وشَرْع ، ويَعْمُرونَ بها أَسْرارَهُم ، ويُفْتُون عليها أعارَهُم ، ويَقْنُون على الله عَلَيها أعارَهُم ، ويَقْنُون على الله عَلَيها أعارَهُم ، ويَقْنُون عَلَيها أعارَهُم ، ويَقْلَون بها فى عُسْر ويُسْر ، وربْح وخُسْر ، وضيق ورفاهية ، وعبَّة

وَكَرَاهِيَه؛ تَبرُّعُوا بذلك كُلُّه طَوْعًا، وآستُونُوه فصَّلًا فَصَّلًا ونَوْعًا نَوْعًا؛ وعاهدُوا عليها الذي يعسلم السُّرُّ وأخْفَىٰ ، وأضَّمَرُوا منها على ما أبَرُّ على الظـاهـ، وأَوُّفىٰ ، وتَقَبَّلُوا من الوَفَاء به ماوصف الله به خليلَه إذ قال : ﴿ وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وأقسموا بالله الذي لا إِلَّهَ إِلَّا هُو عَالَمُ الغيب والشهادة العزيزُ الرِّحِيم ، و بمــا أَخَذَه علىٰ أنبيائه الكرام من الْعُهُودِ المؤكَّده، والمَوَاثيقِ الْمُشَدَّده، علىٰ أنهم إن حادُوا عن هذِه السبيل، وآنقادُوا لداعي التحريف والتَّبْدِيل؛ فَهُم مُراءً من حول الله وقوَّته إلىٰ حَوْلُم وقُوَّتهم، تاركون ذِمَّته الوافيةَ لذِمَّتُهم؛ والأيمانُ كالها لازمةٌ لهم علىٰ مذِهب إِمام دار الهجرة، وطلاِقُ كُلُ ٱمرأةٍ في مِلْكِ كُلُ واحدٍ منهم لازمٌ لهم ثلاثًا ، وأيُّما ٱمرأةٍ تزوَّجَها في البلاد الفلانيـة فطلاقُها لازمُّ له، كلَّما تزوَّجَ واحدُّ منهن واحدةً خرجتُ طالقا ثلاثًا؛ وعلىٰ كُلِّ واحدِ منهم المشيُّ إلىٰ بيتِ الله الحرام علىٰ قدمَيْه ، مُحْرِّمًا من مَنْزِله بَعَجَّةٍ كَفَّارَةً لاَتُجْزِئُ عن حَجَّة الإسكام ؛ وعبيدهُم وأرِقَّاؤُهم عُتَقَاءُ لاحقُونَ. بأحرار المسلمين، وجميعُ أموالِهم عَيْنا وعَرْضا، حَيوانًا وأرْضا، وسائرُ مايَحْوِيهِ الْمُتملِّكُ كُلِّلًا وبعضا، صدقةً لبيتِ مال المسلمين؛ حاشىٰ عَشَرَة دنانِيرٍ . كُلُّ ذٰلك علىٰ أشدّ مذاهب الفَتْوي ، وألزمها لكلمةِ التَّقُوي ؛ وأبعدها من مخالَفةِ الهَوي والظاهر والفَحْوىٰ؛ أرادُوا بذٰلك رضا الخلافة الفلانيـة والفلانية (بلقبي السلطنة) للسلطان وولده المَاخُوذِ لِمَا البِيعَةُ بعد بَيْعَته، وأشهدُوا اللهَ علىٰ أنفسهم، وكفي بذلك آغْتِرَامًا وَٱلْتِرَامَا، وَشَدًّا لَمَا أَمَر بِهِ وَإِحْكَامًا ؛ وَ﴿ مَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِه ﴾ ﴿ وَمَنْ يَفْسَعَلُ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهم يرفعُونِ دَعَاءَهم إلى الله تَضَبُّرُعا وآسَتِسْلامًا ، ويسألُونه عصمةً وكفايةً آفتتاحاً وآختتاماً ؛ اللهم إنَّا قد أنفَذْنا هـــذا العقْد آقتـــداءً وَأَهْتِهَاما ، وقضَيْنا حَقَّه إِكَالًا و إتمامًا ، وأَسَلَّمْنا وجْهِنا إليك إسْلَاما ؛ فَعَرِّفْنَ من خيره و بركتِــه نَمَــاءً ودوَاما، وآكلاً أنا بعينك حركةً وسُكُونِا ويقَظَةً ومَنَاما :

و ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزُواجِنَا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيَنٍ وَآجْعَلَنَا لِلتَّقِينَ إماما ﴾ إنك أنتَ اللهُ منتهىٰ الرَّغَبات، ومجيبُ الدَّعَوات، و إلهُ الأرض والسَّمْوات.

**

وهـذه نسخةُ بيعة مرَّتبة على موتِ خليفة ، أنشأتُها على هـذه الطريقة لموافقتها رَأْى كُمَّابِ الزمان في آفتتاح عُهُود الملوك عرب الخلفاء بالحمـدُ لله كما سيأتى بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ، وتعرّضت فيها إلى قيامٍ سـلطانٍ بعقْدِها : لمطابقة ذلك لحال الزَّمان ، وهي :

الحمدُ لله الذي جعلَ الأُمَّة المحمدية أبذَخَ الأُمَّمِ شَرَفا ، وأَكْرَمها نِجارًا وأفضَلَها سَلَفا ، وجعل رُتُبة الخلافة أعلىٰ الرُّتَب ربّبةً وأعزَّها كَنفا ، وخصَّ الشجرة الطيّبة من قريش بأنْ جعل منهم الأنجمة الخُلفا ، وآثر الأُسْرة العبّاسيَّة منها بذلك ، دعوةً سبقتْ من آبن عمِّهم المُصْطفىٰ ، وحفظ بهم نظامَها علىٰ الدَّوام فِحمل ممن سلفَ منهم خَلفا ،

نَحَدُه علىٰ أَنْ هَيَّا من مقدِّمات الرَّشَد ماطاب الزَّمانُ به وصَفَا، وجدَّدَ من رُسُوم الإِمامة بخير إمام مادَرَس منها وعفَا؛ وأقام للسلمين إمامًا تأرَّج الجوُّ بنَشْره فأصبح الوُجُودُ بَعَرْفه معتَّرِفاً .

ونشهدُ أَنْ لا إِلَهَ اللَّا الله وحده لاشريك له شهادة على تمسَّك بعهدها فوفى، وأعطاها صَفْقة يده للبايعة فلا يَبْغِي عنها مَصْرِفا، وأنَّ عِدًا عبدُه ورسولُه الذي تدارك الله به العالمَ بعد أنْ أشْفىٰ فَشَفَىٰ، ونَسخَتْ آية دينه الأديان وجَلا بشرعته المُنيرة من ظُلْمة الجهل سَدَفا ، وجَعَل مُبايعة مُبايعا لله يأخُذُه بالنَّكُث ويُوفِيّه أَرْحَه على الوَفا، صلَّى الله عليه وعلى آله الأطهار وعِثْرتِه الشَّرَفا، ورضى الله عن أصحابه على الوَفا، ورضى الله عن أصحابه

الذين ليس منهم مَنْ عاهد اللهَ فَغَدر ولا وَادَّ في الله فِخَفَا، خصوصًا مَنْ جاء بالصَّدْق وصَدَّق به فكان له قرابةً وصَـفُوةَ الصَّفا ؛ والمرجوعَ إليـه في البَيْعة يوم السَّقيفة ﴿ بعدما ٱشْرَأَبَّت نحوَها نَفُوسُ كادتْ تذُوبُ عليها أَسَفَا ؛ والقائمَ في قتــال أهلِ الرِّدّة من بنى حنيفة حتى ٱستقامُوا على الحنيفيَّة السَّمْحةِ حُنَفًا. ومَن ٱستحالَ دَلُوُ الخلافة في يَدِه غَرْبا فكان أَفْيَدَ عَنْقَرِي قامَ بأمْرِها فكَفيْ، وعَمَّتْ فَتُوحُه الأمصارَ وحُمِلَتْ إليه أموالُماً فلم يُمْسِكها إقتارًا ولم يُبَذِّر فيها سَرَفا . ومَنْ كان فضْلُه لسَهُم الإختيار من بينِ أصحابِ الشُّوريٰ هَدَفا ؛ وجمع الناسَ في القُرءان على صَحِيفةٍ واحدةٍ وكانتُ قَبْلَ ذَلَكَ صُحُفا. ومَنْ سرى إليه سِرّ : ﴿ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ منَّى بمنزلة هارُونَ من مُوسَى " فَغَدَا يُجُرّ من ذَيْل الفَخَار سَجْفا؛ وٱســتولىٰ علیٰ المَكَارم من كلِّ جانبِ فَحَازَ أَطْرَافَهَا طَرَفًا طَرَفًا ، وعلىٰ سائر الخَلَفَاء الراشدين بعدهم ممَّن سلَك سبيلَ إلحق ولطرِيق الْهَــدىٰ آڤتفىٰ؛ صــلاةً ورِضُوانًا يُذْهِبان الداءَ العُضَالَ من وَخَامة الْغَــدْر وَيُجْلُبانَ الشُّفَا ، ويرْفَعَانِ قَدْرَ صاحبهما في الدنيا ويُبَوِّئانِ منتَحِلَهما من جَنَّات النعيم غُرَفًا .

أمَّا بعدُ، فإنَّ عَقْد الإمامة لمن يقُومُ بأمْ الأمَّة واجبُّ بالإجماع، مستندُّ لأَقُوىٰ دليلِ تنقَطِع دُونَ نقْضِه الأطّاع، وتنبُّو عن سَمَاع ما يخالِفُه الأَسْمَاع ؛ إذ العِبادُ مجبولون على التبايُنِ والتغايُر، مطبوعون على التحالفِ والتناصُر؛ [مضطرُّون إلى التعاضُدوالتَّوازر] ؛ فلا بدُّ من زعيم يمنعُهم من التظالم، ويحمِلهم على التناصُف في التداعي والتحاكم ؛ ويُقيم الحُدودَ فتُصانُ من التظالمُ، ويحمِلهم على التناصُف في التداعي والتحاكم ؛ ويُقيم الحُدودَ فتُصانُ المحارمُ عن الإَنْهاك ، ويُحمِلهم على المناصُف في التداعي والتحاكم ؛ ويُقيم الحُدودَ فتُصانُ المحارمُ عن الإَنْهاك ، ويُحمِله الأنساب عن الإختلاط والإشتراك؛ ويَحمِي بيضة

⁽١) زائد في بعض النسخ ٠

الإسلام فيمّنع أن تُطْرَق ، ويصونُ الثّغور أن يُتوصَّل إليها أو يُتَطَرَّق : لِيعِزَّ الإسلام دارا ، ويَطْمئِنَّ المستخفي ليسلا ويَأْمَنَ الساربُ نَهارا ، ويَذُبُّ عن الحُرَم فَتُحَرَّم ، ويَدُودُ عن المُنكرات فلا تُغْشى بل تُصْطَلَم ، ويجهِّز الحيوش فتَنكاً العدُق ، وتُغير على بلاد الكُفْر فتمنعهم القرار والهُدُق ، ويُرغِمُ أَنفَ الفئة الباغية ويَقمعها ، ويُدغِمُ الطائفة المبتدعة ويردعها ، ويأخذ أموال بيت المال بحقها فيطاوع ، ويصرفها إلى مستحقها فلا ينازع - لاجرم اعتُ برلقيام بها أكل الشَّر وط وأتمَّ الصَّفات ، وأكرم الشَّيم وأحسَنُ السَّمات ،

وكان السـيدُ الأعظُمُ الإمامُ النبوِيّ ، سليلُ الخلافه ، ووَلِيُّ الإمامه؛ أبو فلان فلان العبَّاسِيِّ المَتوكِّل على الله « مثلا » أميرُ المؤمنين ، سَلَك الله تعالى به جَدَدَ آبائه الراشدين؛ هو الذي جمع شُروطَها فَوَقَّاها، وأحاطَ منها بصفات الكال وٱسْتَوْفاها ؛ ورامَتْ به أَدْنَىٰ مَراتِبِهِا فبلغَتْ إلىٰ أَغْياها، وتَسوّر مَعَالِيهَا فرقى إلىٰ أعلاها، وٱتَّحدَ بهـ الله عنه الله عنه المامة عنه عن المامة عن المامة عن المامة عن المامة عنه المامة المامة عنه المامة المام خُطَّابُها لقلَّة أكفائها؛ فلم تُلْف لهـ) بَعْلا يكونُ لها قَرِينا ، ولا كُفْتًا تَخْطُبُهُ يَكُونُ لدَّيْهَا مَكِينًا ، إلَّا الإِمامَ الفلانيُّ المشار إليه، فدعَتْ ولحِطْبتها وهي بيتُ عِنْ سه : ﴿ وَرَاوَدَتُهُ أَلِّي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسه ﴾ فأجاب خطْبَتَهَا، ولَتَّي دَعْوتَها: لَتَحَقَّقه رَغْبَتُهَا إليه، وعِلْمِه بوجُوب إجابَتها عليه، إذ هو شَـبْلُها النـاشئُ بِغَابِها ، وَغَيْثُهَا المستَمْطَر من سَحَابِها ؛ بل هو أسَــدُها الهَصُور ، وقُطْب فَلَكُها الذي عليه تدُور ؛ وَمَعْقَلُهَا الْأَمْنَعُ الْحَصِينِ، وعَقُدُها الأَنْفَسُ التَّمينِ، وفارِسُها الأرْوعُ وَلَيْثُهَا الشَّهِير، وآبُنُ بَجَدْتُهَا السِاقطَةُ منه علىٰ الخَبِيرِ؛ وتِلادُها العلمُ بأحْوالها، والجَدَيرُ بمعرفة أَقُوا لِهَا وأَفْعَالِهَا ؛ وتَرْبُحَانِهَا المَتَكُلِّمُ بِلِسَانِهَا؛ وعَالِمُهَا المَتَفَنِّنُ فَي أَفْنَانِهَا؛ وطبيبُها العارفُ بطَّبُّها؛ ومُنْجِدُها الكاشِفُ لكُرْبها .

وحينَ بِلِغَتْ مِن القَصْد شُولَهَا، ونالتْ بالإجابة منه مَأْمُولَهَا، وحَرُم على غيره أن يُسُومَها لذَّلك تَلْويحاً ، أو يُعَرِّجَ على خِطْبتها تعرِيضًا وتَصْرِيحًا ، ٱحتاجَتْ إلىٰ وَلِيَّ يُوجِب عَقْدها ، وشهود تحفُّظُ عَهْدَها ؛ فعنْدها قام السلطانُ الأعظَمُ الملكُ الفلانيُّ (بالألقاب السلطانية إلىٰ آخرها) خلَّد الله سلطانَه، ونصَر جُنودَه وجُيوسَه وأعُوانَه؛ فَانتَصَبَ لَمَا وَلِيًّا، وأَقَامَ يَفكُّر فِي أَمرِهَا مَليًّا؛ فلم يجدْ أَحَقٌّ بها منه فتجَنَّبَ عَضْلَهَا، فلم تَكُنْ تَصْلُح إِلَّا له ولم يَكُنْ يَصْلُح إِلَّا لَهَا؛ فِمَعَ أَهْلَ الحَلِّ والعَقْد ، المعتزين للآعتبار والعارفين بالنَّقْد : من القُضاة والعُلَماء، وأهل الخَــيْر والصُّلَحاء، وأرباب الرأَّى والنُّصَـحاء ؛ فاستشارهم في ذلك فصَوَّبُوه ، ولم يَرُوا الْعَـدُولَ عنه إلى غيره بوجْهِ من الوُّجُوه؛ فاستخار اللهَ تعالىٰ و بايَعَه، فتَبعه أهلُ الإختيار فبايَعُوا، وٱنْقادُوا لُحُكُمه وطاوَعُوا ؛ فِقابل عَقْدَها بالقَبُولِ بَحْضَر من القُضاة والشُّمود فلزِمَتْ ، ومضى حُكُمُها علىٰ الصحة وَٱنْبَرَمَتْ . ولَمَّا تَمَّ عَقْدُها ، وطلَعَ بصُبْح الْبُمْنِ سَعْدُها، ٱلتمس المَقَــائُمُ الشريف السلطانيّ المَلَكيّ الفلانيّ المشارُ إليه أعلىٰ الله شَرف سلْطانه ورَفَع عَلَّه ، وَقَرَن بالتوفيق في كلِّ أمْرٍ عَقْدَه وحَلَّه ، أنْ ينالَهُ عَهْدُها الوَّفي ، ويَرِدَ منها مَوْرِدَها الصَّفِيِّ: البُّرْفَع بذَّلك عن أهل الدِّين مُحَجبًا، ويَرْدادَ من البيت النبويُّ قُرْبًا؛ فتعرُّضَ لنَفَحاتها من مَقرَّاتها، وتطلُّب بَركاتها من مَظنَّاتها، ورَغب إلى أميرالمؤمنين، وآبنِ عم سيد المرسلين صلواتُ الله عليهم أجمعين ، أن يجدِّدَ له بعَهْد السلطنة الشريفة عَقْدا ، ويأخُذَ له على أهل البَيْعة بذلك عَهْدا ؛ ويسْتَحْلفَهم على الوَفَاء لها بِمَا عَاهَدُوا ، والوُّقوفِ عند ماباَيَعُوا عليه وعاقَدُوا : لَيَقْتَرِن السُّعدان فَيَعُمُّ نُوءُهما ، ويجتَمِع النَّيِّرَان فَينْهَرَ ضَوُّءُهما؛ فَلَبُّء تلبِيةَ راغب، وأجابه إجابةَ مطلوبٍ وإن كان هو الطالِب ؛ وعَهِــد إليه في كلِّ ما تقتضيه أحكامُ إمامته في الأمة عُموماً وشُيُوعا، وفَوْضَ إِه بُحْكُمُ الْمَالَكَ الْإِسْلاَمَيَّة جميعاً ؛ وجعَلَ إليْـه أَمْنَ السلطينة المعظَّمة بكلُّ

نطَاق، وألِين إليه مَقالِيدِها وصَرَّفه فيها على الإطْلاق؛ وأقامه في الأمة لعَهْد الخلافة وَصِيًّا، وجَعَله للإمامة بَتَفُويض الأمْن إليه وليًّا؛ ونَشَر عليه لواءَ أَلَمْك وقلَّده سيْفَه العَضْب ، وألبَسَــه الخلعة السُّوداء فابيضٌ مر . _ سَوادها وجْهُ الشرق والغَرْب ؛ وكتَبَ له بذلك عهدًا كبَّتَ عدُوَّه، وزاد شَرَفه وضاعَفَ سُمُوه ؛ وطُولب أهلُ البيعة بالتَّوثيق على البَّيْعتين بالأيمان فأذعَنُوا ، وٱلسُّتُحلُّفُوا على الوَفَاء فب الُّغُوا في الأيمــان وأمْعَنُوا ؛ وأقســمُوا بالله جَهْد أيمــانهم ، بعــد أن أشْهِدُوا الله عليهم في إسرارهم و إعلانهم ؛ وأعطُّوا المواثيــقَ المُغَلَّظةَ المشــدُّده ، وحَلَفُوا بالأيمــان الْمُؤكَّدة المَعَقَّده، على أنهم إن أعْرَضُوا عن ذلك أو أدْبَرُوا، وبَدَّلوا فيه أو غَيَّرُوا؛ أُوعَرَّجُوا عن سبيله أو حادُوا، أو نَقَصُوا منه أو زادُوا؛ فكُلُّ منهم بَرىء من حَوْلٍ · الله وقوَّته إلىٰ حوْل نفْسه وقوَّته، وخارجٌ من ذمَّته الحصينةِ إلىٰ ذمَّته؛ وكلُّ آمرأة فى نكاحِه أو يَتْزَوَّجُها فى المستقْبَل فهى طالقٌ ثلاثًا بَتَاتًا، وَكُلُّما راجعها فهى طالقٌ طلاقا لايڤتضى إقامة ولا ثَباتَا ؛ وكلُّ ممــلوك في ملْكه أو يملُّكه في المســتقبل حُرٌّ لاحقُّ بأحرار المسلمين، وكلُّ ما مَلَكه أو يَمْلُكه من جَمَاد وحيوانِ صــدقةً عليه للفُقَراء والمساكين؛ وعليه الحجُّ إلى بيت الله الحَرَام، والوقوفُ بعرفَةَ وسائر المَشَاعِر العظَام؛ مُحْرِمًا من دُوَيْرة أهـله ماشيا، حاسرًا عن رأسه و إن كان به أذَّى حافِيا؛ يَا تِي بَذَلَك فِي ثَلَاثَينَ حَجَّة مَتَنَابِعَةً عَلَىٰ التمَّامِ، لأَتُجْزَئُهِ وَاحَدَّةً مَنهَا عَنَحَجَّة الإسلام؛ و إهــداءُ مائة بدنة للبيت العَتيق كلُّ سنة علىٰ الدُّوام، وعليه صومُ جميع الدُّهُر إلَّا المَنْهِيَّ عنه من الأيَّام، وأنْ يَفُكُّ ألفَ رقبة مؤمنة من أَسْر الكفر في كلِّ عام ؛ يمينُ كلُّ منهم في ذلك علىٰ نيَّــة أمير المؤمنين ، وسلطان المسلمين ، في سرِّه وجَهْره وأولِهِ وآخِرِه، لانيَّة للحالف في ذلك في باطنِ الأمر ولا في ظاهِرِه؛ لا يُورِّي ف ذٰلك ولا يستَثني ، ولا يتأوَّلُ ولا يستَفْتي ؛ ولا يَسْعَىٰ في نَقْضُها ، ولا يخالِفُ فيها

ولا فى بغضها؛ متى جَنَع إلى شيء من ذلك كان آئما، وما تقدّم من تعقيد الأيمان له لازِماً ؛ لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عَدْلا ، ولا يُجْزِئُهُ عن ذلك كَفَّارَةُ أَصْلا ؛ لا لازِماً ؛ لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عَدْلا ، ولا يُجْزِئُهُ عن ذلك كفَّارةُ أصلا ؛ كلَّ ذلك على أشد المذاهب بالتخصيص ، وأبعدها عن التساهل والتَّرْخيص ؛ وأَمْضُوها بيعة مثيُونه ، باليمن مبتدأة بالتَّجْح مَقْرُونه ؛ وأشهدُوا عليهم بذلك مَنْ حضر عِلَسَ العقد من الأثمة الأعلام ، والشَّهود والحُكَّام ؛ وجعلُوا الله تعالى على ما يقولُون وكلا ، فاستَحق عليهم الوفاء بقوله عزَّت قدرتُه : ﴿ وأَوْفُوا بعهدِ اللهِ إذا عاهَدْتُمُ ولا تَتُقضُوا الأَيْمان بَعْد تَوْكِدها وقد جَعَلْتُم الله عليهم أله أن يُعمَل أثمتهم مَّن الله تعالى أن يُضاعِف لهم بحُسْن بيَّتِهم الأُجُور ، ويلجَّون إليه أن يجعل أثمتهم مَّن الله تعالى أله أله قوله : ﴿ الدِّينَ إنْ مَكَنَّاهُمْ في الأرضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاة أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ الَّذِينَ إنْ مَكَنَّاهُمْ في الأرضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاة وَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهُوا عن أَلمُنكِ وللهِ عاقِبَةُ الأُمُور ﴾ . إن شاء الله تعالى .

++

وهـذه نسخةُ بيعةٍ مرتبَّة على خَلْع خليفةٍ ، أنشأتُها على هـذه الطريقةِ أيضا ، وتعرَّضْت فيها لذِكر السلطان القائم بها ، على ماتقدّم فى البَيْعة المرتبَّة على موتِ . خليفةٍ ، وهى :

الحمدُ لله الذي جعل بيت الحلافة مَثابةً للناس وأَمْنا ، وأقام سُورَ الإمامة وِقايَةً للأنامِ وحِصْنا ؛ وشَد لها بالعِصَابة الْقَرَشِيَّة أَزْرا وشادَ منها بالعُصْبة العبَّاسيَّة رُكْنا ؛ وأغاثَ الحلْق بإمام هُدَّى حَسنَ سِيرةً وصفا سريرةً فراق صُورةً ورَقَّ معْنى ، وجمع قلُوبَهم عليه فلم يستَنْكف عن الإنقياد إليه أعلى ولا أدْنى ؛ ونزع جِلْبابها عمَّن شُغل بغيرها فلم يُعرِّها نظرا ولم يُصْغ لها أَذْنا ، وصَرَف وجهها عمَّن أساء فيها تصرُّفا فلم يَرْفع بها رأسا ولم يَعْمُر لها مَعْنى .

نعَدُه عَلَى نَمِ حَلَت النَّفُوسَ حَينَ حَلَّت ، وَمَنَ جَلَتِ الْخُطُوبَ حَينَ جَلَّت ؛ وَمَالَّ سُرَتُ إِلَى القُلُوبِ فَسَرَّت ، وَمَبَارَّ أَقَرْتِ الْعُيُونَ فَقَرَّت ؛ وعوارِفَ أَمَّتِ الْعُيونَ فَقَرَّت ؛ وعوارِفَ أَمَّتِ الْعُلِيقَةَ فَتُوالَت وما وَلَّت ، وقدم صِدْقِ ثَبَتْ إِنْ شَاء الله في الخلافة في تَوْلَاتُ ولا زَلَّت .

﴿ وَنَشِهِدُ أَنْ لَا إِلَّهَ إِلَّا اللهِ وحدَّه لاشريكَ له شهادةً تكونُ لنا من دَرَكِ الشُّكُوكِ كَالنُّهُ، ولمهَاوى الشُّبَه دارئه، وللمَقَاصِد الجميسلة حاويه، ولشُقَّة الزَّيْغ والإرتيابِ طُلوِيَهِ ؛ وأنَّ عِدًّا عبدُه ورسولُه الذي نَصَح الأمَّة إذ بلَّغ فشفىٰ عَلِيلَها، وأورَدَها مَنْ مَنَاهِلِ الرَّشَـد ماأطفاً وَهَجَها و بَرَّد غَلِيلَها ؛ وأوضَح لهم مَناهِجَ الحقِّ ودعاهُمْ إليها ، وَأَبَانَ لِمُ سُسِبُلِ الْهِدَايَةِ : ﴿ فَمَنِ آهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضَلُّ عليها) صلَّى الله عليه وعلىٰ آلِهِ أَنْمَة الخير وخَيْرِ الأَبْمَّة ، ورضى عن أصحابه أولياء العَدْلُ وَيُجْدُولِ الْأُمَّهُ ؛ صلاةً ورِضُوانا يُعَالَنُ سائِرِهم ؛ ويشْمَلان أَوْلَمَ وآخِرَهُم ؛ سِمَّا الصديق الفائز بأعلىٰ الرُّتبتين صِدْقا وتَصْدِيقا، والحائزِ قَصَبَ السبق في الفضيلتَيْن عَلْمًا وَتَحْقَيْقًا، وَمَنْ عَدَلَ الأنصارُ إليه عن سَعْد بن عُبادةً بعد ماأجَّمُوا على تَقْدِيمه، وَبَادَرَ المُهَاجِرُونَ إِلَىٰ بَيْعَتُهُ آعْتَرَافًا بِتَفْضِيلُهُ وَتَكْرِيمُهُ . وَالْفَارُوقِ الشديدِ في الله بأسا واللَّيِّن في الله جانبا، والْمُوفي للخلافة حَقًّا والمؤدِّى للإمامةِ واجبًا ؛ والقائم في نُصْرة الدِّين حَقَّ القيام حتَّى عمَّت فتُوحُه الأمصار مشارقَ ومَغَاربا، وأطاعتُ العناصر الأربعة : إذْ كان لله طائعاً ومِنَ الله خائِفًا و إلى الله راغبا . وذى النُّورين المعَوَّل عليه من بين سائر أصحاب الشُّوري تَنْويهـا بقَــْدره، والمخصوص بالآخْتِيار تفخِيًّا لأَمْرَه؛ من حُصِر في بَيْتُ له فَلَمْ يَمَنَّهُ ذَلِكُ عَنْ تِلاوة كَتَابُ الله وذِكُره، وشاهد سُيُونَ قَاتِلِيهِ عِيَامًا فِقَابَلَ فَتَكَاتِهَا بَجِيلِ صَـنْرِهِ ﴿ وَأَبِّي الْحَسِنُ الذِّي أَعْرَضَ عن : الخلافة حينَ سُئِلَهَا، وٱستعفىٰ منها بعْدَ ما ٱضْطَّرَّ إليها وقبِلها؛ وَكُشف لَه عن حقيقة ﴿

الدنيا فَ أَمَّ قِبْلَتُهَا بَقَلْبِهِ وَلا وَلَى وَجُهَهِ قِبَلَهَا، وصَرَّح بمقاطعتِها بقوله : « ياصَفراءُ غُرِّى غَيْرى يَابَيضاءُ غُرِّى غَيْرى » لَكَّا وصَلَها مَنْ وصَلَها ؛ وسائرِ الحَلَقَاء الراشدين بعدهم، الناهِجِين تَهْجَهم والوارِدِينَ وِرْدَهم .

أما بعدُ، فإنَّ للإمامة شُروطًا يجبُ آعتباُرها في الإمام، ولَوازمَ لا يُعْتَفَر فَواتُها فِ الْآِبْسَـداء ولا فِي الدُّوَامِ، وأوْصافاً يتعيَّن إعمالُك، وآدابًا لايسَعُ إهمالُك ؛ من أهِّمُها العَدَالَةُ التي ملاكُها التَّقُويٰ ، وأساسُها مراقبةُ الله تعالىٰ في السِّرِّ والنَّجْوَيٰ ؛ وبها تَقَعُ الْهَيْبُةُ لصاحبها فَيُجَلُّ ، وتميلُ النُّفُوس إليها فلا تمل ؛ فهي اَلَمَكُهُ الداعيةُ إلى تَرْك الكِبَائر وٱجْتِنابِها ، والزاحِرةُ عن الإضرار على الصَّفْائر وآرْتِيكَابِها؛ والباعثةُ علىٰ مُخالَفَة النَّفُس وَنَهْبِها عن الشَّهَوات ، والصارفةُ عن ٱنْتِهاكِ حُرِّماتِ الله التي هي أعظَمُ الْحُرُمات؛ والموجبةُ للتعفُّف عن المَحَارِم، والحاملةُ علىٰ تجنُّب الظُّلامات ورَدّ المَظَالم. والشَّجاعةُ التي بها حمايةُ البَّيْضة والذَّبُّ عنها، والأستظهارُ بالغَزْو على نِكايةٍ الطائفة الكافرة والغَضِّ منها؛ والقُوَّةُ بالشوكةِ علىٰ تنفيذِ الأوامِي و إمضائِها، و إقامةٍ الحدود واستيفائها، وتَشْرَكُمه الحق وإعلائها، ودَحْضَ كلمة الباطل وإخفائها، وقطع مادّة الفساد وحسم أدوائها؛ والرأى المؤدّى إلى السياسية وحُسْن التــدبير، ومَكَايِده، والْمُسْعِف في مَصَادركُلِّ أمر ومَوارِدهِ .

هـــذا وقد جعلنا الله أمّة وسَـطا، ووعَظَنا بمن سَلَفَ من الأُمَ ممن تمــرد وعَتَا أو تجبّر وسَـطًا؛ وعصَمَ أُمَّننا أن تجتمع على الضَّلال، وصانَ جَمْعنا عن الخَطَل في الفِعال والمَقَال؛ وندَبنا إلى الأَمْر بالمعــرُوف والنهي عن المنكر، وسوّعَ لأتمَّينا الإجتهاد في النَّوازل والأحكام فاجْتهادُهم لايُنكر؛ خصوصًا في شأن الإمامة التي هي

آ كُدُ أسباب المَعالَم الدينيَّة وأقواها ، وأرفَعُ المناصبِ الدُّنيويَّة وأعْلاها ؛ وأعَنَّ الرُّبَّ وَتَابَّ وَتَالَّمُ اللَّهَ اللَّهَ وَكَانَ القائمُ بأمر المسلمين الرَّنَ فلانُ بنُ فلان الفلائي مَمَّن حادَ عن الصّراط المستقيم ، وسلّكَ غيرالَّنْ القويم ؛ ومالَ عن سَنَن الخُلفاء الراشدين فأدركه الزَّلل ، وقارفَ المآثم فعادَ بالخَلل ؛ فعات في الأرض فَسَادا ، وخالفَ الرَّشَد عنادا ؛ ومالَ إلى الغيِّ آغيادا ، وأسلمَ إلى الحوى في الأرض فَسَادا ، وخالفَ الرَّشَد عنادا ؛ ومالَ إلى الغيِّ آغيادا ، وأسلمَ إلى الحوى في الأرض فَسَادا ، وخالفَ الرَّشَد عنادا ؛ ومالَ إلى الغيِّ آغيادا ، وأسلمَ إلى الحوى في الأرض فَلا عن طَوْر العامَّة فاتَّصف علىه إنكارُه قد باشَره ، وصديقُ سَوْء يتعين عليه إبعادُه قد وازَرَه وظاهرَه ؛ إنْ سلك فسبيلَ التُهَمة والارتياب ، أو قصدَ أمرا عنه أمر الأمة بأمر بَيه وبَناتِه ؛ الحُبنُ رأسُ ماله ، وعدَّمُ الرأى قرينُه في أفعاله وأقواله ؛ قد قينع من الخلافة بأشمِها ، ورضَى من الإمامة بوَشْمِها ؛ وظنَّ أنَّ السُّودَد في أَبْس السَّواد فال إلى الحَيْف ، وتوهم أنَّ القاطع الغِمْدُ فقطع النظر عن السَّيف . السَّود في النظر عن السَّيف ، السَّود في السَّود في السَّود في السَّود في السَّود في النظر عن السَّون في السَّود في السَّود في النظر عن السَّف في النظر عن السَّف في المَّود في المَّود في السَّود في السَّود في السَّود في المَّود في السَّود في المَّود في السَّود في الْ

ولا بهَا أحقُّ وأوْلَىٰ ، وأوفىٰ بها وأَمْلَىٰ ، من السيِّد الأعظم الإمام النبوى سليلِ الخلافة، وولِيّ الإمامة أبي فلانِ فلان العباسيّ الطائع لله « مثلا » أمير المؤمنين . لازال شرقُه باذخا ، وعرْ نينُه الشريفُ شامخا ؛ وعهْدُ ولايته لعهد كلِّ ولايةٍ ناسخا، فَسَامُوه بِيُعَتَهَا فَلَتْي ، وشَامُوا بَرْقَه لولايتها فأجابَ وما تأبُّي ؛ علمُكَ منه بأنها تعيَّنت عليه، وٱنحصرتْ فيــه فلم تَجِدْ أعلىٰ منه فتَعدلَ إليــه ؛ إذ هو آبُنُ بَجُدْتها، وفارسُ نَجْدَتها، ومُزيلُ غُمَّتها، وكاشفُ كُرْبتها؛ ومُعْلِي غَيَاهِها، ومُعْمِدُ عَواقِبها، ومُوَضَّحُ مذاهبها ؛ وحائمُها المكين، بل رشيدُها الأمين؛ فنهضَ المقامُ الشريف السلطاني " الْمَلَكَى الفلاني المشارُ إليه : قَرَن الله مقاصدَه الشريفةَ بالنَّجاح، وأعمالَه الصالحةَ بالفَــاَلاح ؛ وبَدَر إلىٰ بيعته فبايَعْ، وأُتُمَّ به مَنْ حَضَر من أهل الحَــلِّ والعَقْد فتابَعْ، وقابل عَشْدَها بالقَبُول فمضى، ولزم حُكْمُها وآنقضى؛ وآتَّصل ذلك بسائر الرعيُّــة فَأَنْقَادُوا ، وعابُمُوا صوابَهُ فَمَسَوْا على سَنَيْه وما حادُوا ؛ وشاع خبرُ ذلك في الأمصار، وطارتْ به مَخَلَّقاتُ البشائر إلى سائر الأَقْطار؛ فتعرَّفُوا منه اليُمْنَ فسارَعُوا إلى آمتثاله، وتحقَّقُوا صَّمَّتَه وثباتَه بعد آضْطرابه وآعتِلاله ؛ وآستعاذُوا من نَقْص يُصيبه بعد تمامه لهذا الخليفة وكماله ؛ فعندها أبانت الخلافةُ العبَّاسيةُ عن طيب عُنْصُرها ، وجميــل وَفَائِهِ ۖ وَكُرِيمُ مَظْهَرِهَا ؛ وَجَادَتْ بجزيل الأَمْتِنانَ ، وَتَلَّا لَسَانُ كَرَمُهَا الْوَفِّي عَلَى وَلَيُّهَا الصادق : ﴿ هَلْ جِزاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانَ ﴾ فحدد له بالسَّلْطنة الشريفة عَهْدا، وطوِّقَ جيــدَه بتفويضها إليه عشدا ؛ وجعله وَصــيَّه في الدِّين ، وَولِيَّـه في أمر المسلمين؛ وقلَّده أمْرَ الممالك الإسلامية وألقي إليه مَقالِيدَها، وَمَلَّكُه أَزِمُّهَا وحقَّق له مَوَاعيدَها ؛ وعَقَــد له لِواَعها ونَشَر عليــه أعلامَهَــا ، وصَرَّفه فيها علىٰ الإطْلاق وفَوْضَ إليه أَحْكَامُهَا ؛ وألبسه الخلْعةَ السُّوداء فكانت لسُّؤدده شعارا ، وأسبغ عليه رداءَها فكان له دَثَارًا؛ وكتَبَ له العهـ دَ فسق المُعاهدَ صَوْبُ العِهاد، ولَهج الأنامُ

بذكره فاطِمأنَّتِ العبادُ والبِّلاد ؛ وعنْد ما تَمَّ هذا الفَصُّل ، وتقرَّر هـذا الْأَصِّل ، وأُمْسَتِ الرَّعَايَا بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضَلَهُ فَرَحِينٍ ، وَبَعَمْتِهُ مُسْتَبْشُرِينٍ ، طُولِبَ أَهْلُ البِّيعَةُ بِمَـا يَجِمُلُهُم عَلَىٰ الوَفَاء، ويمَنَّعُ بَيْعَتَهُم من التكُّدر بعد الصَّفَاء: من تَوثيق عَقْدِهَا بِمُؤَكِّدُ أَيْمَانُهَا ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسُلطانها ؛ فبادَرُوا إلى ذلك مُسْرِعينٍ ، و إلىٰ داعيهِ مُهْطعين ؛ و بالغُوا في المَوَاثِيــق وأَكَّدُوها ، وشــدَّدُوا في الأَّيمــان وعَقَّدُوها؛ وأقسمُوا بالله الذي لا إلَّهَ إلَّا هو عالمُ الغَيْب والشَّهَاده، عالمُ خائنةِ الأغْيَن وما تُخْفِي الصَّدور في البَّدْء والإعادَهْ، على الوَفَاء لِهما والمُوَالاه، والنَّصْح والْمُصافاه ؛ والْمُوافَقة والْمُشايَعه ، والطاعة والْمُتَابَعَهْ ؛ يُوالُون مَنْ والاهما ، ويُعادُون مَنْ عاداهما ؛ لا يَقْعُدُون عن مُناصَرتهما عند إلمَّام مُلَّه، ولا يَرْقُبُون في عُدُوهما إِلَّا وَلَا ذَمَّهُ ؛ جَارِينَ فَي ذَلَكَ عَلَىٰ سَنَنِ الدَّوَامُ وَالْآسَمْرَارُ ، وَالثَّبُوتُ وَاللَّذُوم والآستِقْرار؛ علىٰ أنَّ من بدّلَ منهم من ذلك شَرْطا أو عَفَّىٰ له رَسْمَكَ ، أو حادَ عن طريق أوغيَّر له حُكمًا ؛ أو سَــلَك في ذلك غيرَ سبيل الأمانَه، أو آستحلَّ الغَــدْر وأَظْهَرَ الْحَيَانِهِ، مُعْلِنا أو مُسرًّا في كلِّه أو بَعْضه، مَتَأُوَّلًا أو مُحْتَالًا لإَبْطاله أو نقْضه؛ فقد َ بَرِئُ من حولِ اللهِ المتينِ وقُوته الواقيه ، ورُكْنه الشــديد وذِمَّته الْوافيه ، إلى حِول نَفْسه وقُوته ، ورُكْنه وذمَّت ، وكُلُّ آمراًةٍ في عِصْمته الآنَ أو يتزوَّجُها مدَّةَ حياتِه طِالَقُ ثلاثًا بِصريحٍ لَفُظ لا يتوقَّف على نيَّه، ولا يُفْرَقُ فيه بين سُـنَّة ولا بِدْعة ولا رَجْعَةً فَيْهُ ولا مَثْنَويَّهُ ؛ وكلُّ مملوك في ملكه أو يمْلكُه في بقيَّة عُمُره مِن ذكر أُو أَنْنَى حُرَّمنَ أَحَرَارِ المسلمين ؛ وَكُلُّ مَا هُو عَلَىٰ مُلْكُهُ أُو يُمِلِّكُهُ فَي بَقِيَّـةٌ عُمُره إلى آخر أيَّامه من عين أو عَرْض صدقةً للفُقَراء والمساكين؛ وعليه الحجُّ إلى بيت الله الحرام ثلاثين حَجَّةً بثلاثين مُحْرةً راجلًا حافيًا حاسِرًا ، لايقبلُ الله منه غيرَ الوفاء بها بَاطُّنَا وَلَا ظَاهِرًا ؛ وَ إَهْدَاءُ مَائَةٍ بِدَنَةٍ فِي كُلِّ حَجَّـةً مَنْهَا فِي عُسْرَتُهُ وَيُسْرَتُه ، لأَجْزَئُهُ

1. 1. 12. 1270 ·

واحدَّةً منها عن حَجَّة الإسلام وتُحْمَرته ؛ وصومُ الدهر خلَا المنهِيُّ عنه من أيَّام السُّنه ، وصلاةُ ألف ركعة في كُل ليله لا يُباح له دُونَ أدائها غَمْض ولا سـنَه ؛ لا يقبُلُ الله منه صَرْفًا ولا عَدْلاً ، ولا يُؤْجَرعليٰ شيءٍ من ذلك قُولًا ولا فِعْلا ، متى ورَّىٰ فِي ذَلِكَ أُو ٱستثْنَىٰ، أَو تَأْوَلَ أُو ٱستَفْتَىٰ، كَانَ الْحَنْثُ عَلَيْهِ عَائِدًا، وَلَهُ إِلَىٰ دَار البَوَارِ قَائِدًا ؛ معتمدًا في ذلك أشدُّ المَذَاهب في سرِّه وَعلانيَتِه ، على نيَّة المستحْلِفِ ﴿ له دُونَ نَيَّته ؛ وأمضَوْها بيعةً محكمةَ المَبَاني ثابتــةَ القَوَاعد ، كريمةَ المَسَاعي جميــلةَ المقاصد ؛ طيِّبةَ الْجَنِّي جليسلةَ العَوائد ، قاطعةَ البراهين ظاهرةَ الشُّواهد ؛ وأشَّهُدُوا علىٰ أنْفُسِهِم بْذَلْك مَنْ حضر مجلِسَ هــذا الْعَقْد من قُضاة الإســلام وعُلَمَانُه، وأثمة الدِّين وَفُقَهَائُه ؛ بعد أن أشهَدُوا الله عليهم وكفي بالله شهيدا ، وكفي به للخائنين خَصِيماً : ﴿ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسَهُ وَمَنْ أَوْفًى! بَمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتَيْهِ أُجًّا عَظِيماً ﴾ . والله تعالىٰ يجعلُ آنتِقالَهم من أدنىٰ إلىٰ أعلىٰ، ومن يُسْرِيٰ إلىٰ يُمْنىٰ؛ ويحقِّق لهم بمن ٱلسيخُلَفه عليهم وَعْدَه الصادقَ بقوله تعماليٰ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا ٱستَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيْمَكِّنَنَّ لِهَمْ دَيْنَهُمُ الَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيْبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ يَعْدَ خَوْفَهِمْ أَمْنَا ﴾ . ان شاء الله تعالى . الله إلى الله الله تعالى . The state of the second state of the

المسذهب الرابع

(مما يُكتَب فى بَيْعات الخلفاء أن يفتتح البيعة بلفظ : هذه بيعة ، ويَصفَها ويذكر مايناسِبُ ، ثم يعزِّى بالخليفة الميِّت ، ويَهنِّى بالخليفة المستقرّ، ويَهنِّى بالخليفة المستقرّ، ويذكر فى حقِّ كلِّ منهما مايليق به من الوَصْف على نحوٍ مما تقدّم)

وهذه نسخة بيعة أنشأها المَقَرَ الشِّهابِيُّ بنُ فضل الله ، على مارأيته في و الجواهر الله قطة " المجموعة من كلامه ، للإمام الحاكم بأمر الله « أبى العبَّاس » « أحمد بن أبى الرَّبِيع سُلَيان » [المستكفى بالله] آبنِ الإمام الحاكم بأمر الله ، بعد موتِ أبيه ، وذكر القاضى تق الدين بن ناظير الجيش في و دُستُوره " أنه إنما عمِلها تجربة وذكر القاضى تق الدين بن ناظير الجيش في و دُستُوره " أنه إنما عمِلها تجربة الحاطره ، وهي مُرتَّبة على موتِ خليفة ،

ونصها بعد البسملة الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفِىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً ﴾ •

هذه بيعة رضوان وبَيْعة إحسان، وبيعة رضًا تشهدُها الجماعة ويَشْهَد عليها الرحْن ؛ بيعسة يلزَمُ طائرُها الْعُنَق، وتَحُوم بشائرُها على الأَفْق، وتحِلُ أنْباءَها البَرارِيُّ والبِحارُ مشحونَة الطُّرُق؛ بيعة تصْلُح لِنسَبها الأُمَّه، وتُمْنَح بسَبَها النَّعمه، وتُؤلَّف بالأَمْباب وتجعل بَيْنَهُم مودّة ورَحْمه ؛ بيعة تَجْرى بها الرِّفاق، وتتزاحَمُ زُمَنَ

⁽١) كذا فى تاريخ أبي الفداء وأبن إياس والعبرأ يضا ووقع فى ج ٣ ص ٢٥ من هذا المؤلف أن لقبه المستعصم والصواب ماهنا •

⁽٢) أى استحانا لفكره •

الكواكب على حوض الحَبَّرة للوفاق ؛ بيعة سعيدة مَيْونه ، بَيْعة شريفة بها السلامة في الدِّين والدنيا مضمُونه ؛ بيعة صحيحة شرعيه ، بيعة ملحوظة مرعية ؛ بيعة تسابق البهاكل نية وتُطاوع كل طوية ، وتُجيع عليها أشتات البرية ؛ بيعة يستهل بها الغهام ، ويتهل البدر التمام ؛ بيعة متّفق على الإجماع عليها ، والاجتماع لبسط الأيدى إليها ؟ أنعقد عليها الإجماع ، وانعقدت صحتها بمن سميع لله وأطاع ، وبذل في تمامها كل أمرئ ما استَطاع ، وحصل عليها أتّفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى مستَحقة وأقر الخصم وانقطع الزّاع ؛ وتضمنها كما كريم يشهده المقرّبون ، وبتلقاه الأثمة الأقرّبون .

(الحَمُدُ لِنَهِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ اللّهِ اللّهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

⁽١) لعله ترى بالحرمين تأمل.

⁽٢) فى الأصل سيف وهى تصحيف .

فَيُجِيبٍ، ولا مَنْ بينَ جَنَبتي المساجد ولا من تضُمُّهم اجنِحةُ الحَــَارِيبِ، ولا مَنْ يجتَهد في رأي فيُخطئُ أو يُصيب، ولامتحدِّثُ بحديث، ولا متكلِّم بقديم وحديث؛ ولا معروفٌ بدينٍ وصَلَاحٍ، ولا فُرسانُ حربِ وكفَاحٍ؛ ولا راشقٌ بسَهَام ولا طاعنٌ برماح، ولا ضاربُ بصِفَاح، ولا ساعٍ علىٰ قدّم ولا طائرُ بغيْر جَنَاح ؛ ولا مخــالِطُّ للناس ولا قاعدُ في عُزْله ، ولا جمُّ كَثْرَة ولا قلَّه ؛ ولا مَنْ يستقلُّ بالْجُوزاء لِواَّوه ، ولا يقِلُّ فَوْقَ الفرقد ثَوَاؤُه ؛ ولا بادِ ولا حاضِر، ولا مُقيِّم ولا سائر؛ ولا أقلُّ ولا آخر، ولا مُسرُّ في باطن ولا مُعْلِنُ في ظاهر ؛ ولا عَرَبُ ولا عَجَم ، ولا راعي إبل ولا غَنَم ؛ ولا صاحبُ أناة ولا إبْدار، ولا ساكنُّ في حضَر وباديةٍ بِدَارٍ، ولا صاحبُ عَمَـــد وِلا جِدَارٍ ، وَلا مُلَجِّجٌ فِي البِحَارِ الزَّاخِرَةِ وَالبِّرَارِيِّ القِّـفَارِ ؛ وَلا مِن يَتَوَقَّلُ صَهُواتِ الْحَيْلِ، ولا مَنْ يُسْيِل علىٰ العَجَاجِةِ الذيل، ولا من تَطْلُعُ عليه شمسُ النهار وَنُجُوم الليل ؛ ولا من تُظلُّه السماء وتُقلُّه الأرض ، ولا مَنْ تُدُلُّ عليه الأسماء على آختلافها وترتفِعُ درجاتُ بعضهم على بعض؛ حتَّى آمَنَ بهذه البَيْعة وأمَّنَ عليها، ومَنَّ اللَّهُ عليه وهداه إليها ؛ وأقرّ بها وصدّق ، وغَضَّ لهـا بصَرَه خاشــعًا وأطْرق ؛ ومدّ إليها يَدَه بِالْمُبَايَعَه، ومُعتَقَدَه بِالْمُتَابِعه؛ رضيَ بها وآرْتضاها، وأجاز حُكْمَها علىٰ نَفْسه وأمضاها؛ ودخل تحتَ طاعتِهـا وعَمِــل بمقتضاها : ﴿ وَقُضَى بَيْنَهُــمْ بِالْحَقِّ وَقيــلَ الحَمْدُ للهُ رَبِّ العالَمينَ ﴾ .

والحمدُ لله الذي نصب الحاكم ليَحْكُم بين عِبَاده وهو أحكُمُ الحاكِمين ، والحمدُ لله الذي أَخَذَ حقَّ آلِ بيتِ نبيّة من أيْدي الظالمين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، ثم الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ثم الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والحمدُ لله رب العالمين .

و إنه لَّ آستا ثر اللهُ بعبْدِه سُليمانَ أبِي الرَّبيع الإمامِ المستكْفي بالله أمرِ المؤمنينُ _ حَرِّم اللهُ مثواه _ وعَوَّضه عن دار السِّلام بدار السَّـــلَام ، ونقله فزَكْي بدَنَهُ عن

شهادة السَّــــلام بشهادة الإسْـــــلام؛ حيثُ آثَرَه ربُّه بقُرْبه، ومَهَّد لحنبه وأقدمه على ماأقدمه مَنْ يرجُوه لعمَله وكشبه ، وخارله في جوَّاره رَفيقا، وجعل له على صالح سَــلَفِه طرِيقًا ؛ وأنزله ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنِ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ اللهُ أكَبَرُ ليومه لولا مخلَّفه كادَّتْ تَضِيقُ الأرضُ بِمَا رَحُبَت ، وتُجْزِيٰ كُلُّ نفس بِمَا كَسَبَتْ ، وتُنْبَى كُلُّ سريرة بِمَا أَدُّ حرتْ وما خَبَّتْ ؛ لقد ٱضْطَرم سعيرً، إلا أنَّه في الجَوَانح ، لقد ٱضْطربَ مِنْبَرُ وسريرً، لولا خَلَفُه الصالح ، لقد آضْطَرب مأمورٌ وأميرٌ ، لولا الفكرُ بعْدُه في عاقبة المَصَالح ؛ لقد غاضَت البِحار ، لقد غابَت الأَنْوار، لقد غالب البُدُور ما يلْحَقُ الأهلَّةُ من المَحَاقُ وُيُدْرِكُ البَــْدَرَ مِن السِّرارِ ، نُسفت الجبالُ نَسْفًا ، وخبَتْ مَصابِيحُ النُّجوم وَكَادَتْ تُطْفَىٰ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ . لقد جَمعت الدنيا أطرافَهَا وأَزْمَعَتْ عَلَىٰ الْمُسِيرِ، وَجُمِعت الأُمَّةُ لَهُولَ المَصيرِ، وزاغَتْ يومَ مُوْتِهِ الأَبْصَارِ : ﴿ إِنَّ رَبُّهُمْ بِهِمْ يَوْمِئِذِ لَحَيِيرٍ ﴾ . وبقيت الألبابُ حَيارىٰ ، ووقَفَتْ تارةً تُصَـدِّق وتارةً نُتَمارىٰ ؛ لاتَعْرِف قَرَارا ، ولا علىٰ الأرض ٱستِقْرارا : ﴿ إِنَّ زَلْزِلَةَ السَّاعة بَيْنُءً عَظيم يَوْم تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضعة عَمَّا أرضعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتٍ حَمْلِ حَمْلَهَا وترى الناسَ سُكَارِيْ وما هُمْ بِسُكَارِيْ ﴾ .

ولم يكن فى النَّسَب العباسى ولا فى جميع من فى الوُجُود، لافى البيت المستَرْشِدِيِّ ولا فى غيره من بيوت الحلفاء من بَقايَا آباء لهم وجُدُود، ولا مَنْ تلدُه أَخْرَىٰ الليالى وهى عاقرُّ غير وَلُود ، من تسلم إليه أمّة عجد صلى الله عليه وسلم عَقْدَ تيَّاتها، وسِرَّ طويًّاتها ، إلا واحدُّ وأين ذلك الواحد ؟ هو والله من ٱنحصر فيه استحقاق ميراث ابائه الأطهار، وتُراثِ أجداده ولا شيء هو إلا ما اشتمل عليه رداء الليل والنَّهار، وهو آبنُ المنتقل إلى ربِّه، وولدُ الإمام الذاهبِ لصُلْبه، المجمّعُ على أنه فى الأَنام،

فردُ الأيَّام، وواحدٌ وهكذا في الوُجُود الإِمام؛ وأنه الحَائُز لِمَا أُرْرَتْ عليه جُيوبُ المَسَارِق والمَغَارِب، والفَائُز بمِلك مابين الشارق والغارب؛ الراقى في صَفيح السماء هذه الذَّرْوة المنيفه، الباقى بعد الأئمة الماضين رضى الله عنهم ونِعْم الخَليفه؛ المجتمع فيه شروط الإمامه، المتَّضع لله وهو من بيتٍ لا يزال المُلكُ فيهم إلى يوم القيامه؛ الذي تَصَفَّح السَّحابَ نائلُه، والذي لا يُغَرَّه عاذرُه ولا يُغَمِّم عاذلُه؛ والذي :

تعوّد بَسْطَ الكفّ حتى لو آنّه * شَاها لقَبْضٍ لم تُطِعْه أنامِلُهُ والذي :

لا هُوَ فِي الدُّنْبِ مُضِيعٌ نَصِيبَه * ولا وَرِقُ الدُّنْيا عَنِ الدِّينِ شَائِلُهُ

والذى ما آرتق صَهْوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال ناصره وقام قائمه ؟ ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعُرف بأنه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه ؟ فائب الله في أرضه ، والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وآبن عمّه ، وتابِع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه «أحمد أبو العبّاس» الحاكم بأصر الله أمير المؤمنين ، أيّد الله تعالى ببقائه الدّين ، وطوق بسَيْفه [رقاب] المُلمودين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النصر إلى يوم الدين ، وكفّ المُلمودين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النصر إلى يوم الدين ، وكفّ بجهاده طوائف المُفسدين ، وأعاذ به الأرض ممّن لا يدين بدين ، وأعاد بعد له أيام وعليه كانوا يعدلون ، وعليه كانوا يعدلون ، وعليه كانوا يعملون ، وقصر أنصاره ، وقدر اقتداره ، وأسكن في قلوب الرعية سكينته ووقاره ، ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره ،

ولمَّ النقل إلى الله ذلك السيدُ ولحِق بدار الحقِّ أَسْلافَه، وُلَقِل إلى سرير الجنة عن سرير الخَلَافه ، وخَلَا العصرُ من إما م يُمْسَلُكُ ما بقيَ من نَهَاره ، وخليفة يُغالب

مُرْبَدُّ الليل بأنواره ، ووارث بني بمثله ومثل أبيه آستغنيٰ الوجُود بعد ابن عمه خاتم الأنبياء صلَّى الله عليه وسلم عن نبُّ مقتَفِ علىٰ آثارِه؛ ونَسِيَ ولم يَعْهَدُ فلم يبقَ إذ لم يُوجَد النصُّ إلَّا الإجماع ، وعليه كانت الخلافةُ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وســلم بلا نِزَاعٍ ، ٱقتضت المصلحةُ الحامعةُ عَقْدَ مجلسٍ كُلُّ طَرْف به معْقُود ، وعَقْدَ بيعةٍ عليها اللهُ والملائكةُ شهُود ، وجُمِـع النـاسُ له ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوع له الناسُ وذَٰلِك يومٌ مَشْهُود ﴾ . فَضَرَ من لم يُعبَأُ بعده بن تَخَلُّف، ولم يُرْبُأُ معه وقد مدّ يدّه طائمًا بمن مَدُّها وقد تَكَلَّف ؛ وآجتمُعوا علىٰ رأْي واحدِ وآستخارُوا الله تعالىٰ فيه فَحَــار، وناهيكَ بذلك من نُخْتار ؛ وأُخذتْ يمينُ تُمَـدُّ إليها الأَيْمـان ، ويُشَدّ بها الإيمـان؛ وتعطىٰ عليها المَوَاثِيقِ، وتُعرَض أمانتُها علىٰ كلِّ فريقٍ ؛ حتَّى تقــلَّد كلُّ من حضر فى عُنْقه هـــذه الأمانَهْ ، وحطَّ يَده علىٰ المصــحف الكريم وحَلَفَ بالله العظيم وأتَّمَّ أيمانَه ؛ ولم يَقْطَع ولم يستثن ولم يتردُّد، ومن قَطَع من غير قصد أعاد وجَدَّد؛ وقد نَوَىٰ كُلُّ مَنْ حلف أنَّ النيةَ في يمينه نيَّةُ من عُقدت هذه البيعةُ له ونيةُ من حَلَف له ، وتذمُّم بالونَاء في ذمَّته وتكفُّله ؛ علىٰ عادةٍ أيمان البيعة بشُروطها وأحكامها المردِّده؛ وأقسامها المؤكَّده؛ بأن يبذُل لهذا الإمام المفترضة طاعتُه الطاعه، ولايُفارقَ الجمهورَ ولا يُظْهِرَ عرب الجماعة آنْجِاعَه؛ وغير ذلك مما تضمَّنته نُسَخُ الأيمان المكتتبُ فيها أسماءُ من حلف عليها مما هو مكتوبٌ بنُحطوط من يكتُب منهم ، وخطوط الْعُدُولِ النَّقَاتَ عَمَّن لم يَكْتُبُ وأَذَنُوا لمن يكتب عنهم ؛ حسَّبَ مايشهَدُ به بعضُهم على بعض ، ويتصادقُ عليــه أهلُ السهاء والأرض ؛ بيعةٌ تمَّ بمشيئة الله تمــامُها ، وعَمَّ بِالصُّوبِ الغَدَق غَمَامُها؛ ﴿ وَقَالُوا الحَمُّدُ لِلَّهِ الذِّي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ . ووهبَ لنا الحَسَن؛ ثم الحمدُ لله الكافي عبده ، الوافي وَعْدَه، المُوافي لمن يُضاعفُ على كل

⁽١) أى لم يبال به ولم يكثرث . انظر اللسان والقاموس .

نحمدُه والحمد لله ، ثم الحمدُ لله كلمةُ لا مَلُ من تردادها ، ولا تَنجَل بما يُفوق السّبهام من سَدَادها ؛ ولا نظلُ إلّا على ما يوجب كثرة أعدادها ، وتيسير إقرار على أورادها ؛ ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادةً يتقايسُ دَمُ الشهدا ، ومَدَّ مدادها ، ونتنافَس طُرَرُ الشّباب وغُررُ السّبحاب على استمدادها ، ونتجانَسُ رُقومُها المدّبجة وما تلبسه الدولة العباسيّة من شِعَارها ، والليالي من دِثَارِها ، والأعداء من حدّادها ، ونشهدُ أنَّ سيدنا عبدا عبدُه ورسولُه صلّى الله عليه وسلم وعلى جماعة آله مَنْ سَفَل من أبدادها ، ورضى الله عن الصحابة أجمعين ، والتابعين من أبدادها ، ورضى الله عن الصحابة أجمعين ، والتابعين للم باحسان إلى يوم الدين .

وبعدُ، فإنَّ أمير المؤمنين لِمَا أَكْسبه الله تعالىٰ من ميراث النَّبوة ماكان لَحَده، ووَهَبه من الملك السَلْيَانَ عن أبيه مالا ينبغي لأحد من بعده ؛ وعَلَّمه مَنْطِقَ الطيرِ بِمَا نَتِحمَّلُهُ حَاثِمُ البطائقِ من بَدَائع البيان ، وسَخَّر له من البَريد علی مُتُون الحيال ماسخَّر من الرِّيح لسليان ، وآتاه من خاتم الأنبياء ماأمده به أبوه سليان وتَصَرِّف، ماسخَّر من الرِّيح لسليان ، وآتاه من خاتم الأنبياء ماأمده به أبوه سليان وتصرِّف وأعطاه من الفَخار ماأطاعه به كلَّ مخلوق ولم يتَخلَف ؛ وجعل له من لِباس بنى العَباس مايقضي له سواده بسُودد الأجداد، وينفُضُ على كَلَ المُدْب مافضَل عن سُويْداء القلب وسواد البصر من السَّواد؛ ويَمُدُّ ظلَّه على الأرض فكلَّ مكان حَلَّه دارُ مُلك وكلَّ مدينة بَعْداد ؛ وهو في لَيْله السَّجَاد ، وفي نهاره العَسْكِيُّ وفي كرمه جَعفرُ وكلُّ مدينة بَعْداد ؛ وهو في لَيْله السَّجَاد ، وفي نهاره العَسْكِيُّ وفي كرمه جَعفرُ الحَواد لِيديم الأبتهالَ إلى الله تعالى في توفيقِه ، والابتهاج بما يُغضُ كلَّ عدوً بريقه ؛ ويَبْدَأ يومَ هذه المُبايعة بما هو الأهمُّ من مَصَالح الإسلام ، وصالح الأعمال مما يتَحَلَّ ويَبْدَأ يومَ هذه المُبايعة بما هو الأهمُّ من مَصَالح الإسلام ، وصالح الأعمال مما يتَحَلَّ

به الإمام؛ ويُقدِّمُ التقوىٰ أمامَه ، ويقُرُن عليها أحكامَه ؛ ويتَّبع الشرعَ الشريفَ ويَقف عنده ويُوقفُ النَّاسَ، ومَنْ لايحْمُلُ أمرَه طائعًا على العين حمَّةُ بالسَّيْف غَصْبا عَلَىٰ الرَّاسِ ، ويعجِّلُ أميرُ المؤمنين بما يَشْفَى به النُّفُوسِ ، ويُزيل به كَيْــدَ الشيطان إنه يَتُوس ، و يَاخُذُ بقلوب الرَّعايا وهو غنيٌّ عن هــذا ولَكُنْ يَسُوس ؛ وأميرُ المؤمنين يُشْهِد الله وخليقَتَه عليه أنه أقرَّكُلَّ آمْرِئ من وُلاة الأمور الإسلاميَّة · على حاله ، وآسمَّر به في مَقيله تحتَ كَنف ظلاله ؛ على آختلاف طَبَقَاتُ وُلَاة الأمور، وتفرُّقهم في الممالك والتُّغُور ؛ برًّا وبَحْرًا، سَهْلا ووَعْرا، وشَرْقا وغَرْبا، وَبُعْمَدا وَقُرْ با ﴾ وكُلَّ جليلِ وحَقير، وقليــلِ وكثير ؛ وصَــغير وكبِير، ومَلكِ ومملُوكِ وَأَمْيِر، وَجُنْدًى يَبْرُقُ له سَيْفُ شَهِير، ورُمْحٌ طَرِير، ومَنْ مَعَ هَوْلاء مِن وُزَراءَ وقضاةٍ وَكُتَّابٍ ، وَمَنْ له يَدُّ تَبقيٰ في إنشاء وتحقيق حسابٍ ، ومَنْ يَتَحَدَّثُ في بَرِيد وَخَوَاجٍ ، ومن يُحتاجُ إليه ومن لا يُحتاج ؛ ومَنْ في الدُّروس والمَدَارس والرَّبُط والزَّوَايا والخَوَانق، ومَنْ له أعظُمُ التعلُّقات وأدْنىٰ العالائق؛ وسائرَ أربابِ المراتِب، وأَصْحَابِ الرَّواتِبِ، ومَنْ له في مال الله رزْقُ مَقْسُومٍ، وحقٌّ مجهولٌ أو معْ لُومٍ ، وآستْمِوارَكُلُّ أَمْنِ على ماهو عليه ، حتَّى يستخيرَ اللَّهَ و يتبيَّنَ له مابين يَدَيْه ؛ فما زاد تأهيـلُه ، زاد تفضيلُه ؛ و إلَّا فأميرُ المؤمنين لايُريد سوى وجُه الله، ولا يُحابى أحدًا ف دين، ولا يُحامى [عن] أحد في حقّ، فإن المُحاماة في الحقّ مداجاةٌ على المسلمين؛ وكُلُّ ما هو مستمرُّ إلىٰ الآنَ، مستقرُّ على حُكمَ الله مما فَهَّمه الله له وَفَهَّمه سلمان، لا يغيرُ أميرُ المؤمنسين في ذلك ولا في بعضمه ، معتبر مستمرُّ بمــا شكَّر اللهُ على نعمه وْهكذا يُجَازَىٰ من شَـكَر ، ولا يكدِّر على أحدٍ موْرِدا نّزَّه اللهُ به نِعمَه الصِافيةَ عن الكَدَر؛ ولا يَتَأْوَلُ في ذٰلك مَتَاوَلُ ولا من جَفَر النَّعْمَةَ أُوكَفَر، ولا يَتَعَلَّل مَتَعَلَّل فَإِنَّ أمير المؤمنين يُعُوذُ بالله ويُعيذ أيَّامه من الغيرَ؛ وأمَرَ أميرُ المؤمنين _ أعلىٰ اللهُ أمره _

أِنْ يُعْلِنَ الخطباءُ بذكرِه وذكرِ سلطان زمانه على المَنَابِر في الآفاق، وأن تُضْرَبَ بِاسْمُهُما النَّقُودُ المتعامَلُ بها على الإطْلاق ؛ ويُبتُّهج بالدعاء لها عطف الليل والنهار ، ويُصَرَّحَ منه بما يُشْرِق به وجهُ الدِّرْهم والدِّينار؛ وتُباهى به المنابرُ ودورُ الضرب: هاتيك ترَفُّعُ آسَمُهما علىٰ أسرَّة مُهُودها، وهذه علىٰ أساريرِ نُقُودها؛ وهذه تقامُ بسببها الصَّلاة، وتلك تُدامُ بها الصِّلات؛ وكَلاهما تُستالُ به القلُوب، ولا يُلَام على ماتَّعيه الآذارُ وتُوعيه الجُيُوب؛ وما منهما إلَّا من تُحدِّق بجِواره الأحداق، وتميلُ إليه الأعناق؛ وتُتْلِغَ به المقاصد، ويقوى بهما المُعاضد؛ وكلاهب أمرُه مطاعُّ، من غير نزاع، وإذا لمَعَتْ أزَّمَةُ الْحُطَبِ طار للَّذَّهَبِ شُسَعَاعٍ ؛ ولولاهما ما آجتمع جمعً ولا ٱنْضَمَّ، ولا عرفَ الأنَّامُ بمنْ تأتُّم ؛ فالخُطَب والذهبُ معناهما واحد، وبهما يذُكُر اللهَ قُيَاءُ المساجِد؛ ولَوْلا الأعمال، مابُذلت الأَمُوال، ولوْلا الأَمُوال، ماوُلِّيت الأعمال؛ ولأَجْل ما بينهما من هذه النِّسبه، قيل إنَّ الملكَ له السِّكَّة والْحُطْبه؛ وقد أسمع أميرُ المؤمنين في هذا الجمع المشْهُود ما يتناقلُه كلُّ خطيب ، ويتداوَلُه كلُّ بعيد وقريب، و إنَّ الله أمر بأوامر ونهىٰ عن نَواهٍ وهو رقيب ؛ وتستفزَّعُ الأولياءُ لهــا السُّجايا، ونتضَّرُّعُ الخطباءُ فيها بنُعوت الوَصَايا؛ وتكِّلُ بها المَزَايا، ويتكلِّم بها الواعظُ وُيُخْرِج مِن المشايخ الخَبَايا مِن الزَّوايا ؛ وتَسْـمُرُ بِمَا السَّمَّارِ ويتربُّمُ الحادي والمَلَّاح، وَيُرُوقَ شَجُونُهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْدِرِ وَيُرَقِّمُ عَلَىٰ جَنْبِ الصَّابِ ؛ وَتُعَطِّر بِهَا مَكَةُ بطحاً عَهَا وتحيًا بحديثها قُبَاه ، ويلقِّنُهُا كُلُّ أَبِّ فَهُم آبنِه ويسأل كُلُّ آبنِ أَن يُجِيب أباه ؛ وهو لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِن أمير المؤمنين رُشْــد وعليكم بَيِّنه ، و إليكم مادعاكُمْ به إلىٰ سبيل ربِّه من الحِكْمة والمَوْعظة الحَسَنه؛ ولأميرالمؤمنين عليكم الطاعةُ ولولا قيامُ الرَّعايا بها مَا قَبِلَ اللَّهُ أعمالها ، ولا أمسَكَ بها البحر ودحا الأرضَ وأرْسَىٰ جبالَهَا ؛ ولا ٱتفقّت

ـ (١) كُذَا صَبِط في بعض النسخ ولعل الصواب قيّام ، أو قوّام ، تأمل .

الآراءُ علىٰ من يستحقُّ وجاءتُ إليه الخلافَةُ تَجُرُ أَذيالَكَ ، وأخذها دُونَ بني أبيه ولم تَكُنْ تَصَلُّحُ إِلَّا له ولم يَكُنْ يَصْلُحُ إِلَّا لِهَا؛ وقد كَفَاكُمُ أُميرُ المؤمنين السُّؤال بمسا فَتَح لَكُمْ مِن أَبُوابِ الأَرْزَاقِ ، وأسبا بِ الإُرْتِفَاقِ ؛ وأحسن لَكُمْ عَلَىٰ وِفَافَكُمْ وَعَلَّمُكُمْ مَكَارِمَ الأُخْلاق، وأجراكم على عوائِدِكم ولم يُمْسِكْ خَشْـيةَ الإِمْلاق، ولم يَبْـقَ على. أمير المؤمنين إلَّا أن يسِيرَ فيكم بكتابِ اللهِ وسنة رسولِه صلَّى الله عليه وسلم ، ويعمَلَ بما ينتفِعُ به مَنْ يجِيء _ أطال الله بقاء أمير المؤمنين _ من بعـــده، ويَزيدَ علىٰ كل من تقدُّمَ ، ويُقِيمَ فروضَ الحج والجهاد ، ويُنيمَ الرعايا بعَدْله الشامل في مهاد ؛ وأمير المؤمنين يُقِيمُ علىٰ عباده مَوْسِمَ الحجِّ في كل عام ، ويشــمَلُ سُكَّان الحرمين الشريفين وسَــدَنةَ بيتِ الله الحرام ؛ و يجهِّزُ السبيل علىٰ عاليُّه ويرجُو أن يُعُودَ إلىٰ حاله الأول في سالف الأيَّام، ويتدَّفَّقَ في هذين المُسْجِدين بحرُّه الراخر ويُرسِــلَ إلىٰ ثالثهما البيتِ المقدَّس ساكِبَ الغام؛ ويقُومَ بقَوَمة قُبُور الأنبياء _ صلوات الله عليهم - أينَ كأنُوا وأ كَثَرُهم في الشام؛ والجُمعُ والجماعاتُ هي فيكم علىٰ قَدِيم سُنَّيما، وَقَوِيم سَنَنها ؛ وسَتَرِيُدُ في أيَّام أمير المؤمنين بمن ٱنضَمَّ إليه ، و بمــا يتسلَّمُه من بلاد الكُفَّار و يُسْلِم علىٰ يديه .

وأمَّ الحِهَاد ، فَيَكْتَفِى بَاجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بأُمُوره ، المقلَّد عنه جميعً ماوراء سَريره ، وأمير المؤمنين قد وكل إليه حلد الله سلطانه عناء الأيَّام ، وقلَّده سيفَه الراعب بَوارِقُه ليَسُلَّه واجده على الأعداء [و إلّا] سَلَّ خَيَالَهُ عليهم فى الأحلام ، ويؤكّد أمير المؤمنين فى آرتجاع ما غلب عليه العدا ، وأنتزاع [ما بأ] يُديهم من بلاد الإسلام فإنَّه حَقَّه و إنْ طال عليه المدى ، وقد قدّم الوصية بأنْ يُوالى غزْوَ العَدُق الحذول بَرَّ وبحرا ، ولا يَكُفَّ عَن يَظْفَر به منهم قَال وأسرا ، ولا يَفُكَ أغْلالًا ولا إصرا ، ولا يَنْفَك عنهم فى البحر غربانا ، وفي البرّ من الحيل عقبانا ، يحمل ولا إصرا ، ولا يَنْفَك يرسل عليهم فى البحر غربانا ، وفي البرّ من الحيل عقبانا ، يحمل

فيهما كلَّ فارس صَقْرا، ويحمى الممالكَ مِن يحوزُ أطرافها بإقدام، ويتَحَوَّلُ أكافها الأقدام ، وينظر في مصالح القلاع والحُصُون والتَّفور ، وما يُحتاج إليه من آلات القتال ، وما تُجتاح به الأعداء ويعجزُ عنه الحُتال ، وأمَّهاتِ الممالك التي هي مرايطُ البُنود ، ومرَابِضُ الأُسُود ، والجَنَاحُ الممدود ، ويتفقَّدُ أحوالَمُ بالعرض ، بما لهم من خَيْل تعقد [بالعجاج] ما بين السهاء والأرض ، ومالهم من ذَرد مصُون ، وبيض مَسَّها ذائبُ ذهبِ فكانتُ كأنَّها بَيْضُ مكنون ، وسيوف قواضِب ، ورماج لكثرة طعنها من الدّماء خواضِب ، وسِهام تُواصِل القِسِيَّ وتفارقُها فتحِنَّ حنينَ مفارق وتُزَجِرُ القوس زَعْرة مُغاضِب ،

وهذه جملةً أراد أمير المؤمنين بها تطييب قلوبِكم، وإطالة ذيل التطويلِ على مطلوبكم ، و ماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ماأباح الشرعُ المطهّر، ومزيدُ الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويَظْهر.

وَأُما جُرْئِيَّاتِ الأمور ، فقد علميتم بأنَّ فيمن تقلَّد عن أمير المؤمنين غِنَّ عن مثل هـذه الذَّكْرَىٰ ، وفتیٰ حقّ لا يَشْخَل بطلب شيء فكرا ، وفي وُلاة الأمور ، ورُعاة الجُمهُور ، ومَنْ هو سدَاد عمله ، ومدَادُ أمله ، ومُرادُ من هو منكم معشر الرعايا من قبله ، وأنتم علی تفاوت مقادير كم وديعة أمير المؤمنين ومن خولكم وأنتم وهم في منظر إلا من استعرف أمير المؤمنين وتمشى في مراضى الله علی خُلقه ، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المُثلیٰ في طاعة الله في خلقه ، وكلّم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النّصيحه ، وإبداء الطاعة بسيريزة صحيحه ، وقد دخل أمير المؤمنين وله عليكم أداء النّصيحه ، وإبداء الطاعة بسيريزة صحيحه ، وقد دخل في كُنف أمير المؤمنين وتحت رأفيه ، ولزم حكم بيعته ، وألزم طائرة في عُنقه ، ويستعمل كلّ منكم في الوفاء ما أصبح به عليا : ﴿ ومَنْ أَوْفىٰ بما عاهدَ في عَلَيْهُ اللهُ فَسُيُوْتِيهِ أَجُوا عظيا ﴾ .

هذا قولُ أميرِ المؤمنين، وعلى هذا عُهِد إليه وبه يَعْهَد، وماسوى هذا فهو بُحُور لا يُشْهَد به عليه ولا يَشْهَد؛ وهو يعملُ فى ذلك كلّه ما تُحْسَد عاقبتُه من الأعمال، ويحمِلُ منسه ما يصْلُح به الحال والمآل؛ وأميرُ المؤمنين يستغفرُ الله على كل حال، ويستعيدُ بالله من الإهمال؛ ويَخْتِمُ أمير المؤمنين قولَه بما أمر الله به من العدل والإحسان، ويحَدُ الله وهو من الحلق «أحمَد» وقد آناه الله مُلْكَ سلمان؛ والله تعالى يمتّع أمير المؤمنين بما وهبه، ويملّكه أقطارَ الأرض ويُورِثه بعد العُمر الطويل عقبه؛ ولا يزال على أسرّة العَلياء قُعودُه، ولباسُ الخلافة به أبّهة الجلالة كأنّه مامات منصورُه ولا رَدَى مَهْدِيَّه ولا ذهب رَشِيدُه .

المقصد السادس (فيا يكتب في آخر البَيْعة)

إذا آتهى إلى آخر البيعة ، شرع فى كتابة الخواتم على ما تقتم ، فيكتُب : ووإن شاء الله تعالى ثم يكتب التاريخ ، ثم الذى يقتضيه قياس العُهُود أنه يكتب المستَند عن الخليفة فيكتب « بالإذن العالى المُولُوع الإمام النبوى المتوكِّل مشلا – أعلاه الله تعالى » وكأنَّ الخليفة الذى عُقدت له البيعة هو الذى أذن فى كتابتها .

قلت : ولو أُسقِط المستَندُ في البيعات فلا حرج بخلاف العُهُود : لأنها صادرة عن مُولِّ وهو العاهد، فحُسن إضافة المستَند إليه، بخلاف البيعة فإنها إنما تصدر عن أهل الحَلِّ والعَقْد كما تقدّم . ويُكتفىٰ في المستَند عنهم بكتابة خُطُوطهم في آخر

⁽۱) هذه المعاهدة من قلم القاضى الفاضل ليست لابسة حلل بلاغته ولا متسر بلة جلابيب فصاحته فهى تجرية لم تنقح ومسودة لم تصحح كما أشار إليه البن ناظر الجيوش فليتنبه .

البيعة كما سيأتى ؛ ثم بعد كتابة المستَند _ إن كتب _ تُكتب الحمدلة والصلاة على النبيّ صلى الله على الفَواتح والحَسْبلة ، على ماتقةم في الكلام على الفَواتح والحَواتم في مقدّمة الكتاب .

ثم يُحْتُب مَنْ بايع من أهل الحلِّ والعقْد والشهود علىٰ البَّيْعة .

فأما منْ تَوَلَّى عَقْدَ البيعة من أهل الحلِّ والعقْد فيكتب: « بايعتُه على ذلك، وكتب فلانُ بنُ فلان» ويدعو في خلال ذلك قبل آسمه بما يناسب: مثل أن يقال « بايعتُه علىٰ ذلك قدّس الله خلافَتَه » أو « زاد الله في شَرَفه » أو « زاد الله في آعيدائه» وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على البيعة فالواجب أن يكتُب كلُّ منهم: «حضَرْتُ جَرَيانَ عقد البيعة المذكورة، وكتب فلانُ بنُ فلان» كما يكتب الشاهد بجَرَيان عقد النكاح ونحوه، ولا بأس أن يدعو في رسم شهادته قبل كتابة أسمه بما يناسب: مثل « قَرَنَها الله تعالى باليمن أو بالسداد» أو « عَرَف الله المسلمين بركتَها » وما أشبه ذلك .

المقصـــد السابع (فى قطع الورق الذى تُكتب فيه البيعةُ ، والقلم الذى تُكتَب به ، وكيفيَّــة كتابتها ، وصورة وضَــعها)

وآعلم أنَّ البَيْعاتِ لم تكن متدَاوَلةَ الاِستعال لقلَّة وُقُوعها، فلم يكن لها قَطْع ورق، ولا تصويرُ متعارَفُ فيتبع؛ ولكِنه يُؤْخَذ فيها بالقياس وعمومِ الألفاظ.

فامًّا قَطْع ورَقها، فقد تقدّم في الكلام على مقادير قَطْع الورق تَقْلا عن محمد بن عمر المدائنيِّ في كتاب ووالقَلَم والدواة " أنَّ قطع البغداديّ الكامل التُلَفاء والملُوك . ومقتضى

ذَلك أنَّ البيعات تُكتَب فيه ، وهو قياسُ ماذكره المَقَرَّ الشَّهابيّ بنُ فضل الله في والتعريف " من أنَّ للعهود قطْعَ البغداديّ الكامل على ماسياتي ذكره .

قلت : لكن سيأتى فى الكلام على عُهود الخَلَفاء أنها الآنَ قد صارتُ تكتّبُ فى قطع الشامى الكامِل ، وبينَهُما فى العَرْض والطُّول بَوْن كبير على ما تقــدّم بيانُه فى الكلام على قَطْع الورق ؛ وحينئذٍ فينبَغِى أن تكونَ كتابةُ البَيْعات فى قَطْع الشامى مناسبةً لما تُكتبُ فيه عهودُ الخلفاء الآنَ .

وأمَّا القلم الذي يُكتب به فبحَسَب الورق الذي يُكتَب فيه : فإن كُتبتِ البيعةُ في قطع البَغْدادي ، كانت الكتابةُ بقلمَ مختصر الطُّو، ار إذْ هو المناسبُ له ، و إن كُتبتْ في قطع الشامي ، كانت الكتابةُ بقلمَ النلُث الثقيلِ إذ هو المناسبُ له .

وأما كيفيَّة الكتابة وصورةً وضعها، فقياسُ ماهو متداول في كتابة العُهُود وغيرها، أنه يبتداً بكتابة الطَّرة في أول الدَّرْج بالقلم الذي تُكتب به البيعةُ سُطورا متلاصقةً لا خُلُوَّ بينها ، ممتدة في عَرْض الدَّرْج من أوله إلى آخره من غيرهامش ، ثم إن كانت الكتابة في قطع البغدادي الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عُهُود الملوك عن الخلفاء على ماسياتي ذكره ، ويتركُ بعد الوصل الذي فيه الطُّرةُ ستة أوصال بياضًا من غيركتابة : لتصير بوصل الطرة سبعة أوصال ، ثم يكتُب البسملة في أول الوصل الشامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلحق الوصل الذي فَوْقه بهامش عريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوقة ، ثم يكتُب تحت بهامش عريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوقة ، ثم يكتُب تحت بالبسملة سطرا من أول البيعة ملاصقًا لها ، ثم يخلِّ مكان بيت العلامة قدرَ شِبر بحريا على قاعدة المُهُود و إن لم تكن علامةٌ تُكتب ، كا يخلُّ بيتُ العلامة في بعض المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ، ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على المكاتبات ولا يكتبُ فيه المناه على المناه المناه على المناه المناه المناه المناه المناه المناه على المناه المنا

سَمْت السطر الذي تحت البسملة في بقيّة الوصل الذي فيه البسملة ، ويحْرِص أن تكون نهاية السجعة الأُولى في أثناء السطر الأقل أو الثانى ؛ ثم يسترسل في كتابة بقيّة البيعة ويجعل بين كل سطرين قدْرَ رُبُع ذراع بذراع القَهاش كما سياتى في العهود ؛ ويستضحب ذلك إلى آخر البيعة ، فإذا آنتهى إلى آخرها كتب وان شاء الله تعالى "ثم التاريخ، ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والحسبلة ، على ما تقدّم بيانه في الفواتح والخواتم في مقدّمة الكتاب؛ ثم يكتُبُ من بايع من أهل الحلّ والعقد خُطوطَهم ، ثم الشهود على البيعة بعدهم .

و إن كانت الكتابة فى القطع الشامى ، فينبغى أن ينقُصَ عددُ أوصال البياض الذى بين الطرَّة والبسملة وصلين فتكون خمسة ، وينقص الهامش فيكون قدْرَ ثلاثة أصابع على ما يقتضيه قانونُ الكتابة .

وهذه صورة وضعه في الورق ممثّلًا لهما بالطرّة التي أنشأتُها لذلك، والبيعة الثانية من البيعتين اللتين أنشأتُهما

بياض بأعلىٰ الدرج بقدر إصبع

هذه بَيْعة مَيُونه ، باليَّن مبتداة بالسعد مَقْرونه ؛ لمولانا السيد الجليل الإمام .

أ. النبوى المتوكّل على الله أبى عبد الله مجد أمير المؤمنين ، آبن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بَثر العبّاسي : زاد الله تعالى شرفه علوّا ، وخاره سُمُوّا ، قام بعَـقدها السلطان السيد الأعظم ، والشاهنشاه المعظّم ، الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، السلطان السيد الأعظم ، والشاهنشاه المعظّم ، الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، أخل الله تعالى سلطانه ، ونصر جُيُوشَه وأعوانه ؛ بجمع من أهـل الحلّ والعقد ، أو الاعتبار والنقد : من القُضَاة والعلماء والأمراء، ووجوه الناس والوزراء والصّلحاء والنصحاء ، وإمضائها على السّداد، والنّجح والرشاد ، على ماشرح فيه والنّص على ماشرح فيه

انهساء العسرض

بياض ستة أوصال

بسب الله الرحمي الرحيسم

الحمـــــُدُ لله الذي جعلَ بيتَ الخـــــــلافة مَثَابةً للناس وأمْنـــا وأقام

هامش

تقدير شبر

سُــورَ الإمامــة وِقَايةً للأنام وحِصْــنا ؛ وشـــــــــ منها بالعِصَــابة تقـــدر ربع ذراع

القُرشِ ـــيَّة أَزْرا وشاد منها بالعُضـــبة العبَّاســـيّة رُكُنا . وأغاث تقـــدير ربع ذراع

الخلقَ بإمام هُدًى حَسُن سِيرةً وصَفَا سريرةً فراقَ صورةً ورقَّ معنى .

ثم يأتى على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النَّمط إلى أن ينتَهِى إلى قوله: والله تعالى يجعَلُ آنتقالهم من أدْنى إلى أعلى ومن يُسْرى إلى يمنى،

ويحقِّق لهم بمن ٱستخلَفَه عليهم وعْدَه الصادقَ بقوله تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ

هامش

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا ٱستَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيمَكِّمَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ٱرْتَضَلَى لَهُمْ وَلَيْبِدَّانَهُمْ مِن بَعْدِ

خُوفِهِم أَمْنَا ﴾ .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادي الأولى مسلا

سنة إحدى وتسعين وسبعائة

بالإذْن العالى المُولَوى الإمامي النبويُّ المتوكلي ﴿ مُسَلَّا

أع___لاه الله تعالى

الحَمُّدُ لله وحدَّه ، وصلواتُه على سيدنا مجد وآله وصحيِه وسلامُه

حسبُنا اللهُ ونِعم الوكيل

صورة خط المبا تليفة منأهل الحل

بايمين ل والعقد

حضرت	حضرت	حضرت	
جَرَيان عقد	جَرَيان عقد	جَرَيان عقد	
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	ا ا
عَرَّفَ اللهُ المسلمين	قـــرَنَّهَا الله تعــاليٰ	قرَنَهِ الله تعالىٰ	4
بركتهًا	بالسَّــداد	باليُمْن والبركة	7.
وكتب	وكتب	وكتب	Ý
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان	

النوع الثاني (من البيعات الملوك)

واعلم أنَّ المقر الشَّهابي بَنَ فضل الله قد ذكر في وو التعريف : أنَّ مَنْ قام من الملوك بغير عهد ممن قَبْله لم تجر العادةُ بأن تُكتب لهم مبايعة ؟ وكأنَّه يريد اصطلاح بلاد المَشْرِقِ والديار المصرية ؛ أما بلاد المغرب فقد جرت عادة مصطَلَحهم بكتابة البَيْعات لملوكهم ، وذلك أنه ليس عندهم خليفة يدينون له ، يتقلدون المُلْكَ بالعهد منه ، بل جُلَّهم أو كلَّهم يدَّعى الخلافة فهم يكتُبون البيعاتِ لهذا المعنىٰ .

وهذه نسخةُ بيعةٍ من هذا النوع ، كُتِب بها للسلطان أبي عبد الله مجد بن السلطان أبي الجَّاج بن نَصْر بن الأحمر الأنصاريّ ، صاحبِ حمراء غَرْ ناطةَ من الأندَلُس، مفتتحةٌ بخُطبة على قاعدتهم في بَيْعات الخلفاء على ماتقدّم ذكره ، وربما تكرَّر الحمدُ فيها دلالةً على عظم النعمة ، من إنشاء الوزير أبي عبدالله مجد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على مارأيتُه في ديوان ترسَّله ، وهي :

الحمدُ للهِ الذي جلَّ شانا، وعَنَّ سُلطانا؛ وأقام علىٰ رُبُو بِيَّتُه الواجبةِ في كلِّ شيء خَلَقه بُرِهانا، الواجب الوجود ضرورةً إذكان وُجودُ ماســواه إمْكانا؛ الحَّيِّ القَيُّومِ حياةً أبديَّة سَرْمِديَّة منزَّهة عن الابتداء والانتهاء [فلا تَعْرِف وَفْتا ولا تستَدْعي زمَانا ؛ العلم الذي يعْمَلُمُ السِّرُّ وأخفى] فلا يعزُبُ عن علمه مثقالُ ذَرَّة في الأرض ولا في السهاء إلَّا أحاط بها عِلْمًا وأدركها عِيَانا؛ القــديرِ الذي أَلْقَتِ الموجُوداتُ كُلُّهَا إلى عَظَمت يَدَ الخُضُوع آستِسْلاما له وإذْعانا . المُريد الذي بمشـيئتِه تصريفُ الأقدار، وآختلافُ الليل والنَّهار، فإن منَع مَنع عَدْلا وإن مَنَح مَنَح إحسانا ؛ شَهِد نداُولُ الْمُلُوكَ بِدَوَامِ مُلْكُهُ وِدلَّ حَدُوثُ ماسواه على قِدَمه ، وأثنتُ ألْسِنَةُ الحيّ والجمادِ علىٰ مَواهِبه وقِسَمه ، وفاضَ علىٰ عَوَالم الساء والأرض بحرُ جُوده العميم النُّوال من قَبْل السؤال وكَرْمِه ، وإنْ مِنْ شَيْء إلا يُسَبِّح بحمده ويُثْنِي علىٰ نِعَمه سرا و إعلانا . فهو اللهُ الذي لا إِلٰهَ إِلَّا هو ليس في الوجود إِلَّا فعلُه ؛ أَلَا لَهُ الْحَالَقُ والأَمْسُ و إليه يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّه، وَسِعَ الأكوانَ علىٰ تباينها فَضْلُه، وقَدَّر المواهِبَ والمقاسِمَ عدُّلُه ، مَنْعا ومَنْحا وزيادةً وُنَقصانا .

والحمدُ لله الذي بيده الآختراعُ والإنشاء ، مالكِ الملك يُؤتِي المُلُكَ مَنْ يَشَاء وَ مَالكِ الملك يُؤتِي المُلُكَ مَنْ يَشَاء وَ مَنْ اللَّهِ عَلَيْهِ القَضاء ، وخَفِيتْ عن خُلقه الأسبابُ وعَمِيتْ عليهم الأنباء ، وعجزَتْ عقُولُم أن تُدْرِك منها كُنْهَا أو تَكْشِف منها بَيَانا .

والحمدُ لله الذي رَفَعَ قُبَّة السهاء ما آتَّخَذ لها عِمَادا ، وجعل الأرضَ فِراشًا ومِهَادا ، وخلق الحِبالَ الراسـيَةَ أَوْتادا ، ورتَّب أوضاعَها أجن اسا متفاضلة ، وأنواعًا متباينةً مُتقايِلة . فحيوانًا ونباتًا وجمادًا ، وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائلَ باهرة الشَّعاع

⁽١) الزيادة من ريحانة الكتابُ لأين الخطيب (ص ٤٨ ج ١) ﴿

وأشهادا ، وجعل الليــل والنهــار خِلْفَةً والشمسَ والقَمر حُسْبانا ، وقدر السياســة ســياجا لعالَم الإنسان يضُمُّ منــه ما آنتَشَر ، ويطوى من تعدِّيه ما نشر ، ويحمِّله على الآداب التي تُرشِــدُه إذا ضَــلٌ وتُقيمه إذا عَثَر، وتجــبُرُه علىٰ أن يلتزم السُّنَن ويتَّبع الأَثر ، لُطْفا منه شَمِلَ البَشَر وحَنَانا ،

ولما عَمَر الأرضَ بهذا الجنس الذي فضَّله وشَرَّفه ، ووهَبَ له العقُلَ الذي تفكَّر به في حكته حتَّى عَرفه ، و بما يجبُ لرُبُو بيَّته الواجبة وصَفَه ، جعلهم درجات بعضُها فوق بعض فَقْرا وغنَى وطاعةً وعصْليانا ، وآختار منهم سَفَرة الوحى وحملة الآيات ، وأرسل فيهم الرُّسُل بالمعجزات ، وعَرَّفهم بما كَلَّفهم من الأعمال المفترضات : ﴿ لِيَجْزِى الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمْلُوا و يَحْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَ ﴾ . المفترض عليه يوم اعتبار الحَسنات ، ونصب العدل والمُجازاة في يوم العرْض عليه قسطاسًا وميزانا ،

نَمَدُ يَدَ الضَّراعة ، في مَوْقِف الرَّجاء والطَّاعة ، إلى المَزيد من مِننه الهامِية الهامِرَه ، وَنَمُد يَدَ الضَّراعة ، في مَوْقِف الرَّجاء والطَّاعة ، إلى المَزيد من مِننه الهامِية الهامِرَه ، ونسألُه دَوامَ الطافِهِ الحافِيةِ وعصَمِه الظاهر ، واتَّصالَ نِعمهِ التي لا نَزالُ نتعَرَّفُها مَثْني ووُحداناً ، ونشهدُ أنَّه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له . [شهادة نجدُها في المعاد عُدة واقيه ، ووسيلة للأعمال الصالحة إليه راقِيه ، وذخيرة صالحة باقيه ، ونُورا يَسعىٰ بين أيْدينا ويكونُ على الرضا والقبول فينا عُنُوانا] ، ونشهد أنَّ العربي القرشي الهماشي عبدُه ورسوله الذي آصطفاه واختاره ، ورفع بين النبيّ العربيّ القرشيّ الهماشي عبدُه ورسوله الذي آصطفاه واختاره ، ورفع بين النبيّين والمرساين مِقَدارَه ، وطهر قلبه وقدّس أشراره ، وبلّغه واختاره ، ورفع بين النبيّين والمرساين مِقَدارَه ، وطهر قلبه وقدّس أشراره ، وبلّغه

⁽¹⁾ الزيادة من ريحانة الكتاب ص ٩٩ .

من رضًاه آخْتِيارَه، وأعطاه لواءَ الشفاعة يَقْفُو آدَمُ ومَنْ بعده من الأنبياءِ الكرام آثارَه ، وجعله أَقْرَبَ الرُّسُل مكانَّةً وأَرفَعَهم مكانًا . رسولُ الرحمــه، ونُورُ الظُّلْمه، و إمامُ الرسُل الأُبْمَــُـه، الذي جمع له بين مَزِيَّة السَّبْق ومزية التَّتِمَّه؛ وجعل طاعته من العذَاب المقم أمانًا . صاحبُ الشَّفاعة التي تؤمَّل، والوسيلة التي إلى الله بهـــا يُتَوسَّل، والدرجة التي لم يُؤْتَهَا الملكُ المقرَّب ولا النيُّ الْمُرْسَل، والرتبة التي لم يُعْطِها اللهُ سواه إنساناً . انتخبَه من أشرف العَرَب أمًّا وأبًا، وأزكىٰ البريَّة طينــةً وأرفَعها نَسَبًا، وَآسَعَتُه إلىٰ كَافَّة الحلق عَجَما وعَرَبا، ومَلَأَ بنُور دعوتِه البسيطةَ جُنُو با وَشَمَالا ومَشْرِقا ومَغْرِبا، وأنزل عليه كتابَهُ الذي آمنَتْ به الحِنُّ لَكَّا سَمَعَتْهُ وقالوا ﴿ إِنَّا سَمْعَنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ . تمامًا علىٰ الذي أحسَنَ وتفصيلًا لكلِّ شيء وتِبْيانا . فصدَعَ صلَّى الله عليه وسلم بأمْرٍ من آختار ذاتَهُ الطاهرةَ وآصطَفَاها ، وأدَّى أمانَةَ الله ووَفَّاها ، ورأى الخلائق على شفي المَتَالف فتلَافَاها، ونَتَبُّع أدواءَ الضَّلال فشَفَاها ، وَعَمَا مَعالِمَ الجهــل وعَقَّاها ، وشادَ للخلق في الحقِّ بُنْيانا . مؤيَّدا بالمُعْجزات التي تُحَجَّجُها تُقْبَلَ وتُسَـــلَّم : فمن جذْع لِفراقِه يتألُّم، وجَمَــادِ بصِدْق نُبُوِّتِه يَتَكَلِّم، وجيشِ شَكَا الظَّمَأَ فَقَجُّر لَدَّيْهِ المَّعِينِ منه بَنَّانًا . وأَيُّ مُعْجزةٍ كَتَابِ الله الذي لاتنقضي عجائبُه ، فهو الْمَرُّ والعُلومُ النافعةُ كُلُّها مَدَانبُه، وأُفُق الحق الذي تَهْدى في ظُلُمات البرِّ والبحر كُوا كِبُه، والحُجَّةُ البالغةُ التي أصبحَتْ بين الحق والباطل فُرْقانا . فأَشْرَقتِ الأرضُ بُنُور ربِّها وآياته ، وتمَّت كلمةُ الله صدْقًا وعَدْلا لامُبدِّلَ لكَلماته ، وبلغ مُلْكُ أُمَّتُــه مَازُوِي له من أَقْطَار المعمُور وجهاتِه ، حتَّى عَمَر من أكناف البسيطة ، وأرياف البحار المحيطة، وِهَادا وَكُثْبانا . وَنُقِلَتْ كُنُوزُ كُسْرَىٰ بِعِزِّ دعوته الغالب ، وظَفِرتْ بِقَلْجِ الْحُصَامِ أَيْدَى عَزَائِمِهَا الْمُطَالِيهِ، وأصبح إيوانُ فارسَ مَجَرٌّ رِمَاحِ الْعَرَب العاربه، وقَدْفَتْ جُنودَ قيصَر من ذوا بِلِها بالشُّهُبِ الثاقِبه، حتَّى فَرَ عن مَدَرتِهِ الطَّيِّبة

آئب بالصَّفْقة الخائب، وخلَصَتْ إلى فُسْطاطِ مصر بكتائبها المُتعاقبه، فلا تسمعُ الآذانُ في إقامتهم إلَّا إقامةً وأذانا . ولا دليلَ أظهَر من هذا القُطْر الأندلُسِيّ الغريب الذي خلَّصَتْ إليه سُيوفُها أثباج البحار، على بُعْد المَرَاحل ونُزُوح الدِّيار، لغريب الذي خلَّصَتْ إليه سُيوفُها أثباج البحارة باقصى الشَّمال وعَطِّ السُّفَّار، وتكانُفِ العالات وآختلافِ الأَمْصار، ومُنْقَطَع العارة باقصى الشَّمال وعَطِّ السُّفَّار، طلعَتْ عليه كلمةُ الله طلوع النهار، وآستوطنته قبائلُ العرب الأحرار، وأرغَمَتْ فيه أَنُوفَ النهار، ضرابًا في سبيلِ الله وطعانا .

ولاً السنقام الدِّين، وتَمَّ معالمَ الإيمان الرسُولُ الأمين، وظَهَر الحقُّ المُبِين، وراقَ من وَجُه المِلهِ الحنيفيَّة السَّمحة الجَيِين، وأخذ المَسالك والمآخذ الإفصاح والتبين، وتقرّرت المستندات المعتمدات سُنةً وقرآنا، أشعره الوحى بالرَّحلة عن هذه الدار، والإنتقال إلى علّ الكرامة ودار القرار، وخَيَّره المَلكُ فاختار الرِّفيق الأعلى مُوفَّقا إلى كم الاختيار، [و]وجَد صَّعبه رضى الله عنهم فى الاستخلاف بعده والإيث رحجَبا مُشرِقة الأنوار، أطلقت بالحق يدًا وأنطقت بالصِّدق لسانا، والإيث رحجَبا مُشرِقة الأنوار، أطلقت بالحق يدًا وأنطقت بالصِّدة وأصاره وأصهاره وقرابته، الذين كانوا في مُعاصَدته إخوانا، وعلى إعلاء إمْرة الحق أعوانا، نجوم وقرابته، الذين كانوا في مُعاصَدته إخوانا، وسيوف الله التي لاتنبُو شِفَارُها، وأعلام المَلة وأقارِها، وسُيوف الله التي لاتنبُو شِفَارُها، وأعلام المَدى التي لاتنبُو شِفَارُها، ورَعام الدِّين التي رَفعَتْ منه على البِّر والتقوى أركانا،

وحَيًّا اللهُ وَجُوهَ حَى الأنصار بالنعيم والنَّصْره ، أُولِى البَّاس عند الحَفيظة والعَفْو عند اللَّهُ وَجُوه مَى الأنصار بالنعيم والنَّصْره ، أُولِى البَّاس عند الحَفيظة والعَلْم الله صلَّى الله عند القُدْره ، الراضُون أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ويذُهَبُوا برسول الله ورضوانا ، عليه وسلم فنعْمَتِ المَنْقبةُ والأُثْره ، الحائِزُون ببيعة الرَّضوان فضَّلًا من الله ورضوانا ، ووُذَراقُه وظُهراؤه في كل أمر ، وخالصتُه يومَ أُحد وبَدْر، لم يزالوا صدرا في كلِّ

قَلْبَ وَقَلْبا فَي كُلِّ صدر، يَصْلَوْن دُونَهِ كُلِّ جمر، ويَفْدُونَه بَنُفُوسهم ف كُلِّ سِرٌ وجهر، ويعمَلُون في إعلاء دينيه بِيضًا عِضَابًا وسُمْرا لِدَانا . صلاةً لا تزال سحائبها مَرّة، وتحيةً دائمةً مستمرّة، ما لَهَ جت الألسُنُ بثنائهم، ووقفَت المَفاخِرُعلى عَلَياتهم، وتُعلَّمت المواهِبُ من آلائهِم، وقصرت الحامدُ على مُسمَّياتهم وأشمائهم، وكان حُبُّهم على الفَوْر بالحنة ضَمَانا .

ونسألك اللهم لهـ ذا الأمر النّصريّ الذي سـ بَبُه بسبّهِم موصُول ، وهم لفُرُوعه السامية أُصُول ، فيالهَا من نُصُول خَلَفتها نُصُول ، أنجزَت وعْدَ النصر وهو مُمُطُول ، وأحيت رُبُوعَ الإيمان وهي طُلُول ، نَصْرا عزيزًا وفَتْحا مبينا ، وتأييدًا على أعدائك وتمكينا ؛ ومُلكا يبتى في الأعقاب وأعقاب الأعقاب وسُلطانا . وأعنا اللهم على ما أوجبت له من مفروض الطاعه ، وتادية الحقّ بجهد الإستطاعه ، وأعصمنا بإيالته العادلة من الإضاعه ، وأحملنا من مَرْضاته على سَنَنِ السَّنَة والجماعه ، وأجعلها كلمة باقية إلى قيام الساعه ﴿ وأعفُ عَنَا وأغفر لَنَا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا ﴾ .

أما بعد ما آفتيح به من تعميد الله وتمجيده، والشاء الذي تتعَطَّرُ الأندية بترديده؛ فإنَّ من المشهور الذي يعَضَّده الوجودُ ويؤيِّده، والمعلوم الذي هو كالشمس ضَلَّ من يُنكره أو يجْحَدُه، والذائع بكلِّ قُطْر تُرويه رُواة الأنباء وتُسْنِده؛ ماعليه هذا الملك النَّصريُّ الحِيٰ ، الأنصاريُّ المُنتعیٰ ؛ الذي يُصِيبُ شاكلة الحقِّ إذا رمیٰ ، ويَعمُّ العباد والبلاد غَيْنُه مَهما همیٰ : من أَصَالة الأَعْراق ، وكرم الأَخلاق ؛ والفضل الباهر الإشراق ، والجهاد الذي هو سَمَر الرَّحْب وحديث الرِّفاق ؛ وأنَّ قَوْمه الملوك الكرام إن فُوخِروا بنسب ذكرُوا سعد بن عُبادة وعجده ، أو كُوثرُوا بعدد غلبوا بالله وحدد ، أو آستُنْصروا فرجُوا كلَّ شده ، وآستظهرُوا من [عزهم] المؤهُوب ، بالله وحدد ، أو آستُنْصروا فرجُوا كلَّ شده ، وآستظهرُوا من [عزهم] المؤهُوب ،

من ريحانة الكتاب .

وصَبْرهم على الخطوب، بكلَّ عَدد وعُده ؛ دارُهم النغر الأقصى وبعمَتِ الدَّار ، وسَعَارُهم «لا غالبَ إلَّا الله » وبغم الشِّعار ؛ زُهَّادُ إذا ذُكِر الدِّين ، أُسُودُ إذا حميت المَّيادين ؛ جبالُّ إذا زحَفَت الصَّفوف ، بُدُورٌ إذا أظلَمتِ الرُّحُوف ؛ غيوثُ إذا مُنع المعروف، أفرادُ إذا ذُكِرت الألُوف؛ إنْ بُويعوا فالملائكة وُفُود [وحملة العِلم] منع المعروف، أفرادُ إذا ذُكِرت الألُوف؛ إنْ بُويعوا فالملائكة وُفُود [وحملة العِلم] وحملة السِّلوف تما أوالسَّروج مُهُود، وإن أصَّحروا للعدُو فالظَّلال بُنُود ، وجُنودُ السبع الطِّباقِ جُنُود، وإن أظلم الليل أسهروا جُفُوبَهم في حياطة المسلمين والجُفُونُ رُقُود .

وإنَّ هــذا القُطرَ الذي آتهيٰ سَــيْلُ الفتح الأوّلِ إلىٰ ناحيتــه، وأُجِيلتْ قِداحُ الفوز بالدَّعوة الحنيفيَّــة على الأقطار فأخذ الإســـلامُ بناصيَته؛ كان من فَتُحه الأوَّل ماقد عُلِم، حَسَبَ ماسُطِّر ورُسِم، وإنَّ موسىٰ بنَ نُصَير وفَنَاه، حَلَّ من فُرْضةٍ مَجَازَه عَلَّ موسىٰ وفَتَاه؛ وحلَّ الإسلامُ منه دارَ قَرار، وخطَّةً خليقةً بارْتياد وآخْتيار؛ وبلدًا لايُحصىٰ خَيْرِه، ولا يَفْضُلُه بشيءِ من المزيَّة ماعدا الحَرَمين غَيْرُه، وٱمتدّتِ الأَيَّامُ حتى تأنَّس العدُوّ لرَوْعتِـه، وخَفَّ عليه ماكان من صَرْعته؛ وقدَّحَ فأورى، وأعضل داؤُه وآسْتَشْريْ، وصارتِ الصُّغْرِيْ التي كانت الكُبْرِيْ، فلولا أنَّ الله عَمَدَ الدِّين منهم بالعُمْدة الوَثيقه، حُماةِ الحقيقه، وأئمة الخليقَه، وسُلالة مفتَتِحي اليمامة ومفتَتِحي الحَدِيقه ، لأجهز النصل، وآجُتُثُّ من الدِّين الفرْعُ والأصْل؛ لْكُنَّهم آنتُدبوا إلىٰ إمساكِ الدِّين بها آنتِــدابا ، ووصَلُوا للإسلام أسْباباً ، وتناوَلَهَا منهم صَقْرُ قَبِيلِ الْخَزْرَجْ، ذُوالْحُسام الْمُضَرَّج، والثناء المؤَرَّج؛ أبو عبد الله الغالب بالله محمدُ آبن يوسف بن نصر أمير المسلمين، المنتدَب لإقامة سنَّة سيد المرسلين، قُدوةُ الملوك. المجاهدين : نَضَّر الله وجهه وتقَبَّل جِهاده ، وشكَّر دفاعَه عن حوزة الإســـــلام

⁽١) من ريحانة الكتاب .

[وجلَّادَه ؛ فأقشَعت الظُّلمه، وتماسَكَت الأُمَّه؛ وكفَّ العلوُّ وأقْصَر، ورأى الإسلامُ بَمَن ٱستَنْصر، وأستَبْصَر في الطاعة] من أستَبْصَر؛ وهبَّتْ بنصر الله الَعَزَائِم ، وكثُرُتْ علىٰ العـدُوّ الهَــزَائِم؛ وتوارَثُوا مُلْكَها وَلَدًّا عَنَ أَب ، مِســتنِدين إِلَىٰ عَدْلِ وَبَدْلِ وَبَسَالَة وَجَلَالَة وَحَسَبٍ؛ تَتَّضِح فِي أُفُقِ الْجَلالِ نجومُ سِيَرِهِم هاديةً للسائرين ، وتفرَق من سَطَواتهم في الله أُسودُ العَرِين ؛ إلىٰ أن قام بالأمر وُسُـطىٰ ســلْكهم، وبركةُ مُلْكهم ؛ الخليفـةُ الواجبُ الطاعة بالحق علىٰ الخَــلْق، الشهيرُ الجللالة والبَسَالة في الغرب والشَّرْق ، أميرُ المسلمين بواجبِ الحق؛ ساحبُ أذيال العَفَاف والطُّهاره ، السعيدُ الإيالة والإمارَه، البعيدُ الغـارَه ؛ مَنْ ذُعـر العدُّو لَبَأْس حُسَامه، وذُخر الفتحُ إلهنيُّ لأيَّامه ؛ صدرُ الملوك المجاهدين ، وكبيرُ الحلفاءِ العادلين، البعيدُ المَدي في ماية الدِّين؛ السعيدُ الشهيد، أبُو الوليد، آبن المَوْلي الهام الأوحد، الرفيع المَجَّد؛ الطاهر الظاهر الأعلى، الرئيس الكبير الحليل المقدس الأرضى؛ « أبي سعيد » بن أبي الوليد ، بن نصر . فأحيا رحمه اللهُ معالمَ الكتَابِ والســنَّة ، وجلَّى بنُور عدُّله غياهِبَ الدُّجُنَّه؛ وأعنَّ الإسلامَ وَحَمَاه، ورمىٰ ثُغْرَة الكُفْر فأصْماه؛. قدَّس الله رُوحَه الطِّيب، وسقىٰ لحــدَه من الرحمــة الغَامَ الصيِّب؛ وأوْرث الْمُلْكَ. الجهاديُّ من ولده خيرَ ملك قُبِّلتْ منه كُفّ ، وآســـتدار به موكبُّ للجهاد مُلْتُفّ ؛ وَشَمَخ بِخِدْمته أَنْف، وَسَمَا إلىٰ مشاهدته طَرْف ؛ وتأرَّج من ذكره عَرْف، وجرى إلى بابه حَرْف؛ مولانا الملكَ الْهَام، الخليفةَ الإمام؛ من أشْرَقَ بنُور إيَالِتِه الإسلام، وتشرُّفتْ بوجوده الليالي والأيَّام ؛ بَدْرُ الْمَلْك وشمسُه ، وسرُّ الزمان الذي قَصُر عن يومه أمْسُـه؛ الذي آشتهر عَدْلُه ، وبَهَر فَضْلُه ، وظهرتْ عليه عنايةُ ربِّه ، وكان الخضوع له في سَلْمه وحَرْبه؛ مولانا أميرُ المسلمين، وقُدوةُ الملوكِ المجاهدين والأثمَّةِ

⁽١) الزيادة عن ريحانة الكتاب لأبن الخطيب وهي لازمة لاستقامة الكلام •

العارفين ؛ السعيدُ ، الشهيدُ؛ الطاهرُ ، الظاهِر ؛ الأوحدُ الهُمَ ، الخَلَيْفة الإِمام (أبو الحَجَّاج) رفعَ الله درجَته في أوليائه، وحَشَره مع الذين أنْم عليهم من أنبيائه وشُهَدائه ؛ فوضَّحت المَسالِكُ وبانَتْ ، وأشرقتِ المعاهدُ وآزْدانتْ ؛ وشَمِلِ الصُّــنُعُ ماعنده، و بَلَغَ الأمدَ الذي قدَّره سبحانه لحياته وَحَدُّه؛ وقَبَضه إليه مستغفرا لذنبه، مطمئنًا في الحالة التي أقربُ ما يكون العبدُ فيها من رَبِّه ؟ كانما تأهَّب للشهادة [فاختار] مكانَها وزمانَها، وطهَّر بالصوم نَفْسه التي كرَّم اللهُ شانها، وطيَّب رَوْحها ورَ يُعانَهَا؛ فوقعت آراءُ أرباب الشُّوري التي تصِحُّ الإمامة باتِّفاقها ، وتنعقدُ بَعَقْد مِيثاقِها : من أعلام العلم بقاعدة [مُلْكه] غَرْ ناطة حريمها اللهُ تعالى التي غيْرُها لها تَبَع، وُحَمَاةِ الإسلام الذيرَ في آرائهم للدين والدنيا منتفَع؛ وخُلْصان الثِّقات، ووُجُوه الطُّبَقات، على مبايعة وارثِ مُلْكه بحقِّه ، الحائز في مَيْدان الكمال و إحراز ماللا مامة من الشروط وا للَّال خَصْل سَبْقِه ؛ كبيرٍ وَلَده ، وسابق أمَّده ؛ ووارثٍ مُلْكه ، وُوسُطَىٰ سَلَكَه ؛ وعَمَادِ فُسُطاطه ، وبَدْرِ الهالة من بسَاطه ؛ مولانا قمر العَلْياء ، ودُرّة الْحُلَفَاء، وفَرْعِ الشَّجرة التِّي أصلُها ثابتُ وفَرْعُها في السَّماء؛ الذي ظهرَتْ عليه مخايِلُ الْمُلْكُ ناشئًا ووليدا، وآستشْعرت الأقطارُ به وهو في المَهْد أماناً وتمهيدا ؛ وآستشرف الدِّينُ الحنيفُ فأَتلَعَ جيدًا، وأَستأنفَ شبابًا جديدًا؛ ناصِر الحقِّ، وغياثِ الحلْق؛ الذي تمـيُّز بالسكينة والوَقَار، والحياءِ المُنْسِدل الأسْتار، والبَسالةِ المرهُوبةِ الشُّفارَءِ. والْجُود الْمُنْسَكَب الأمطار، والعـدل المُشْرِق الأنوار؛ وجمَعَ الله فيه شُروطَ الملك والآختيار، مولانا، وتُمَّدة ديننا ودُنْيانا؛ السلطان الفاضل، والإمام العادِل؛ والهام. الباسل، الكريم الشمائل؛شمس الملك وبَدْره، وعَيْنِ الزمانِ وصَدْره؛ أمير المسلمين، وَقُرَة أَعِينِ المُؤْمِنينِ ، أَبُو عَبْد الله : وصلَ الله أسبابَ سَعْدهِ ، كَمَا حَلَّى أَجِيــادَ

المنابر بالدُّعاء تَجْده؛ وجعل جُنودَ السهاء من جُنْده، ونَصَره بنَصْره العزيز فما النَّصْرُ إلا من عنده؛ ورأَوْا أرن قد ظَهْرتْ بالعُروة الوُثْقيْ أيديهم ، وأمِنَ في ظلِّ الله رائحُهُم وغادِيهِم، ودَّلت على حُسْن الخواتم مَبَادِيهم ؛ فتبادَرُوا وآنثالُوا، وتَبَخُّـ تَرُوا في ملابس الأَمْن وآخت الُوا ؛ وهَبُّوا إلىٰ بَيْعته تطيرُ بهم أجنِحةُ السُّرور، ويُعْلِن ٱنطلاقً وُجُوهِهم بانشِراح الصُّدور؛ وآجتمع منهم طوائفُ الحاصَّة والجُمهُور: ما بين الشريفِ والمَشْروف ، والرُّؤساءِ أُولى المَنْصِب المعْروف ؛ وحَمَّلة العلم وحملة السُّـيوف، والأُمَناء ومَنْ لَدَيْهِم من الأَلُوف، وسائرِ الكَافَّة أُولَى البِـدَار لمثلِها والْخُهُوف ؛ فعقَّدُوا له البيعة الوثيقة الأَسَاس ، السعيدة بفضل الله على النَّاس ، البرىءَ عَهْدُها من الإرتيابِ والآلتِباس ؛ الحائزةَ شُروطَ الكال، الماحيةَ بنُور البيان ظُلَمَ الإِشْكَالَ ؛ الضَّمِينةَ حُسن العُقْبِيٰ وَنُجُحْ َ المآل، علىٰ ما بُو يِـع عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ومَنْ له من الصَّحابة والآل؛ وعلىٰ السَّمْع والطاعه، ومُلازَمة السُّنة والجَمَاعه؛ فأيديهم في السُّلْم والحَرْب رِدُّ لَيَده ، وطاعتُهم إليه خالصةً في يومِه وغَدِه؛ وأهواؤُهم متَّفِقة في حالَي الشِّدّة والرَّخاء، وعقُودهم محفوظةٌ علىٰ تداوُبِ السَّرَّاء والضَّرَّاء ؛ أَشَهَدُوا عليها الله وكفي باللهِ شهيدا ، وأعطَوْا صَفَقَات أيمانهم تَثْبُيتا للوَفَاء بها وتأكيدا ، وجعلوا منها في أعناقهم ميثاقًا وثيقًا وعهدًا شـديدا ؛ والله عن وجل يقول : ﴿ فَمَنْ نَكَتَ فِإِنَّمَا يُنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ مِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُوتِيه أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . ومر أَصْدَقُ من الله وَعْدا أو وَعِيـدا . وهم قد بسَطُوا أيديهـم يستنزُلُون رحمةَ الله بالإخلاص والإنَّابه، وصَرَفُوا وجُوهَهِـم إلىٰ من أُمَرَهم بالدعاء ووعدَهم بالْإِجابَه؛ يسألُونه خيْرَ مايقْضِيه، والسيْرَ على مأيْرْضِيه .

اللهم بابك عند تقلُّب الأحوالِ عَرَفْن ، ومن بحر نِعَمِك العميمةِ آغْترفْن ، وعِفُوك ستَرَ من عُيو بناكل ما آجتَرْخنا وآقتَرْفنا ، ومن فَضْلَك أغْنَيْتُنا ، وبعينِك التي

لاتنَامُ حَرْسَتَنا وَحَمْيَتَنا [فانصُرَحَيَّنا وَأَرحم مَيَّتَنا] وأوْزِعْنا شُكُر ما أُولِيتنا؛ وآجعل لَنَا الخَيْرُ والِخْيَرَةَ فيها إليه هدْيْتَنا .

اللهُمَّ إنَّ قطرنا من مادَّة الإسلام بعيد ، وقد أحدق بنا بحرُّ زاخِرُّ وعدوُّ شديد ، وفينا أيِّم وضعيف وهَرِمُّ ووَلِيد [وأنتَ مولانا ونحنُ عبيد .

اللهم مَنْ باَيْمَنا في هذا العقد] فأسعِدنا بمبايعتِه وطاعتِه، وكن له حيثُ لا يكونُ لنفسه بعد آستنفادِ جُهْده في التحقُّظ واستِطاعتِه، وكُفَّ عنه كَفَّ عدقك وعدُوِّه كُلًّا هبَّت بهرياح طَاعتِه، يامَن يُفْرِده العبدُ بضراعتِه، ويعُوذُ بحِفْظه من إضاعتِه.

اللهم أَدَعَنَا حَقَّـه فإنا لانقوى على ادائه، وتولَّ عنَّـا شكر ماحَمِدناه من سِــيرته وسيرة آبائه، وآحِيله من توفيقك على سَوَائِه .

اللهم إنَّا إليه ناظِرُون، وعن أمره صادِرُون، ولإنجاز وعدك في نصر من يَنْصُرك منتظِرُون؛ فأعِنْه على ماقلَّدته، وأنجز لديننا على يدَيْه ماوَعَدْته، فما فَقَد شيئا مَنْ وَجَدك، ولا خاب من قَصَدك، ولا ضَلَّ من اعتَمدك، آمين آمين ياربَّ العالمين.

وكتب الملاَّ المذكورون أسماءهم بخطوط أيديهم فى هذا الكتاب، شاهدةً عليهم بما الترموه دُنيا ودِينا، وسلَكُوا [منه] سبيلًا مُيِينا؛ وذلك فى الشانى والعشرين لشوال من عام خميس وخمسين وسبْعِائة .

قلت : وقد أخبر آخِر هـ ذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تُؤخَدُ خُطُوطُ أيديهم فى كتاب البيعة شاهدة عليهم بما بايعوا عليه . والظاهر أن كتابة البيعة عندهم كما فى مكاتباتهم فى طُومارٍ واحدٍ كبيرٍ متضايق السُّطور، وأنه ليس له طُرَّة بأعلاه كما فى كتابة المصريين .

⁽١) الزيادة عن ريحانة الكتاب لأمن الخطيب .

الباب الشالث من المقالة الخامسة في العُهُود، وفيه فصلان

العهْدُ لفظُ مشَتَرَك يقع في اللغة على ستة مَعاني :

أحدها _ الأَمَانُ . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَيِّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ •

الشانى _ اليَمينُ . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَأُوثُوا بِعَهْـدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .

الثالث _ الحِفَاظ . ومنه قولُه صلَّى الله عليه وسلم : وو حُسُنُ العَـهْدِ من الإيمان » .

الرابع – الذِّمَّة ، ومنه قولُه صلَّى الله عليه وسلم و لا يُقْتَل مُسْلِمُ بكا فر ولا يُقْتَل مُسْلِمُ بكا فر

الخامس ـــ الزَّمان . ومنه قولهم : وو كان ذلك على عَهْدِ فلان " .

السادس — الوَصِيَّة ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْـلُ فَنَسِى ﴾ وهو المراد هنا ،

قال الجَوْهريّ : ومنه اشْتُقّ العهدُ الذي يُكْتَب للوَلَاةِ ·

⁽۱) بهامش الاصل هنا حاشية نصها «ولهم سابع، وهو قولهم فىالدعاء اللك بعد موته: ستى الله عهده - برحمته أى مكانه المدفون فيه يستى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والمكان .

الفصــــــــــــل الشــانى (فى بيانِ أنواعِ العُهُـــود ، وهى ثلاثةً أنواع)

النـــوعُ الأقل النظر به من ثمانية أوجُه) (عهودُ الْخُلَفاء عن الْخُلَفاء ، ويتعلّق النظرُ به من ثمانية أوجُه)

الوجـــُهُ الأوّل (فى أصـــل مشروعِيّتهــا)

والأصلُ في ذٰلك ماثبت في الصحيحين من حديث آبنِ عمر رضي الله عنهما، أنه قيل لُعَمَرَ عَنْد مُوتِه 'وَأَلا تَعْهَدُ؟ فقال: أَأْتَحُلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا ومِّيًّا؟ إِنْ أَستَخْلِفُ فقد ٱستَخْلَفَ مَنْ هُو خَيْرٌ مِنِّي ، [يعني أبا بُحر]: وإنْ أَثْرُكُ فقد تَرَك مَنْ هُو خَيْرٌ مَنّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم " . فأثبتَ ٱستخلافَ أبى بكر رضَى الله عنه بذَّلك، مشيرًا إلىٰ مارُوِى : و أنَّه لما آشتدَّ بابى بكر الصدّيقِ رضى الله عنه الوَجَعُ، أرسلَ إلىٰ على وعُثْمَانَ ورجالٍ من المهاجِرِين والأنصار، فقال : قد حَضَر ما تَرَوْن، ولا بُدّ من قَائَمُ بِأَمْرِكُمْ ، فإن شَلْتُمْ ٱستَخَرْتُمُ لأَنْفُسكمْ ، و إن شَلْتُمْ ٱستَخَرْتُ لكم . قالوا : بل آخَتُرْ لنا، فأمَرَ عثمانَ فكتبَ عَهْدَ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه (علي ماسيأتي ذكره) ـ فقال عمر : لا أُطيقُ القِيامَ بأمُور الناسـ فقال أبو بكرها تُوا سَيْفِي ! وتهدّدَه فانقاد عَمْرُ؛ ثم دَخَلَ عَلَيْهِ طَلَحَةً فَعَاتَبَهِ عَلَىٰ ٱسْتَخَلَافَ عُمَرَ. فقال : إِنَّ عُمْرَ واللهِ خَيْرٌ لكم وأنتم شَرُّله ، والله لو وَلَّيْتُكَ لِحَمْتَ أَنْفُكَ في قَفَاك ، ولرفَعْتَ نْفَسَك فوقَ قَدْرُها حتى يكونَ اللهُ هو الذي يَضَعُها . أتيتَنِي وقد وَكَفَتْ عَيْنُك ، تريدُ أن تَفْتِنَني عن ديني

⁽۱) الزيادة من صحيح مسلم (ج ۲ ص ۸۰) .

وَتَرَدِّنِي عَن رَأْيى، قُمْ لاأَقَامَ اللهُ رِجْلَك، واللهِ لئِن بَلَغَنِي أَنْك غَمَصْتَه وَذَكَرَتُه بَسُوم لأُخْقِنَّك بِمَضَّات قُنَّةٍ حيثُ كُنْتُم تُسْقَوْن ولا تَرْوَوْن، وَتَرْءَوْن ولا تَشْبَعون، وأَنتُم بذلك بَجِحُون راضُون، فقام طلحةُ خَرج ".

قال العسكري : الحَمَضات جمع مَمْضة ضَرْبُ من النَّبْت، والقُنَّة أعلىٰ الجبل.

قال الماوردى : وكان آستخلافُ أبى بكر رضى الله عنه عُمَرَ بَٱتُّفاقٍ من الصحابة من غير نكيرٍ فكان إجماعا .

وقد عهد عمر رضى الله عنه إلى سنة، وهم عثمانُ ، وعلى ، وطلحة ، والزَّبيرُ ، وعلدُ الرحن بنُ عوف، وسعدُ بن أبى وَقَاص ، وتركها شُورى بينهم ، فدخَلُوا فيها وهم أعيانُ العصر وأشرافُ الصَّحابة رضوانُ الله عليهم .

الوجـــه الشاني (في معــني الإســتخلاف)

قال البغوى رحمه الله فى كتابه و التهذيب " فى الفقه : الاستخلاف أن يجعله خليفة فى حياته ثم يخُلفَه بعده ، قال : ولو أوصى بالإمامة فوجهان : لأنه يخرج بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير ، واستشكل الرافعي رحمه الله هذا التوجية بكل وصية ؛ و بأن ماذكره من جعله خليفة بعده : إن أريد به استنابته فلا يكون ذلك عَهدا إليه بالإمامة ، و إن أريد جعله إماما فى الحال، فهو : إمّا خلع نفس العاهد، و إمّا آجتاع إمامين فى وقت واحد، و إن أريد جعله خليفة أو إماما بعد موته فهو الوصية من غير فرق ،

⁽١) أي وأصحهما عنده عدم الجواز . بدليل النعليل .

قلت : وهـذا جُنوحُ من الرافعيّ رحمه الله إلى صِحَّة الخلافة بالوصيَّة أيضا ، (١) كما تصح بالاستخلاف .

الوجـــــه الشالث (فيما يجبُ علىٰ الكاتب مراعاتُه)

وأعلم أنه يجبُ علىٰ الكاتب أن يُراعِيَ في كتابة العهد بالخلافة أمُورا:

منها – براعةُ الأستهلال بذكر مايتَّفِق له : من معنىٰ الخلافة والإمامة وآشتقاقِهِما، وحالِ الولاية، ولقبِ العاهدِ والمعهُود إليه، ولقبِ الحلافة، إلى غير ذلك مما سبق بيانُه في الكلام علىٰ البَيْعات .

ومنها – أن يُنبِّه على شَرَف رُتْبة الخلافة، وعُلُوَ قدرها، ورِفعة شانها، ومَسِيس الحاجةِ إلى الإمام، ودِعَاية الضرورة إليه، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا.

ومنها – أن يُنبِّه على آجتاع شروط الإمامة فى المعهُود إليه من حين صدور العهد بها من العاهد ، فقد قال الماوردى : إنه تُعتبر شروط الإمامة فى المعهُود إليه من وَقْت العهد ، حتى لوكان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقْت العهد و بالنّا [عَدْلا] عند الموت ، لم تَصِحّ خلافتُه حتى يستأنف أهل الآختيار بَيْعتَه ، قال الرافعي رحمه الله نى و الروضة " : الرافعي رحمه الله فى و الروضة " : لا تَوقّف ، والصواب ماقاله الماوردي " .

ومنها — أن يُنبّه على آجتهاد العاهد وتروّى نظره فى حقّيّة المعهود إليه : فقد قال الماوردى : وإذا أراد الإمامُ أن يَعْهَد بالإمامة، فعليه أن يُحْهِد رأيّهُ فى الأحَقّ بها، والأقوم بشُروطها؛ فإذا تعيّن له الاجتهاد فى أحد، عَهِد إليه .

⁽١) فى الأصول كما لاتصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من الناسخ تأمل .

ومنها _ أن يُشير إلى تقدَّم الآستخارة على العهد، وأنَّ آستخارته أدَّتُه إلى المعهود إليه ؛ فإنَّ الآستخارة أمَّ مطلوب في كل أمر، خصوصًا أمْر المسلمين وعُمومَ الولايةِ عليهم ، فإنَّ آختيار الله للخلق خيرٌ من آختيارهم لأنفُسِهم، والله يقُولُ الحقَّ وهو يَهْدِى السَّبِيل .

ومنها — أن يَنبّه على أنّ عهده إليه بعد مَشُورة أهل الآختيار ومراجَعَتِهم في ذلك، وتصويبهم له، خروجًا من الجلاف. فقد حكى الرافعيُّ رحمه الله وجهين فيما إذا كان المعهودُ إليه أجنبيًّا من العاهد ليس بوَلد ولا والد: هل يجوزُ أن يَنفَرِد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحدا؟ أصُّهما الجوازُ: لأنَّ العهد إلى عمر رضى الله عنه لم يُوقَفُ على رضا الصحابة رضوان الله عليهم، ولأنَّ الإمام أحقَّ بها، فكان آختياره فيها أمضى، وقولُه فيها أنفَذ.

وحكىٰ الماوردى في جواز آنفراد العاهدِ بالبيعة فيما إذا كان المعهودُ إليه والدَّا أو ولدا ثلاثَةَ مذاهب :

أحدها _ ما اقتصر الرافعيُّ رحمه الله على نسبتِه إلى الماو رديِّ ، ومقتضىٰ كلامه ترجيحُه : أنه يجوزُ الاِنفرادُ بعقْدِها للوَلَد والوالد جميعا : لأنه أميرُ للأمة نافذُ الأمر لهم وعليهم ؛ فعُلِّب حكمُ المنْصِب على حكم النسب ؛ ولم يجعلُ للتَّهمة طريقًا على أمانته ، ولا سبيلًا إلى معارضَته .

والشانى – أنه لايجوزُ آنفِرادُه بها لوَلَد ولا والدحتى يُشاورَ فيه أهلَ الآختيار فيرَوْنه أهل الآختيار فيرَوْنه أهلا لها ، فيصحَّ منه حينئذ عَقْدُ البيعة : لأن ذلك [منه] تزكيةُ [له] تجرِى بَحْرَىٰ الحَمْ ؛ والشهادةُ والحَمُّ ممتنِعان من المَوْد والوالد للتَّهَمة ، لما جُمِل عليه من المَيْل إليهما .

والشالث – أنه يجوز أنْ ينفرد بعقْد البيعة لوالده دُونَ وَلَده : لأنَّ الطبع إلى الوَلَد أميل ؛ فأما عقْدُها لأخيه وغيره من الأقارِب والمناسِبين فكمَقَّدها للأجانب في جواز الانفراد بها .

ومنها — أن يَنَّبُه على العلم بحياة المعهُود إليه ووجُوده إن كان غائبا . فقد قال الماورديّ : إنه لو عَهِد إلى غائبٍ مجهولِ الحياةِ لم يصِحَّ عهدُه، وإن كان معلومَ الحياة صح، ويكونُ موقُوفا على قُدُومه .

ومنها – أن يَنبّه على أن المعهود إليه منصوصٌ عليه بمفرده، أو وقع العهد شُورى في جماعة وأفضت الخلافة إلى واحد منهم بإخراج الباقين أنفسهم منها ، أو آختيار أهل الحلّ والعقد أحدهم : إذ يحوز للخليفة أن يَعهد إلى آثنين فأ كثر من غير تقديم البعض على البعض و يختار أهل الاختيار بعد موته واحدًا ممن عهد إليه : فإنَّ عمر آبن الخطاب رضى الله عنه جعلها شُورى في سستة ، فقال : الأمْرُ إلى على وبإزائه الزّبيرُ بنُ العقام ؛ وإلى عُمّانَ وبإزائه عبدُ الرحمٰن بنُ عوف ؛ وإلى طَلْحة وبإزائه سعدُ بن أبي وقاص ، فلما تُوفّي عمرُ رضى الله عنه ، جعل الزبير أمرَه إلى على ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعدُ أمره إلى عبد الرحمٰ بنِ عَوْف ؛ فرج منها ثلاثة ، وبقيت شُورى في عُمّان وعلى ؛ ثمر ما يَع على عثمان ، والمعنى في الشّورى انه لايهوز أن تُجعل الإمامة بعد العاهد في غير المعهود إليهم ،

ومنها — أَن يُنَبِّه على عَدَد المعهود إليهم وترتيبهم إن كَان قد رَتَّب الخلافة في أكثَرَ على الترتيب . فلو رَتَّب في أكثَرَ على الترتيب . فلو رَتَّب

⁽۱) أى بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه · وفى كتاب الأحكام السلطانية للــاوردى فصارت الشورى بعد السنة فى هؤلاء الثلاثة وخرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة فى آثنين على وعثمان .

الخلافة فى ثلاثة مثلا _ فقال : الخليفة بعدى فلان، فاذا مات، فالخليفة بعدة فلان، الخلافة منتقلة إليهم على مارتبها ، ففي صحيح البخارى من رواية آبن عمر رضى الله عنهما و أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم السخارى من رواية آبن عمر رضى الله عنهما و أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم آستَخْلَفَ على جَيْشِ مُؤْتَة زَيْدَ بنَ حارثة _ وقال : إن أُصِيبَ فِخْفَرُ بن أبى طالب، فإن أُصِيبَ فعبدُ الله بنُ رَوَاحة ، فإن أُصِيبَ فليرتض المسلمون رجُلا، فتقدّم زيد فقيل ، فأخذ الراية عبدُ الله بنُ رَوَاحة وتقدّم فقيل، فأخذ الراية عبدُ الله بنُ رَوَاحة وتقدّم فقيل، فأخذ الراية عبدُ الله بن رَواحة واذا جاز ذلك في الإمارة جاز مثله في الحلافة ، قال : وقد عمل بذلك في الدولتين مَنْ لم يُنْكِر عليه أحدُ من علماء العصر :

فعهد سليمانُ بنُ عبد الملك إلى عمرَ بنِ عبد العزيز؛ ثم بعده إلى يَزِيدَ بن عبد الملك، وأقرَّه عليه مَنْ عاصره من الناس، ومَنْ لاتأخذُه في الله لومةُ لائم ، (٢) ورتَّبها الرشيدُ في ثلاثة من بَنِيه: الأمينِ، ثم المأمون، ثم المؤتمَن، من غير مَشُورة من عاصره من فُضَلاء العلماء ،

ولو قال العاهد : عهِدْتُ إلى فلان ، فإن مات فلانُ بعد إفضاء الخلافة إليه ، فالخليفةُ بعده فلان ، لم تصحَّ خلافةُ الثانى ، ولم ينعقِدْ عهْدُه بها : لأنه لم يَعْهَدُ إليه في الحال، و إنما جعله ولىَّ عهده بعد إفضاء الخلافة إلى الأوّل ، وقد يموت قبل إفضائها إليه فلا يكون عهدُ الثانى بها مُنْبرِما ،

ومنها _ أن يُنَبِّه علىٰ أنَّ صدُورَ العهد في حال نُفُوذ أمر العاهد وجَوَازِ تَصَرَّفه، فإنه لو أراد وليَّ العهد قبل موت العاهد أن يُردَّ ما إليه من وِلَاية العهْدِ إلىٰ غيره

⁽١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم الناسخ •

⁽٢) في "الأجكام السلطانية" عن مشورة الخ حرر ٠

لم يُحَزُّ: لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعدَ موت المستخْلِف ، وكذا لوقال : جعلتُه ولى عهدُ الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهْدُه عهدٍ إذا أفضتِ الخلافةُ إلى لم يُجْز: لأنه ليس فى الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهْدُه بالخلافة .

ومنها – أن يُنبّه على قَبُول المعهود إليه العَهْد، فإنه إذا عَهِد الإمامُ بالحلافة إلى مَنْ يصِحُ العهدُ إليه على الشَّروط المعتبرة فيه، كان العهدُ موْقُوفا على قَبُول المعهود إليه : فإن قَبِل صَّ العهدُ و إلَّا فلا، حتى لو امتنع من القَبُول بُويع غيره ، والعبرةُ في زمَن القَبُول بما بين عَهْد العاهد ومَوْتِه على الأصح، لتنتقل عنه الإمامةُ إلى المعهود إليه مستقرةً بالقَبُول المتقدّم ، وقيل : إنما يكون القَبُول بعد موتِ العاهد : لأنه الوقتُ الذي يَصِحُ فيه نظرُ المعهود إليه ،

ومنها — أنْ يُورِد من وَصايَا العاهدِ للعهود إليه ما يَلِيق به ، وقد ذكر الماورديُّ أنَّ الذي يلزَّمُه من أمور الأمّة عَشَرةُ أشياءَ :

أحدها _ حِفْظُ الدِّين على أصوله المستقِرّةِ ، وما أجمع عليه سلَفُ الأثمة ، وأنه إن نَجَم مبتَدعٌ أو زاغَ ذُوشُبهة عنه ، أوْضح له الحِّجةَ ، وبيَّن له الصَّواب ، وأخذه بما يلزمه من الحُقُوق والحـدُود : ليكون الدِّين محروسًا من الحَلَل ، والأمّةُ ممنوعةً من الزَّلَل .

الشانى ــ تنفيذُ الأحكام، بين المتشاجِرِين ، وقطْعُ الحِصام، بين المتنازعين ؛ حتى تُمُّ النَّصَفَةُ فلا يتعدَّى ظالم ولا يَضْعُف مظلُوم .

الثالث - حمايةُ البَيْضَة، والذَّبُّ عن الحُرَم: ليتصَرَّفَ الناسُ في المَعَايش، وينتشُروا في الأشفار آمنين من تغرير بنفْس أو مال.

الراسع — إقامةُ الحُـدود لتُصانَ محارِمُ الله تعالىٰ عن الاَِنْتَهاك، وتُحْفَظَ حَقُوقُ عباده من الإِنْلاف والاَستَهالاك .

الخامس – تحصينُ الثَّنُور بالعُدّة المانِعه، والقُوّة الدافِعه، حتَّى لايظْفَرالأعداءُ يغِرَّة ينتهِكُون بها مَحْرما، أو يَسْفِكُون فيها لمسلم أو معاهَدٍ دَماً .

السادس – جِهادُ مَنْ عاندَ الإسلامَ بعد الدَّعوة حتَّى يُسْلِم أو يُدُخَلَ في الدِّمَّة : ليقام بحقِّ الله تعالىٰ في إظهاره على الدِّين كلِّه .

السابع – جِبَايةُ النَّىٰءَ والصَّدَقاتِ علىٰ ما أوجبه الشرْعُ نصًّا وٱجتهادا من غير . حَيْف ولا عَسف .

الشامن ــ تقدير العطاء وما يُستَحَقَّ في بيتِ المال من غير سَرَف ولا تقْتير ، ودفعُه في وقت لاتقديمَ فيه ولا تأُخير .

التاسع ــ آستيكفاءُ الأُمناء، وتقليدُ النَّصَحاء، فيما يفَوِّضه [إليهم من (٢) الأعمال] ويكلُه إليهم من الأموال: لتكونَ الأعمال بالكُفَاةِ مضبُوطة، والأموال بالأُمناء محفُوظة.

العاشر — أن يُباشِرَ بنَفْسه مُشَارَفَةَ الأمور وتصَفَّحَ الأحوال: لَيَنْهُضَ بسياسة الأُمَّة، وحراسة الملَّة ؛ ولا يُعَوّل على التفويض تشاغُلًا بلذَّة أو عبادة ، فقد يخونُ الأُمينُ وينُشُّ الناصحُ ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفةً فَى الْأَرْضَ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تَنَّيِحِ الْمَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عن سَبِيل اللهِ ﴾ ، فلم يقتصر اللهُ فاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تَنَيِّحِ الْمَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عن سَبِيل اللهِ ﴾ ، فلم يقتصر الله

⁽١) يطلق الفيء على الغنيمة والخراج والمراد هنا الثانى •

⁽٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالىٰ علىٰ النفويض دُونَ المَباشَرة ، بل أَمَرَه بَمَباشَرةِ الحُكُمْ بين الحَاثَى بنَفْسه ، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم : و كُلُّكُمْ راج وكُلُّكُمْ مَسْتُولٌ عن رَعِيَّته ، ولله درَّ محمدِ بنِ يَزْدادَ وزيرِ المأمون، حيثُ قال مخاطبا له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَ إِنَّهُ قِنَ * أَنْ لَايَنَامَ وَكُلُّ الناس نُوَامُ! وَكَيْفَ تَرْقُدُ عَيْنَ مَنْ تَضَيفه * هَمَّانِ مِن أَمْرِه : حَلُّ و إِبْرامُ!

وحينشذ فيجب على الكاتب أن يضَمِّن هـذه الأمورَ العشرةَ في وصاياً المعهُود إليه ، وقد ذكر المَقَرَ الشِّهابيُ بنُ فضـل الله في ⁹⁰ التعريف " في وصيَّة وليِّ المهد بالخلافة ومَنْ في معناه من الملوك ووُلاة عهْدِهم هـذه الأمورَ ممتزِجةً بأمور أخرى من مُهِمَّات الملك وحُسْن تدبيره وسياستِه ،

قلت: إنما يحسُن إيراد هذاكلَّه فوصايا وُلاة العهد إذاكان الأمُ على ماكانت الحلافة عليه أوّلا من عُمُوم التصرُّف؛ أما الآنَ فالواجبُ أن يُقْتَصَر في وصاياهم على حُسْن التَاتَّى في العهد بالسلطنة لمن يقُوم بأعبائها، وأن يكونَ ماتقدم مختصًّا بوصايا المُلوك في العهود عن الحلفاء.

الوجـــه الرابع

(فيما يُكتَب في الطُّرَّة ، وهو تلخيصُ مايتضمُّنُهُ العهدُ)

وهِذه نسخة طُرَّة أنشأتُها ليُنسَج علىٰ مِنْوالها، وهي :

هذا عهد إمامي قد علَتْ جُدُوده ، وزاد في الإرتِقاء في العَلْياء صُعُودُه ، وَفُصِّلت بِالحَواهِرِ قلائدُه ونُظّمتُ بنفيس الدُّرِ عَقُودُه ، من عبد الله ووليَّه الإمام المتوكِّل

على الله أبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر، بالخلافة المقدّسة، لولده السيّد الجليل ذخيرة الدّين، وولى عهد المسلمين ؛ أبى الفضل العباس : بلّغه الله فيه غاية الأمل ، وأقر به عين الأمة كما أقر به عين أمير المؤمنين وقد فَعَل على ماشرح فيه .

الوجـــه الحامس (فها يُكتَب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتى فى الطريقة الثانية من المَذْهب الأول مما يُحتَب فى مَثْن العهد من كلام المقر الشهابى بن فضلِ الله فى و التعريف أنه يقال فيه : الأمير السَّيد الجليل، ذخيرة الدِّين، وولى عهد المسلمين؛ أبى فلان فلان ، وفى المُذْهب الثالث فيما كتب به للمستوثِق بنِ المستكفى ما يوا فقه ، وقد تقدم أنه لا يَقَع فى ألقابهم إطناب، ولا تعدد ألقاب، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجـــه السّادس (فيما يكتب في مَثْن العهـد ، وفيه ثلاثة مذاهبَ)

المدنية الأول

(أن يفتَتَح العهدُ بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل: «هذا ماعَهِد به فلان لفلان» أو «هذا عهدُ من فلان لفلان» أو «هذا كتابُ ٱكَتَبَه فلان لفلان» ونحو ذلك .

وللكُتَّاب فيه طريقتان :

الطريقـــة الأُولىٰ (طريقــةُ المتقدِّمينِ)

وهى أنْ لايأتى بُخُطْبة فى أثناءِ العَهْد، ولا يَتَعرَّض إلى ذكرِ أوصافِ المعهود إليه والثناءِ عليه، أو يتعرَّض لذلك باختصار؛ ثم يأتِي بالوصايا؛ ثم يختِمُه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك ثما يُناسِب، وعلى ذلك كانتْ عهودُ السَّلَف من الصَّحابة والتابعين فَنْ بعدَهم، أتِّباعًا للصِّدِيق رضى الله عنه فيا كتب به لعُمَرَ بنِ الحطَّاب، كا تقدّمت الإشارةُ إليه فى الإستشهاد.

ونسختُه فيما رواه البيهقُ في ^{ور} السُّنَن " وآقتصر عليـــه الشيخُ شهاب الدِّين مجمود الحلبيّ في ^{ور} حسن التوسُّل " .

«هذا ماعهِدَ أبو بكر خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آخِرَ عهْدِه بالدنيا وأوّلَ عهدِه بالآخِرة : إنى آستخلفْتُ عليكم عمرَ بنّ الخطاب فإنْ بَرَّوعدَلَ فَذَلَك ظنِّى به، وإن بدّلَ أو غيَّر فلا عِلْمَ لى بالغَيْب، والخيرَ أردتُ بكم ، ولكلِّ آمريُ ما ا كتسبَ مِنَ الْإِثْم : (وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِمُون) » .

وذكر أبو هلال العسكرى" في كتابه و الأوائل " عن المدائني أنه حين دعا عثمان آبنَ عقّانَ رضى الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال : آكتُبْ «هذا ماعَهِدَ أبو بكرِ بنُ أبى فَحَافة في آخرِ عهده بالدنيا [نازحا عنها] وأوّل عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يتوبُ الفاجر، ويُؤمّن الكافر، ويَصْدُق الكاذب؛ وهو يشهَدُ أن فيها حيث يتوبُ الفاجر، ويُؤمّن الكافر، ويَصْدُق الكاذب؛ وهو يشهَدُ أن لاللهَ إلّا الله وأنّ عهدًا عبدُه ورسوله، وقد استَخْلَف» _ ثم دَهَمتْه غَشْيةٌ فكتب عثمان : « عُمرَ بنَ الخطّاب » ، فلنّا أفاق ، قال : أكتبْتَ شيئا؟ قال نعمْ عُمرَ

⁽١) الزيادة من كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة .

ابن الخطاب ، قال : « رحمك الله ، أما إنّك لو كَتَبْتَ نَفْسَك لكَنْتَ أَهــلّا لها ، الله الله عَمَرَ بن الخطاب ورضيه لكم ، فإنْ عَدَل فذلك ظنّي به ورأْبي فيه ، وإنْ بدّلَ فليكُلّ نَفْسٍ ما كــبَتْ وعليها ما اكتسبَتْ ، والخــيْرَ أردتُ ، ولا أعلَمُ الْغَيَبَ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ » .

وعلى هـذه الطريقةِ كُتِب عهدُ عمرَ بنِ عبـد العزيز بالخلافةِ عن سُلَيمانَ بن عبد الملك؛ ثم مِنْ بعده إلىٰ أخيه يزيدَ بنِ عبد الملك .

وهذه نسختهُ فيما ذكره آبنُ قُتَيبةً فى تاريخ الخُلَفَاء :

هــذا ماعَهِدَ به عبدُ اللهِ سليمانُ بنُ عبد الملك أميرُ المؤمنين وخليفةُ المسلمين . عَهِّدَ أَنه يَشِهَدُ للهِ عن وجل بالرُّبُوبيَّة والوَحْدانيَّة؛ وأن عِدًّا عبدُه ورسُولُه صلَّى الله عليـه وسلم، بعثه إنى مُعْسِني عباده بَشِـيرا، وإلى مُذْبِيهِم نَذيراً . وأنَّ الجنةَ والنارَ مخلوقتان حَنًّا : خلق الحنة رحمةً وجزاءً لمن أطاعه، والنارَ نَفْمة وجزاءً لمَنْ عَصَاه؛ وأَوْجِبَ العَفْوَ جُودًا وكرَّما لَمَنْ عَفا عنه . وأنَّ سليمانَ مُقِرُّ علىٰ نَفْسه بمــا يعلُّمُ اللهُ من ذُنُو به ، و بما تعلمُه نفْسُه من معصية ربِّه ؛ مُوجبًا على نفْسه آستحقاقَ ماخَلَق من النَّقْمة ، راجيا لنفسه ماحَلَق من الرحمة ووَعَد من العفو والمغْفرة، وأن المقاديرَ كلُّها خُيرَها وَشَرُّها مَقَـدُوْرُهُ بِإِرادته ، مَكَوَّنَةً بِتَكُوينِـه؛ وأنه الهـادِى فلا مُغْوِيَ ولا مُضلَّ لمن هَدَاه وخلَقَه لرحمته، وأنه يُفْتَن الميت في قَبْره بالسؤال عن دينه ونبيِّــه الذي أُرْسل إلىٰ أمَّتــه ، لامَنجىٰ لمن خرج من الدنيا إلىٰ الآخرة من هـــذه المسألة إلا لمن آستثناه عن وجلَّ في علمــه . وسلمانُ يسألُ اللهَ الكريمَ واسع فَضْله، وعظيم مَنَّـه، النباتَ علىٰ ماأسَرٌ وأعلَنَ من معرفة حقِّـه وحقِّ نبيه عنــد

⁽١) كذا في الأصول بالنصب وكذلك وقع في دّاب الامامة والسياسة لآبن قتيبة •

 ⁽٢) فى كتاب الامام والسياسة لأبن قتيبة «خيرها وشرها من الله وأنه هو الهادى الخ»

مَسْأَلَة رُسُله ؛ والنَّجاة من هَوْل فتنة نَتَانِيه . ويشْمَدُ أنَّ الميزان يومَ القيامة حقٌّ يقين، يزِنُ سيئاتِ المسيئين، وحسّناتِ المحسنين : لُيرِيَ عبادَه من عظيم قُدْرته، ماأراده من [الخير] لعبادِه بما لم يكونُوا يحتَسبُون ؛ وأنَّ من تُقلُتْ مَوَازينُه فَاوَلَئِكَ هِمَ الْمُفْلِحُونَ ، ومَنْ خَفَّتْ موازِينُه يومَثــذِ فَاوَلَئِكَ هِمَ الْجــاسِرُونَ . وأنَّ حوضَ عجدٍ رسولِ الله صــ تَى الله عليه وسلم يومَ الْحَشَر والمؤقف للعرْض حقٌّ، وأنَّ عدَّدَ آ بيتِه كُنُجُوم السهاء، من شَرِبَ منه لم يظْمَأُ أبدا ، وسلمان يسألُ الله بواسع نبينا، والله يعلمُ بعدَهما حيثُ الخيرُ وفيمن الخَيرُمن هذه الأمة. وأنَّ هذه الشهادةَ كلُّها المذكورةَ في عهدهِ هذا يعدُّها الله من سِرَّه و إعلانه وعَقْدِ ضميره، وأنه بها عبَّدَ ربه فى سالفِ أيَّامه وماضِي عُمُّره، وعليها أتَّاه يقينُ ربه، وتوفَّاه أجَّلُه، وعليهَا يُبْعَث بعد موتِه إن شاء الله . وأن سليمان كانت له بينَ هذه الشهادة بَلاَيَا وسيِّنَاتُ لم يُكُنُّ له عنها تَحِيد ولاُبَدّ، جرى بها المقدور من الرَّبِّ النافدُ إلى إتمام ماحَدٌ؛ فإن يعْفُ ويصْفَحْ فَدَاكَ مَاعُرِف منه قديمًا ونُسِب إليه حَديثًا، وتلك صفَتُه التي وَصَف بها نفسه في كتابه الصادِقِ، وكلامِه الناطِق ؛ و إنْ يُعاقِبْ و يَنْقِم فَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاه، ومَا اللهُ بِظَلَّامَ للعبيد . وأن سليمان يُحَرِّج علىٰ مَنْ قَرَأَ عهدَه هذا وسمِعَ ما فيه من حكمة أن يُنتهِىَ إليه في أمره ونَّهْيه ، باللهِ العظيم ، ومجد رسولِهِ الكريم ؛ وأن يَدَّع الإِحَنَ الْمُضْغَنه ، ويأخُذَ بالمكارم الْمُدْجَنه ، ويرفَعَ يديه إلى الله بالضمير النَّصُوح والدُّعاءِ الصحيح ، والصَّـفْح الصَّريح ؛ يسأله العفْوَ عنَّى، والمغفرةَ لى، والنجاةَ من فَزَعِى والمسألةِ في قَبْرى، لعلَّ الودُودَ، أن يجدَلَ منكم ُنجابَ الدعوة بما منَ الله علَيًّ

⁽١) فى كتاب الامامة والسياسة « لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ فى محكم الوحى فان يعف » الخ .

من صَفْحه يعود؛ إن شاء الله ، وأنَّ ولى عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، وصاحب أمره بعد موته ، فى جُنْده ورعيَّته وخاصَّته وعامته ؛ وكلِّ من استخلفى الله عليه ، واستَرْعاني النظر فيه ؛ الرجلُ الصالح «عمرُ بن عبد العزيز» بن مَرْوان آبُ عَيى، لما بلَوْتُ من باطن أمره وظاهِره ، ورجوتُ الله بذلك [وأردت] رضاه ورحمته إن شاء الله ، ثم من بعده تُسلمَّ إلىٰ يَزِيدَ بنِ عبد الملك بن مَرْوان إن بقي بعده ، فإنّى مارأيتُ منه إلّا خيرا ولا الطّاعتُ له على مكروه ، وصغار ولدى وكارُهم إلىٰ مُحر ، إذ رجوتُ أن لايألُوهم رَشَدا وصلاحا ؛ والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين ؛ واقرءُوا عهدى عليكم السلام ورحمة الله ، ومن أبى أمرى هذا أو خالف عهدى هذا ـ وأرجو أن لايخالفه أحدً من أمة عد ـ فهو صالً مضلً يُستعتب ؛ فإنْ أعتب و إلّا فإنى لمن صاحب (؟) عهدى فيهم بالسيف والقتل القتل ، فانهم مستوجبون لهم ، وهم لهينه ملقحون ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان .

تم ذلك والحمدُ لله وحده، وصلواته على سيدنا عهد وآله .



وعلى نحوٍ من ذلك كتب المأمونُ العباسيُّ عهدَ على بن موسى العَلَوى (المعروف بالطُّونيِّ) بالخلافة بعده .

وهذه نسخته فيا ذكر صاحب العقد :

هذا كتابُ كتبه عبدُ الله بن هارونَ الرشيد أميرُ المؤمنين بيده، لعليّ بنِ موسىٰ بن جعفر وليّ عهْده .

⁽١) في كتاب الامامة والسياسة « والا فالسيف والله المستعان » وهي واضحة ·

أَمَا بِعُدُ، فَإِنَّ الله عن وجلَّ آصْطَفَىٰ الإِسلامَ دينا، وٱصْطَفَىٰ له من عباده رُسُلا دالِّينَ عليه، وهادين إليه، يَبشِّر أَوْلُم بآخِرِهم، ويصدِّق تَالِيهِم ماضِيَهم؛ حتَّى انتهتْ نبوَّةُ الله إلى عهد صلَّى الله عليه وسلم على فَتْرةٍ من الرُّسُل، ودُرُوس من العلم، وأنقطاعٍ من الوَّحْي ، وٱقترابٍ من الساعة ؛ فختم اللهُ به النبيِّين وجعــله شاهدًا لهم، ومُهَيِّمنا عليهم ؛ وأنزل عليــه كتابَهُ العزيز الذي ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الباطِلُ من يَيْنِ يَدَيْهِ ولا منْ خَلْفه تَنْزِيلُ مِن حَكِيم حَمِيدٍ ﴾ . فأحَلُّ وحَرَّم ، ووعَدَ وأوْعَد ؛ وحَذَّر وأنْذَر ، وأمَرَ بُهُ ونَهَىٰ عَنهُ : لتَكُونَ له الحجةُ البالغة علىٰ خَلْقه : و﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عِن بَيِّنَّةٍ ، ويَحْيَا مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ و إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلَيمٍ ﴾ . فبلُّغَ عن الله رسالَتَهُ، ودعا إلى سبيلِه بمــا أمره به من الحِكْمَة والمُوعِظة الحَسَنة، والمجادلة بالتي هي أحسَن،ثم بالِحهاد والغِلْظة حتَّى قَبَضه اللَّهُ إليه ، وآختار له ماعنْده صلَّى اللهُ عليه ؛ فلمَّا ٱنقضتِ النبوَّةُ وخَتَمَ الله يجمد صلى الله عليه وسلم الوَّحَى والرسالة ، جعـِلَ قِوَامَ الدين ، ونظامَ أمر. المسلمين ، بالخلافة و إتمامِها وعِزُّها ، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تُقَام بها فرائضُ الله وحُدُوده، وشرائعُ الإسلام وسُنَنَهُ ، ويجُاهَد بها عدُوَّه . فعلىٰ خُلَفاء الله طاعتُ فيما ٱستَحْفَظهمَ وآستَرْعاهم من دينه وعبادِه ، وعلىٰ المسلمين طاعةُ خُلَفائهم ومُعاوَتَتُهُمْ عَلَىٰ إقامة حقِّ الله وعَدْله ، وأَمْن السُّـبُل وحَقْن الدِّماء، وصـــلاح ذات البِّين، وبَمْ عَ الأَلْفة؛ وفي إخْلال ذلك آضطرابُ حَبِّل المسلمين وآختلالهم، وآختلافُ مِلَّتُهم ، وقَهْرُ دِينهم، وآستعلاءُ عُدُوِّهم، وتفَرُّقُ الكلمة ، وخُسرانُ الدنيا . والآخرة . فحقُّ على من ٱستخْلَفَه اللهُ في أرضه ، وأَثَمَنه على خَلْقه [أنْ] يُؤْثِر مافيــه رضا اللهِ وطاعتُه و يُعد [ل] فيما اللهُ واقفُه عليه وسائلُه عنه، ويحُكُمُ بالحق و يعْمَل بالعـــدل فيما حَمَّــله الله وقلَّده؛ فإن الله عن وجل يقول لنبيه داود عليه الســــلام :

⁽١) لعل الجاروالمجرور في المحلين زائد من قلم الناسخ .

﴿ يَادَاُودُ إِنَّا جَعَاْ آكَ خَلِيفَةً فِي الأرضِ فَاحْكُمْ بِينَ لَنَاسٍ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِسعِ الْهَوَيْ فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَديدٌ بما نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾ . وقال عن وجل : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْءَلَنَّهُمْ أَجَمِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ . وبَلَغَنا أَنَّ عمـرَ بنَ الخطَّابِ قال : « لو ضاعَتْ سَغْلَةٌ بجانِبِ الفُراتِ لتخَوَّفْتُ أَن يَسَالَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وَآيْمُ اللهِ إِنَّ المُسْتُولُ عَنْ خَاصَّة نَفْسَــَه ، المُوقُوفَ على عمله، فيها بَيْنَ الله وَبَيْنه ، لَمُتعرِّضُ لأمر كبير، وعلىٰ خَطَر عظِيم، فكيف بالمستُول عن رعاية الأُمَّة ؛ وبالله النُّقةُ ، وإليه المَفْزَع والرَّعْبة فى التوفيق مع العِصْمة، والتَّسْديدِ والهــداية إلىٰ مافيه ثُبُوتُ الجُمَّة، والفوزُ من الله بالرِّضوان والرْحمــة . وأنظَرُ الأعمة ا لنفسه، وأنصَحُهم في دينـــه وعباده وخلافته في أرضه، مَنْ عمل بطاعة الله وكتابه وسنَّة نبيه عليه السلام فيمدَّة أيَّامه؛ وآجتهَدَ وأجهَدَ رأيَّهَ ونظَرَه فيمن يُولِّيه عَهْدَه، ويختارُه لإمامة المسلمين ورِدايَّتِ م بعدَه ؛ ويَنْصِبُه عَلَما لهم، وَمَفْزَعا فى جَمْع أَفْتهم، وَلَمَّ شَعَيْهِم، وحَقْن دمايُهم، والأمْنِ بإذْنِ الله من فُرْقتهم، وفسادِ ذاتِ بينِهم واختلافِهم، ورَفْع نَزْع الشـيطان وكيده عنهـم ؛ فإن الله عن وجل جعل العهــدّ بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكمالِه وعزِّه وصَلاحِ أهله ؛ وألهُم خلفاءَه من تَوْسِيده لمن يختارُونه له من بعدهم ماعظُمتُ به التِّعمة ، وشَمِلَت منه العافيــة، ونقَضَ اللهُ بَذَٰلُكُ مُرَّمَّ أَهُلَ الشِّقاقِ والعَدَاوةِ والسَّعْيِ فِي الفُرْقةِ والرَّفْضِ للفتنــة ؛ ولم يزَلْ أمــير المؤمنين منذُّأفضَتْ إليه الخلافةُ فاختَبَر بَشَاعةَ مَذَاقَتْها، وثِقَلَ مُجْمَلِها وشدَّةَ مَـُونَتْها ؛ وما يجب علىٰ من تقلُّدها من آرتباط طاعة الله ومراقبتـــه فيما حَمَّــلَهُ منها ؛ فأنْصَبَ

⁽١) فى اللسان ج ٧ ص ١٥ « المربفتح الميم الحبل » ·

 ⁽۲) أى تركها تسمير فى الناس ، فنى اللسان الرفض أن يطرد الرجل غنمه وابله إلى حيث يهوى فاذا
 بلغت لها عنها وتركها .

 ⁽٣) لعله ناظرا فيها بما يقتضيه منصبها وما يجب الخوبه يستقيم الكلام بعد تأمل .

بدُّنَه، وأسهر عيْنَه؛ وأطال فكرَّه فيا فيه عنَّ الديرين ، وقعُ المشركين ؛ وصلاح الأُمَّة ، ونشرُ العدل، و إقامةُ الكتاب والسُّنَّة ؛ ومَنَعه ذلك من الخَفْض والدَّعة بَهْنيِّ العيش : علما بما اللهُ سائلُه عنه، ومحبَّةً أن يلْقيْ الله مُنَا حَمَه في دينه وعباده، ومختارا لوَلَاية عَهْده، ورعايةِ الأمَّة من بعده، أفضلَ مَنْ يقدِر عليه فيدينه ووَرَعه وعِلْمه، وأرجاهم للقيام بأمْرِ الله وحقِّه ؛ مناجيًّا للهِ بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامَهُ مافيه رضاه وطاعتُه في ليله ونهاره، ومُعْملا في طلَّبه وٱلتماسه من أدل بيتِه من وَلَد عبد الله أبن العباس وعلى بن أبي طالب فكرة ونظره ، ومقتصرا فيمن علم حالة ومدهبة منهم على علمه، وبالغَّا في المسألة عمَّن خَفِيَ عليه أمْرُهُ جُهْدَه وطافَتَهَ، حتَّى ٱستقْصٰي أُمُورَهمِ بمعرفتــه، وآبتلي أخْبارَهم مشاهَدَة، وكشَّفَ ماعندهم مُسَاءلة ؛ فكانت خِيرتُه بعد آستخارته للهِ و إجهاده نفْسَــه في قضاء حقِّه و بلاده ، من البيتين جميعًا «علِّي بنَّ موسنى بن جعفر» بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب : لِمَا رأى [من] فَضْلِهِ البارع، وعلمه الناصع؛ وورَعه الظاهر، وزُهْده الخالص، وتَحَلَّيه من الدنيا، وتسَلَّمُهُ من الناس؛ وقد آستبان له مالم تَزَى الأخبارُ عليه متَواطِئه، والألسُنُ عليمه متفقةً والكلمةُ فيمه جامعه ؛ ولما لم يَزَلْ يعرفُه به من الفضل يا فِعًا وناشِئا، وحَدَثا وُمُكْتَهِلا؛ فعقَد له بالعَقْد والخلافة إيثارًا لله والَّدين، ونظرًا للسَّلمين، وطلَّباً للسلامة وثباتِ الحجَّة والنجاة في اليوم الذي يقُومُ الناس فيه لربِّ العالمين .

ودعا أمير المؤمنين وَلَده ، وأهلَ بيته ، وخاصَّتَه ، وقُوَادَه ، وخَدَمَه ، فبايَعُوه مُسْرِعين مُسْرُورِين ، عالمين بإيثارِ أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في وَلَده وغيرِهم ممن هو أشْبَكُ به رَحِمًا وأقرب قرابة ، وسَمَّاه « الرَّضِيَّ » إذ كان رَضيًّا عند أمير المؤمنين .

فبايعُوا مُعْشَرَ بيتِ أمير المؤمنين ومَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّادِه وجُنْده، وعامة المسلمين « الرَّضَى » من بعده ، على آسم الله و بركته وحُسْن قضائه لدينه وعبادِه ؛ بيعة مبسوطة إليها أيْدِيكم ، منشرِحة لها صدُورُكم ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثرَ طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين لله على ماألهُم أمير المؤمنين من نَصَاحِته في رعايتكم ، وحرْصه على رُشْدِكم وصلاحكم ، راجين عائده في ذلك في جمع أُلفتيكم ، وحقن دمائكم ، ولم شعثيكم ، وسدد تُنعُوركم ، وقُوَة دينكم ، ورغم عدق كم مارعُوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنّه الأمن عدقكم ، وآستقامة أموركم ، وسارعُوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنّه الأمن ان سارعُتُم إليه ، وحيدتُمُ الله عليه ؛ عرفتُم الحظّ فيه ، إنْ شاء الله تعالى .

+ +

وعلىٰ هـذه الطريقة كتب الوزيرُ أبو حفْص بنُ بُرْد عَهْدَ الناصر لدين الله عبد الرحمن بنِ المنصور بنِ أبى عامر العامري ، عن المؤيَّد بالله هشام بن الحكم الأُمُوى ، الخليفة بالأندُلُس ، وهذه نسخته :

هذا ما عَهِدَ هشامٌ المؤيَّدُ بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامَّه ، وعاهدَ الله عليه من نفسه خاصَّة وأعطى به صَفْقة بمينه بيعة تامَّه ، بعد أن أنعمَ النظرَ وأطال الاستخارة وأهمَّه ماجعل الله إليه من الإمامة ، وعَصَب به من أمر المؤمنين ، واتَّق أُحُلُولَ القَدَر بما لأيُؤمن ، وخافَ تُزولَ القضاء بما لأيصرف ، وخَشِي إنْ هَجَم محتومُ وَلَك عليه ، ونزلَ مقْدُورُه به ، ولم يرفع لهذه الأُمَّة عَلَما تأوى إليه ، ومَلْجا تنعطف غليه ، أنْ يكونَ يلق ربَّه تبارك وتعالى مقرِّطا ساهيًا عن أداء الحق إليها ؛ ويغمَّض عند ذلك من أحياء قُريش وغيرها من يستَحقَّ أن يُشنَدَ هذا الأمْن اليه ، ويُعوَّل في القيام به عليه ، ويستوجبُه بدينه وأمانيه ، وهَدْيه وصيانيه ؛

بعددَ ٱطَّراحِ الهوىٰ والتحرِّي للحــق ، والترَّلُف إلىٰ الله جلَّ جلاله بمــا يُرْضــيه . وبعدَ أَنْ قَطَع الأواصِرَ، وأشخط الأقارِبَ؛ فلم يجِدْ أحدًا أَجْدَرَ أَن يُولِّيه عَهْدَه ، ويفوِّضَ إليــه الخلافةَ بعْدَه : لفضل نَفْسه ، وكَرَم خيمه، وشرف مَرْتبتِه ، وعُلُق مَنْصِبه؛ مع تُقَاه وَعَفَافه ، ومَعْرفته وحَزْمه وَنَقَاوتِه ؛ من المأمُونِ العَيْب، النــاصِحِ الْجَيْب «أبي المطرِّف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر مجمد بن أبي عامر، ونَّقه الله ؛ إذ كان أميرُ المؤمن بين _ أيده الله _ ٱبْتلاه وٱختَبَره، ونظَر في شأنه وٱعتَبَره؛ فرآه مُسارعا في الخيرات، سابقًا في الحَلَبات؛ مستولِيًا علىٰ العَايَات، جامعا المَأْثُرات؛ ومَنْ كَانَ المنصورُ أياه، والمُظَفَّرُ أخاه؛ فلا غَرْوَ أن يَبْلُغَ من سبيل البِّرِّ مَدَاه، وَيَحْوِيَ مِن خِلَالَ الْحَيْرُ مَا حَوَاهُ ؛ مَعَ أَنَّ أَمِيرُ المؤمنين _ أَيْدِهُ الله _ بِمَا طالعه من مَكُنُونَ العِلْمِ ، وَوَعَاه مِن مُخْزُونَ الأَثَرَ؛ يرىٰ أن يكونَ ولِيٌّ عهدِه القَحْطالِيُّ الذي حدَّث عنه عبدُ الله بن عُمْرو بن العاص وأبو هريرةَ : أنَّ النبيِّ صلىُّ الله عليه وسلم قال : وَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْـرُجَ رَجُلٌ مِن تَقْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاه " فلما ٱستَوىٰ له الاِّختِيار، وتقابلَتْ عنْدَه فيه الآثار؛ [و]لم يجِدْ عنه مَذْهَبا، ولا إلى غيره مَعْدِلا، صَرَّح إليه في تدبير الأُمور في حياته، وفوّض إليه الخلافةَ بعد وَفَاته؛ طائعا راضيًا مجتمِدا، وأمضىٰ أميرُ المؤمنين هـــذا وأجازه وأنْفذه، ولم يشترط فيــه مَشْويَّةً ولا خِيارًا ؛ وأعطىٰ علىٰ الوَّفَاء به في سِرَّه وجهره وقولِه وفِعْسَلِه عَهْدَ الله وميثاقَه ؛ وَذِمَةُ نَبِيهِ عِمْدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذِمَمَ الْخَلْفَاءُ الرَّاشَدِينَ مَنَ آبَائُهُ ﴾ وَذِمَّةً نَفْسِه : أَنْ لَا يُبَــِدِّل ، ولا يغَــيِّر ، ولا يَحُول ، ولا يَزُول ؛ وأشهد اللهَ علىٰ ذلك والملائكةَ ﴿ وَكُفَّىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ . وأشهد من أوقَع آسمَه في هــذا ، وهو جائز الأمر،، ماضِي القولِ والفِعل، بَحُضَر من وليَّ عهدِه المأمونِ أبي المطرف عبدالرحمن بن المنصور وفَّق الله، وقبُوله ما قلَّده، و إلزامه نفْسَ ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأوَّل سنة ثمان وتسعين وثلثمائة . وكتَبَ الوزراءُ والقضاةُ وسائر الناس شهاداتيم بخطوط أيديهـم بذلك .

الطريقة الثانيـــة (طريقــة المتأثّرين من الكُمَّاب)

أن يأتى بالتحميد فى أثناء العَهْد، ويأتي من ألقاب ولى العهد بما يناسب على الاختصار؛ وعليها آقتصر المَقَرّ الشَّهابيّ بنُ فضل الله فى و التعريف " نقال : وأعلم أنَّ عهُودَ الخلفاء عن الخلفاء لم تَجُر عادةُ مَنْ سلَف من الكُمَّاب أن يستفتحها إلا بما يذكر، وهو :

«هــذا ماعَهِد [به] عبدُ الله ووليَّه فلانَّ أبو فلان الإمامُ الفلانيّ أميرُ المؤمنين، عهد إلى ولَده، أو [إلى] أخيــه الأميرِ السيد الجليل، ذَخيرةِ الدِّين، وولىَّ عهد المسلمين أبى فلان فلان، أيَّده الله بالتمكين، وأمدَّه بالنصر المُبِيزِ ، وأقرّ به عينَ أمير المؤمنين» . ثم يُنْفِق كلُّ كاتبٍ بعد هذا علىْ قَدْر سَعَته، ثم يقول :

«أما بعدُ، فإنَّ أمير المؤمنين يَحدُ إليك الله الذي لا إله إلاَّ هو، ويصلَّى على نبيه عد صلَّى الله عليه وسلم » ويخطُبُ في ذلك خُطْبة يُكثِر فيها التحميد ويَنْتَهِى فيه إلى سبعة ؛ ثم يأتى بعد ذلك بما يُناسِب من القول : يصف فكر الذي يَعهَد فيمن بعَدَه ؛ ويصفُ المعهود إليه بما يليق من الصَّفات الجليلة ، ثم يقول : «عهد إليه وقلَّده بعدَه جميع ماهو مقلَّده ، لما رآه من صَلاح الأمة ، أو صَلاح الخلق ، بعدَ أن استعار الله تعالى في ذلك ، ومكث مدّةً يتدبَّر ذلك ويُروِّى فيه فكره وخاطِرَه ، ويستشيرُ أهلَ الرأى والنظر ، فلم يَر أقومَ منه بأمور الأمة ومصالح فكره وخاطِرَه ، ويستشيرُ أهلَ الرأى والنظر ، فلم يَر أقومَ منه بأمور الأمة ومَصالح

الدنيا والدِّين» ومن هذا ومثله؛ ثم يقال: «إنَّ المعهودَ إليه قَبِلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليقُ من مَحَاسن العبارة وأحاسِنِ الكلام.

قلت : ولم أظفر بنسخة عهدٍ على هذا الأساوب الذى ذكره المقرَّ الشَّهابِيّ ؛ وقد أنشأت عهدًا على الطريقة التي أشار إليها ، آمتحاناً للخاطر : لأنْ يكونَ عن الإمام المتوضّل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر، خليفة العصر، لوَلده العباس : ليكون أُنمُوذَجا يُنْسَج على مِنْواله .

ومن غريب الإتفاق أنّى أنشأته فى شُهُور سنة إحدى وثمانمائة آمتحانا للخاطر كما تقدّم، وضَّمته هذا الكتاب وتمادى الحال على ذلك إلى أن قبض الله تعالى الإمام المتوكِّل ـ قدّس الله تعالى رُوحه ـ فى سنة ثمان وثمانمائة ؛ فأجمع أهل الحلّ والعَقْد على مبايعته بالخلافة ؛ فبايعوه وحقّق الله تعالى ما أجراه على اللّسان من إنشاء العهد باسمه فى الزّمن السابق ؛ ثم دعَتْني داعية للى التمثّل بين يديه الشريفتين فى مستَهل شهر ذى القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره، وهو مُصْغ له مظهر الابتهاج به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنية . ثم أنشأت له رسالة وضمنته إيّاها وأو عتْ بخزانته العالية عَمرها الله بطول بقائه .

هذا عهد العيد الطالع ميمون الطائر، مبارَك الأول جميل الأوسط حميد الآخر؛ تشهد به حضرات الأملاك، وترقُمه كنَّ الثَّرَيَّا باقلام القَبُول في صحائف الأفلاك؛ وتُشهد به مُلُوك الأرض ملائكة السها، وتَسْرِى بنَشْره القَبُولُ إلىٰ الأقطار فتنشُر له بكلِّ ناحية عَلَما، وتَطْلِعُ به سعادة الجَدِّ من مُلُوك العَدْل في كلِّ أَفْق نَجُها، وترقُص من فرحها الأنهار فتنقَّطها شمس النَّهار بذَهَب الأصيل على صَفَحات المَّا ؛ عهد به

عبدُ الله ووليَّه أبو عبد الله محمدٌ المتوكِّلُ على الله أميرُ المؤمنين إلى وَلَده السيد الحليل عُدَّة الدِّين وذَخِيرته ، وصَفِيِّ أمير المؤمنين من وَلَده وخِيرته ، المستعينِ بالله أبي الفضل العباس بلَّغ الله فيه أميرَ المؤمنين غايةَ الأمَل ، وأقر به عينَ الحلافة العباسيَّة كما أقر به عينَ أبيه وقد فَعَلْ ،

أما بعـدُ، فالحمدُ لله حافظ نظام الإسـلام وواصِلِ سَبَه، ورافِع بيتِ الحلافة ومادٌ طُنُبه، وناظِم عِقْد الإمامة المعظّمة في سِـلْك بنِي العباس وجاعِلِها كَامَةً باقيةً في عَقبهه .

والحمــُدُ لله الذي أقرّ عْينَ أمير المؤمنين بخيرِ وَلَى وأفضَلِ وَلَدَ، وشدّ أَزْرَه بأكرم ســيد وأعزّ سَنَد، وصرَفَ آختياره إلى مَنْ إذا قام بالأمر بعــدَه قيل هذا الشّبلُ من ذاكَ الأسَد .

والحمـــدُ لله الذي جدّدَ للرعيَّة نِعمةً مع بَقاء النَّعمة الأُولى، وأقام لأمْرِ الأَمّة من بَنِي عَمِّ نبيِّه المصطفىٰ الأُولىٰ بذلك فالأَوْلى ، وآختار لعهد المسلمين مَنْ سبقَتْ إليه في الأَذْلِ إرادتُه فأصبح في النَّفُوس معظًا وفي القلوب مَقْبُولاً .

والحمــدُ لله الذي أضحك الخلافة العبَّاسية بوجُود عبَّاسها ، وأطاب بذِكُره رَيَّاهاِ فتعطَّر الوجودُ بطيبِ أنفاسِها ؛ ورفع قَدْرَه بالعهد إليــه إلىٰ أعلیٰ رُتْبــة مُنيفه ؛ (١) وخَصَّه بمشاركة جَده العَبَّاسِ فى الاِسم والكُنية ففاز بما لم يَفُزْ به قَبْلَه منهم ست وأربعون خَلِيفه .

والحمدُ للهِ الذي أَوْجِبَ على الكافّة طاعة أُولِي الأمْر من الأثمَّـه ، وألزَمَهم الدُّخولَ في بَيْعُــة الإمام والانقيادَ إليه ولو كارب عبْدًا أَسُودَ فكَيْفَ بمن أَجْمَع على سُؤْدَده الأَته ، وأوضَح السبيلَ في التعريف بَمَقَام الآلِ والعِثْرة النبويّة ((فلا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً) .

يَعَمَدُه أعيرُ المؤمنين على ما مَنحه من طيبِ أَرُومة سَمَت أصلا وزكت فَرْعا ، وحَبَاه من شَرَفِ عَثْيَد راق نظرا وشاق سَمْعا، ووصله به من نِعَم آثرت نقاعا وأثرت نقعا ؛ ويشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتوارَثُونها كالخلافة كايرًا عن كابر، ويُوصّى بها أبدًا الأوّل منهم الآخر، ويُؤذن قيامُهم بنصرتها أنّهم مَعْدن جوهرها النفيس ونظامُ عقدها الفاخر ؛ ويشهَدُ أنَّ سيّدنا عدًا عبدُه ورسوله ، الذي خصّ عمَّه العباس بكريم الحَباء وشريف الإنافة ، ونَبّه على بَقاء الأمر في بنيه بقوي صَلَّ مَنْ أظهر عِنَادَه أو أضمر خلافه ؛ حيثُ أسرَّ إليه : وو ألا أُبشَرُك يا عَمّ بي خُتِمتِ النبوَّة وبولدك ثُخْتَم الخلافه " صلى الله عليه وعلى آله وصَعْبه صلاة تعم بكثم الولد ، ويشمل معروفها المعهود إليه ويعرف شرفها العاهد، ويعترف بمكتم المُولد والوالد، ويشمل معروفها المعهود إليه ويعرف شرفها العاهد، ويعترف بفضلها المُقرَّ ولا يَسَيعُ إنكارُها الحاحد؛ مائوة بذكر الخلافة العباسيَّة على أعواد بفضلها المُقرَّ ولا يَسَيعُ إلى السَّود على عساكر المَواكب ومَواكب العساكر ؛ وسلَّم تسليا كثيرا ،

⁽١) ذكَّر اميم العدد على حد ماأنشده الفراء .

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

هـذا وكلَّ راج مستُول عن رعيَّه، وكلُّ امْرِئ مجولُ على نينه، مخبرُ بظاهر، عن جميلِ ما أكنَّه في صَدْره وما أسَرَّه في طَوِيَّته ؛ والإمامُ منصوبُ للقيام بأمر الله تعالى في عباده ، مأمورُ بالنصيحة لهم جُهْدَ طافته وطافقة آجْتهاده ، مطلوبُ بالنظر في مَصالحهم في حاضِر وقتهم ومستقبله وبَدْء أمرهم ومَعاده ؛ ومِن ثَمَّ آختلفتْ آراء الحلفاء الراشدين في العهد بالحلافة وتباينت مقاصِدُهم ، وتتوّعت آختياراتهم بحسب الاجتهاد وآختلفت مواردُهم ؛ فعهد الصدِّيقُ إلى عمر بن الحطّاب رضى الله عنه متنبّنا ، وتركها عمرُ شُورى في ستّة وقال : « أتحمَّل أمْرَكُم حيًّا وميتًا ! » وأنى رضى الله عنه لكلَّ من المذهبين بما أذْعن له الخَصْمُ وسلَّم، فقال : « إنْ أعهدْ فقد رضى الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بستّهما ، ومشوًا فيه على طريقتهما ؛ فن راغب عن العهد وراغب فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخَر إلى آبنه أو أخيه ؛ كلُّ منهم بحسب ما يؤدِّى إليه آجنها دُه ، وتَقُوىٰ عليه عزيمتُه ويترجَّحُ لَدَيْه آعتادُه ،

ولل كان أمير المؤمنين _ أحسن الله مآبه _ قد نور الله عين بصيرته ، وخصّه بطهارة سرّه وصفاء سريرته ، وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعيّة وصلاح أمر الأُمّه ، وعلّمه ممّا يَشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، واصطفاه على أمر الأُمّه ، وعلم ه من علم الفراسة أوفر قسم ، واصطفاه على أهل عصره وزاده بسطة فى العلم والحسم ، فلا يعزم أمرا إلّا كان رَسَادا ، ولا يعتمد فعلا إلا ظهر سَدادا ، ولا يرتي رأيا إلا ألفي صوابا ، ولا يشير بشيء إلا حُمدت أثاره بداية ونهاية واستصحابا ، ومع ذلك فقد بكر الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة حالمُم وخبرهم ، واطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم وجمهورهم ، وترجّع عنده جانب المهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى من الإمهال ، ولم يزل يُروّى فكرته ، ويعمل رَويّت ، فيمن يصلح لهذا الأم

بعْدَه ، ويْنَهَض بأعبائه الثقيلة وَحْده ؛ ويَشِيع فيه سُبُلَه ويسْلُك طرائِقه ، ويقتفى في السِّيرة الحسنة أثره ويَشيم في العدل بوارِقه ؛ ويُقْيِل على الأمْر بكلِّيَّه ويقْطَع النظر عَمَّ سواه ، ويتفرّغ له من كلِّ شاغلِ فلا يخلِطُه بما عَدَاه .

وقد علم أنَّ الأحقُّ بأن يكونَ لهـــا حَلِيفًا من كان بها خَلِيقا ، والأَوْلىٰ بأن يكُونَ لها قَرِينا مَنْ كان بَوْصِلها حَقِيقا ، والأجدَر أنْ يَكُونَ لديها مكينًا من آتخذ معها يَدًّا و إلىٰ مَرْضاتِها طَرِيقا ؛ والألْيقَ بمنصبها الشريفِ مَنْ كان بمطْلُوبها مَلِيًّا، والأَجْرِيٰ بَمَكَانِهَا الرفيع مَنْ كَانَ بَمْقَصُودِهَا وَفِيًّا ، والأَوْفَقَ لَمْقَامِهَا العَـالِي مَنْ كَان خَيْرا مَقَامًا وأحسَنَ نَدِيًّا؛ وكان ولَدُه السـيدُ الأجلُّ أبو الفضــل المشارُ إليه هو الذي وجُّهتِ الخلافةُ وجْهَها إلى قِبْلته ، وبالغَتْ في طَلَبه وألحَّتْ في خطبته ؛ على أنه قد أَرْضع بِلبَانِها ورُبِّي في حِجْرِها، وآنتسب إليها بالبُنوَّة فضمَّته إلى صَدْرها؛ وكيف لانتَشَبَّث بجِباله ، وتتعَلَّق بأذْياله ؛ وتطمَعُ فيقُرْبه ، وتَتغالىٰ في حُبِّه ؛ وتميلُ إلىٰ أَنْسه ، وتُراودُه عن نَفْسه ، وهو كُفُؤُها المستجْمِعُ لشرائِطِها المتَّصفُ بصفاتِها، ونَسيبُها السامي إلىٰ أُعَالِيها الراقِي علىٰ شُرُفَاتها؛ إذ هو شبُّلها الناشيُّ في آجامِها ، بل أسَّدُها الحامي لِحمَاها ونُجِيرُها الوَافِي بِذِمَامِها؛ وفارِسُها المقــدَّم في حَلْبة سِبَاقِها ووارثُهَا الحائزُ لجميع سهامها؛ وحا كُمُها الطائعُ لأمْرِها، ورشِيدُها المأمونُ على سِرِّها؛ وناصِرُها القَّائِمُ بواجِبها، وَمَهْدِيُّهَا الهادي إلى أفضل مَذَاهِبها ؟ قد ٱلتَحَفُّ من الخلافة برِدَاتُها ، وسَكَن من الْقُلُوبِ فِي سُوَيْدَائِهَا، وتوسَّمت الآفاقُ تَفْوِيضَ الأمرِ إليه بعد أبيــه فظهَر الْحَلُوق ف أَرْجائها ؛ وٱتُّبع سِيرةَ أبيه في المعرُوف وٱقتفيٰ أَثَرَهَ في الكَرَم، وتشبُّه به في المَفَاخر (وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ) وتقبَّل الله دُعاء أبيه فوهَبَ له من لَدُنْه وليًّا ، وأجاب نداءَه فيه فَكَّن له في الأرض وآتاه الحُكَّمَ صَبِيًّا ؛ فاستوجبَ أن يكونَ حينتذِ المسلمين ولَّى عَهْدُهُم ، واليَّا علىٰ أَمُورِهُم في حَلَّهُم وعَقْدُهُم ؛ مَتَكَفِّلًا بِالأَمْسُ في قُرُّبِه وبُعْدِه،

مُعِينًا لأبيب في حياتِه خليفةً له من بعُده؛ وأن يصَرِّحَ له بالاِستخلافِ ويُوضِّع، ويتلُو عليه بلسان التفويض ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ ﴾ .

وآفتضت شفقة أمير المؤمنين ورأفتُه ، ورفقه بالأمة ورحمته ، أن ينصب لهم ولي عهد يكون بهذه الصفات متصفا، ومن بحره الكريم مغترفا، ومن ثمار معروفه المعروف مقتطفا ، وكمنه له العدب واردا، وعلى بيت الشريف وسائر الأمة بالحير عائدا ، فلم يجد من هو مستكل جميعها ، مستوعب لأصولها وفروعها ، وهو بمطلوبها أملى ، وعلى قلوب الرعية أحلى ، والغليل أشفى ، وبالعهد الجميل أوفى ، من ولده المشار إليه ، فاستشار في ذلك أهل الحل والعقد من قضاته وعلمائه ، وأمرائه وورزرا ، وخاصته وذويه ، وأقار به و بنيه ، وأعيان أهل العصر وعامته ، وبحمهوره وكأقته ، فرأؤه صوابًا ، ولم يعرهم فيه ظنة ولا مُشترابا ، ولا وجد أحد منهم إلى باب غيره طريقًا ولا إلى طريق غيره بابًا ، فاستخار الله تعالى فيه فاقبل خاطر ه الشريف عليه ، وكرر الاستخارة فلم يجد عنه عيدًا إلّا إليه ،

فلم رأى أنَّ ذلك أمَّر قد آنعقد عليه الإجماع قوْلا وفعلا، وعُدِم فيه المخالف بل لم يُكُنْ أَصْلاً؛ حمِدَ الله تعالى وأثنى عليه، وسأله التوفيق ورَغِب إليه؛ وجَدَّد الاستخارة وعَهِد إليه بأمْر الأمَّة ، وقلَّده ما هو متقلِّده من الخلافة المقدِّسة بعده على عادة مَنْ تقدّمه من الحُلفاء الماضين ، وقاعدة مَنْ سلف من الأمَّة المهديين ؛ وفوض إليه ماهو من أحكامها ولوازمها ، وأصولها ومَعالمها : من عَهْد ووصايه ، وعَرْل وولايه ؛ وتفويض وتقليد ، وآنتزاع وتخليد ؛ وتفريق و جَمْع ، وإعطاء ومَنْع ، ووصل وقطع ، وصلة وإدرار ، وتقليد و إثمَّار ؛ جُرْئيما وكليما ، وخفيما

⁽١) اضطره السجع إلى نصب المرفوع ٠٠

وَجَلِيِّهَا؛ وَدَانِيهَا وَقَاصِيهَا، وَطَائِعَهَا وَعَاصِيهَا؛ تَفُو يَضَّا شُرْعِيَّا، تَامَّا مَرْضِيَّا؛ جَامَعًا لأَحكام الوِلَاية جَمْعاً يُعمُّ كُلِّ نِطَاق، ويَسْرِى حَكُمُه فى جميع الآفَاق، ويدخلُ تَحْتُهُ سَائِرُ الأَقَالِيمِ وَالأَمْصَارِ عَلَى الإطلاق؛ لايغَيَّر حَكُمُه، ولا يُحْيَىٰ رشمُهُ ، ولا يَطِيشُ سَبْمَه، ولا يُعْفَىٰ رشمُه ، ولا يَظِيشُ مَهْمه، ولا يَا فِلُ نَجْمه ،

قبِلَ المعهودُ إليه - أعلى الله مَقامَه - ذلك عُخضر من القضاة والحُكَّام ، والعلماء الأعلام ، ولزمَ حكمُه وَأَنْبَرَمْ ، وكُتِب في سِجِلَّات الأفلاك وآرْتَسَم ، وحُمِلت رسائلُه مع بُرُد السَّحاب فطافَتْ به على سائر الأُمَم ، وهو - أبقاه الله - مع ماطبعت عليه طباعه السليمه ، وجُمِلت عليه سَجاياه الشريفةُ وأخلاقُه الكرِيمه ، قد تلتى عن أمير المؤمنين من شريف الآداب ماغُذّى به في مَهْده ، وتلقّف منه من حُسْن الأَدوات مايَرُويه بالسَّند عن أبيه وجدّه ، مما أنطبع في صفاء ذهنه الصَّقيل وانتقش في فَهْمِه ، وآختلَط من حال طُفُوليَّه بدّمِه ولحَمْه وعَظْمِه ، حتى صار طبعا وانتقش في فَهْمِه ، وآختلَط من حال طُفُوليَّه بدّمِه ولحَمْه وعَظْمِه ، حتى صار طبعا على ذلك الأصل القوى نابتا ، لكن أمير المؤمنين يُوصِيه تبرَّكا ، ويشرَح له مايكونُ على ذلك الأصل القوى نابتا ، لكن أمير المؤمنين يُوصِيه تبرَّكا ، ويشرَح له مايكونُ مطلوبةٌ فقد قال تعالى : ﴿ ووَصَى بِهَا إبْراهِمُ بَنِيهِ و يَعْقُوبُ ﴾ .

فعليكَ بمراقبة الله تعالى فَمْن راقبَ الله نَجَا، و [اجعل] التَّقُوىٰ رأسَ مالك : ((وَمَنْ يَتَّقِ اللهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) وآلجَأَ إلى الحق فقد فازَ مَنْ إلى الحق جَا ؛ وكتابُ الله هو الحبلُ المتين، والكتابُ المُبين ؛ والمَنْهَج القويم ، والسبيلُ الواضحُ والصِّراطُ المستقيم ؛ فتمسَّكُ منه بالعُرْوة الوثق ، وآسْلُكُ طريقتَه المُثلَىٰ وآهتَد بهَدْيِه فلا تَضلّ ولا تَشْقَىٰ ؛ وسُسنة نبيّه مجد صلى الله عليه وسلم عليك بالاِقتداء بأفعالها الواضحه ، والإصغاء لآثار أقوا لها الشارحه ؛ عالمًا بأنَّ الكتاب والسنة أخوان لا يفتر قان ،

ومُتلازِمانِ بحبْل التبأين لا يعتَلِقان ؛ والبِلادَ والرِّعايا خُطْهما بَنَظَرك ما ٱستطعت ، وتثبَّت في كل قَطْع ووَصْل فأنتَ مسْئُول عن كل ما وصَلْتَ وقطَعْت ؛ والآلَ والعِتْرَةَ النبويَّة قَفِهِمَا حَقَّ القرابة منك ومنْ رســولِ الله صلَّى الله عليه وســلم الذي أَشْرَقَتْ به؛ وآعلم أنك إذا أكرمْتَ أحدا منهم فإنما أكرمتَه بسَبيه؛ وٱتَّبع في السِّيرة مِسْيَرَةً آبائك الخلفاء الراشدينَ لاتَّزِغْ عنها ، ولا تعمَلْ إلَّا بها و بمــا هو ـــ إن ٱستطعتَ خَيْرُمنها؛ وٱقْفُ في المعروف آثارَهم المقدَّسَةَ لتحْوِيَ من المآثرِ ماحَوُّوا، وآحْذُ حَذْوَهم في طريقِهم المباركةِ وآبنِ المجدَكمَا بَنُوا ؛ وأَخْيَ من العمل سنَّة سلَّهَك المصطفَّيْنَ الأخيار، وآحرِصْ أن تكونَ من الأئمة الذين يُظِلُّهُم الله تحتَ عرشه : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْسَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ • وأَسْلِف خيرًا تُذْكَرُ به على مَرِّ اللَّيالي، وينتظِمُ ذِكُره فيُعَفُّود الأيَّام كما تنتظم فيالسِّلكِ الَّلاَّ لَى ؛ وَلَيْكُنْ قَصْدُك وجَهَ الله ليكونَ في نُصْرتك فإنَّ مَنْ كان الله تعالىٰ في نُصْرته لانبالي؛ ولْتعْلَمْ حقَّ اليقينِ أنَّ حسنَة الإمام تُضاعَفُ بحسَبِ ما يترتَّب عليها من المَصَالِح أو يَتْجَدُّدُ بسببها ، وسيِّتَته كذلك فن سَنِّ سيئةً كان عليه إثمُها و إثمُ مَنْ عميل بها ؛ ودُرْ مع الحقِّ كيفَ دارَ ومِلْ معـه حيثُ مال ، وٱعلَمْ بأنَّ اللهَ لا يُغَيِّر مابقَوْم حتَّى يَغَيِّرُوا ما بأنْفُسِهم و إذَا أرادَ اللهُ بقوم سُوءًا فلا مَرَدَّ لَهُ وما لهم مِنْ دُونِه مِن وال ؛ ولا تُخطُّ ببالك أنَّ هذا الأمْرَ آنتهي إليكَ بقُوه، أو يَغُرُّكَ ما قدَّمناه من الثناء عليك فالتأثُّر بالمَدْح يُخِـلُّ بالمُرَّوه؛ ولا نتَّكُلُ على نَسَبك فَمَنْ أطاعَ اللهَ أَدْخلَه الجنةَ ولوكان عُبدا حبشِيًّا، ومَنْ عصاه أدخلَهُ النارَ ولوكانهاشِميًّا قُرَشِيًّا، وٱستُنصِر اللهَ ينصُرُك وآستعِنْ به يكُنْ لك عَوْنا وظَهِيرا، وآستَهْدِهِ يَهدِكَ ﴿ وَكَفَىٰ بَرِّبُكَ هادِيًّا وَنَصِيرًا ﴾ وَكُنْ [من] الله خائِفًا ومن مكره من المُشْفقين، فإنَّ الأرضَ لِلهِ بُورِثُها من يَشَاءُ من عباده والعاقبةُ للتَّقين .

هذا عهْدُ أمير المؤمنين إليك ، ووصيّتُه تُمْلى عليك ، ﴿ وَذَكِّرَ فَإِنَّ آلَدَّ كُوى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلْهُ عَلَى اللَّهُ عَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَ

(أَن يَفْتتَحَ العهدَ بعد البسملة بلفظ «من فلان إلى فلان» كما يُكْتَب فىالمكاتبات ثم يأتِى بالبعدية ويأتِى بما يُناسِبه مما يقتضيه الحالُ من ذكر الوِلاية ، ووصْف المتولِّى، وآختيار المُولِّي له ونحو ذلك)

ثم قاعدة كُتَّابِهم أنهم يأتُون بعد ذلك بالتحميد في أثناء العَهْد .

وهــذه نسخةُ عهدٍ من ذلك، كُتِب بهـا عن الحافظ لدين الله الفاطميّ، لوَلَده حَيْدرةَ بأن يكونَ وليَّ عهد الخلافة بعده؛ وليس فيها تعرَّض لتحميد أصلا، وهو .

مِنْ عبد الله ووليّه عبد المجيد أبى الميْمُون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، الى وَلَده وَنَجْله ، وسُلالته الطاهرة ونَسْله ، والمُجْمَع عَلىٰ شَرَف والعامل بمرضاة الله في قوله وفعله ، وعَقْده وحلّه ؛ الأمينِ أبى تُراب حَيْدَرَة ، ولى عهد أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلامٌ عليك : فإنَّ أمير المؤمنين يَحَــدُ إليكَ اللهَ الذي لاإلهَ إلَّا هو، ويسألُه أن يَصَلِّى علىٰ جَدّه عد خاتَم النبيين، وسيِّد المرسلين، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ الطاهرين، الأئمة المهدِيِّين؛ وسلَّم تسليها .

أما بعْدُ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ لبَدِيع حِكْمته، ووَسِيع رحْمتِه، استَّوْدَع خُلفاءه مَنْ خَلَقه وَبَرَأَه، والسّتكفیٰ أُمناءَه مَنْ صوَّره وذَرَأَه ؛ ورتبَّهم مَرْتَبَةَ النفُوس مَن الأجساد، ونَّظُم بَمَدَلة الضِّياء من الأزْناد ؛ وجعلهم مستخْدِمَين لأفكارهم في مصالح البريَّة التي غدَّت في أَمَانِهم ، وحصلتْ في ضَمَانِهم ؛ فظلَّت في ذِمَامهم ، وسَعِدت في عِنْ مَقَامِهم وظلِّ أيَّامهم : لأنهَم نُصِبوا للنظر فيا جَلَّ ودَقّ ، وتَعبُوا لراحة الكافَّة تَعبَا صَعب وعَظُم وشَقّ ؛ وكان ذلك سِرَّا من أسرار الحكمه ، وضر با من أفضل تدْبير الأُمّه ؛ إذ لو ساوى بين الرئيس والمرْءُوس ، والسائس والمَسُوس ؛ لاختلطَ الخُصُوص بالْعُمُوم ، ولم يبق فرقُ بين الإمام والمامُوم .

وقد آستخلص الله أمير المؤمنين من أشرَف أُسْرة وأكرم عِصَابه ، وأيَّده في جميع آرائِه بالحَزَامة والجَزَالة والأَصالة والإِصابة ، وقَضَى لأغْراضِه أن يكونَ السعدُ لها خادِما، وحَتَمَ لمقاصِده أن يُصاحِبَها التوفيقُ ولا يَنْفَكُ لها مُلازِما ، وجمع له ما تفرّقَ في الخليقة من المَفَاخر والمَنَاقِب، وألهمه النظر في حُسْن الخواتم وحميد العَواقب .

ولماكان ولي عهد أمير المؤمنين أكبر أبناء أمير المؤمنين، والمنتهى لأشرف المراتب من تقادم السّنين؛ وقد استولى على الفَحْر باكتسابه وانتسابه، وتصدّت له مخطو بات الرَّتب ليحُوزها باستحقاقه واستيجابه؛ وله من فضيلة ذاته ما يدل على النبإ العظيم، وعليه من أنوار النبوة ما يهتدى به السارى فى الليل البهم، وحين حوى تالد الفَحْر وطارِقه ولم يستغن بالقديم عن الحديث ولا بالحديث عرف القديم؛ والصّغات إذا اختلفت أربابها لا تقع إلا دُونَه، والثواب الحزيل مما أعده الله للذين يُخْلِصُون فيه و يتولونه، وليفخر بأن خُصَّ من العناية الملكوتية بالحظ الأجرك، وليتسمَّح على البرايا ليكون ممدُوحًا بالكتاب المترَّل، وليبَدْخ فإنَّ وصْفَه لا تُبلّت السّور، وإن استحدمت فيه الفكر، وليبُحْح فإن فضله لايدرك حقيقة إلا إذا تُليت السّور، وأن تعموه المتعدمة الله بعد وأمتع أمير المؤمنين به، وأجرى أموره عاجلا واجلا بسبّبه،

رأى أميرُ المؤمنين أن يختصّه بولاية عهد أمير المؤمنين تميزًا له بهذا النعت الشريف، وسُمُوًّا به إلى مايجب لحَبْده الشامخ وعلّه المُنيف ، وآفتداءً بأسلافه الأثمة الأطهار فيا يُسَرِّفُون به أبناءهم الأكرمين ، وتخصيصًا له بما يبقى فحره على متجدّد الأزمان ومُتطاول السّسنين ، وأمر أمير المؤمنين أن يُتخيّر من رجال دولته، ووُجُوه أجناده وسيعته ، طائفة يكونُ إليه آنتاؤها، وإلى شَرَف هذا النعت آنسابها وآعتراؤها ، فتُوسَم بالطائفة العَهْديّة، وتَعْظَىٰ إذا أخلصَتْ في الولاية بالسّعادة الدائمة الأبديّة ، وتظلّ موقوفة على خدمته ، متصرّفة على أوامِره وأمثلته ، منتهية في طاعته إلى أغراضه ومآريه ، ملازمة الله رمن من ملازمة الحيدة في مواكيه بالنافع والله يعملُ مارآه أميرُ المؤمنين من ذلك كافلًا بالخيرات، ضامنًا لشُمول المنافع وعموم البركات ، إن شاء الله تعالى : والسلامُ على وليّ عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

**+

وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنساء القاضى الفاضل؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاثَ مرَّات، وهي :

من عبــد الله ووليِّه فلان أبى فلان الإمام الفلانى إلى فلان الفلانى ، والصلاة والسلام على النبيّ صلى الله عليه وسلم على نحو ماتقدّم فى العهد قبله .

(٢) أما بعــُدُ ، فالحمدُ للهِ الذي آستحقَّ الحمدَ بفَضْلِهِ ،وأجرىٰ القَضَاءَ [علىٰ ماأراده] ووَسِـعَ الجَرَائِمَ بَعَفُوه وعَدَّله ؛ وصَرَّف المَراحِمَ بين قَوْله وِفِعْـله ، وأعلىٰ مَنارَ الحق

⁽۱) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبـــل و يكون العامل في حين بعـــده محذوفا دل هذا عليه • تأمل •

⁽٢) بياض في الأصل والتصحيح من المقام .

وأرشد إلى أهله ؛ واختار الإسلام دينا وعَصَم المعتلقين بَحْبله ، وأوضح سُبل النّجاة بما أوْضَح لسالِكِيه من سُبله ؛ وتعالى عُلاه إلى الصّفات، فلم يُوصَفْ بمثل قوله : (لَيْسَ كَمْلُه) وتنزّه عن آشتراك التشبيهات، في كلّ جليل الوصف مستقلّه وغير مستقلّه ؛ علم ما آشتملت عليه خَطرات الأسرار ، وأشارت إليه نَظرات الأبصار ، وأنفرجَت عنه خَمَرات الأخطار ، وأخفَتْه سَتَرات الظلماء وباحث به جَهرات الأنوار : (سَواءً مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَبه ومَنْ هُوَ مُسْتَخْفِ بِاللّيل وسارب بِالنّهار) ،

والحمدُ لله الذي جعل الدين عنده الإسلام ، فمن آبتني غيره ضلّ المَنْهج ، وأبعد المعرّج، وآستَلْقَح المُخذَج ، وغلط المَحْرَج ، وفارق النّور الأبلَج ، وركب الطريق الأعْوج ، وأتى يوم القيامة باللّسان المَلَجْلَج ، ومَنْ أسلمَ وجْهَه إليه فاز بالسّعي النّجيح ، وحاز المَتْجَر الرّبيح ، ووَرد المؤرد الأحمد، ويمم القصد الأقصد، ووجد النّجيح ، وحاز المَتْجَر الرّبيح ، وورد المؤرد الأحمد، ويمم القصد الأقصد، ووجد المنتجة العليا ، وأمر به خير المرساين ، المنعوت في سير الأولين ، المبعوث بالحق والدرجة العليا ، والعائم رسولا في الأميين ، والهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، والداعي الذي من أجابه وآمن به غفر له ما تقدم من ذَنْبه وأجير من عذاب أليم، والمستقل [بالعبء] العظيم ، والممدوث بقوله : والمستقل [بالعبء] العظيم ، بقض م من أنه عن الحلق العظيم ، والممدوث بقوله : والمستقل [بالعبء] العظيم ، والمُدُوم بقوله : والمستقل [بالعبء] العظيم ، والمُدُوم بقوله : والمستقل [بالعبء] العظيم ، والمُدُوم بقوله : رَوُونُ رَحِمُ) .

والحمدُ لله الذي وَصَل النبوّة بالإمامَهُ، وجعلَها كلمةً باقيةً في عَقِبه إلى يومِ القيامه، وخصَّها بالخَصَائص التي لاتنبغي إلا لتامِّ الكَرَامه، وأجار بها خَلْقَــه من مَتَالِف

⁽١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام . تأمل .

الطامَّةِ وَبَوادِى النَّدَامِهِ، وهدى بشرف مَقَامِه إلى دار المُقَامِهِ، وآستردَّ بانوار تدبيرِهِ من ظَلَام البَّاطِلِ الظُّلَامِهِ، وأحسَنَ بما أجراه من نَظَره النظرَ الخاصَّــة والعامهُ، ﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الفَصْلُ المُبِين ﴾ .

ويسألُه أن يصلِّى على جدّه عد الذى نَسَخ بشريعتِه الشرائع ، وهذَّب بهِدَايت الشَّارع ، وأيَّده بالحُجج القواطع ، والأنوار السَّواطع ، وجعل من ذُرَيَّته جبالَ اللهِ القَوَارع ، ومن مِشْكاته نُجومَ الهُدى الطَّوَالع ، وعُدِقتْ صنائعُه بالله إذا آفتخرت القَوَارع ، ومن مِشْكاته نُجومَ الهُدى الطَّوالع ، وعُدِقتْ صنائعُه بالله إذا آفتخرت المُنعمون بالصَّنائع ، وعلى أخِيه وأبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب المخصوص بأخُوته ، وأبى الثقلين من عُرْته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عُذرتِه ، بأخُوته ، وإلى تفريح الكَرْب عن وجهه فى الحَرْب فهو آبنُ بَعْدَتِه ، وعلى الأئمة من ذرّيتهما وإلى تفريح الكَرْب عن وجهه فى الحَرْب فهو آبنُ بَعْدَتِه ، وعلى الأئمة من ذرّيتهما مصابيح الظُّلُمات ، والمحدومين بفضل الحاه فى الأرضين والسَّمُوات ، ما مَا السَّمات ، والمحدومين بفضل الحاه فى الأرضين والسَّمُوات .

وإن الله بحكته البديعه، ورحمته الوَسِيعه؛ أقام الخلفاء لخلقه قواما وبحقه قواما، وجعل نارَ الحوادثِ بنُورهم بَرْدا وسَلاَما، وجعل لهم الهداية بأمره لزاما، واستَصْرَف بهم عن الخلق عذاب جَهَابُم (إنَّ عَذَابَها كانَ غَرَاما))؛ فهم أرواحُ والسَعْرَف بهم عن الخلق عذاب جَهَابُم (إنَّ عَذَابَها كانَ غَرَاما))، فهم أرواحُ والخلائقُ أجسام، وصَابَحُ والمَسَالِكُ أَظُلام، وثمراتُ والوجُودُ أَكام، وحُكَّام والحَقائقُ أحكام، يَسْهَرُون في منافع الأنام وهم نِيَام، وينفَردُون بوصب النَّصب

ويُفْرِدُونهم بِلذَّاتِ الْحِيامِ، ويهتَدُون بهِدَاياتهم إلى ماتَدِقُّ عنه حوائِطُ الأفهام، ولا يُدْرَك إِلَّا بوسائِط إلهام . وقِد آصطفىٰ اللهُ الأميرَ من تلك الأُسْرِه ، ورَقَّاه شرفَ تلكَ المنابرِ ومُلْك تِلكَ الأسرَّه، وأنار بمَقَامه نُجُومَ السعادة المستَسرَّه، وٱستخدَم العَالَمَ لِأَغْرِاضِهِ ، وسدَّدَ كُلُّ سُهُمٍ في رَمْيِهِ إِلَىٰ أَغْرِاضِهِ ، وأَقْرَضَ اللَّهَ قَرْضًا حِسَنا فهو واثقً بُحُسْن عواقب إقراضه ، وآفترضَ طاعتَه في خَلَّقه فالسعيدُ من تلقُّ طاعة أميرِ المؤمنين بآفْتِراضــه، وأمضىٰ أوامِرَهُ علىٰ الأيَّام فِــا يَقابِلُهَا صَرْفُ مَن صُروفها باعْتراضه، وأدار الحقّ معه حيثُ دار، وكشَفَ له ما آستجَنَّ تحتَ أستار الأقْدار، ووقَفَ الخيرةَ والنُّصْرة علىٰ آرائِهِ و راياتِهِ فهو المستَشَار والمستَخَار؛ وألهمه أن يحفَظَ للأمة غَدَها كما حَفظ لهــا يومَها ، وأن يُجْرِيَ لهــا مَوارِدَ توفيقِ الآرتيادِ ولا يُطيلَ . حَوْمَها؛ وأن يجعل المُؤْمِنَ علىٰ ثَلَج من الصَّدور، وفَلْج من الظُّهور، ويُودِعَ عندها بَرْدَ اليقينِ بالإِشارةِ إلىٰ مستَوْدَع النُّور ؛ ويجعلَها علىٰ شريعــةٍ من الأمر فتَتَّبِعها ، ويُعِلُّها بمنزلة الخصْب فترتَبِعها ؛ ويُعْلِم نَدِيٌّ خَيْرِه ليكونَ غايَتُهَا ومَفْزَعها ، ويُعَرِّفَها من تنتظُرُه فتتَّخِذه مآلَماً ومَرْجِعَها؛ ويقتَدِى في ذلك بسيد المرسَلين في يومِ الغَدِير، وُيُشِيرِ إِلَىٰ مَنْ يَقُوم بِهِ المشيِّرُ مَقَامِ البشيرِ .

وللَّ كنتَ حافظ عهد أمير المؤمنين والسيِّدَ الذي لا بُدْ أن يُتَوَجَ به السَّرير، والنَّجْمَ الذي لا بُدْ أن نستطيلَ إلى أنواره ونستَطير، والدَّخيرة التي ادَّنَحَها اللهُ لِنَيْل كل خَطَر ودَفْع كلِّ خَطِير، والسَّحابَ الذي فيه النَّجُ المَطير، والنَّجُمُ المُنير، والرَّجُمُ المُنير، والرَّجُمُ المُنير، والسَّحابَ الذي فيه النَّجُ المَطير، والنَّجُمُ المُنير، والرَّجُمُ المُنير، وقد تَجلَّتْ لك أوجُهُ الكرامات وتبدّت ، وتبرَّجَتْ لك مخطوبات المقامات وتصدّت ، وطلبَتْك كُفْ النَيْل عقيلتها وسُكني مَعْقِلها في تعدّت ، وأدّت إليك وتصددت ، وطلبَتْك كُف ألنيل عقيلتها وسُكني مَعْقِلها في تعدّت ، وأدّت إليك لطائف فهمك من أسرار الحقائقي ما أدّت ، وعرَفَتْ من سِيك هَدى النبوه ، وأجتمع الكَ من يُل الشرفين من الطّرفين الأُبُوة والبُنوه ، وأخذت كاب الحكمة

ومَصُون العصمة بْقُوه ، وأَجْرِتَ القلوبَ التي بعوارض الشُّكِّ مَمْنُوه، وآثرْتَ العقائدَ التي بنواقِص العقْد مملَّةِه، وغدَّتْ وُجُوه الأنام بأيَّامك مَجْلُةِه، وتوافقت الألْسُنُ علىٰ مَدْحك ولا مثــلَ ما مُدحْتَ من الآيات المتلُوَّه ، وكنتَ بحيثُ تَذْهبُ بالأهوال المُسْلُّوه ، وتُقْبِسُل بالآمال المْرُجُّّوه ؛ ولو أنَّ رَبُّنا ضلَّ لَهَداُهُ نُورُكُ في الليسِل البَهيم، ولو أنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ لَتَبَدَّى فَى الآياتِ والذِّكْرِ الحَكيمِ، ولو أنَّكَ طَلَعْتَ عَلَىٰ الأَوِّلين لما تساءَلُوا ولا آختَلَفُوا في النَّبا العظيم، ولوأنَّ قديًّا عَلا فوق كلِّ حديثِ لقام لكَ الحديثُ مَقَامَ القديم، ولو أنَّ جميعَ الأنام في صعيدِ واحدِ لصَّعِدتَ دُونَهُم المَقَـامَ الكريم، ولو أنَّ يَدَكَ البيضاء تجَسَّمتْ للناظرين لأعَدْتَ آيَةً مُوسَىٰ الكليم، ولو أنَّ هِدَايِنَكَ الْغَرَّاء تَنسَّمْتُ للذَاكرين لأحيَيْتَ بهـا العِظامَ وهِي رَمِيم، ولو أنَّ عُلُومَك آنتشرتْ بينَ العلَماء لتلَوْا : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ ﴾ ولو أنَّ ليلةَ وِلادتِك رصدَتُها البصائرُ، رأت كيف يُفْرَقُ فيها كُلُّ أمْرٍ حكيم، والصِّفاتُ إذا آحتفل أربابُها وقِفَتْ لك عبيدًا ، والأيامُ إذا كانتُ ظُروفًا لفضائلكَ كان كُلُّ يوم منها للعبيد عيدًا ، وَالْأَنْسَابُ إِذَا عَدَّتُهَا كَانَ الْحَدُّ سَعِيدًا ؛ فَلْتَفْخَرْ قَبْلَ السَّيْرِ بَأَنْ أَمليْت عليها السُّوَر، وأبشِرْ بأن المنتَظَر من فضل الله لكَ فوْقَ ما تَعَجَّله النظَر، وٱشْمَخْ بأنَّ سادةَ القبائل مُضَرُّ وأنك بعد أمير المؤمنين سيِّدُ مُضَرْ، وٱبذَخْ بأنك عوَضٌ من كلِّ مَنْ غاب وماعنك عِوضٌ في كل مَنْ حَضَر، وآبْجَعْ بأنك قد أُهِّلْتَ لأمْرٍ أبى الله له إلا أُولى العَزْم والخَطَر، وٱشكُّرِ اللهَ علىٰ نعمة خلقك لها بِقَدَرْ، ومزيَّةِ لايُوفِّي حقَّها من أضمر فَأَغْرَقَ أُو نَطَقَ فَشَكَر : وقُل ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدَي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا الله ﴾ : ﴿ وَقُدْلُ رَبِّ أُوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِّدَى وأَنْ أَعْمَلَ صَالَحًا تَرْضَاه ﴾ .

وَالْيَكُ هَذَا الأَمْرُ يَصِيرٍ، وأَنت لَهُ واللهُ لك يُعْمَ المَوْلُى وَيْمَ النّصيرِ؛ وتأهّب له في درجته التي لاَينَاهُما باع قصيرٍ، ولا يُتطيها إلاَّ من آخاره الله على علم من أهل الثقلين ولو أنَّ بعضهم لبعض ظهير، ولا نرى لها أهلا إلاّ من أراه الله من آياته أنه هو السّمِيع البصير، وفاوض أمير المؤمنين في مُشْكِلات الأمر ولا يَنبّنك مثلُ خبير، وآفتَد منه بمن هو [ف] أهل دهر، وصي الوصي ونظيرُ النّذير، وآهتد بنُوره الذي هو بالنّور البائن دُونَ الحلق بشير، وسر إذا آستعملك الله فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير، وآدعُ الله بأن يُيسِّر على يَدك مَناجِحهم إنَّ ذلك على الله يسير، وآعرف ما آثرَك الله به من أنه لم يجعل لِيدك تُكفُوا إلا ذا الفقار ولا لقدَمك كفُوا إلا المنبَر والسرير، وتحدّث بنعمة الله وإجرابها فامير المؤمنين اليومَ عليك أميرُ وأنت غدًا على المؤمنين أمير: ﴿ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي لِينْلُونِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكُفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنِّكُ يَشْكُرُ اللهُ من أمير: ﴿ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي لِينْلُونِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكُفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنِّكُ يَشْكُرُ اللهُ الله من أمير : ﴿ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي لِينْلُونِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنّي يَشْكُرُ اللهُ اللهُ اللهُ من أمير : ﴿ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي لِينْلُونِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنّي يَشْكُرُ اللهُ اله

وأما العـدُلُ وإفاضَتُه ، والجَوْرُ وإغاضَتُه ، والصَّعْبُ ورِياضَتُه ، والجَدْب ورِياضَتُه ، والجَدْب ورَيْع عَلَمه ، والذَّب عن دِينِ الله وحِفْظُ ورَوِيضُه ، والأمْر بالمعروف ونَشْر ردائه ، والنهى عن المنكر وطَى اعتدائه ، وإقامة كرّمه ، والأمْر بالمعروف ونَشْر ردائه ، والنهى عن المنكر وطَى اعتدائه ، وإقامة الحدّ بالصَّفْح والحَدّ، والمُساواة في الحقّ بين المَوْلي والعَبْد ، وبثّ دعوة الله في كل غور مر . البلاد ونجَد ، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد ، فذلك عهد الأثمة الراشدين ، وهو إليك من أمير المؤمنين ، عَهْدُ مؤكّد العَقْد : وهو سُنَة فضل الخلفاء التي لاتَجِدُ لهَ عَلْ ، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال : الخلفاء التي لاتَجِدُ كان مَسْتُولا) .

وهل يُوصَى البحرُ بتلاطُم أمواجه؟ وتَدَافَع أفُواجِه؟ و بَتَزَانُهُ عَجَاجِه؟ وهل يُحَضَّ البدرُ المنيرُ علىٰ أن يُنير سِراجُهْ، و يَطْلُعَ لِيتَّضِح للسالك مِنْهَاجُه؟ أو يُنَبَهُ علىٰ هدايته

إذا تهادَتُه أبراجُه ؟ وعليكَ من سرائرِ أنوار الله مأيغْنِيك أن تُوصلي ، ولدَيْكَ من ظواهر لطائف الله ماتميَّز به عن الخلق إذ أضحيْتَ به مخصوصا، ومن شواهد آختيار بعِصْمة ولائِك في يوم الفَزَع الأكبر يَأْمَنُون ، واللهُ منجزُّ لك وعدَه كما أنجزه لمن جعلهم أَثْمَـةً لَمُّ صَبُّرُوا وَكَانُوا بَآيَاتَنَا يُوقَنُونَ ؛ والله سـبحانَهُ يُهْدَى إليك تحيةً من عندهِ مبارَكَةً طيِّبه ، ويُسْدِي إلىٰ مَقَام شَرَفك سَحابةَ رحمـةِ غَدقةً صَيِّبه ؛ ويجعل مارآه أمير المؤمنين من ولايتك عهدَه، وكَفَالتِك للأُمَّة بعده ، للسَّرَّات ناظها، وللَسَاءات حاسمًا؛ وللبركات جامعًا، وللباطل خافضًا وللحق رافِعًا. وأمَرَ أميُرالمؤمنين أَن يَعَيَّن عَلَىٰ رَجَالَ مَن أُولِيَاء دَوْلِتِه ، ووجوه شيعتِه ؛ وأنصار سَريَّته، عدَّةٌ يكون إليك اعتزاؤُها وبِكَ آعْترازُها ، وسِابِك العالى إقامتُها وإلى جَنَابِك آنْحِيازُها ؛ فتَكُونُ مُوسُومةً بالعُبُوديَّه ، ومتعرِّضةً بالوَلاء للسعادة الأبدَّيه ، فتُمْتَيْلُ على مأتَّمَلُّه مر. المراسم، وتتصَّرُّف على مأتَصِّرُفُها عليه من العَزَائم؛ وتكونُ أبدًا لمها يَنْفُذ عنك من أَسْكَامُ الْهَبَاتُ والمُكَارِم ، وتُقُومُ من ملازمة الخُدْمة في مَوَاكِك بما هو لكل خادم فَرَضُ لازم ؛ وتُسارع في مَطَالِبك إلى مايُسارع إليه الحازِم، وتُجُودُ ياسَمَاءَ الإنْعام بِالْغَدَقِ السَاجِمِ . وُتَقَدِّر لها من الواجبات والزِّ يادات ماتقتضيه هِمَمُ الْمُكارِم ؛ تَبْدُل في الخَدْمَةُ الرَّجْتَهَاد، وتُنَافِسُ فيما تَسْتَمَدُّ [به] الحُظُوةَ بَحَصْرته وَالإِحْمَاد؛ وعَرِّضْهَا من الإحسان الجَمِّ للآزْدِياد، وَبَلِّغُها المُوادِ بِمَا تَبْلُغُ بِهَا مِن الْمُوَادِ : لَتَتَشَّرُف بأن تكونَ تحتُّ ركابه العالى متصِّرفه ، وتفتَّخرَ بأن تكون أنسابُها باسمه العالى مَتَشِّرُفه ؛ إن شاء الله تعالى .

العله فتتمشى على .

المسلمة السالث

(أَن يَفْتَتِح العهدَ بعد البسملة بخطبة مفتتحة بـ ﴿ الحمد لله ﴾ ثم يا تِيَ بالبعديّة ، ويأتى بما يُناسبُ الحالَ على نحو ماتقدّم ؛ وعليه عمل أهل زماننا مع الاقتصار على تحميدة واحدة ، والاختصار في القول)

وهذه نسخةً أوردها على بنُ خلَف من إنشائه في كتابه ود موادّ البيان " لترتيب الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله مُعزِّدينه بِحُلَفَائه الراشدين، ومرتبِ حقّه بأوليائه الهادين؛ الذي آختار دين الإسلام لصَفْوته من بريَّه، وخَصَّ به من استخلصه من أهل طاعته؛ وجعله حَبْلَه المَتِين، ودينَه الذي أَظهَره على كلِّ دين؛ وسبِيلَه الأَفْسَح، وطريقَه الأَوْضَى؛ وآبتعت به نبيّه محدًا صلى الله عليه فصدَع بأمره، وأعلن بذكره؛ والناس في فَتْرة الضَّلاله، وغَمْرة الجَهَاله؛ فلما أنجز في نُصْرة حَقِّه، وتأييده لسُعَداء خَلْقه [قبضه] الضَّلاله، وغَمْرة الجَهَاله؛ فلما أنجز في نُصْرة حَقِّه، وتأييده لسُعَداء خَلْقه [قبضه] اليه محود الأثر، طيّب الجَبر [وقام] بخلافته، من اتنخبه من طَهرة عِتْرته؛ وأودعَهُم حكته، وكفلَهم شريعتَه؛ فآقتفُوْ اسبِيلَه، وآتبعُوا دليلَه ؛ كُمَّا قبض منهم سَلَفا إلى مقرّ بَعْده، "صَطَفىٰ خَلَفا للإمامة من بَعْده،

يَحَدُه أمير المؤمنين أن أفضى إليه بُتَرَاث الإمامة والرِّساله ، وهَدَىٰ به كما هدى بِجَدَه مِن الرَّبْغ والضَّلَاله ؛ وآختَصَه بمِيراث النبُوَّة والخَلافه ، ونصَبه رحمةً للكافه ؛ وأتمَّ نعمته [عليه] كما أتمَّها علىٰ آبائه ، وأجزَل حظّه من حُسْن بَلائه ؛ وأعانه علىٰ ما استَرْعاه ، ووفَّقه فيما وَلَّاه ؛ وأماتة البِدَع ، وإبطال

⁽١) بياض بالأصل، والتصحيح مما يقتضيه المقام .

المَذْهَبِ الْحَتَرَع؛ و إحْياءِ السَّنَن، والاِستقامة على لاحِبِ السَّنَن؛ وَوَهَبه من يَنِيه وَذُرِّيَّتِهِ، مُوَّازِرِين على ماحَمَّله من أعباء خِلاَقتِه، ومُظاهِرِين على ماكلَّفَه من إمعان النظر في بَرِيَّته.

ويسأله الصلاة على عد خاتم أنبيائه ، والجيرة من خُلَصائه ؛ الذى شرَّفه بخِتام رُسُله ، و إقرار نيّابته فى أهله ؛ صلّى الله عليه وعلى أخيه وآبنِ عمِّه و باب حُكْمِته ، على بن أبى طالب وصليه فى أُمَّته ؛ وعلى الأئمة الطَّهَرة من ذرّيته ، مَنَاهِج رحمتِه ، وسُرج هِدايتِه ، وسلمَّ تسايما .

وإنَّ الله تعالى جعل الخلافة للكافّة عِصْمه ، ولأهْلِ الإيمان رَحْمه ، تَجَعُ كَلِمَتْهَم ، وتَحْفَظُ أَلْفَتَهم ؛ وتُصْلِح عامَّتَهم ، وتُقيم فرائضَه وسُنَنه فيهم ، وتَمُدُّ رُواقَ العدل والأمّنة عليهم ، وتحسِمُ أسباب الصُحفْر والنّفاق ، وتقْمَع أهلَ العِناد والشّمقاق ؛ ولذلك وصلَ اللهُ حبْل الإمامه ، وجعلها كلمةً باقيهةً في عَقِب أوليائه إلى يوم القيامه .

ولما نظر أميرُ المؤمنين بعين اليقين، وآقتبَس من الحقيقة قَبَس [الحق] المُبِين، عَرَف مأَينِيتُ عليه الدنيا من سُرْعة الزَّوال، ووَشُك التحوُّلِ والاِنْتِقال؛ وأنَّ مافَوْضَ الله إليه من خلافته لا بد أن يَنْتقلَ عنه إلى أبنائه المَيَامِين، كما آنتقل إليه عن آبائه الراشدين؛ فلم يغترُّ بمَوَاعِيدِها الْحَال، وأضرَب عمَّا تَغْدَع به من الأَمَانِيِّ والآمال؛ وأشفقَ على مَنْ كَفَّله الله بسياسية، وحمَّله رعايتَه من أهل الإسلام المعتصمين بحبل دَعْوتِه؛ المشتملين بظلِّ بَيْعته، عند تقضَّى مُدِّتِه وَنُرُوعه إلىٰ آخِرِتِه؛ المعتصمين بحبل دَعْوتِه؛ المشتملين بظلِّ بَيْعته، عند تقضَّى مُدِّتِه وَنُرُوعه إلىٰ آخِرِتِه؛ في الوقت المعلمة والسَّنَ في الوقت المعلمة والسَّنَ في في الوقت المعلمة والسَّنَ في فظر والسَّنَ والسَّنَ والسَّنَ والسَّنَ والمَقال الْفُرُوض والسَّنَ في في في المُوم والسَّنَ والمُون والسَّنَ والمُوس والسَّنَ والمُوم والسَّنَ والمُؤَلِّ والمَّنَ والمُوسِ والسَّنَ والمُوسِ والسَّنَ والمُولِ والسَّنَ والمُوسِ والسَّنَ والمُؤلِّ والمُولِ والسَّنَ والمُولِ والسَّنَ والمُؤلِّ والمُؤلِّ والمُؤلِّ والمُؤلِّ والمُؤلِّ والمُؤلِّ والمَّالِ الْفَرُوض والسَّنَ والمُؤلِّ والمُ

لهم بما يَنْظُمُ شَمْلُهُم ، ويصلُ حَبْلُهم ؛ ويَزْجُر ظَلَمَتُهُم ، ويَخْمَع كلِمتهُم ، ويؤلُّف أَفْيَدَتَهِم ؛ ورأَىٰ أَن يَعْهَــد إلىٰ فلان وَلَدِه : لأنه قريعُه في عِلْمِــه وَفَصْلِه ، وعَقِيبُه في إنصافِه وعَدُّله ؛ والمُلْمُوح من بعده ، والمرجُوُّ ليومه وغَدِه ، ولِمَا جمَّعَ اللَّهُ له من شُرُوط الإمامه، وَكَمَّله له من أَدَوَات الخلافه ، وجَبَله عليــه من الرَّحمة والرَّافه؛ وخَصَّه به من الرَّصَانة والرَّجَاحه ، والشَّجاعة والسَّمَاحه ؛ وآتاه من فَصْل الخطَاب، وَجُوامِعِ الصَّوابِ ومحاسِنِ الآدابِ؛ ووِقايةِ الدِّينِ، والغلْظةِ علىٰ الظالمين، واللُّطْف بالمؤمنين ؛ بعْدَ أَن قَدَّم ٱستخارةَ الله تعالىٰ فيه ، وسأله تَوْفِيقَه لما يُرْضِيه ؛ ووقَفَ فَكُرُه عَلَىٰ آختِياره ، ولم يكن بآختياره مع إيثَارِه ؛ ويَلُوح فى شمــائله ، ويَسْــتَوْضُحُ في تَحَايِله ؛ أنَّه الولُّ المُحتَبَىٰ ، والخليفةُ المصطفىٰ ؛ الذي يحِي اللهُ به ذِمَارَ الحَقِّ ، ويُعْلَى بسلطانه شـعَارَ الصَّدْق؛ وأنه ـ سبحانه ـ قد أفضىٰ إليه بمـا أفْضىٰ به إلىٰ الْخَلَفَاء من قَبْله ، وأفاضَ عليــه من الكامنَات ما أفاضَهُ علىٰ أهله؛ وبعدَ أنْ عاقده وعاهَدَه علىٰ مثل ما عاهَدَه عليه آباؤُه : من تقوىٰ اللهِ تعالىٰ وطاعتِه، وأستشعار خيفَتِه ومراقبتِه والعمل بكتابه وسُنَّته؛ وإقامة حُدُود الله التي حدَّها، بُفُرُوضه التي وَكَّدُهَا، وَالْاقتداءِ بَسَلَفَهُ الرَّاشَـدين، في الْمُكَافَحَةَ عَنِ الدِّينِ، والمسامحة عن أوزار المسلمين ؛ وبَسْط العدُّل على الرعيُّـه ، والحكم بينهم بالسُّويَّه ؛ وإنصافِ المظلوم من الظُّلُوم، وكفِّ يَدِ المغتَصِب الغَشُوم، وصَرْف وُلَاه الجَوْر عن أهل الإسلام، وِتَخَيُّرِ مِن يُنظُر بينهم في المَظَالِمِ والأحْكام؛ وأن لايُولِّي عليهم إلَّا من يَثِق بعَدَالته، ويِسْكُنُ إِلَىٰ دينه وأَمانَتِه ؛ ولا يَفْسَحُ لشريف في التعدِّي علىٰ مَشْرُوف ، ولا يَقْوىٰ في التَسَــلُط علىٰ مَضْعوف ؛ وأن يَعْــل الناس في الحَقُوق على النَّساوِي، ويُجْرِيَهم في دَوْلِتُهُ عَلَىٰ التَّنَاصُف والتَّكَافى؛ ويأمر ُحَجَّابِه وُنَوَّابَهُ بإيصال الخاصَّة والعاتمة إليه، وتمكينهم من عَرْضِ حُوائِجِهم ومَظَالمهم عليه : ليعلموا : الوُّلاةُ والعُمَّال، أنَّ رعيتَه

على ذُكْرَ منه وبَالَ ؛ فيتَحَامُوا التثقيلَ عليهم والإضرار بهم ، وأشهد عليه بكلّ ماشرَطَه وَحَدَّده ، والعمل بما يحد إليه فيما تقلّده ، على أنه غَني عن وَصِيّة وتبصير ، وتنبِيه وتذكير ؛ إلا أنَّ عِدًا سيدَ المرسلين يقول لعلى صلّى الله عليهما " أرسِلُ عاقِلًا الله فأوصه " .

فبايعُوا على بركة الله تعالى طائعين غير مُكَرَهين ، برَغْب لا برَهْبه ، وبإخْلاصٍ لا بُمَدَاهَ به بيعة رضًا وآخيار ، وآنقياد و إيثار ، بصحة من نياتكم ، وسلامة من صُدُوركم ، وصفاء من عقائدكم ، ووفاء وآستقامة فيا تضعُون عليه أيمانكم : ليُعرِّفكم الله [من] سُبُوغ النّعمه ، وُشُمولِ الحَبْره ، وحسن العاقبه ، وآتفاق الكلمه ، مأيقرٌ نواظركم ، ويُبرِّد ضائركم ، ويُذهبُ غِلِّ صُدُوركم ويُعزَّ جانبكم ، ويُذِلُّ مُ عَالِبُهم ، ويُذهبُ غِلِّ صُدُوركم ويُعزَّ جانبكم ، ويُذِلُّ مُ عَالِبُهم ، ويُنِلِّ الله .

وقد يُغْنِي هذا الكتابُ الذي ذكرناه مَغْنَى العهد، فلا يُحتاج إلى عَهْد :

وعلى ذلك كُتِبَ عن الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان، آبن الحاكم بأمر الله أحمد، عهدُ ولدهِ المستوثِقِ بالله « بركة » بالخلافة بعده . وهذه نسخته :

الحَمْدُ لله الذي أيَّد الخلافَة العبَّاسيَّة بأجَلَّ والدِ وأبرِّ وَلَد ، وجعلها كلمة باقيةً في عَقَبه والسَّنَد ، وآواهُمْ من أمْرِهم إلى الكَهْف فالكَهْف وإن تَناهَىٰ العَدَد ، وزان عِطْفَهَا بُسُؤْدَد سَوادِ شِعارِهم المسجِّلةِ أنوارَهم ولا شكَّ أن النَّور في السَّواد ، وعَدَق بصَوْلتهم النبويِّ مُعْجِزُها كلَّ مُنادً ،

⁽١) كذا في الأصول مضببا عليه وحرر .

⁽٢) لعله وقدع . أى كفّ . تأمل .

نحمدُه على مامن به من تمام النّعمة فيهم ، وتُزُول الرحمة بتوافيهم ، ونشهدُ انْ لا إلله إلله الله وحده لا شريك له شهادةً مَحْضَة الإخلاص ، كافلًا مُحْضُها بالفِكاك من أسر الشّرك والخلاص ، ونشهد أنَّ عِدًا عبده ورسولُه المبعوثُ بما أوضَع سُبلَ الرَّشاد، وقَمْ أهـلَ العِناد، والشفيع المشقّع يوم التّناد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً لا أنقضاء لها ولا نَفَاد؛ وسلّم تسليا كثيرًا .

و بعدُ فإنَّ أمير المؤمنين (و يذكر آسمه) يُعتَصِم بالله في كلِّ ما يأْتِي و يَذَر مما جعل اللهُ [له] من التفويض ، ويُشير إلى الصُّواب في كُلُّ تَصْرِيج منه وتعريض ؛ وإنه شَدّ اللهُ أَزْرَهُ، وعَظَّم قَدْره؛ آستخار اللهَ سبحانَه وتعالىٰ في الوصيَّة بمــا جعله الله له من الخلافة المعظَّمة المُفَخَّمة المورُوثةِ عن الآباء والجُدُود ، المُلْقاةِ إليه مقاليدُها كما نصِّ عليه آبُنُ عَمِّه صلَّى اللهُ عليه وسلم في الوالد من قُرَيش والمَوْلُود ؛ لوَلَده السِّيد، الأجلِّ، المعظَّم، المكرَّم، فلات ؛ سليل الخلافة وشِيْل غابِها، ونُحُبِّةِ أَحْسَابِها وأنسابها؛ أجلَّه اللهُ وشرَّفه ، وجَمَّــل به عطفَ الأمانَة وفَوْفَه : لَمَا تَأَمَّحه فيه من النَّجَابة اللائعة علىٰ شِمائِلِه ، وظَهَر من مستَوْثِق إبْداءِ سِرِّه فيه بدَلائل ُبرْهانِه وُبرْهان دلائِله ؛ وأشهدَ على نَفْسه الكريمة _ صانها الله تعالى _ مولانا أو سيدُنا أمير المؤمنين ، مَرْبُ حَضَر من حُكَّام المسلمين : قُضاة قُضاتهم ، وعلمائهم ، وعُدُولهم، بمجلسه الشريف؛ أنه رضيَ أن يكون الأمْرُ في الخلافة المعظَّمة ، الذي جعله الله له الآنَ لولده السيِّد الأجلِّ فلان بعد وفاته، فسَّح الله في أَجَلِه؛ وَعَهِد بذَّلك إليه، وعوَّل في أمر الخلافة عليه ، وألق إليه مقاليدها ، وجعل بيده زمام مُبْدِيُّها ومُعيدها ؛ وصي له بذلك جزئيَّه وكُلِّيَّه، وغامضه وجليِّه ؛ وصيَّةً شرعيـةً بشُروطَها اللازمة المعتبره، وقواعدها المحرَّره؛ أشهَد عليه بذلك في تاريخ كذا ﴿ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

الوجــــه السابع

(فيما يكتب فى مستَنَد عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتُبه الخليفة في بيت العَلَامة ، وما يُكتُبه الخليفة في بيت العَلَامة ، وما يُكتَب فى ذَيْل العسهد بعد إتمام نُسْخته من قَبُول المعهود إليه ، وشهادة الشَّهود على العهد)

أما ما يكتب في المستَند، فينبغى أن يكونَ كما يُكْتَب في عُهود الْمُلُوك عن الخلفاء، على نحو ما تقدّم في البَيْعات؛ وهو أن يُكْتَب: «بالإِذْن العالى، المؤلّويّ، الإماميّ، النبويّ، الفلانيّ (بلقب الخلافة) أعلاه الله تعالىٰ » أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتُبُهُ الخليفة في بيت العلامة، فينبغى أن يَكْتُب: « عهدتُ إليه بذلك » . لأنه اللفظُ الذي ينعقِدُ به العسهد . ولوكتب : « فقِضْتُ إليه ذلك » كا يكتُب الخليفةُ في عهد السلطان الآنَ على ماسياتي ، كفي ذلك . والأليقُ بالمقام الأولُ .

وأما مايُكتّبُ في ذيل العهد بعد إتمـام نُسْخته ، فالمنقولُ فيه عن المتقدّمين ماكتّبَ به « على الرَّضِيّ » تحت عهْد المأمُون إليه بالخلافة، وهو :

الحمدُ لله الفَعَّالِ لما يَشَاء ، لامُعَقِّبَ لَحُكُمه ، ولا رادَّ لقضائه ، يعمَّ خائسة الأعين وما تُحْفِي الصَّدور ؛ وصلواتُه على نبيه عد خاتم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين ، أقولُ وأنا على بنُ موسى بن جعفر : إنَّ أمير المؤمنين عَضَّده الله بالسَّداد ، ووققه للرشاد ؛ عَرَف من حقّنا ماجهِله غيره : فَوَصَلَ أَرْحاما قُطِعت ، بالسَّداد ، ووققه للرشاد ؛ عَرَف من حقّنا ماجهِله غيره : فَوَصَلَ أَرْحاما قُطِعت ، وأمَّنَ أنفُسًا فَزِعت ، بل أحياها وقد تَلِفَت ، وأغناها إذ آفِتَقَرت ؛ مُتَّبعا رضًا ربِ العالمين ، لأيريد جزاءً من غيره وسيَجْزِي الله الشاكرين ، ولا يُضِيعُ أَجْرَ الحُسْنِين ؛ العالمين ، لأيريد جزاءً من غيره وسيَجْزِي الله الشاكرين ، ولا يُضِيعُ أَجْرَ الحُسْنِين ؛

وإنه جعل إلى عَهْدَه، والإمْرةَ الكُبْرى إن بَقيتُ بعْــدَه؛ فمن حَلَّ عُقْدةٌ أمر اللهُ بَشَدُها، أو فَهَم عُروةً أحبُّ الله إيثاقَها ، فقد أباح جريمَه وأحلُّ عرَّمه ؛ إذ كان بذلك زاريًا عَلَى الإمام، منتهكًا خُرِمة الإسلام، بذلك جرى السالفُ فصب منهم على الفَلَتَات، وَلَمْ يُعتَرَضُ بعدَهَا على العَزَمات؛ خُوفًا على شَتَاتُ الدِّين، وأضطراب حَبْلِ المسلمين؛ ولَقُرُبَ أَمْرُ الحَاهلية ورَصَّدْ فُرْصة تُنْتَهَزُ، وباقية تُبتَدَر؛ وقد جعلتُ لله تعالىٰ علىٰ نَفْسَى إن ٱستَرْعانى على المسلمين ، وقلَّدنى خلافَتَهَ ، العملَ فيهم عامَّــة وفي بني العبَّاسِ بن عبدالمطَّلب خاصَّــة بطاعته وبسنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وأنْ لا أَسْفك دمَّا حراما ، ولا أُسِيَع فَرْجا ولا مالا؛ إلا ماسفكَتْه حَدُودُه، وأباحتُه فرائضُه؛ وأن أتخيَّر الكُفَاة جُهْدى وطاقتي . جعلتُ بذلك علىٰ نَفْسي عهدًا مُؤكَّدا يسألُنِي [الله] عنه، فإنه عنَّ وَجِل يَقُول: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولا ﴾ • فإن أحدثت أو غيَّرتُ أو بدَّلْتُ، كنتُ للغيرَ مستحقا، وللَّنكَال متَعرِّضا؛ وأعوذُ بالله من سَخَطُه، و إليه أرغَبُ في التوفيق لطاعته، والحولِ بيني و بين معْصيَته، (في عامَّة المسلمين ؛ والخاصَّة والحضريد لان على ضدّ ذلك) : ﴿ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ : ﴿ إِنَّ الْحُكُمُ إِلَّا لِلهُ يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفاصِلِينَ ﴾ . لَكُنَّني آمتثلْتُ أَمْرَ أمير المؤمنين وآثرتُ رضاه، والله يَعْصَمْني وإيَّاه ، واشهدْتُ الله على نفسي بذلك وكفي بالله شهيداً. وكتبتُ بخطِّي بحضرة أمير المؤمنين _ أطال اللهُ بقاءه _ والفضل بن سَهْل، وسهل بن الفضل، ويحييٰ بن أكْثَم، وبشر بن المعتَمر، وحَمَّاد آبن النَّعان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

> ثم كتب فيه مَنْ حَضَر من لهؤلاء، وهذه صورة كتابتهم . فكتب الفضل بنُ سَهْل وزيرُ المأمون ماصورته :

⁽١) شبتت هذه العبارة في الاصل وعليها علامة التوقف . ولم نعثر عليها في غير هذا الكتاب . تأمل .

"درسم أمير المؤمنين أطال الله بقاء قراءة مضمون هذا المكتوب: ظهره و بطنه ، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الروضة والمنبر على رُءُوس الأشهاد، ومَر أَى ومَسْمَع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد ، وهو يسالُ الله أن يعرف أمير المؤمنين وكاقة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق ، بما أوجب أمير المؤمنين الجمعة به على جميع المسلمين ، وأبطلَ الشّبهة التي كانت اعترضت آراء أمير المؤمنين المخمة به على جميع المسلمين ، وأبطلَ الشّبهة التي كانت اعترضت آراء المحاهلين : ((ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أثبُم عليه) . وكتب والفصلُ بن سهل" في التاريخ المعين فيه " .

وكتب عبدُ الله بنُ طاهر ما صورته « أثبتَ شهادتَه فيه بتاريخه عبدُ الله بن طاهر بن الحسين » .

وكتب يحيى بنُ أكثَمَ القاضى ماصُورته: « شهد يحيىٰ بنُ أكثَمَ على مضمُون هذه الصحيفة ظهرِها و بطيمًا، وكتب بخطه بالتاريخ » .

وكتب حَمَّاد بن النَّعان ماصورتُه : « شَهِد حَمَّاد بن النعار ... عضمون ظهره وبطنِه ، وكتب بيده بتاريخه » .

وكتب بِشْرِ بنُ المعتمر ماصورته : « شهد بمثمل ذلك بِشُرُ بن المعتمر، وكتب بخطه بالتاريخ » .

قلت : وعلى نحوما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبُول وشهادة الشَّهود على العهد ينبغى أن يكونَ العملُ أيضا فى زماننا : ليجتمعَ خطَّ العاهد بالتفويض على ماتقدم ، وشهادة الشهود ، ولو اقتصر المعهود إليه فى الكَتَّابة على قوله : « قبِلتُ ذلك » كان كافيًا ، وإن كان أُمِيًّا الكُتفى بشهادة الشهود .

الوجـــه الشامن

(فى قطع الورق الذى تُكتَب فيه عهودُ الحلفاء، والقلِم الذى يُكتَب به، وَلَقَ اللهُ عَلَيْتُ اللهُ وَصَوْرَةً وَضَّعُهَا)

أما قطعُ الورق فمقتضى قول المقرّ الشّهابّي بن فضل الله في والتعريف "أنّ للعهود قطع البغداديّ الكامل، وأن عُهود الخلف، تُكْتَب في البغداديّ كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ماسياتي في موضعه إن شاء الله تعالى، وهو مقتضى ماتقدّم في الكلام على قطع الورق في مقدّمة الكتاب نَقلًا عن محد بن عمر المدائني في كتاب و القلم والدواة " أنّ القطع الكامل الخلفاء،

قلت: وقد أخبرنى من يُوثَقُ به أنه وقَفَ على عهد المعتضِد بالله أبى الفتح أبى بكر، والد المتوكل على الله: أبى عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشاميّ الكامل؛ وأنه كُتِبَ عهد المتوكّل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء، وكأنهم لما تقهقرتِ الحلافةُ وضَعُف شأنهًا، وصار الأمْرُ إلى الملوك المتغلّبين على الحلفاء، تنازلُوا في كتابة عُهُودهم من قطع كامل البغدادي إلى قطع الشاميّ، وهذا هو المناسبُ الحال في زمانينا ،

وأما القلم الذى يُكتَب به ، فالحثمُ فيه ما تقدّم فى البَيْعات ، وهو إن كُتِب المهدُ فى قطع البندادي ، كتِب بقلم مختصر الطُّومار ، وإن كُتِب فى قطع الشامي ، كتب بقلم الثلثين الثَّقِيلِ .

وأماكيفيَّة الكتابة وصورةُ وضعها، فعلْ ماتقدّم في كتابة البَيْعات، وهو أن يُبتدأُ بكابة الطُّرِّة في أوّل الدَّرْج بالقلم الذي يُكتَب به العهدُ سُـطورا متلاصقةً ممـــدَّةً

في عَرْضُ الدُّرْجُ مِنْ أَوَّلُهُ إِلَىٰ آخِرِهُ مِنْ غيرِهَامِشْ . ثم إِنْ كَانِتِ الكَّابَةُ فِي قَطْع ﴿ البَغْداديّ الكامل، حرى فيه على القاعدة المتدَّاوَلة في عُهُودِ الملوك عن الخلفاء؛ فيتُركُ بعد الوصل الذي فيه الطرة سيَّةً أوصال بياضًا من غير كتابة، ثم يكتُبُ البسملة فى أوِّل الوصل الثامن بحيثُ يُلْحق أعالىَ أَلِفَاته بالوصـــل الذي فوقه ، بهامش قَدْر أربعة أصابع أو خمسة؛ ثم يكتُب تحتَ البسملة سَطْرا من أوّل العهد ملاصقا لها؛ هُم يَخلِّي مَكَانَ بِيتِ العلامة قَدْرَ شبركا في عُهُود الملوك؛ ثم يكتُبُ السلطر الشاني تحتَ بيتالعلامة علىٰ سَمْت السطر الذي تحت البسملة . ويَحْرَص أن تكونَ نهايةً السجعة الأُولَىٰ في السطر الأَوْل أو الثاني ؛ ثم يَستَرْسُل في كتابة بقيَّة العهد إلىٰ آخره، ويجعل بين كلِّ سطرين قدْرَ رُبُّع ذراع بذراع الْقَاش . فإذا أنتهى إلىٰ آخر العَهْد، كتب « إن شاء الله تعالىٰ » ثم المستَند، ثم الحمدَلةَ، والصلاةَ على النبيّ صلّى الله عليه وسملم والحَسْبَلَةَ، على ماتقــدّم في الفواتح والخَوَاتم . ثم يكتب المعهودُ إليــه والشهودُ بعد ذلك . و إن كُتِب في قطع الشامي، فعليْ ما تقــدّم في البَيْعات : من أنه ينبغي أن يُقْتَصر في أوصال البياض على خمســـة أوصال ؛ ويكونُ الهامشُ قَدْرَ ثلاثة أصابع .

وهـنه صورة وضعه فى الورق، ممثّلا فيها بالطرَّة التى أنشأتها، على ماتقدّم ذكره فى العهد الذى أنشأته على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لوَلَده العبَّاس. وهو العهد الأخير من المَذْهب الأوّل من عُهُود الخَلَفَاء عن الخلفاء

بياض بأعلى الدرج تقديراصبع

. ج. ذا عهد ما من قد علَتْ جُدُودُه ، وزاد في الارتقاء في العَلْياء صُعُوده ، وفُصِّلتْ عَجَ جَهِ اللَّهِ اللَّهِ مَا لَكُدُهُ وَنُظَّمت بنفيس الدُّرِّ عُقُوده؛ من عبدالله ووليِّـه الإمام المتوكِّل عَيْج على الله أبي عَبْد الله محمد ابر الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، بالحلافة المقدَّسة لوَلَده السيد الجليل ؛ ذَخيرة الدِّين، وولى عهد المسلمين ، أبي الفَضْلُ العبَّاس ، بلُّغه الله تعــالى فيه غايةَ الأمل ، وأقَرَّ به عينَ الأمَّة كما أقرَّ به عينَ أبيـــه وقد فَعَل علیٰ ماشرح فیه

ساض ستة أوصال

نست مالله الرحمن الرمعيم

هـ ذا عهدُّ سـ عيدُ الطالع ميمُون الطائر مباركُ الأول

عهدت إليه بذلك

وكتب فلان بن فلان

وترَقُرُ مَا اللُّهُ مِنْ اللُّهُ مِنْ اللُّهُ مِنْ اللُّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وتُبُّاهِي

به ملائكةُ الارض ملائكةَ السما، وتَسْرى بنشُّره القَبُولُ إلىٰ الأقطار

هامش

فَ كُلِّ أَفْقَ نَبُهًا .

ثم يأتى على الكلام إلى آخر العهد على هذا النَّمَطَ إلى أن ينتهِىَ إلى قوله فيه «والله تعالى يبلِّغه منك أملًا، ويحقق فيك عِلمًا ويُزَكِّي بك عملا»

فَتُنْشُرُلُهُ بِكُلُ نَاحِيةً عَلَمًا، وتُطْلِعُ بِهِ سِعَادَةُ الْحَدُّ مِن مُلوك العدْل

ان شاء الله تعالى ا

كتِب فى اليوم الأوّل من المحرّم سنة إحدى وثمانمائة

بالإذن العالى ، المؤلُّويِّ ، الإماميِّ ، النبويُّ ، المتوكِّلِّيُّ ،

الحمد لله وحْدَه وصلواتُه على سيدنا عهد وآله وصَّحبه وسلامُه

حسبنا الله ونعم الوكيل

قبلتُ ذلك المعهود إليه في العاهد والمعهود إليه في العاهد والمعهود إليه في وكتب فلان أولَّى المؤمنين في المؤمنين ف

النـــوع الشانى (عهودُ الحلفاء لللوك، ويتعلَّق النظر به من سبعةٍ أوجُه)

الوجه الأوّل (فى أصل مشرُوعيَّتها)

والأصلُ فيها مارواه آبن إسحاق وغيره: أنه لما رَجَع وفَدُ بنى الحَرِث بنِ كعب إلى قومهم باليَمَن بعد وُفُود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ وفاتِه بأربعة أشهر، بعث إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعدَ أن وَلَى وَفُدَهم عَمْرو بنَ حَرْم، وُفَقَهُم فى الدِّين، ويعلِّمهم السنَّة ومَعَالِم الإسلام، ويأخُذُ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابًا عهد فيه عَهدَه، وأمرَه فيه أمره، على ماسياتى ذكره فى أول نُسَخ العُهُود الواردة فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمر ايمن فى حياتِه إلى عَمْرو بن حَرْم رضى الله عنه ، وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد المنافية فيه .

الوجــــــــــه الثـــانى (فى بيانِ[معنیٰ] الْمُلْك والسَّلْطنة اللتين يقَعُ العهدُ بهما)

قد تقدّم فى الكلام على الألقاب نقلا عسر و الفُروق " فى اللغة للعسكرى" أن المُلك أخصَّ من السَّلطنة : لأن المُلك لا يطلَقُ إلا على الولاية العامَّة، والسَّلطنة تُطلق على أنواع الولايات؛ حتى إنَّ الفقهاء يعبِّرون عن القاضى ووالى البلد فى أبواب الفقه بالسَّلطان .

ثم تفويضُ الخليفة الأمُورَ في البسلاد والأقاليم إلى مَنْ يَدَبِّرها ويقُوم باعبائها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول _ وهو اعلاها وزارة التفويض، وهو أن يَسْتوزِرَ الخليفة من يَفَوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده، وينظُرُ فيها على العُمُوم، وعلى ذلك كانتِ السلطنة في زَمَن الخلَفاء الفاطميين بمصر على ماسياتي ذكره، قال الماوردي في والأحكام السلطانية " ولا يمتنع جوازُ مشل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدبير [الأمة] لايقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستينابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصّح في تنفيذ الأمور، [من تفرده بها] ليستظهر به على نقسه ولتقسه، فيكُونَ أبعد من الزّل ، وأمنع من الخلل ، قال : وتعتبر في القليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النّسبَ وحده ، وقد تقدّم بيانُ شروط في [الإمامة في الكلام على البيعات ، ثم قال : وكل ماصح من وزير الإمامة في الكلام على البيعات ، ثم قال : وكل ماصح من الإمام صح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية العهد. فإنَّ لإمام أن يَعْهَدَ إلىٰ مَنْ يرى وليس ذلك للوزير. الشانى — أنَّ للإمام أن يستَعْفيَ الأمَّةَ من الإمامة وليس ذلك للوزير.

الشالث — أنّ للإمام أن يُعزِل من قَلَده الوزيرُ وليس للوزير أن يعزِلَ من قلَّده الإمام .

وتفارق هذه الوزارةُ الحلافةَ في عموم النظر فيا عدا ذلك من وجهين :

⁽١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

⁽٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما معتص بالإمام وهو أن يتصَفَّح افعالَ الوزيروتدييرَ الأَمُور : لَيُقِرَّ منها ماوافق الصَّواب ، ويستَدْرِك ماخالَفَه : لأنَّ تدبير الأمة السِيه موَّكُول، وعلى الجماده محُول .

والناني _ مجتصَّ بالوزير. وهو مطالعةُ الإمام بمـا أمضاه من تدبيرٍ، وأنفذه من ولايةٍ وتقليدٍ: لئلا يصيرَ بالاستبْداد كالإمام .

أما وزَارَةُ التنفيذِ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

القسم الشاني _ إمارة الإستكفاء ،

وهى التى تنعقد عن آختيار من الحليفة ، وتشتمل على عمل محدود ونظر معهود، بأن يفوض الحليفة إليه إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ؛ ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فياكان محدودا من عمل ، ومعهودا من نظر ، قال الماوردى : فينظر فيا إليه في تدبير الحيش، وتربيه في النّواحي، وتقدير أرزاقهم إن لم يكن الإمام قد قدّرها ، وإدرارها عليهم إن كان الإمام قدّرها ؛ وكذلك النظر في الأحكام ، وتقليد القضاة والحكمام ، وجباية الحرّاج ، وقبض الصّدقات والعمل فيهما ، وتفريق مايستحق منهما ، وحماية الحرّاج ، والذّب عن البيضة ، والعمل فيهما ، وتفريق مايستحق منهما ، وحماية الحرّاج ، والذّب عن البيضة ، ومراعاة الدّين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدّود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدمين ، والإمامة في الجمّع والجماعات بالقيام بها ، والاستخلاف عليها ، وتفسيد الحبيج من عمله ومَنْ يُمرّ عليه من غير عمله ؛ وجهاد من يليه من العدو ، وقشم العنائم في المقاتلة ، وأخذ تُحسُها لاهل الحمل الحمس ، وله أن يتّغذ و زير تنفيد لا و ذير تقد من من العدة ، وأخذ تحسُه العمل الحمل الحمل المنائم في المقاتلة ، وأخذ تحسُها لاهل الحمل الحمل . وله أن يتّغذ و زير تنفيد لا و ذير تنفيد لا و ذير تنفيد في من العدون من العدة ، وأخذ المهم العمل الحمل الحمل المهم المنائم في المقاتلة ، وأخذ المهم العمل الحمل الحمل الحمل المنائم في المقاتلة ، وأخذ المنائم في ال

وعلى هذا كانتِ الأمراءُ والعُمَّال في الأقاليم والأمصار منَ آبتداءَ الإسلام إلىٰ أن تغلَّب المتغلِّبون علىٰ الأمر وآسـتُضْعف جانبُ الخلفاء .

قال المــاوردى : ويعتَرُف هــذه الإمارة ما يُعتَبر في وِزَارة التفويض مر_ الشروط : إذ ليس بين عُمُوم الوِلَاية وخُصوصِها فَرْقٌ في الشروط المعتَبرَة فيها .

القسم الشالث _ إمارة الأستيلاء .

وهى أن يقلّده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تدبيرها، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [الأمير] بآستيلائه مستَيدًا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه يَنفّذ أحكام الدين : لتخرُج عن الفساد إلى الصّحة، ومر الحَظْر إلى الإباحة ؛ نافذ التصرّف في حقوق الملة وأحكام الأُمّة ، وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلّب على الخلفاء، والاستبداد بالأمر بالعَلَبة والقوة .

قال الماوردى : وهدا و إنْ خرج عن عُرْف التقليد المطْلَق فى شروطِه وأحكامِه ، ففيه [من] حفظ قوانينِ الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجُوزُ أن يُتْرَك مختلًا مدُّخُولا، ولا فاسدًا مَعْلُولا ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار، أن يُتْرَك مختلًا مدُّخُولا، ولا فاسدًا مَعْلُولا ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار، ما آمتنَع فى تقليد الاستيكفاء والاختيار : لُوقُوع القُرْق بين شروط المكنة والعجز، قال : والذى يُتَحفَّظ بتقليد المستولي من قوانين الشريعة سبعة أشياء ، يشترك فى الترامها الخليفة المولّى والأمير المستولى ، ووجُوبُها فى جهة المستولى أغلظ .

 ⁽١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على
 بلاد يقلده الخليفة إمارتها و يفترض إليه الخ وهي أوضح وأصرح

⁽٢) في المصباح . وله مَكِنَةُ أَى قَوْةً وَشُدَّةً .

أحدها _ حِفْظ مَنْصِب الإمامة في خلافة النبقة، وتدبير أمور الأمة: ليكون ما أوجبه الشرعُ من إقامتها محفوظا، وما تفرّع عنها من الحقوق مَحْروسا.

والشانى _ ظهورُ الطاعةِ الدِّينية التي يزُولُ معها حكمُ العِناد في الدين ، وينتفى بها مأثمَ المُباينَةِ له .

والثالث _ آجتاعُ الكلمةِ علىٰ الأَلْفة والتناصُر: ليكونَ المسلمونَ يدًا علىٰ مَنْ ســواهم .

والرابع – أن تكونَ عَقُود الولايات الدينيَّة جائزة، والأحكامُ والأقضيةُ [فيها] نافذة؛ لا تبطل بفساد عُقُودها، ولا تسقُط بِخَلَل عُهُودها و

الخامس ــ أن يكونَ آستيفاءُ الأموال الشرعيَّة بحقَّ تبرأ به ذمَّةُ مؤدِّيها ، ويستَبِيحه آخِذُها ومُعْطِيها ،

السادِس _ أَن تَكُونَ الحَدُودُ مستوفاةً بِحَقِّ ، وقائمةً علىٰ مستَحِقٌ ؛ فإنَّ جَنْبِ المؤمِن حِمَّ إلَّا من حقُوق الله تعالىٰ وحُدُوده .

السابع – أن يكون الأُمَّة في حفظ الدين وازعٌ عن محارم الله تعالى، يأمُن بحقّه إن أُطيع، ويدعُو إلى طاعته إن عُصى . ثم قال : فإن كُلت فيه شُروطُ الاختيار المتقدّمةُ، كان تقليدُه حمَّا آستِدْعاءً لطاعته ، ودفعًا لمشاقّته ومخالفَته ، ورفعًا لمشاقّته ومخالفَته ، ورفعًا لمشاقّته وعالفَته ، وإن لم تحكُلُ [فيه] شروطُ الاختيار ، جازله إظهارُ تقليده آستدعاءً لطاعته وحسما لمخالفَته ومعاندته ، وكان نفُوذُ تصرَّفاته في الحقُوق والأحكام مَوْقُوفا علىٰ أن يستنيب الخليفة ومعاندته ، وكان نفُوذُ تصرَّفاته في الحقُوق والأحكام مَوْقُوفا علىٰ أن يستنيب الخليفة

له مَنْ تكاملَتْ فيه الشّروط . قال : وجاز مثلُ هذا و إن شَذَّ عن الأصول : لأن الضرورةَ تُشقط ماأعُوزَ من شُروط المكنة .

دائرةً بين هذه الأقسام الثلاثة، لاتكادُ تَخْرُج عنها : فكانتْ في بِداية الأمر « إمارةَ ٱستكفاء» يولِّي عليها الخليفةُ فَي كلِّ زمن مَنْ يقُوم بأعبائها، ويتصرَّف في أمورها، قاصرُ الولاية عليها، واقفُ عند حَدُّ ما يَرد عليه من الخليفة من الأوامِر، والنَّواهي، إلَّا ما كان في أيام بَنِي طُولُون من الْخُـرُوج عن طاعة الخلفَاء في بعض الأحيان . فَلَمَّ السَّوْلِي عليها الفاطميُّون وآستَوْزَرُوا أربابَ السُّيوف في أواحر دَوْلتهم ، وعظمت كلمتُهم عندهم، صارت سلطنتُها ووزارة تَفُويض، وكان الخليفة يحتَجِب والوزيرهو المتصِّرف في المملكة كالمُلُوك الآنَ أو قريبِ منهم . وكانوا يُلقَّبون بألقاب الْمُلُوكَ الآنَ : كَالْمُلُكُ الأَفْضِلُ رِضُوانَ وزيرالحافظ ، وهو أوَّلُ من لُقِّب بالْمَلك منهم فيما ذكره المؤيَّد صاحبُ حماةً في تاريخه . والملك الصالح طَلائِـع بن رُزِّيك وزير الفائز ثم العاضد . والملك المنصُور أسد الدين شيركُوه بن شادى وزير العاضد، وآبن أخيه صــــلاحِ الدين يُوسفَ بنِ أَيُّوب و زيرِ العاضد أيضا ، قبل أن يستقِلُّ بِالْمُلُكُ وَيَخْطُبَ بِالدِّيَارِ المُصرِيَّةِ لَبَنِي الْعَبَّاسِ بَبَغْدَادٍ . وَلاَنْكُرُ في تسمية الوزير مَلِكا ، فقد قيــل في قوله تعالىٰ في قصَّة يوسفَ عليه الســـلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلُكُ ٱشْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْـهُ لِنَفْسَى ﴾ إنَّ المرادَ بالملك الوزيرُ لا الملكُ نفْسُـهُ . ولما ٱنتُزعتْ من الفاطميين وصارتْ إلى بني أيُّوبَ ، وكانوا يَلُونَهَا عن خُلَفاء بنى العبَّاس ، صارتْ « إمارةَ آستيلاءِ » لأستيلائِهم عليها بالقُوّة ، وآستبدادِهم بالأمْر، والتدبير مع أَصْلِ إذنِ الخليفة وتقْلِيده . وكان الرشـيُد قد لقّب « جَعْفَر بن يَحْييٰ البَرْمَكَى »

في زمن وِزارته له بالسلطان ، ولم يأخُذ النـاسُ في التلقيب به . فلمَّا تغلُّب الملوكُ بالشَّرْق على الخلفاء وآستَبَّدُوا عليهم ، صار لقَبُ السلطان سمةً لهم ، مع ما يختصُّهم به الخليفةُ من ألقاب التشريف : كشَرَف الدُّولة ، وعَضُد الدولة ، ورُكْن الدولة، ومُعرِّ الدولة، وعِزِّ الدولة، ونحو ذلك . وشاركهم في لَقَب السلطنة غَيْرُهُمْ مَن مُلُوكَ النواحَى ، فتلقَّب بذلك صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أَيُّوبَ ، وتلقَّب بالملك الناصير عند آستبداده بالمُلك على العاضيد الفاطميّ بعدَ وزارتِه له ، ونَقَــل ماكان من وِزَارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارتِ الوزارةُ عن السلطان مِعدُوقةً بقَــدْرِ مخصوص من التصَرُّف . وبني الأمْنُ على ما هو عليه من الإستيلاء والاستبداد بالمُلْك، مع أصل إذْن الخليفة وكتابة العَهْد بالمُلْث، وهي على ذلك إلى زماننا ؛ إلا ماكان فى زمن تعطيل جِيــد الخلافة من الْحُلَفاء ، من حينِ قَتْل التتار « المستُعْصِمُ » آخرخلف، بني العباس ببغداد إلى حينِ إقامةِ الخليفة بمصر في الدولة الظاهريَّة بِيبَرْس ، علىٰ أنَّ في السلطنة الآنَ شَبُّهَا من وِزارة التفويض ، فإن الخليفةَ يفوّض إليــه فى تقليده تدبِيرَ جميع الهــالكِ الإسلامية بالتفويض العامُّ لايَسْتُثْنِي منها شيئاً . وغيرُ هذه المملكة و إن كان خارجًا عن يده فهو داخل في عُموم وَلَا يَتُـه، حتَّى لو غَلَب علىٰ شيء منها أو فتحه لم يَحْتَجُ فيه إلىٰ تولية جديدة مر_ الخليفة . ولا مانِعَ لذلك : فسيأتى في الكلام علىٰ المناشير أنه يجوزُ للإمام أن يُقطع أَرضَ الكُفْر قبل أن تُفْتَح ، وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أُوُّليٰ . وحينئذ فتكون سلطنةُ الديار المُصريَّة الآنَ مَرَجَّبة من وزارة التفويض و إمارة الآستيلاء .

الوجه الشالث (فيا يجبُ علىٰ الكاتب مراعاتُه فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاةُ أمور :

منها – براعةُ الاِستهلال بما يتهيَّأُله منَ آشيم السلطان أو لَقَبَه الحاصِّ : مثل فلان الدين ، أو لَقَبِه بالسلطنة : مثل الناصِر، والظاهِر، ونحوِهما ، أو غيرِ ذلك مما يكُلُّ على مابعده قبلَ الإتيان به كما تقدّم في البَيْعات وعُهُود الْحَلَفاء .

ومنها - التنبيهُ على شَرَف السَّلْطنة وعُلُق رُتْبتها ، ووجُوبِ القيام بأمْر الرِعِيَّة ، وتُحُلُّل ذٰلك عن الخليفة ،

ومنها – الإشارةُ إلى آجتهاد الخليفةِ و إعمال فِكُره فيمَنْ يَقُوم بأمْر الأُمَّة، وأنه لم يَجِدُ بذلك أحقَّ من المعهود إليه ولا أوْلىٰ به منه، فيَصِفُه بالصَّفات الجميلة، ويُثْنِى عليه بما يلِيقُ بَقَام الْمَلْكِ .

ومنها — الإشارةُ إلى جَرَيان لفظ تنعقد به الولايةُ من عَهْد أو تقليدٍ أوتفويص، وقبولِ ذلك، ووُقُوع الإشهاد على الخليفة بالعهد.

ومنها — إيرادُ مايليقُ بالمقام من الوصيَّة، بحسب مايقتضيه الحال: من علُورتبة الحلافة وَآنْيِفاضها، مَبيِّنا لما يلزَمُه القيامُ به: من حفظ الدِّين على أصولهِ المستقرّة، وما أجمع عليه سلف الأمّة، وتنفيذ الأحكام، وإنصافِ المظلوم من الظالم، وحماية البيضة، والنَّبِ عن الحُرَم، وإقامةِ الحُدُود، وتحصين النُّنُور، وجهاد أعداءِ الله وغَنْ وهم، وجباية النَّيْء والصَّدَقات على ما أوجبه الشرعُ من غير حَيْف ولاعَسْف،

وتقدير العطاء، وصَرْف مايُسْتَحَقَّ في بيت المال من غير سَرَف ولا تقْتير، في وقْتِ الحاجة إليه، وآستِكفاء الأَمناء، وتقليد النَّصَحاء للأعمال والأموال، ومُباشرة الأمور بَنْفسه وتصَفَّح الأحوال ؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة : من إقامة مَوْسِم الحبِّ، وتأمين الحَرَم الشريف وإكرام ضرائع الأنبياء وبيت المقدِس، وتحرير مقادير المُعامَلات، وغير ذلك مما يقتضيه أمْر المملكة .

النَّمَطُ الأوّل ـــ ما كان ُيكَتب في وِزارة التفويض في دُولة الفاطميين .

وكان الحليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمْرَ وإن كان قد تُرِك فالمعرفة به خُيرٌ من الجهل ، خصُوصًا وقد أثبت المقرَّ الشِّهابيّ بن فضل الله عهْدَى أسد الدين شيركوه وآبنِ أخيه السلطانِ صَلاح الدِّين يوسُفَ بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عُهُود الملوك على ما سيأتي ذِ مُره ، وسنُورِدُهما في جملة عُهُود الملوك عن الخلفاء فها بعد إن شاء الله تعالى .

فر. ذلك ما كتب به العاضِدُ فى طُرَّة عهدِ أَسَد الَّدين شيركوه المتقدّم ذكره، وهو:

«هذا عَهْدٌ لا عَهْدَ لوزِيرٍ بمثله ، وتقليدُ أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهْلًا خَمْله ، والحجةُ عليْكَ عندَ الله بما أوضَحه لكَ من مَرَّاشد سُبُله ، فَخُذْ كتابَ أميرِ المؤمنين يُقُوه، وَأَسْحَب ذَيْلَ الفَخَار بأنِ آعَتَرَتْ خِدْمَتُكُ إلى بُنُوَّة النَّبُوَّه ؛ وَٱتخِذْ أَميرَ المؤمنين للفَوْذِ سبيلا ﴿ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمُ كَفيلا ﴾ » .

+ +

ومن ذلك ما كتب به العاضـدُ أيضًا في طرَّة العهد المكتَّتَب عنــه بالوِزارة السلطان صلاح الدِّين يُوسفَ بن أيُّوب قبل آستِقْلاله بالسلطنة ، وهو :

« هــذا عهدُ أميرِ المؤمنين إليْك، وُحَجَّتُه عند الله تعالىٰ علَيْك، فَأَوْف بِمَهــدك وَيَمينك، وَخُذْ كَتَابَ أمير المؤمنين بَكِينك، ولِمَنْ مَضىٰ بجــدِّنا رسولِ الله صــلْى الله عليه وسلم أحسَنُ أُسُوه، ولمن بَقي بُقُر بنا أعظَمُ سَلْوَه ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآ يَحَرَّةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُون عُلُوّا فِي الْأَرْضِ وَلَافَسَادا والعاقِبَةُ للتَّقِين ﴾ » .

النمط الشاني ــ ما يُكْتَب في طُرّة عُهود المُلُوك الآنَ .

وهو قريب مماكان يُكتَب أوّلا مما تقدّم ذكْرُه ؛ إلّا أنه يُبَدّل فيه لَفُظُ الوِزارة بلَلْك والسَّلْطنة ؛ ويكونُ الذي يكتُبه هو الذي يَكْتُب العُهدَدُونَ الخليفة ، ثم هو بحسَب ما يُؤْثره الكاتِبُ مما يُدلُّ علىٰ صَدْر العهد علىٰ ما يقتضيه الحال .

وهده نسخة طرّة عهدٍ ، كتب بها القاضى محيى الدين بن عبْد الظاهر، في نسخة عهدٍ أنشأه للسلطان الملكِ الناصرِ محمد بن قَلاوُون، في سسنة سبعَ عشرة وسبعائة، وهو:

« هـذا عهدُ شريفٌ تجدّدتْ مَسَرَّاتُ الإسلام بَتَجْديده ، وتأكدَتْ أسبابُ الإيمان بتَأْكيده ، ووَفَد الْيُمْنُ والإقبالُ الإيمان بتَأْكيده ، ووَفَد الْيُمْنُ والإقبالُ

على الخليقة بُونُوده، وورد الأنامُ مَوْرِد الأمانِ بُورُوده ، من عبدالله ووليّه الإمام المستكفي بالله أبى الرّبيع سليانَ أميرِ المؤمنين ، آبنِ الحاكم بأمي الله ابى العباس أحمد ، عَهِد به إلى السلطان الملكِ النّاصر أبى الفتح عمد ، خلّد الله سلطانه ، آبن السلطان الملكِ المنصورِ سيفِ الدين قلاوون الصالحيّ قدّس الله روحه » .

يتم الجزء التساسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العساسر مازله الوجه الخامس (فيا يكتب في ألقساب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)

والحمد نقه رب العالمين . وصلاته على سيدنا عهد خاتم الأنبياء والموسلين وآله وصحب والتابعين وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل

⁽المطبعة الأميرية ١٩١٥/٤٧١٥)

فهـــــرس

الجـــــزء التــاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي



صفح		
	م الثاني ـ من مقاصد المكاتبات الإخوانيات ،	قس
•	وهي على سبعة عشر نوعا	
٥	وع الأوّل ــ التهاني، وهي علىٰ أحد عشر ضربا	ال:
٦	ب الأقل _ التهنئة بالولايات	الضرد
70	الشانى — « بكرامة السلطان، وأجوبته	»
۳۱	الثالث – « بالعود من الحج))
	الرابع - « بالقدوم من السفر	
49	الحامس ـ « بالشهور والمواسم والأعياد	»
٥٤	السادس - « بالزواج والتسرىٰ	»
٥٦	السابع - « بالأولاد	»
٦٣	الشامن — « بالإبلال من المرض والعافية من السقم	»
٧٠	التاسع – « بقرب المزار	»
۷١	العــاشر _ « بنزول المنازل المستجدّة	»
٧٣	الحادىءشر ــ نوادر التهانى	»
۸۰	الثاني _ من مقاصد المكاتبات التعازى، وهي على أضرب	النــوع
۰.	ب الأول ــ التعزية بالأبن	الضر
	الثانى – « بالبنت	
۸٦	الشالث - « بالأب	»
۸٧	الرابـع - « بالأم	
	الحامس – « بالأخ	
	السادس ـ « بالزوجة	
44	السابع – التعازي المطلقة))

صفحة	n de
1	النوع الشالث – من مقاصد المكاتبات التهادي والملاطفة
178	« الرابع – الشفاعات والعنايات
127	« الخامس ـ التشوق »
	« السادس _ في الأسترارة »
	« السابع – في آختطاب المودّة وآفتتاح المكاتبة
	« الثامن – في خطبة النساء
	« التاسع – في الأسترضاء والاستعطاف والاعتذار
	« العاشر – في الشكوى
	« الحادى عشر – في آستماحة الحوائج
	« الشاني عشر – في الشكر
114	« الثالث عشر – في العتاب الثالث عشر –
	« الرابع عشر – في العيادة والسؤال عن حال المريض
	« الخامس عشر — في الذم
	« السادس عشر – في الأخبار
	« السابع عشر – في المداعبة »
	الفصل الشامن - في إخفاء مافي الكتب من السر، وهو على نوعين
	النـــوع الأوّل ــ ما يتعلق بالكتّابة ، وهو علىٰ ضربين
	الضــرب الأوّل ــ ما يتعلق بالمكتوب به
	« الثانى – ما يتعلق بالحط المكتوب
	النـــوع الثــانى ــ الرموز والإشارات التي لا تعلق لها بالخط والكتّابة
707	المقالة الحامسة – في الولايات، وفيها أربعة أبواب
	البـــاب الأوّل – في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيــه
707	ثلاثة فصول

صفحه	
	الفصـــل الأوّل – في بيان طبقات الولايات
707	الطبقة الأولى – الحلافة
707	« الثانية – السلطنة »
	« الشالثة – الولايات عن الخلفاء والمــلوك وما يكتب عن
	السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر
707	والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع
704	النسوع الأول – ولايات أرباب السيوف
700	« الشانى _ ولاية أرباب الأقلام
709	« الشالث – ولاية أرباب الوظائف الصناعية
709	« الرابع – ولايات زعماء أهل الذمة
۲٦٠	« الخامس ــ ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع
	الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الحامسة في بيان
	ماتجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات
177	على سبيل الإحمال
	لفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
	ما يقع ما التفاوت في رثب الولامات م ودلك
۲۲۳	من سبعة أوجه
775	الوجـــه الأوّل ــ الألقاب، وهي علىٰ ثلاثة أنواع
774	النــوع الأوّل ــ ألقاب الخلفاء
	« الشانى – « الماوك
772	« الشالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان
777	الوجــه الثــاني ــ ألفاظ إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة
771	« الشالث _ الأفتتاحات »
	« الرابع – تعـدد التحميد في الخطبة أو في أثناء الكلام وأتحـاده واتحـاده المعادة ال
774	واتحاده واتحاده

صفحة	
779	الوجــه الحــامس ـــ الدعاء
۲۷.	« السادس ـ طول الكلام وقصره
271	« السابع – قطع الورق
777	اب الثـاني _ من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان
۲۷۳	الفصل الأوّل – في معناها
277	« الثاني – في ذكر تنويع البيعات، وهي نوعان
277	النــوع الأوّل ــ بيعات الحلفاء، وفيها سبعة مقاصد
475	المقصد الأوّل ــ في أصل مشروعيتها
770	« الثان _ في بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية
	« الشالث – في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة
777	البيعة
	« الرابع ـ في بيان مواضع الخلافة التي تســـتدعي الحـــال
7 9 9	
	« الخامس – في بيان صورة ما يكتب في بيعات الخلفاء ،
۲۸۰	وفيه أربعة مذاهب
	المذهب الأول _ أن تفتتح المبايعة بلفظ «تبايع فلانا أميرالمؤمنين»
۲۸۰	خطاباً لمن تؤخذ عليه البيعة
	« الشانى _ مما يكتب في بيعات الخلفاء أن تفتتح المبايعة
	بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الامام
7.47	الفلاني» إلى أهل دولته
	« الثالث _ أن تفتتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتتحة
	بالحمد لله الح بالحمد لله الح
	« الرابع _ مما يكتب في بيعات الخلفاء أن تفتتح البيعة
	لفظ « هذه سعة الله سالفظ «